UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190766

UNIVERSAL
LIBRARY

رنّ الميّال الواثميّا

في

روايات الاغاني

لجامعها و مُصحّحها و معلّق حواشيها

الاب انطون صالحاني اليسوعي

الجزء الثاني

في

الروايات التاريخيّة

طبعة ثانية

المطبعة الكاثوليكيّة للآباء اليسوعيّين في بيروت

رنائم الميثاق والميثاقيات

في

روايات الاغاني

لجامعها ومصححها ومعلّق حواشيها

الاب انطون صالحاني اليسوعي

الجزء الثاني

في

الروايات التاريخيّة

طبعة ثانية

المطبعة الكاثوليكيّة للآباء اليسوعيّين في بيروت

سنة ١٩٢٣

١٣٥١ن
ع
٨٩٢٥٧١٠٨
ر - ا

حقوق الطبع محفوظة للمطبعة ٢

كتاب

رَنَّاتِ ٱلْمَثَالِثِ وَٱلْمَثَانِي
فِي
رِوَايَاتِ ٱلْأَغَانِي

نزول اليهود ثم الأَوْس والخَزْرج بيَثْرِب

اخبر جعفر بن سعد عن العَمّاري قال: كان ساكنو المدينة في اوّل الدهر قبل بني اسرائيل قوماً من الامم الماضية يقال لهم العماليق وكانوا قد تفرّقوا في البلاد وكانوا أهل عزّ وبغي شديد. فكان ساكني المدينة منهم بنو هَفّ وبنو سعد وبنو الازرق وبنو مطروق وكان ملكَ الحجاز منهم رجلٌ يُقال لهُ الأَرقم ينزل ما بين تيماء الى فَدَك. وكانوا قد ملأُوا المدينة ولهم بها نخل كثير وزروع. وكان موسى بن عمران عليه السلام قد بعث الجنود الى الجبابرة من اهل القرى يغزونهم فبعث موسى عليهِ السلام الى العماليق جيشاً من بني اسرائيل وأمرهم ان يقتلوهم جميعاً اذا ظهروا عليهم (١ ولا يستبقوا منهم احدًا. فقدِم الجيش الحجاز فأظهرهم الله عزّ وجل على العماليق فقتلوهم أجمعين الّا ابناً للأَرقم فانهُ كان وضيئاً (٢ جميلًا فضنّوا بهِ على القتل وقالوا: نذهب بهِ الى

---

١) ظهر عليه غلبه وظفر به ٢) الوضاءة الحسن والبهجة والنظافة

موسى فيرى فيهِ رأيه . فرجعوا الى الشام فوجدوا موسى عليهِ السلام قد تُوفي . فقالت لهم بنو اسرائيل : ما صنعتم . فقالوا أَظهرَنا الله جل وعزَّ عليهم فقتلناهم ولم يبقَ منهم احد غير غلام كان شاباً جميلًا فنَفِسنا بهِ (١ عن القتل وقلنا نأتي بهِ موسى عليهِ السلام فيرى فيهِ رأيه . فقالوا لهم : هذه مَعصِيَة . قد أُمرتم ان لا تستبقوا منهم احدًا . والله لا تدخلون علينا الشامَ ابدًا

فلمَّا صنعوا ذلك قالوا : ما كان خيرًا لنا من منازل القوم الذين قتلناهم بالحجاز . نرجع اليهم فنُقيم بها . فرجَعوا على حاميتهم حتى قدِموا المدينة فنزلوها وكان ذلك الجيش اوَّل سُكنى اليهود المدينة . فانتشروا في نواحي المدينة كلها الى العالية فاتخذوا بها الآطام والأَموال (٢ والمزارع . ولبثوا بالمدينة زماناً طويلًا

ثم ظهرت الروم على بني اسرائيل جميعاً بالشام فوطأُوهم وقتلوهم . فخرج بنو النَّضِير وبنو قُرَيظة وبنو بَهْدَل هاربين منهم الى مَن بالحجاز من بني اسرائيل لمَّا غلبتهم الروم على الشام . فلمَّا فصَلوا عنها (٣ بأَهليهم بعث ملك الروم في طلبهم ليردَّهم فأَعجزوهُ . وكان ما بين الشام والحجاز مَفاوز . فلمَّا بلغ طلب الروم الثَّمَد (٤ انقطعت اعناقهم عطشاً فماتوا وسُمّي الموضع ثَمَد الروم فهو اسمهُ الى اليوم

فلمَّا قدِم بنو النَّضير و قُرَيْظة وبهدل المدينة نزلوا الغابة فوجدوها

١) نفس به ضنَّ به ٢) آطام جمع أُطُم وهو قصر او حصن مبني بحجارة . الاموال المواشي ٣) فصل عنه فارقه

٤) الثمد الماء القليل يجتمع من المطر في الحفر وينقطع عند دخول القيظ

وبيئة فكرهوها وبعثوا رائدًا (١ أمروه ان يلتمس لهم منزلًا سواها . فخرج حتى اتى العالية وهي بُطْحانُ ومهزورٌ واديانِ من حَرَّة على تِلاع ارض عَذْبة (٢ بها مياه عذبة تنبت حُرّ (٣ الشجر . فرجع اليهم فقال: قد وجدتُ لكم بلدًا طيّبًا نزهًا الى حَرَّة يصبّ منها واديان على تلاع عذبة ومَدَرة (٤ طيّبة في متأخر الحرَّة ومدافع الشَّرْج (٥ . (قال) فتحوَّل القوم اليها من منزلهم ذلك فنزل بنو النضير ومن معهم على بطحان . وكانت لهم ابل نواعم (٦ فاتخذوها أموالًا . ونزلت قريظة وبهدل ومن معهم على مهزور فكانت لهم تلاعه وما سُقي من بُعاث وسموات . فكان يسكن يثرب جماعة من ابناء اليهود فيهم الشرف والثروة والعزّ على سائر اليهود . وكان بنو مرانة في موضع بني حارثة ولهم كان الأُطُمُ الذي يقال لهُ الخال وكان معهم من غير بني اسرائيل بطون من العرب منهم بنو الحرمان حيّ من اليمن وبنو مَرْثَد حيّ من بَلِيّ وبنو نيف من بلي ايضاً وبنو معاوية حي من بني سُلَيم ثم من بني الحرث بن بُهْثة وبنو الشظية حيّ من غسّان وكان يقال لبني قريظة وبني النضير خاصة من اليهود الكاهنان (٧

---

١) الرائد مَنْ يتقدّم القوم يختار لهم منزلًا ٢) الحرّة ارض ذات حجارة سود نخرة . التلاع جمع تلعة وهي ما علا من الارض . ارض عذبة ومياه عذبة اي طيّبة ٣) الحُرّ من كل شيء خياره واطيبه ٤) المدرة الطين والتربة ٥) المدافع المجاري جمع مدفع . الشرج موضع . وهو في غير هذا مَسيل الماء من الحِرار الى السهل ٦) نواعم اي سمينة مُترَفة

٧) الكاهنان نسبة الى جدّهم الذي يُقال له الكاهن كما يقال العُمَران والحسنان والقمران

فلمَّا ارسل الله سيل العَرِم على اهل مأرِب وهم الأَزد قام راندهم فقال: من كان ذا جمل مِعَنّ (١ ووَطب ودنّ وقِربة وشَنّ (٢ فلينقلب عن بقرات النعم فهذا اليوم يوم همّ وليلحق بالثني من شنّ (٣ . فكان الذين نزلوه أَزد شَنُوءَة. ثم قال لهم: ومن كان ذا فاقة وفقر وصبر على أَزمات (٤ الدهر فليلحق ببطن مَرّ . فكان الذين سكنوه خُزاعة. ثم قال لهم: من كان منكم يريد الخمر والخمير والامر والتأمير والديباج والحرير فليلحق ببُصرى والحفير وهي من ارض الشام فكان الذين سكنوه غسان . ثم قال لهم : ومن كان منكم ذا همّ بعيد وجمل شديد ومزاد جديد فليلحق بقصر عُمَان المشيد . فكان الذين نزلوه ازد عمان. ثم قال : ومن يريد الراسخات في الوحل المُطعِمات في المحل فليلحق بيثرِب ذات النخل . فكان الذين نزلوها الاوس والخزرج. فلمَّا توجهوا الى المدينة ووردوها نزلوا في صِرار (٥ ثم تفرَّقوا . وكان منهم من لجأ الى عَفاء (٦ من ارض لا ساكن فيه فنزلوا بهِ. ومنهم من لجأ الى قرية من قراها فكانوا مع اهلها. فأقامت الاوس والخزرج في منازلهم التي نزلوها بالمدينة في جُهد وضيق في المعاش ليسوا باصحاب ابل ولا شاء لانّ المدينة ليست بلاد نَعَم. وليسوا باصحاب نخل ولا زرع .

---

١) مِعَنّ محدول جدلَ العان ٢) الشنّ القربة الخَلَق الصغيرة
٣) الثني منعطف الوادي . وشنّ ناحية بالسراة وهي الجبال المتصلة بعضها ببعض الحاجزة بين تهامة واليمن ٤) الازمة الشدّة والقحط
٥) صرار بئر على ثلاثة اميال من المدينة
٦) عفاء اي لا اثر فيها

وليس للرجل منهم الّا الاغداق (١ اليسيرة والمزرعة يستخرجها من ارض مَوات (٢ والأَموال لليهود. فلبثت الاوس والخزرج بذلك حيناً

مكر أبي جُبَيْلة باليهود ومقتلهم

ثم ان مالك بن العَجْلان وفد الى أبي جُبَيْلة الغساني وهو يومئذٍ ملك غسان فسألهُ عن قومهِ وعن منزلتهم . فأخبره بحالهم وضيق معاشهم . فقال له أبو جبيلة : والله ما نزل قوم منّا بلدًا الّا غلبوا أهلَهُ عليهِ فما بالكم . ثم أمرهُ بالمضي الى قومهِ وقال لهُ : اعلمهم اني سائر اليهم فرجع مالك بن العجلان فأخبرهم بأمر أبي جبيلة ثم قال لليهود: ان الملك يريد زيارتكم فأعدّوا نُزُلًا (٣ فأعدّوه . وأقبل أبو جبيلة سائرًا من الشام في جمع كثيف حتى قدم المدينة فنزل بذي حُرُض (٤ ثم ارسل الى الاوس والخزرج فذكر لهم الذي قدم لهُ وأجمع (٥ يمكر باليهود حتى يقتل رؤوسهم واشرافهم . وخشي ان لم يمكر بهم ان يتحصنوا في آطامهم فيُمنعوا منهُ حتى يطول حصاره اياهم . فأمر ببنيان حائر (٦ واسع فبُني ثم أرسل الى اليهود : انَّ ابا جبيلة الملك قد احبّ أن تأتوهُ . فلم يبقَ وجه من وجوه القوم الّا أتاه وجعل الرجل يأتي معهُ بخاصتهِ وحشمهِ رجاء ان يحبوهم . فلمّا اجتمعوا ببابه أمر رجالًا من

---

١) اغداق اراضٍ مُخصبة ٢) موات لا يُنتفع بها
٣) النُّزُل والنُّزْل ما يهيأ للضيف ٤) ذو حرض وادٍ بالمدينة
٥) اجمع عزم ٦) حائر مكان مطمئنّ مرتفع الاطراف

جنده أن يدخلوا الحائر الذي بنى ثم يقتلوا كلَّ من يدخل عليهم من اليهود . ثم أمر حُجَّابه ان يأذنوا لهم في الحائر ويُدخِلوهم رجلًا رجلًا . فلم يزل الحجَّاب يأذنون لهم كذلك ويقتلهم الجند الذين في الحائر حتى أتوا على آخرهم . فقالت سارة القريظية ترثي مَن قُتل منهم أبو جبيلة تقول :

بنفسي أُمَّةٌ لم تُغنِ شيئاً ... بـذي حُرُضٍ تُعفّيها الرياحُ
كهولٌ من قريظةَ أتلفتهم ... سيوف الخزرجيَّة والرمـاحُ
رُزِئنا والرزيَّةُ ذات ثِقلٍ ... يَمَرُّ لاهلها الماء القَراحُ (١
ولو أرَبُوا (٢ بأمرِهم لجالت ... هنالك دونهم جأوى رَداحُ (٣

وقال الرَمَق وهو عبيد بن سالم بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف ابن الخزرج يمدح أبا جبيلة الغساني :

لم يُقضَ دَينُك في الحِسا ... ن وقد غَنِيتَ وقد غنينا
الراشقـات المرشقـا ... ت الجازيات بما جَزِينا
أمثـال غِزلان الصَّرا ... ئمِ يأتزرنَ ويَرتدِينا
الرَّيطَ والديباجَ والزَّ ... رَدَ المُضاعَفَ والبُرِينا (٤
وأبو جبيلة خيرُ مَن ... يمشي وأوفاهُم يَمينـا
وأبرُّهم بِرًّا وأء ... لُهم بفضل الصالحينا
ابقت لنا الايام والحربُ م ... المهمَّـةَ تَعترينـا

---

١) قراح خالص لم يشنهُ شيء ٢) أرَبوا أحكموا
٣) كتيبة جأواء سوداء من لون الحديد ورداح ثقيلة
٤) جمع بُرَة وهي كل حلقة من سوار وقُرط وخلخال

كبشًا لنا ذَكَرًا يفُلّ م حُسامهُ الذكر السَّمينا
ومَعاقلًا شُمًّا (١ واسـ ـيافًا يقُمنَ وينحنينا
ومحلّةً زوراء تزم حفُ بالرجال المُصلتينا (٢

فلمَّا انشدوا أبا جبيلة ما قال الرمق ارسل اليهِ فجيءَ بهِ . وكان رجلًا ضئيلًا غير وضيءٍ . فلما رآه قال : عسلٌ طيّب ووعاء سوء . فذهبت مثلًا . وقال للاوس والخزرج : ان لم تغلبوا على هذه البلاد بعد مَن قتلتُ من اشراف اهلها فلا خير فيكم . ثم رحل الى الشام . وقال الصامت بن أصرم القوفلي يذكر قتل أبي جبيلة اليهود :

سائل قريظة من يقتم سبيها (٣ يوم العُرَيض (٤ ومَن افاء المَغنما
جاءتهم الملحاء (٥ تخفق ظلّهـا وكتيبة خشناء تدعو سلّما
عَيَّ الذي جلبَ الهمامَ لقومهِ حتى احلّ على اليهود الصيلما (٦

قال أبو المنهال احد بني المعلّى : انهم اقاموا زمناً بعد ما صُنع ويهود تعترض عليهم وتناوئُهم . فقال مالك بن عجلان لقومهِ : والله ما انخنا يهود غلبةً كما نريد . فهل لكم ان اضع لكم طعاماً ثم أُرسِلُ في مائة من اشراف من بقي من اليهود فاذا جاؤوني فاقتلوهم جميعاً . فقالوا : نفعل فلمَّا جاءهم رسول مالك قالوا : والله لا نأتيهم ابدًا وقد قتل أبو جبيلة منَّا مَن قتل . فقال لهم مالك : ان ذلك كان على غير هوًى منَّا وانما اردنا ان نمحوهُ وتعلموا حالكم عندنا . فأجابوه . فجعل كلما دخل عليهِ رجل منهم

---

١) شمّ مرتفعة ٢) اصلتَ سلَّ السيف ٣) سبيها يعني نسوة سباهنّ ابو جبيلة من بني قريظة
٤) العُريض وادٍ بالمدينة
٥) الملحاء كتيبة لاهل جفنة ٦) الصيلم الداهية

أمر به مالك فقُتل . حتى قتل منهم بضعة وثمانين رجلًا . ثم ان رجلًا منهم أقبل حتى قام على باب مالك . فتسمَّع فلم يسمع صوتاً . فقال: أرى اسرعَ وِرْدٍ وأبعدَ صدَرٍ . فرجع وحذَّر اصحابه الذين بقوا فلم يأتِ منهم احد . (قال) وصوّرت اليهود مالكاً في بيعهم وكنائسهم فكانوا يلعنونهُ كلما دخلوها . (قال) فلما قُتل مالك من يهود مَن قتل ذُلوا وقلّ امتناعهم وخافوا خوفاً شديداً وجعلوا كلما هاجهم احد من الاوس والخزرج بشيءٍ يكرهونهُ لم يمشِ بعضهم الى بعض كما كانوا يفعلون قبل ذلك ولكن يذهب اليهودي الى جيرانه الذين هو بين أظهرهم فيقول: انما نحن جيرانكم ومواليكم . فكان كل قوم من يهود قد لجأوا الى بطن من الاوس والخزرج يتعزّزون بهم (١

محاربة الاوس والخزرج

قال أبو المِنهال عُتيبة بن المنهال : بعث رجلٌ من غطفان من بني ثعلبة بن سعد بن ذُبيان الى يثرِب بفرسٍ وحلّةٍ مع رجلٍ من غطفان وقال : ادفعهما الى اعزّ اهل يثرب . (قال) فجاء الرسول بهما حتى ورد سوق بني قَينُقاع فقال ما أُمر بهِ . فوثب اليهِ رجل من غطفان كان جارًا لمالك بن العجلان الخزرجي يقال لهُ كعب الثعلبي فقال: مالك بن العجلان أعزُّ اهل يثرب . وقام رجل آخر فقال : بل أُحيحَة بن الجُلاح أعزُّ اهل يثرب . وكثر الكلام . فقبل الرسول

١) يتعززون اي يتقوّون

الغطفاني قول الثعلبيّ الذي كان جارًا لمالك بن العجلان ودفعهما الى مالك فقال كعب الثعلبيّ : ألم أقلْ لكم انَّ حليفي أعزّكم وافضلكم . فغضب رجل من بني عمرو بن عَوْف يقال لهُ سُمَير فرصد الثعلبي حتى قتلهُ . فأُخبر مالك بذلك . فارسل الى بني عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس : انكم قتلتم منّا قتيلًا فأرسلوا الينا بقاتله . فلمّا جاءهم رسول مالك تراموا بهِ . فقالت بنو زيد : انما قتلتهُ بنو جحجبا . وقالت بنو جحجبا انما قتلته بنو زيد . ثم أرسلوا الى مالك : انهُ قد كان في السوق التي قُتل فيها صاحبكم ناس كثير ولا يدرى ايّهم قتلهُ . فأمر مالك أهل تلك السوق ان يتفرّقوا . فلم يبقَ فيها غير سمير وكعب . فأرسل مالك الى بني عمرو بن عوف بالذي بلغهُ من ذلك وقال : انما قتلهُ سمير فارسلوا بهِ اليَّ اقتلهُ . فارسلوا اليهِ : انهُ ليس لك ان تقتل سميرًا بغير بيّنة وكثرتْ الرسل بينهم في ذلك يسألهم مالك ان يعطوهُ سميرًا ويأبون ان يعطوهُ اياه . ثم انَّ بني عمرو بن عوف كرهوا ان ينشبوا بينهم وبين مالك حربًا فأرسلوا اليهِ : انَّ صاحبكم حليف وليس لكم فيهِ الّا نصف الدية . فغضب مالك وأبى ان ياخذ فيهِ الّا الدية كاملة أو يقتل سميرًا . فأبت بنو عمرو بن عوف ان يعطوه الّا دية الحليف وهي نصف الدية . ثم دعوهُ ان يحكم بينهم وبينهُ عمرو ابن امرئ القيس احد بني الحرث بن الخزرج وهو جدّ عبدالله بن رواحة . ففعل . فانطلقوا حتى جاؤوه في بني الحرث بن الخزرج . فقضى على مالك بن العجلان انهُ ليس لهُ في حليفهِ الّا دية الحليف . وأبى مالك ان يرضى بذلك وآذن بني عمرو بن عوف بالحرب واستنصر قبائل الخزرج . فأبت بنو الحرث

ابن الحرّرج ان تنصره غضباً حين ردّ قضاء عمرو بن امرئ القيس. فقال مالك ابن العجلان يذكر خِذلان بني الحرث بن الخزرج له وحَدَبَ (١ بني عمرو بن عوف على سمير ويحرّض بني النجّار على نصرته

انّ سميرًا رأى عشيرتـه قد حدِبوا دونهُ وقد أنِفوا
ان يكن الظنُّ صادقاً ببني م النجار لا يطعَموا الذي عُلِفوا
لا يُسلمونا لمعشرٍ ابدًا ما دام منا ببطنها شرفُ
لكن مواليَّ قد بدا لهمُ رأيٌ سوى ما لديَّ أو ضعُفوا
بين بني جحجبا وبين بني زيد فانّى تخاذل اللففُ(٢
يمشون في البَيض والدروع كما تمشي جمالٌ مَصاعِبٌ قطُفُ(٣
كما تمشّي الاسود في رهج م الموت اليـهِ وكلهم لُهُفُ

وقال درهم بن زيد بن ضُبَيْعة أخو سمير في ذلك:

يا قوم لا تقتلوا سمير فانّ م القتل فيهِ البوار والاسف
ان تقتلوه ترنُّ نسوتكم على كريمٍ ويفزع السلفُ
اني لَعمرُ الذي يحجُّ لـهُ م الناس ومن دون بيتهِ سَرِفُ(٤
يمين بَرٍّ بالله مجتهـدٍ يحلف ان كان ينفع الحلِفُ
لا نرفع العبـد فوق سُنَّتهِ ما دام منا ببطنها شرفُ
انك لاقٍ غدًا غُواةَ بني عمّيَ فانظرْ ما انت مزدهفُ(٥

---

١) حدب اي تعطّف وحنوّ
٢) اللفّف المجتمع. ويروى « السلف » م
٣) قطف بطيئة السير. ومصاعب فحول ٤) سرف على عشرة اميال من مكّة
٥) مزدهف مُلاقٍ من العداوة والمكروه

فأبدِ سيماك (١ يعرفوك كما يُبدون سيماهمُ فتعترفُ

وقال درهم بن زيد في ذلك :

يا مالِ (٢ ما تبغينَ ظلامتنا يا مالِ انّا معاشرٌ أُنُفُ
يا مال والحقُّ ان قنعتَ بهِ فيــهِ وفينا لأَمرنا نصَفُ
انَّ بجيرًا عبــدٌ فخذْ ثمنــاً فالحقُّ يوفى بهِ ويعترفُ
ثم اعلمَنْ ان أَردت ضيم بني زيد فاني ومن لهُ الحلِفُ
لأُصبحَنْ داركم بذي لجبٍ جَونٍ لهُ عن أَمامه عَزَفُ (٣
البَيضُ حِصنٌ لهم اذا فزعوا وسابغاتٌ كأنها النُّطَفُ (٤
والبِيضُ (٥ قد ثلّمت مضاربها بها نفوس الكماة تختطَفُ
كأنها في الاكُفّ اذ لمعت وَمِيضُ برقٍ يبدو وينكشفُ

وقال قيس بن الخَطيم الظَّفَري أَحد بني النبيت في ذلك (ولم يدركهُ وانما قالهُ بعد هذه الحرب بزمان) :

ردّ الخليطُ الجمال فانصرفوا ماذا عليهم لو انهم وقفوا
لو وقفوا ساعة نسائلهم ريث يضحّي جمالهُ السلفُ (٦

وهي طويلة يقول فيها :

---

١) معنى قوله « أبدِ سيماك » ان مالك بن العجلان كان اذا شهر الحرب يغيّر لباسه ويتنكّر لئلّا يُعرف فيُقصد ٢) مالِ ترخيم مالك
٣) عزف عوض عزف حرّك الثاني للقافية ومعناها الصوت . والجون الاسود اللون حديد السلاح . واللجب الصُّياح والجلبة ويشير الى الجيش .
٤) النُّطف اللآلي الصافية اللون . والسابغة الدرع الطويلة . البَيض جمع بيضة وهي الخوذة ٥) البيض السيوف ٦) ضحّى جمالهُ اطعمها في الضحوة

ابلغ بني جحجبا واخوتهم زيدًا بأنّا وراءهم انفُ
انّا وان قلّ نصرنا لهمُ اكبادنا من ورائهم تَجِفُ (١
لمّا بدت نحونا جباههمُ حنّت الينا الارحام والصُحُفُ (٢
نفلي بحدّ الصفيح هامهمُ وفليُنا هامهم بها جنفُ (٣
يتبعُ آثارها اذا اختلجت سخن عبيط عروقهُ تَكفُ (٤
انّ بني عمّنا طغوا وبغوا ولجّ منهم في قومهم سرفُ

فردّ عليه حسان بن ثابت (ولم يدرك ذلك) :

ما بال عينيك دمعها يكِف من ذكر خودٍ شطّت بها قذفُ (٥
بانت بها غربةٌ توُمُّ بها أرضًا سوانا والشكل مختلفُ
ما كنت ادري بَوشك بَينهم حتى رأيت الحدوج (٦ تتقذفُ
دع ذا وعدّ القَريض في نفرٍ يرجون مدحي ومدحيَ الشرفُ
ان تدعُ قومي للمجد تلفهمُ أهلَ فعال يبدو اذا وُصِفوا
انّ سميرًا عبدٌ طغى سفهًا ساعدهُ أعبُدٌ لهم نُطَفُ (٧

(قال) ثم أرسل مالك بن العجلان الى بني عمرو بن عوف يؤذنهم بالحرب ويعدهم يوماً يلتقون فيهِ . وأمر قومهُ فتهيّأوا للحرب وتحاشد الحيّان وجمع بعضهم لبعض . وكانت يهود قد حالفت قبائل الاوس والخزرج الّا بني قريظة وبني النضير فانهم لم يحالفوا احدًا منهم حتى كان

---

١) تجف تضطرب ٢) الصحف الوجوه
٣) جنف ميل وجور ٤) تكف تقطر ٥) خود صبيّة . قذف بعيدة اي سفر بعيد ٦) حدوج جمع حِدج مركب للنساء
٧) نطف جمع نطفة وهي القُرط يعلّق في الأذن

هذا الجمع فارسلت اليهم الاوس والخزرج كلٌّ يدعوهم الى نفسهِ . فاجابوا الاوس وحالفوهم . والتي حالفت قريظة والنضير من الاوس اوس الله وهي خطمة وواقف وأُمية ووائل . فهذه قبائل اوس الله . ثم زحف مالك بمَن معهُ من الخزرج . وزحفت الاوس بمَن معها من حلفائها من قريظة والنضير . فالتقوا بفضاء كان بين بني سالم وقُباء وكان اوَّل يوم التقوا فيهِ فاقتتلوا قتالًا شديدًا . ثم انصرفوا وهم منتصفون جميعاً . ثم التقوا مرَّةً أخرى عند أطم بني قينقاع فاقتتلوا حتى حجز الليل بينهم وكان الظفر يومئذٍ للاوس على الخزرج . فقال أبو قيس بن الاسلت في ذلك :

لقد رأيت بني عمرو فما وهنوا عند اللقاء وما همُّوا بتكذيبِ
ألا فِدًى لهمُ امّي وما ولدتْ غداة يمشون إرقالَ (١ المصاعيبِ
بكل سَلهبةٍ كالأيم ماضيةٍ وكلِّ ابيضَ ماضي الحدّ مخشوب (٢

(قال) فلبث الاوس والخزرج متحاربين عشرين سنة في أمرٍ سمير يتعاودن القتال في تلك السنين . وكانت لهم فيها أيام ومواطن لم تحفظ . فلما رأت الاوس طول الشرّ وانّ مالكاً لا يفرغ قال لهم سويد بن صامت الاوسيّ وكان يقال لهُ الكامل في الجاهلية (٣ : يا قوم ارضوا هذا الرجل من حليفهِ ولا تقيموا على حرب اخوتكم فيقتل بعضكم بعضاً ويطمع فيكم غيركم وان حملتم على انفسكم بعض الحمل . فأرسلت

---

١) ارقل اسرع ٢) سلهبة فرس طويلة والايم الحية شبَّهها بالحية في انسلالها . والمخشوب السيف الحديث الطبع ثم صار كل مصقول مخشوباً

٣) كان الرجل في الجاهلية اذا كان شاعرًا شجاعاً كاتباً سابحاً راميًا سمّوه الكامل وكان سويد احد الكَمَلة

الاوس الى مالك بن العجلان يدعونهُ الى ان يحكم بينهُ وبينهم ثابت ابن المنذر بن حرام أبو حسّان بن ثابت فأجابهم الى ذلك . فخرجوا حتى اتوا ثابت بن المنذر وهو في البئر التي يقال لها سُميحة فقالوا : انا قد حكّمناك بيننا . فقال : لا حاجة لي في ذلك . قالوا : ولِمَ . قال : أخاف أن تردّوا حكمي كما رددتم حكم عمرو بن امرئ القيس . قالوا : فانّا لا نردُّ حكمك فاحكم بيننا . قال : لا احكم بينكم حتى تعطوني موثقاً وعهداً لترضُونَّ بحكمي وما قضيت بهِ ولتسلّمُنَّ لهُ . فاعطوه على ذلك عهودهم ومواثيقهم . فحكم بان يُودَى حليف مالك دية الصريح ثم تكون السُنَّة فيهم بعده على ما كانت عليهِ في الصريح على ديتهِ والحليف على ديتهِ وان تُعدّ القتلى الذين أصاب بعضهم من بعض في حربهم ثم يُعطُوا الدية لمن كان لهُ فضل في القتلى من الفريقين . فرضي بذلك مالك وسلّمت الاوس وتفرّقوا على ان على بني النجار نصف دية جار مالك معونة لاخوتهم وعلى بني عمرو بن عوف نصفها . فرأت بنو عمرو بن عوف انهم لم يُخرجوا الّا الذي كان عليهم . ورأى مالك انهُ قد ادرك ما كان يطلب . ووُدي جارهُ دية الصريح

قيس بن الخطيم يأخذ بثأر ابيه وجدّه

كان من حديث قيس بن الخطيم ان جدَّهُ عديّ بن عمرو قتلهُ رجل من بني عمرو بن عامر يقال لهُ مالك . وقتل اباهُ الخطيمَ بن عديّ رجلٌ من بني عبد القيس ممَّن يسكن هجَر . وكان قيس يوم قُتل أبوهُ صبيًّا

صغيرًا وقُتل الخطيم قبلَ ان يثأرَ بأبيهِ عدي . فخشيت امُّ قيس على ابنها ان يخرج فيطلب بثأر أبيهِ وجدّه فيهلَك فعمدت الى كومة من تراب عند باب دارهم فوضعت عليها احجارًا وجعلت تقول لقيس : هذا قبر أبيك وجدّك . فكان قيس لا يشكّ انَّ ذلك على ذلك . ونشأ شديد الساعدَين . فنازع يوماً فتًى من فتيان بني ظَفَر . فقال لهُ ذلك الفتى : واللهِ لو جعلتَ شدة ساعدَيك على قاتل ابيك وجدّك لكان خيرًا لك من أن تُخرجَها عليَّ . فقال : ومَن قاتل أبي وجدّي . قال : سلْ امَّك تخبرك . فأخذ السيف ووضع قائمهُ على الارض وذبابهُ بين ثديَيْه وقال لامّهِ : اخبريني مَن قتل أبي وجَدّي . قالت : ماتا كما يموت الناس وهذان قبراهما بالفِناء . فقال : واللهِ لتخبريني من قتلهما او لأتحاملَنَّ على هذا السيف حتى يخرجَ من ظهري . فقالت اما جدّك فقتلهُ رجل من بني عمرو بن عامر بن ربيعة يقال لهُ مالك . واما أبوك فقتلهُ رجل من بني عبد القيس ممَّن يسكن هجر . فقال : واللهِ لا انتهي حتى أقتل قاتل أبي وجدّي . فقالت : يا بنيَّ انَّ مالكًا قاتل جدّك من قوم خِداش ابن زُهَير ولأبيك عند خداش نعمةٌ هو لها شاكر فأْتِهِ فاستشرْهُ في أمرك واستعنهُ يَعِنْكَ . فخرج قيس من ساعتهِ حتى أتى ناضِحَه (١ وهو يسقي نخله فضرب الجرير بالسيف فقطعهُ فسقطتِ الدلو في البئر وأخذ برأس الجمل فحمل عليهِ غرارتَينِ من تمر وقال : من يكفيني أمر هذه العجوز (يعني امَّهُ) . فان متُّ أنفقَ عليها من هذا الحائط (٢ حتى تموت ثم هو

١) الناضح البعير يُستقى عليه الماء والجرير الحبل

٢) الحائط البستان من النخيل اذا كان عليه حائط اي جدار

له وان عشتُ فمالي عائد اليَّ ولهُ منهُ ما شاءَ ان ياكل من تمرهِ . فقال رجل من قومهِ : انا لهُ . فأعطاهُ الحائط . ثم خرج يسأل عن خداش بن زهير حتى دُلَّ عليهِ بمرّ الظهران (١ . فصار الى خبائهِ فلم يجدهُ فنزل تحت شجرة يكون تحتها أضيافهُ . ثم نادى امرأة خداش : هل من طعام فاطلعت (٢ اليهِ فأعجبها جمالهُ وكان من أحسن الناس وجهاً فقالت : والله ما عندنا من نُزُل نرضاه لك الّا تمرًا . فقال : لا أُبالي فأَخرجي ما كان عندكِ . فأرسلت اليهِ بقُباع (٣ فيهِ تمر . فأخذ منهُ تمرة فاكل شقّها وردّ شقها الباقي في القباع . ثم أمر بالقباع فأُدخل على امرأة خداش بن زهير . ثم ذهب لبعض حاجاتهِ . ورجع خداش فأخبرتهُ امرأته خبر قيس . فقال : هذا رجل مُتحرّم (٤ . وأقبل قيس راجعاً وهو مع امرأته ياكل رطباً فلمّا رأى خداش رجله وهو على بَعيره قال لامرأته : هذا ضيفُك . قالت : نعم . قال : كانَّ قدمَهُ قدم الخطيم صديقي اليَثربيّ . فلمّا دنا منهُ قرع طُنب (٥ البيت بسنان رمحهِ واستأذنَ . فأذن لهُ خداش . فدخل اليهِ . فنسبهُ فانتسب اليهِ وأخبرهُ بالذي جاءَ لهُ وسألهُ أن يُعينهُ وأن يُشيرَ عليهِ في أمره . فرحّب بهِ خداش وذكر نعمة أبيه عنده وقال : ان هذا الامر ما زلتُ اتوقّعهُ منك منذ حين . فامّا قاتل جدّك فهو ابن عمّ لي وأنا أُعينك عليهِ . فاذا اجتمعنا في نادينا جلستُ الى جنبهِ وتحدّثتُ معهُ . فاذا ضربتُ فخذه فثِبْ اليهِ فاقتلهُ . (فقال قيس)

---

١) مرّ ظَهران موضع على مرحلة من مكّة وبمرّ عيون كثيرة ونخل وجميز.
٢) أطلع واطّلع بمعنى طلع ٣) القباع مكيال كبير
٤) متحرّم محترِم ٥) الطُّنب الحبل تشد به الخيمة استعاره لناحية الخيمة

فاقبلتُ معهُ نحوه حتى قمتُ على رأسه لمَّا جالسَهُ خداش. فحين ضرب فخذه ضربتُ راسهُ بسيفٍ يقال لهُ ذو الخُرْصين. فثار اليَّ القوم ليقتلوني فحال خداش بينهم وبيني وقال: دعوه فانهُ والله ما قتل الَّا قاتل جدّه. ثم دعا خداش بجمل من إبله فركبهُ وانطلق مع قيس الى العبديّ الذي قتل أباه. حتى اذا كان قريباً من هجَر أشار عليهِ خداش ان ينطلق حتى يسأل عن قاتل أبيهِ فاذا دُلَّ عليهِ قال لهُ: انَّ لصًّا من لصوص قومك عارضني فأخذ مَتاعاً لي فسألت مَن سيّدُ قومهِ فدُللتُ عليك فانطلقْ معي حتى تأخذ متاعي منهُ. فان اتَّبعك وحدهُ فستنالُ ما تُريد منهُ. وان أخرجَ معك غيره فاضحكْ. فان سألك ممَّ ضحكتَ فقلْ: انَّ الشريف عندنا لا يصنع كما صنعتَ اذا دُعي الى اللصّ من قومهِ انما يخرج وحدهُ بسوطهِ دون سيفه فاذا رآه اللصّ أعطاهُ كل شيْ أخذهُ هيبةً لهُ. فان أمر أصحابه بالرجوع فسبيل ذلك وان أبى الَّا ان يمضوا معهُ فأتني بهِ فاني أرجو أن تقتلهُ وتقتل أصحابه. ونزل خداش تحت ظلّ شجرة وخرج قيس حتى أتى العبديّ فقال لهُ ما أمرهُ خداش فأحفظهُ. فأمر أصحابه فرجعوا ومضى مع قيس. فلمَّا طلع على خداش قال لهُ: اختر يا قيس إمَّا ان أعينك واما ان اكفيك. قال لا اريد واحدة منهما ولكن ان قتلني فلا يفلتنَّك. ثم ثار اليهِ فطعنهُ قيس بالحربة في خاصرتهِ فأنفذها من الجانب الآخر فمات مكانهُ. فلمَّا فرغ منهُ قال لهُ خداش: إنَّا ان فررنا الآن طلبَنا قومُه ولكن أُدخلْ بنا مكاناً قريباً من مَقتلهِ فانَّ قومه لا يظنون انك قتلتهُ وأقمتَ قريباً منهُ ولكنهم اذا افتقدوه اقتفَوا أثره فاذا وجدوه قتيلًا خرجوا في طلبنا في كل وجهٍ

فاذا يئسوا رجعوا. (قال) فدخلا في دارات (١ من رمال هناك. وفقد العبديَّ قومُه فاقتفوا أثره فوجدوه قتيلًا فخرجوا يطلبونهما في كل وجه ثم رجعوا. فكان من امرهم ما قال خداش. وأقاما مكانَهما أياماً ثم خرجا فلم يتكلّما حتى أتيا منزل خداش ففارقهُ عنده قيس بن الخطيم ورجع الى اهلهِ. ففي ذلك يقول قيس:

ثأرتُ عديًا والخطيم فلم أُضِعْ ... ولايةَ (٢ أشياخٍ جُعلتُ إزاءها
ضربتُ بذي الزُّجَّين ربقة مالكٍ ... فأبتُ بنفسي قد اصبتُ شِفاءَها
وساعدَني فيها ابن عمروِ بن عامرٍ ... خداشٌ فأدّى نعمةً وأفاءَها
طعنتُ ابنَ عبد القيس طعنة ثائرٍ ... لها نفَذٌ لولا الشَّعاعُ (٣ أضاءَها
ملكتُ بها كفّي فأنهرتُ فتقَها (٤ ... يرى قائم من دونها ما وراءها

فلمَّا هدأت حرب الاوس والخزرج تذكرتِ الخزرجُ قيسَ بن الخطيم ونكايته فيهم فتآمروا وتواعدوا قتلهُ. فخرج عشية من منزلهِ في ملاءَتين يريد مالًا لهُ بالشَّوط حتى مرّ بأُطم بني حارثة. فرُمي من الأُطم بثلاثة اسهم فوقع أحدها في صدرهِ فصاح صيحة سمعها رهطه. فجاؤوا فحملوهُ الى منزلهِ فلم يروا لهُ كفوًا الّا أبا صعصعة يزيد بن عوف ابن مدرك النجّاري. فأندسَّ اليهِ رجلٌ حتى أغتالهُ في منزلهِ فضرب عنقهُ واشتمل على راسه فأتى بهِ قيساً وهو بآخر رمق فألقاه بين يديه وقال: يا قيس قد ادركت بثأرك. فقال: لا أُبالي ان كان غير أبي صعصعة.

---

١) دارة الرمل ارض واسعة تحيط بها الرمال

٢) ويروى « وصيَّته »

٣) الشعاع الدم يخرج من الجرح فينتشر ويمنع ان يُرى الضوء من وراء الجرح

٤) اي وسَّعتُ الجرح

فقال : هو أبو صعصعة . وأراه الرأسَ . فلم يلبث قيس بعد ذلك أنْ مات

السموأَل

السموأَل بن غريض بن عادياء كان صاحب الحصن المعروف بالابلق بتَيماء وهو المشهور بالوفاء وكان هذا الحصن لجدّهِ عادياء واحتفر فيهِ بئرًا روّيّة (١ عذبة . وقد ذكرتهُ شعراء في اشعارها . قال السموأَل :

فبالأَبلق الفرد بيتي بـهِ وبيت النضير سوى الابلقِ

وقال السموأَل يذكر بناء جدّه الحصنَ :

بنى لي عاديا حِصناً حصيناً وماءً كلّما شئت استقيتُ

وكانت العرب تنزل بهِ فيضيفها وتمتار من حصنهِ وتُقيم هناك سوقاً . وبهِ يضرب المثل في الوفاء لاسلامه ابنه حتى قُتل ولم يخُنْ امانته في أَدراعٍ أودعها وكان السبب في ذلك ان امرأَ القيس بن حُجر لما صار الى الشام يُريد قيصر نزل على السموأَل بن عادياء بحصنهِ الابلق بعد ايقاعهِ ببني كِنانة على انهم بنو أَبيهِ وكراهة اصحابه لفعلهِ وتفرُّقهم عنهُ حتى بقي وحدهُ واحتاج الى الهرب فطلبهُ المنذر بن ماء السماء ووجّه في طلبهِ جيوشاً من اياد وبهراء وتَنُوخ وجيشاً من الاساورة أَمره بهم أَنوشروان وخذلتهُ حِمْيَر وتفرّقوا عنهُ لجأَ الى السموأَل ومعهُ ادراع كانت لأَبيهِ خمسة الفَضفاضة والضافية والمُحْصِنَة والجُرَيق وامّ الذُّيول كانت الملوك من بني آكل المرار يتوارثونها ملك عن ملك . ومعهُ بنتهُ هند وابن عمهِ

١) رَويَّة اي ماؤها كثير مُروٍ

يزيد بن الحرث بن معاوية بن الحرث وسلاح ومال كان بقي معهُ ورجل من بني فزارة يقال لهُ الربيع بن ضَبُع شاعر. فقال لهُ الفزاريُّ: قلْ في السموأل شعرًا تمدحهُ بهِ فانَّ الشعر يعجبهُ. وأنشدهُ الربيعُ شعرًا مدحهُ بهِ وهو قولهُ:

ولقد اتيت بني المضاض مُفاخِرًا ... والى السموأل زرتهُ بالابلقِ
فأتيت افضل مَن تحمَّل حاجةً ... ان جئتهُ في غارمٍ او مُرهَقِ (١
عرفتْ لهُ الاقوامُ كلَّ فضيلةٍ ... وحوى المكارمَ سابقًا لم يُسبَقِ

(قال) فقال امرؤ القيس فيهِ قصيدته:

طرقتكَ هندٌ بعد طول تجنُّبِ ... وهنًا ولم تكُ قبل ذلك تَطرق

(قال) وقال الفزاريُّ: انَّ السموأل يمنع منها حتى يرى ذات عينك وهو في حصن حصين ومال كثير. فقدم بهِ على السموأل وعرَّفهُ اياه وانشداه الشعر فعرف لها حقَّها وضرب على هند قبة من أدم (٢ وأنزل القوم في مجلس لهُ بَراح (٣ فكانت عنده ما شاءَ الله. ثم ان امرأ القيس سألهُ ان يكتب لهُ الى الحرث بن أَبي شَمِر الغسَّاني ان يوصلهُ الى قيصر. ففعل واستصحب معهُ رجلًا يدلُّهُ على الطريق واودع بنيهِ وماله وادراعه السموألَ ورحل الى الشام وخلَّف ابن عمهِ يزيد بن الحرث مع ابنتهِ هند.

(قال) ووجَّه المنذر بالحرث بن ظالم في خيل وأمرهُ باخذ مال امرئ القيس من السموأل. فلمَّا نزل بهِ تحصَّن منهُ. وكان لهُ ابن قد يفع وخرج الى قنص لهُ. فلمَّا رجع أَخذهُ الحرث بن ظالم ثم قال للسموأل:

---

١) الغارم الذي عليه دين والمُرهَق الذي أُدرك ليقتَل
٢) ادم جمع أديم اي الجلد ٣) براح واسع

أتعرف هذا. قال: نعم هذا ابني. قال: أفتسلّم ما قبلك أم اقتلهُ. قال: شأنك بهِ فلستُ اخفر ذمتي (١ ولا اسلِم مال جاري. فضرب الحرث وسط الغلام فقطعهُ قطعتين وانصرف عنهُ فقال السموأل في ذلك:

وفيتُ بأدرعِ الكنديّ اني ... اذا ما ذمَّ اقوام وفَيتُ
واوصى عاديا يوماً بأن لا ... تُهدّمْ يا سموأل ما بنيتُ
بنى لي عاديا حصناً حصيناً ... وماء كلما شئتُ استقَيتُ
رفيعاً تَزْلَقُ العِقْبانُ عنه ... اذا ما نابني ضيمٌ أَبَيتُ

الأَعشَى وشُرَيح بن السموأَل

قال الاعشي يمدح السموأل ويستجير بابنه شُرَيح بن السموأل من رجل كلبي كان الاعشى هجاه ثم ظفر بهِ فأسره وهو لا يعرفه فنزل بشريح بن السموأل واحسن ضيافته ومرَّ بالأَسرى فناداه الاعشى:

شريحُ لا تُسلِمني بعد ما عَلِقتْ ... حبالكَ اليومَ بعد القَيد اظفاري
قد سِرتُ ما بين بلقاءَ الى عَدَنٍ ... وطالَ في العجم تكراري وتَسياري
فكان اكرَمهم عهداً واوثقهم ... عقداً ابوك بعُرفٍ غير إنكارِ
كالغيث ما استمطروهُ جاد وابلُه ... وفي الشدائد كالمستأسدِ الضاري
كن كالسموأل اذ طاف الهُمامُ بهِ ... في جحفلٍ كسوادِ الليل جرَّارِ

---

١) خفر بذمتهِ لم يفِ بها بل نقض عهده وخاس به وغدر

اذ سامهُ خطَّتَي خسفٍ فقال لهُ قُل ما تشاء فاني سامعٌ حارِ (١
فقال غدرٌ وثكلٌ انت بينهما فاختر وما فيهما حظٌّ لمختارِ
فشكَّ غيرَ طويلٍ ثم قال لهُ اقتلْ اسيرك اني مانعٌ جاري
انا لهُ خَلَفٌ ان كنتَ قاتلهُ وان قتلت كريماً غير خوَّارِ (٢
وسوف يُعقبُنيهِ ان ظفِرتَ بهِ ربٌّ كريم وقوم اهل أطهارِ
فاختار أدراعهُ كي لا يُسَبَّ بها ولم يكن وعدهُ فيها بختَّارِ (٣

فجاء شريح الى الكلبي فقال: هذا الاسير المنصور. فقال: هو لكَ. فاطلقهُ وقال لهُ: أقم عندي حتى اكرمك واحبوك (٤. فقال لهُ الاعشى: انَّ تمام احسانك اليَّ ان تعطيني ناقة ناجية (٥ وتخلّيني الساعة. فاعطاه ناقة ناجية. فركبها ومضى من ساعته. وبلغ الكلبي ان الذي وهب لشريح الاعشى فارسل الى شريح: ابعث اليَّ الاسير الذي وهبتُ لك حتى احبوه واعطيه. فقال: قد مضى. فارسل الكلبي في اثره فلم يلحقه

معاوية وشعبة بن غريض

حدثني احمد بن معاوية عن الهيثم بن عدي قال: حجَّ معاوية حجتين في خلافته وكانت لهُ ثلاثون بغلة يحج عليها نساؤه وجواريهِ. (قال) فحج في احداهما فرأى شخصاً يصلّي في المسجد الحرام عليهِ ثوبان ابيضان

---

١) حارِ ترخيم حارث ٢) خوّار ضعيف ٣) ختّار وغدّار بمعنًى ٤) حباه اعطاهُ ٥) ناجية سريعة تنجّي راكبها

فقال: من هذا. قالوا: شعبة بن غريض وكان من اليهود. فارسل اليهِ يدعوهُ فاتاهُ رسولهُ فقال: اجبْ امير المؤمنين. قال: اوَليس قد مات امير المؤمنين. قيل: فأجب معاوية. فاتاه فلم يسلّم عليهِ بالخلافة. فقال لهُ معاوية: ما فعلتْ ارضُكَ التي بتيماء. قال: يكسَى منها العاري ويُردّ فضلُها على الجار. قال: أفتبيعها. قال: نعم. قال: بكم. قال: بستين الف دينار ولولا خلّة اصابت الحيَّ لم ابعها. قال: لقد أغليتَ. قال: اما لو كانت لبعض اصحابك لاخذتها بستمائة الف دينار ثم لم تُبالِ. قال: اجل واذ بخلتَ بأرضك فأنشدني شعرَ ابيك يرثي نفسه. قال: فقال ابي:

يا ليتَ شِعري حين أُندَبُ هالكاً ... ماذا تؤَبّنني بهِ أنواحي

أيقُلنَ لا تبعُدْ فربَّ كريهةٍ ... فرَّجتها بيسارةٍ (١ وسماحِ

ولقد ضربتُ بفضل مالي حقهُ ... عند الشتاء وهَبَّةِ الأرواح

ولقد اخذتُ الحقّ غير مُخاصَمٍ ... ولقد رددتُ الحقّ غيرَ مُلاحِ (٢

واذا دُعيتُ لِصَعبةٍ سهَّلتُها ... أُدعى بأفلحْ مرةً ونجاحِ

فقال: انا كنتُ بهذا الشعر اولى من ابيك. قال: كذبتَ ولؤمتَ. قال: أمَّا كذبت فنعم واما لؤمت فلِمَ. قال: لانك كنت ميتَ الحقِّ في الجاهلية وميتهُ في الاسلام. وما أنت والخلافة وأنت طليق ابن طليق (٣. فقال معاوية: قد خرف الشيخ فأقيموهُ. فأُخذ بيده فأُقيم. وشعبة هذا هو الذي يقول:

يا دار سعدي بأقصى تلعة النعمِ ... حُيّيتِ دارًا على الإقواء والقدمِ

---

١) اليسار الغِنى ٢) غير ملاح غير مُدافَع ولا ممانَع

٣) الطليق مَن أُعتِق من الأسر

وما بجزعك الّا الوحش ساكنة وهامِدٌ من رماد القدر والحُمَمِ (١
عُجْنا فما كلّمتنا الدارُ اذ سُئلتْ وما بها عن جوابٍ خِلتُ مِن صَممِ

أُحَيْحة بن الجُلاح وعاصم بن عمرو

كان أُحيحة سيّد قومهِ من الاوس وكان رجلًا صنيعاً للمال شحيحاً عليهِ يتبع بيع الربا بالمدينة حتى كاد يحيط باموالهم. وكان لهُ تسعة وتسعون بعيرًا كلها ينضح (٢ عليها. وكان لهُ بالجُرْف أَصوار (٣ من نخل قلَّ يومٌ يمرّ بهِ الّا يطلع فيهِ. وكان لهُ أُطُمانِ أُطُم في قومهِ يُقال لهُ المستظِلّ وهو الذي تحصَّن فيهِ حين قاتل تُبَّعاً اسعد أَبا كَرِب الحميريّ. وأُطمهُ الضَحْيان بالعُصْبة (٤ في ارضهِ التي يُقال لها الغابة بناه بحجارة سود وبنى عليهِ نَبْرة (٥ بيضاء مثل الفضة ثم جعل عليها مثلها يراها الراكب من مسيرة يوم او نحوه. وكانت الآطام هي عزّهم ومنعتهم وحصونهم التي يتحرّزون فيها من عدوّهم. ويزعمون انهُ لمّا بناه اشرف هو وغلام لهُ ثم قال: لقد بنيت حصناً حصيناً ما بنى مثلهُ رجل من العرب أَمنع ولا اكرم ولقد عرفت موضعَ حجرٍ منهُ لو نُزع لَوقع جميعاً. فقال

---

١) الحمم الرماد والفحم. والهامد اللاصق بالارض ٢) ينضح يسقي
٣) اصوار جمع صور وهو المجتمع من النخل
٤) العصبة دار بني جحجبا بالمدينة وضبطهُ بعضهم بفتح العين والصاد. والضحيان في الاصل هو البارز من كل شيء للشمس
٥) النبرة المرتفَع ومنه المنبر لارتفاعهِ وعلوّه

غلامه : أنا أعرفهُ . فقال : فأَرِنيه يا بنيَّ . قال : هو هذا وصرف اليهِ رأسه . فلمَّا رأى أُحيحة انهُ قد عرفهُ دفعهُ من رأس الاطم فوقع على راسهِ فمات . وانما قتلهُ ارادة ان لا يَعرِفَ ذلك الحجر احد . ولمَّا بناه قال :

بنيت بعد مستظِلّ ضاحياً بنيتهُ بعُصْبةٍ من ماليا
للستر مما يتبع القواضيا اخشى ركيباً او رجيلًا عاديا

وكان أُحيحة اذا أمسى جلس بجذاء حِصنهِ الضحيان ثم ارسل كلاباً لهُ تنبح دونه على من يأتيه ممَّن لا يُعرَف حذرًا من ان يأتيه عدوٌّ يصيب منهُ غِرَّة (١

ثم ان رجلًا من بني مازن بن النجَّار يقال لهُ كعب بن عمرو تزوَّج امرأَة من بني سالم بن عون وكان يختلف اليها . فقعد لهُ رهط من بني جَحْجَبا بمرصد فضربوه حتى قتلوه او كادوا . فادركهُ القوافل فاستنقذوه . فلما بلغ ذلك أخاه عاصم بن عمرو خرج وخرج معهُ بنو النجار . وخرج أُحيحة بن الجلاح ببني عمرو بن عَوْف . فالتقوا بالرُّحابة فاقتتلوا قتالًا شديدًا . فقتل أخا عاصم يومئذٍ أُحيحةُ بن الجلاح فأصابهُ في اصحابه حين انهزموا . وطُلبَ أُحيحةُ حتى انتهى الى البيوت فأدركهُ عاصم عند باب داره فزجَّهُ بالرمح . وقفل أُحيحة الباب ووقع الرمح في الباب . ورجع عاصم واصحابه . فمكث اياماً . ثم ان عاصماً طلب أُحيحةَ ليلًا ليقتلهُ في داره . فبلغ ذلك أُحيحة وقيل لهُ : ان عاصماً قد زوى عن الضحيان والغابة . فأقبل يُريدهُ في مجلسهِ ذلك ليقتلهُ بأخيهِ وقد أخذ معهُ تمرًا .

---

١) يُصيب منه غرّة يأتيه على غفلة

فلمَّا نبحتهُ الكلاب حين دنا منهُ ألقى لها التمر . فوقفت . فلمَّا رآها أُحيحة قد سكنت حَذِر فقام فدخل حِصنه . ورماه عاصم بسهمٍ فأحرزهُ منهُ الباب فوقع السهم بالباب . فلمَّا سمع أُحيحة وقع السهم صرخ في قومهِ . فخرج عاصم بن عمرو فاعجزهم حتى أتى قومَه . ثم ان أُحيحة جمع لبني النجار فأراد ان يغترّهم . فواعدهُ قومه لذلك . وكانت عند أُحيحة سُلمى بنت عمرو احدى نساء بني عديّ بن النجار . فلمَّا أجمع أُحيحة بالغارة على قومها ومعها ابنها عمرو بن أُحيحة وهو يومئذٍ فطيم او دون الفطيم وهو مع أُحيحة في حصنهِ عمدت الى ابنها فربطتهُ بخيط حتى اذا أوجعت الصبيَّ تركتهُ فبات يبكي وهي تحملهُ . وبات معها أُحيحة ساهرًا يقول : ويحكِ ما لابني . فتقول : والله ما ادري ما له . حتى اذا ذهب الليل اطلقت الخيط عن الصبيّ فنام . فلمَّا هدأ الصبي قالت : وا رأساه . فقال : أُحيحة هذا والله ما لقيتِ من سهر هذه الليلة . فبات يعصّب لها رأسها ويقول : ليس بكِ بأس . حتى اذا لم يبقَ من الليل الّا اقلّهُ قالت لهُ : قم فنمْ فاني اجد فيَّ صالحةً . قد ذهب عني ما كنت اجدهُ . وانما فعلت بهِ ذلك ليثقل رأسه وليشتدّ نومه على طول السهر . فلما نام قامت وأخذت حبلًا شديدًا واوثقتهُ برأس الحصن ثم تدلّت منهُ وانطلقت الى قومها فانذرتهم وأخبرتهم بالذي أجمع هو وقومه من ذلك . فحذِر القومُ وأعدّوا واجتمعوا . فأقبل أُحيحة في قومهِ فوجد القوم على حذر قد استعدّوا . فلم يكن بينهم كبير قتالٍ . ثم رجع أُحيحة فرجعوا عنهُ وقد فقدها أُحيحة حين اصبح . فلمَّا رأى القوم على حذر قال : عمل سلمى خدعتني حتى بلغتْ ما ارادت . وسمَّاها قومها

المتدلّية لتدلّيها من رأس الحصن . فقال في ذلك أُحيحة وذكر ما صنعت به سلمى :

تفهَّمْ ايها الرجل الجهولُ ... ولا يذهب بكَ الرأي الوبيلُ
فانّ الجهل محملهُ خفيفٌ ... وانّ الحِلم محملهُ ثقيلُ
اذا باتت اعصّبها فنامت ... عليَّ مكانها الحمَّى الشَّمولُ
لعلّ عصابها يَبغيك حرباً ... ويأتيهم بِعَورتكَ الدليلُ
وقد أعددتُ للحدثان اصلًا (١ ... لوَ انّ المرءَ ينفعهُ العقولُ

وقال فيها وفيما صنعت به :

اخلقَ الرَّبعُ من سُعاد فأمسى ... رَبعهُ مخلقاً كدرسِ المُلاةِ (٢
بالياً بعد حاضرٍ ذي انيس ... من سُلَيمى اذ تغتدي كالمَهاةِ (٣

الحرب بين مُضاض بن عمرو والسَّمَيْدَع

حدَّثنا محمد بن عبد الله الازرقي قال : حدَّثني جدّي ان نابت بن اسمعيل وليَ البيت بعد أبيهِ . ثم توفّي . فوليَ مكانه جدّه لامّه مضاض بن عمرو الجرهمي فضمّ ولد نابت بن اسمعيل اليهِ ونزلت جُرْهم مع ملكهم مضاض بن عمرو بأعلى مكّة ونزلت قَطُوراء مع ملكهم السميدع أجيادًا أسفل مكة . وكان هذان البطنان خرجا سيارة (٤ من اليمن . وكذلك كانوا لا يخرجون الّا مع ملك يملّكونهُ عليهم . فلما رأوا

---

١) اصلًا اي رأياً اصيلًا يريد جودة الرأي ٢) الملاة مسهَّل الملاءة وهي الازار ٣) المهاة البقرة الوحشية ٤) سيَّارة اي قافلة

مكة رأوا بلدًا طيباً وماءً وشجرًا . فنزلوا ورضي كل واحد منهما بصاحبهِ ولم ينازعهُ . فكان مضاض يعشّر من جاءَ مكة من أعلاها . وكان السميدع يعشّر مَن جاءَها مِن اسفلها ومن كُدًى لا يدخل احدهما على صاحبهِ في امرهِ . ثم انّ جُرْهمًا وقطوراء بغى كل واحد منهما على صاحبه . فتنافسوا في الملك حتى نشبت الحرب بينهم . وكانت ولاية البيت الى مضاض دون السميدع . فخرج مضاض من بطن قُعَيْقعان مع كتيبتهِ في سلاح شاك (١ يتقعقع (٢ . وخرج السميدع من شِعب (٣ أجياد في الخيل الجياد (٤ والرجال حتى التقوا بفاضحٍ فاقتتلوا قتالًا شديدًا فقُتل السميدع وفُضحت (٥ قطوراء . ثم تداعى القوم الى الصلح فصاروا حتى نزلوا المطابخ شعباً بأعلى مكة (٦ فاصطلحوا هناك وسلّموا الامر الى مضاض . فلمّا اجتمع لهُ امر مكة وصار ملكها دون السميدع نحر للناس فطبخوا هناك الجزر فاكلوا وسمّي ذلك الموضع المطابخ . فقال مضاض بن عمرو في تلك الحرب :

نحن قتلنا سيد الحيّ عَنوةً ... فأصبح منها وهو حيران موجَعُ (٧
وما كان يبغي ان يكون سوانا ... بها ملكاً حتى أتانا السميدعُ
فذاق وبالًا حين حاول ملكنا ... وحاول منا غصةً تتجرّعُ

---

١) اي بالسلاح التامّ ٢) يقال ما سمّي قعيقعان الّا بذلك . ومن قعيقعان الى مكة اثنا عشر ميلًا ٣) الشعب منفرَج بين جبلين ٤) يقال ما سمّيت اجيادًا الّا بذلك
٥) يقال ما سمّي فاضحًا الّا بذلك ٦) وهو الذي يقال له الآن شعب ابن عامر ٧) يعني ان الحيّ اصبح حيران موجعًا

ونحن عمرنا البيت كنّا ولاتَهُ نضارب عنــهُ مَن أتانا وندفعُ
وما كان يبغي ذاك في الناس غيرنا ولم يكُ حيٌّ قبلنا ثَمَّ يمنعُ
وكنّا ملوكاً في الدهور التي مضت ورثنا ملوكاً لا تُرام فتوضعُ

بغي جرهم وطردهم من مكة

قال عثمان بن ساج : حدَّثني بعض اهل العلم ان سيلاً جاء فدخل البيت فانهدم فاعادتهُ جُرْهُم على بناء ابراهيم بناه لهم رجل منهم يقال لهُ ابو الجدَرَة واسمهُ عمر الجارود (١ (قال) ثم استخفَّت جرهم بحق البيت وارتكبوا فيهِ اموراً عظاماً واحدثوا فيهِ أحداثاً قبيحة . وكانت للبيت خزانة وهي بئر في بطنهِ يُلقى فيها الحُلِيُّ والمتاع الذي يُهدى لهُ وهو يومئذٍ لأُسقفٍ عليهِ . فتواعد عليه خمسة من جرهم ان يسرقوا كل ما فيهِ . فقام على كل زاوية من البيت رجل منهم . واقتحم الخامس فجعل الله عزَّ وجلَّ أعلاه أسفله وسقط منكساً فهلك . وفرّ الاربعة الآخرون

(قالوا) فلما كثر بغي جرهم بمكَّة قام فيهم مضاض بن عمرو بن الحرث بن مضاض فقال : يا قوم احذروا البغي فانهُ لا بقاء لاهله وقد رأيتم مَن كان قبلكم من العماليق استخفُّوا بالحرم ولم يُعظموه وتنازعوا بينهم واختلفوا حتى سلَّطكم الله عليهم فاجتحتموهم (٢ فتفرّقوا في البلاد . فلا تستخفُّوا بحق الحرم وحرمة بيت الله ولا تظلموا مَن دخله

---

١) سمّي بنوه الجدرة . ٢) اجتاحه استاصله واهلكه

وجاءَهُ مُعظِّماً لحرماتهِ او خائفاً او رغب في جواره . فانكم ان فعلتم ذٰلِكم تخوّفتُ ان تخرجوا منهُ خروج ذلّ وصَغار حتى لا يقدر احد منكم ان يصل الى الحرَم ولا الى زيارة البيت الذي هو لكم حِرزٌ وأَمن والطير تأمن فيهِ . فقال قائل منهم يقال لهُ مجدّع : ومَن الذي يخرجنا منهُ ألسنا أعزّ العرب واكثرهم مالًا وسلاحاً . فقال مضاض : اذا جاء الامر بطل ما تذكرون . فقد رأيتم ما صنع الله بالعمالیق . (قالوا) وقد كانت العمالیق بغتْ في الحرم فسلط الله عزَّ وجلَّ عليهم الذَّرّ(١ فاخرجهم منهُ . ثم رُموا بالجدب من خلفهم حتى ردّهم الله الى مساقط رؤُوسهم . فلما رأى مضاض بن عمرو بغيهم ومقامهم عليهِ عمد الى كنوز الكعبة وهي غزلان من ذهب واسياف قَلَعِيَّة (٢ فحفر لها ليلًا في موضع زَمزَم ودفنها . فبينا هم على ذلك اذ سارت القبائل من اهل مأرب وعليهم مُزَيقياء وهو عمرو بن عامر . فلمَّا انتهوا الى مكة واهلها أرسل اليهم عمرو ابنه ثَعْلَبة فقال لهم : يا قوم انَّا قد خرجنا من بلادنا فلم نزل بلدة الَّا افسح اهلها لنا فتزحزحوا عنَّا . فنقيم معهم حتى نرسل روَّادًا فيرتادوا لنا بلدًا يحملنا . فأفسِحوا لنا في بلادكم حتى نقيم قدر ما نستريح ونرسل روادًا الى الشأم والى الشرق فحيثما بلغنا انهُ أَمثل لحقنا بهِ . وارجو ان يكون مقامنا معكم يسيرًا . فأبت ذلك جرهم اباء شديدًا واستكبروا في انفسهم وقالوا : لا والله ما نحبُّ ان ينزلوا فيضيّقوا علينا مرابعنا وموارداتنا فارحلوا عنَّا حيث احببتم فلا حاجة لنا بجواركم . فأرسل اليهم : انهُ لا بدّ من المقام بهذا البلد حولًا حتى ترجع اليَّ رسلي التي أرسلت . فان

---

١) الذرّ صغار النمل ٢) نسبة الى موضع يسمّى قَلَعة

انزلتموني طوعاً نزلتُ وحمدتكم وآسيتكم (١ في الرعي والماء . وان أبيتم أقمتُ على كرهكم ثم لم ترتعوا معي الّا فضلًا ولا تشربوا الّا رنقاً . وان قاتلتموني قاتلتكم . ثمَّ ان ظهرتُ عليكم سبيتُ النساء وقتلت الرجال ولم أترك منكم احداً ينزل الحرَم ابداً . فأبت جرهم ان تُنزلَهُ طوعاً ونعبت (٢ لقتالهِ . فاقتتلوا ثلاثة ايام أُفرغ عليهم فيها الصبر ومُنعوا النصر . ثم انهزمت جرهم فلم يفلت منهم الّا الشريد . وكان مضاض بن عمرو قد اعتزل حربهم ولم يعنهم في ذلك وقال : قد كنت أُحذّركم هذا . ثم رحل هو وولده واهل بيتهِ حتى نزلوا قَنَونا وما حوله . فبقايا جرهم بهِ الى اليوم . وفني الباقون أفناهم السيف في تلك الحروب . (قالوا) فلمّا حازت خزاعة امر مكة وصاروا اهلها جاءهم بنو اسمعيل وقد كانوا اعتزلوا حرب جرهم وخزاعة فلم يدخلوا في ذلك . فسألوهم السكنى معهم وحولهم . فأذنوا لهم . فلما رأى ذلك مضاض بن عمرو ابن الحرث وقد كان اصابهُ من الصبابة الى مكة امرٌ عظيم ارسل الى خُزاعة يستأذنها ومَتَّ اليهم برأيه وتوريعهِ (٣ قومه عن القتال وسوء العشرة في الحرم واعتزاله الحرب . فأبت خزاعة ان يقرّوهم ونفوهم عن الحرم وقالوا : من دخلهُ منهم فدمهُ هدر (٤ . فنزعت ابل لمضاض بن عمرو من قنونا تريد مكة . فخرج في طلبها حتى وجدها قد دخلت مكة . فمضى الى الجبال نحو اجياد حتى ظهر على ابي قُبَيس يتبصَّر الابل في بطن وادي مكة فأبصر الابل تُنحر وتؤكل لا سبيل لهُ اليها . فخاف ان

---

١) آسيتكم شاركتكم ٢) نعبت نادت

٣) متَّ توسّل والتوريع الكفّ عن الشيء ٤) اي باطل ليس فيهِ قَوَد

هبط الوادي ان يُقتل فولّى منصرفاً الى اهله وانشأ يقول :

كأن لم يكن بين الحَجُون الى الصفا أَنيسٌ ولم يَسمُر بمكة سامرُ
ولم يتربَّع واسطاً فجنوبَهُ الى المُنحنَى من ذي الاراكة حاضرُ
بلى نحن كنا اهلها فأبادنا صروفُ الليالي والجدودُ (١ العواثرُ
وأبدلَنا ربّي بها دارَ غربةٍ بها الذئبُ يعوي والعدوّ المخامرُ
اقول اذا نام الخليُّ ولم انمْ أذا العرشِ (٢ لا يَبعَد سهيلٌ وعامرُ
وبُدّلتُ منهم أوجهاً لا اريدها وحمير قد بدّلتها واليحابرُ (٣
فان تمِلِ الدنيا علينا بكلكلٍ ويصلح شرٌّ بيننا وتشاجرُ
فنحن ولاة البيت من بعد نابت نمتّي بهِ والخير اذ ذاك حاضرُ
وأنكحَ جَدّي خيرَ شخصٍ علمتهُ فابناؤُهُ منّا (٤ ونحن الاصاهرُ
واخرَجنا منها المليك بقدرةٍ كذلك يا للناسِ تجري المقادرُ
فصِرنا احاديثاً وكنّا بغبطةٍ كذلك عضّتنا السنون الغوابرُ
وسحّتْ دموعُ العينِ تبكي لبلدةٍ بها حرَمٌ أمنٌ وفيها المَشاعرُ (٥
ويا ليت شِعري مَن بأجيادَ بعدَنا أقامَ بفضى (٦ سيلهِ والظواهرُ
فبطنُ مِنًى امسى كأن لم يكن بهِ مضاضٌ ومن حيّي (٧ عَديٍّ عمائرُ
فهل فرجٌ آتٍ بشيءٍ تحُبُّهُ وهل جزعٌ مُنجيكَ مما تحاذرُ

---

١) الجدود الحظوظ ٢) أَذا العرش اي يا ذا العرش
٣) يُحابِر قبيلة . ويروى البحائر ويروى البحاتر (محاضرة الابرار ٢ : ٣٠) وهم بطن من طيء ٤) ويروى : فابناؤنا منه
٥) المشاعر مناسك الحج ٦) مُفضَى متّسع
٧) ويروى حُبّى وهي ابنة حُليل بن الحبشية

(قالوا) وقال ايضاً :

يا ايها الحيُّ سيروا انَّ قَصرَكُمُ (١ أن تصبحوا ذات يومٍ لا تسيرونا
انّا كما انتمُ كنّا فغيَّرنا دهرٌ فسوفَ كما صِرنا تصيرونا
أزْجُوا المطيَّ وأَرخوا مِن أزمَّتها قبل الممات وقضُّوا ما تقضُّونا
قد مال دهرٌ علينا ثم اهلكنا بالبغي فيهِ فقد صرنا افانينا (٢
كنّا زماناً ملوكَ الناس قبلكمُ نأوي بلاداً حراماً كان مسكونا

يوم بُعاث

قال هاشم بن الكلبيّ كانت الاوس قد اسندوا امرهم في يوم بعاث الى ابي قيس بن الأَسلت الوائلي فقام في حربهم وآثرها على كل امر حتى شحب وتغيَّر . ثم انهُ جاء ليلة فدقَّ على امرأته ففتحت لهُ فاهوى اليها بيده فدفعتهُ وانكرتهُ . فقال : انا ابو قيس . فقالت : والله ما عرفتك حتى تكلمتَ . فقال في ذلك ابو قيس هذه القصيدة واولها :

قالت ولم تقصد لقيل الخنا مهلًا فقد ابلغتَ أسماعي
استنكرتْ لوناً لهُ شاحباً والحرب غول ذات اوجاعِ
من يذُقِ الحرب يجد طعمَها مُرًّا وتتركهُ بجعجاعِ (٣
قد حَصَّتِ البيضةُ رأسي (٤ فما أطعمُ نوماً غيرَ تهجاعِ

---

١) قَصرك وقُصارك وقَصارك وقُصيراك وقُصاراك ان تفعل كذا اي جُهدك وآخر امرك ٢) افانين مثالًا واحدوثة لغيرنا
٣) مكان جعجاع ضيّق غليظ . اي تتركه في مَضيق
٤) اي لبسُ الحوذة ذهب بشعر رأسي

أسعى على جَلّ (١ بني مالكٍ كل امرئ في شأنه ساعِ
لا نألمُ القتلَ ونجزي بهِ م الاعداء كيلَ الصاع بالصاعِ

فاما السبب في هذا اليوم وهو يوم بعاث : ان الاوس كانت استعانت ببني قريظة والنضير في حروبهم التي كانت بينهم وبلغ ذلك الخزرج . فبعث اليهم ان الاوس فيما بلغنا قد استعانت بكم علينا ولن يُعجزنا ان نستعين بأعدادكم واكثر منكم من العرب فان ظفِرنا بكم فذاك ما تكرهون . وان ظفِرتم لم ننم عن الطلب (٢ ابدًا فتصيروا الى ما تكرهون ويَشغَلكم من شأننا ما انتم الآن منهُ خالون . وأسلمُ لكم من ذلك ان تدَعونا وتخلّوا بيننا وبين اخواننا . فلما سمعوا ذلك علِموا انهُ الحق فأرسلوا الى الخزرج : انهُ قد كان الذي بلغكم والتمست الاوس نَصرنا (٣ وما كنا لننصرهم عليكم ابدًا . فقالت لهم الخزرج : فان كان ذلك كذلك فابعثوا الينا برهائن تكون في ايدينا . فبعثوا اليهم اربعين غلاماً منهم . ففرّقهم الخزرج في دورهم . فمكثوا بذلك مدة

ثم ان عمرو بن النعمان البَياضيّ قال لقومهِ ببياضة : ان عامرًا أنزلكم منزل سوء بين سَبَخَة (٤ ومفازة . وانهُ والله لا يمسّ رأسي غُسل حتى أُنزلكم منازل بني قريظة والنضير على عذب الماء وكريم النخل . ثم راسلهم : إما ان تخلّوا بيننا وبين دياركم نسكنها . واما ان نقتل رهنكم . فهمّوا ان يخرجوا من ديارهم . فقال لهم الكَعْب بن أَسَد القرظيّ : يا قوم امنعوا دياركم وخلوه يقتل الرهن . والله ما هي الّا ليلة

---

١) الجَلّ الامر الجليل ٢) اي الطلب بثأرنا
٣) نَصرنا معونتنا ٤) سبخة ارض تعلوها مُلوحة

حتى يولد المرجل غلام مثل احد الرُّهن . فاجتمع رأيهم على ذلك . فأرسلوا الى عمرو بأن : لا نسلم لكم دورنا وانظروا الذي عاهدتمونا عليهِ في رهننا فقوموا لنا بهِ . فعدا عمرو بن النعمان على رهنهم هو ومن اطاعهُ من الخزرج فقتلوهم . وابى عبد الله بن أُبَيّ وكان سيدًا حليماً وقال : هذا عُقوق ومأثم وبغي فلست مُعيناً عليهِ ولا احد من قومي اطاعني . وكان عنده في الرهن سليمان بن أسد القرظيّ وهو جدّ محمد بن كعب القرظيّ فخلّى عنهُ واطلق ناسٌ من الخزرج نفرًا فلحقوا باهليهم . فناوشت الاوس الخزرج يوم قُتِل الرهنُ شيئاً من قتال غير كبير واجتمعت قريظة والنضير الى كعب بن اسد اخي بني عمرو بن قريظة . ثم تآمروا ان يُعينوا الاوس على الخزرج . فبَعث الى الاوس بذلك . ثم اجمعوا عليهِ على ان ينزل كل اهل بيت من النَّبيت (١ على بيت من قريظة والنضير . فنزلوا معهم في دورهم وارسلوا الى النبيت يأمرونهم باتيانهم وتعاهدوا الّا يسلموهم ابدًا وان يقاتلوا معهم حتى لا يبقى منهم احد . فجاءتهم النبيت فنزلوا مع قريظة والنضير في بيوتهم ثم ارسلوا الى سائر الاوس في الحرب والقيام معهم على الخزرج . فاجابوهم الى ذلك . فاجتمع الملأ منهم واستحكم امرهم وجدّوا في حربهم . ودخلت معهم قبائل من اهل المدينة منهم بنو ثَعْلَبَة وهم من غسّان وبنو زعوراء وهم من غسان

فلما سمعت بذلك الخزرج اجتمعوا . ثم خرجوا وفيهم عمرو بن النعمان البياضيّ وعمرو بن الجَمُوح السَّلَميّ (٢ حتى جاؤُوا عبد الله بن

---

١) النبيت حي من اليمن ٢) نسبة الى بني سَلَمة

أُبيّ وقالوا لهُ : قد كان الذي بلغك من امر الاوس وامر قريظة والنضير واجتماعهم على حربنا . وانّا نرى ان نقاتلهم . فان هزمناهم لم يُحرز احدًا منهم مَعقِلُه ولا ملجأه حتى لا يبقى منهم احد . فلما فرغوا من مقالتهم قام عبدالله بن ابيّ خطيباً وقال : ان هذا بغي منكُم على قولكم وعقوق ووالله ما احبّ انّ رِجلًا من جراد (١ لقيناهم . وقد بلغني انهم يقولون : هؤلاء قومنا منعونا الحياة أفيمنعوننا الموت . والله اني ارى قوماً لا ينتهون او يُهلكوا عامتكم . واني لأخاف ان قاتلوكم ان يُنصَروا عليكم لبغيكم عليهم . فقاتلوا قومكم كما كنتم تقاتلونهم فاذا ولّوا فخلُّوا عنهم . فاذا هزموكم فدخلتم ادنى البيوت خلّوا عنكم . فقال لهُ عمرو ابن النعمان : انتفخ والله سَحرُك (٢ يا ابا الحرث حين بلغك حلف الاوس قريظة والنضير . فقال عبد الله : والله لا حضَرتكم ابدًا ولا احد اطاعني ابدًا . ولكأني انظر اليك قتيلًا تحملك اربعة في عَباء . وتابعَ عبد الله بن أُبي رجالٌ من الخزرج منهم عمرو بن الجموح الحرامي . واجتمع كلام الخزرج على ان رأسوا عليهم عمرو ابن النعمان البياضي ووَلّوهُ امر حربهم

ولبثت الاوس والخزرج أربعين ليلة يتصنعون للحرب ويجمع بعضهم لبعض ويرسلون الى حلفائهم من قبائل العرب . فارسلت الخزرج الى جُهَينَة وأَشجَع . فكان الذي ذهب الى اشجع ثابت بن قيس بن شمّاس . فاجابوه واقبلوا اليهم . واقبلت جهينة اليهم ايضاً . وارسلت الاوس

---

١) رجل جراد قطعة عظيمة من جراد

٢) انتفخ سحرك جبُنتَ والسحر الرئة كانّها تنتفخ عند الخوف

الى مُزَيْنَة وذهب حُضَيْر الكتائب الأَشْهَلِيّ الى ابي قَيس بن الاسلت فأمرهُ ان يجمع لهُ أَوس الله . فجمعهم لهُ أَبو قيس . فقام حضير فاعتمد على قوسه وعليهِ نَمِرَة (١ فحرضهم وأمرهم بالجِدّ في حربهم وذكر ما صنعت بهم الخزرج من إخراج النبيت وإذلال من تخلّف من سائر الاوس في كلام كثير . فجعل كلما ذكر ما صنعت بهم الخزرج وما ركِبوه منهم يستشيط ويحمى . فاجابتهُ اوس الله بالذي يحبّ من النُّصرة والمؤازرة والجدّ في الحرب . (قال هشام) فحدَّثني عبد المجيد بن ابي عيسى عن اشياخ من قومه ان الاوس اجتمعت يومئذٍ الى حضير بموضع يقال لهُ الحياة . فاجالوا الرأي . فقالت الاوس : ان ظفرنا بالخزرج لم نُبقِ منهم احدًا ولم نقاتلهم كما كنا نقاتلهم . فقال حُضَير : يا معشر الاوس ما سُمّيتم الاوس الّا لانكم توسون (٢ الامور الواسعة . ثم قال :

يا قوم قد اصبحتمُ دوارا لمعشر قد قتلوا الخِيارا
يوشك ان يستأصلوا الديارا

(قال) ولما اجتمعوا بالحياة طرحوا بين ايديهم تمرًا وجعلوا يأكلون وحُضَير الكتائب جالس وعليهِ بُردة لهُ قد اشتمل بها الصمّاء (٣ وما يأكل معهم ولا يدنو الى التمر غضباً وحنَقًا . فقال : يا قوم أعقدوا لابي قيس بن الاسلت . فقال لهم ابو قيس : لا اقبل ذلك فاني لم أرأس على قوم في حرب قط الّا هُزموا وتشاءموا برئاستي . وجعلوا ينظرون

---

١) النمرة شملة مخططة من مآزر العرب

٢) توسون تداوون وتُصلحون ٣) الصمّاء نوع من الشملة تغطي الجسد كلّه تشبيهاً بالصخرة الصمّاء التي لا صدع فيها

الى حضير واعتزاله أكلهم واشتغاله بما هم فيهِ من امر الحرب فاذا رأى منهم ما يكره من الفتور والتخاذل استشاط غيظاً وغضباً . واذا رأى منهم ما يحبّ من الجدّ والتشمير في الحرب سكن . واجابت الى ذلك أوس مناة وجدّوا في المؤازرة والمظاهرة . وقدمت مزينة على الاوس فانطلق حضير وابو عامر الراهب ابن صيفي الى ابي قيس بن الاسلت فقالوا : قد جاءتنا مزينة واجتمع الينا من اهل يثرب ما لا قِبَل للخزرج بهِ . فما الرأي ان نحن ظهرنا عليهم ألانجاز ام البقية . فقال ابو قيس : بل البقية . فقال ابو عامر : والله لَوددتُ لو أنَّ مكانهم ثعلباً ضَبَّاحاً (١ . فقال ابو قيس : اقتلوهم حتى يقولوا : بزابزا (كلمة كانوا يقولونها اذا غُلبوا) . فتشاجروا في ذلك . واقسم حضير الّا يشرب الخمر او يَظهَر ويَهدِم مزاحماً أُطم عبد الله بن ابيّ

فلبثوا شهرين يُعدُّون ويستعدُّون . ثم التقوا ببعاث . (وبعاث من اموال بني قريظة فيها مزرعة يقال لها قورى . فلذلك تدعى بعاث الحرب) . وتخلّف عن الاوس بنو حارثة بن الحرث فبعثوا الى الخزرج : انّا والله ما نريد قتالكم . فبعثوا اليهم ان : ابعثوا الينا برهن منكم يكونون في ايدينا . فبعثوا اليهم اثني عشر رجلًا منهم خديج ابو رافع ابن خديج . وحشد الحيّان . فلم يتخلّف عنهم الّا مَن لا ذِكرَ لهُ . ولم يكونوا حشدوا قبل ذلك في يوم التقوا فيهِ . فلما رأت الاوسُ الخزرجَ أعظموهم وقالوا لحضير : يا أبا أُسَيد لو حاجزت القوم وبعثت الى من

---

١) اي ذو الضُباح وهو صوت الثعلب

تخلّف من حلفائك من مزينة . فطرح قوساً كانت في يده ثم قال : أنتظرُ مزينة وقد نظر اليَّ القوم ونظرتُ اليهم . الموتُ قبل ذلك . ثم حمل وحملوا فاقتتلوا قتالاً شديداً . فانهزمت الاوس حين وجدوا مس السلاح فولّوا مُصعِدين في حَرَّة قَوْرَى نحو العُرَيْض وذلك وجه طريق نجد . فنزل حضير وصاحت بهم الخزرج : اين الفرار ألا ان نجداً سنة (اي مجدب) يعيّرونهم . فلما سمع حضير طعنَ بسنان رمحه فخذهُ ونزل وصاح : وا عَقْراه (١ . والله لا أريمُ حتى أُقتل . فان شئتم يا معشر الاوس ان تسلموني فافعلوا . فتعطفت عليهِ الاوس وقام على رأسهِ غلامان من بني عبد الأَشْهَل يقال لهما محمود ولبيد ابنا خليفة بن ثعلبة وهما يومئذٍ مُعْرِسان (٢ ذَوَا بطش فجعلا يرتجزان ويقولان :

ايّ غلامي ملكٍ ترانا في الحرب اذ دارت بنا رحانا
وعدَّد الناس لنا مكانا

فقاتلا حتى قُتلا . واقبل سهم حتى اصاب عمرو بنَ النعمان رأسَ الخزرج فقتله . لا يُدرى مَن رمى بهِ الّا انَّ بني قريظة تزعم انهُ سهم رجل يقال لهُ ابو لبابة فقتلهُ . فبينا عبد الله بن ابيّ يتردَّد على بغلة لهُ قريباً من بُعاث يتجسَّس اخبار القوم اذ طُلع عليهِ بعمرو بن النعمان ميتاً في عباءة يحمله اربعة الى داره . فلما رآهُ عبد الله بن ابيّ قال : مَن هذا . قالوا : عمرو بن النعمان . قال : ذُق وبال العقوق . وانهزمت الخزرج ووضعت

---

١) العقر قطع قوائم البعير بالسيف ليُنحَر
٢) معرسانِ مُلمّان بنسائهما

الاوس فيهم السلاح وصاح صائح : يا معشر الاوس أسجِحوا (١ ولا تُهلِكوا اخوتكم فجِوارهم خير من جوار الثعالب . فتناهت الاوس وكفّت عن سلبهم بعد الخان فيهم . وسلبتهم قريظة والنضير . وحملت الاوس حضيرًا من الجراح التي بهِ وهم يرتجزون حوله ويقولون :

كتيبة زيَّنها مولاها لا كهلها هُدَّ ولا فتاها

وجعلت الاوس تحرق على الخزرج نخلها ودورها . فخرج سعد بن معاذ الاشهلي حتى وقف على باب بني سلمة وأجارهم واموالهم جزاء لهم بيوم الرَّعل (٢ . وأقسم كعب بن اسد القرظي لَيُذِلَنَّ عبد الله بن ابيّ وَلَيَحلِقَنَّ راسهُ تحت مُزاحم . فناداه كعب : انزل يا عدوّ الله . فقال لهُ عبد الله : انشدك الله وما خذَلتُ (٣ عنكم . فسأل عمَّا قال فوجده حقًّا فرجع عنهُ . واجمعت الاوس على ان تَهدِم مزاحمًا أُطم عبد الله بن أُبيّ . وحلف حضير ليهدمنَّهُ . فكلم فيهِ فأمرهم ان يريثوا فيهِ فحفروا فيهِ كوَّة . وافلت يومئذٍ الزبيرُ بنُ اياس بن باطا ثابتَ بن قيس بن شماس اخا بني الحرث بن الخزرج . وهي النعمة التي كافأهُ بها ثابت في الاسلام يوم بني قريظة . وخرج حضير الكتائب وأبو عامر الراهب حتى اتيا ابا قيس ابن الاسلت بعد الهزيمة . فقال لهُ حضير : يا ابا قيس ان

---

١) اسجحوا تساهلوا وأحسنوا العفو ٢) « الرعل موضع قِبَل واقِم وفيه قتلت بنو حارثة سماكًا ابا حُضَير وأجلَوا حُضيرًا وقومه عن ديارهم » (البكري ٤١٨) ويوم رعل يوم للخزرج على الاوس وكان سعد بن معاذ حُمل يومئذٍ جريحًا الى عمرو بن الجموح الحرامي فمنّ عليه واجاره واخاه من القطع والحرق فكافأه سعد بمثل ذلك في يوم بعاث

٣) اي ما تركتُ نُصرتكم

رأيت ان نأتي الخزرج قصراً قصراً ودارًا دارًا نقتُل ونهدِم حتى لا يبقى منهم احد . فقال ابو قيس : والله لا نفعل ذلك . فغضِب حضير وقال . ما سميتم الاوس الّا لانكم تؤسون الامر أوساً ولو ظفرتْ منّا الخزرج بمثلها ما أقالوناها . ثم انصرف الى الاوس فأمرهم بالرجوع الى ديارهم . وكان حضير جُرح يومئذٍ جِراحةً شديدة . فذهب بهِ كليب ابن صيفي بن عبد الاشهل الى منزله في بني امية بن يزيد . فلبث عنده اياماً . ثم مات من الجراحة التي كانت بهِ . فقبرهُ اليوم في بني أُمية بن يزيد

(قال) وكان يهوديّ أعمى من بني قريظة يومئذٍ في اطم من آطامهم . فقال لابنة لهُ : أشرفي على الاطم فانظري ما فعل القوم . فاشرفت فقالت : اسمع الصوت قد ارتفع في اعلى قورى واسمعُ قائلًا يقول : اضربوا يا آل الخزرج . فقال : الدواة اذًا على الاوس لا خير في البقاء . ثم قال : ماذا تسمعين . قالت : اسمع رجالًا يقولون يا آل الاوس ورجالًا يقولون يا آل الخزرج . قال : الآن حميَ القتالُ . ثم لبث ساعة . ثم قال : اشرفي فاسمعي . فاشرفت فقالت : أسمع قوماً يقولون : «نحن بنو صخرة اصحاب الرعل » قال تلك بنو عبد الاشهل (١ . ظفِرت والله الاوس . ثم وثب فرحاً نحو باب الاطم . فضرب رأسهُ بحاق (٢ بابه وكان من حجارة فسقط فمات

وكان ابو عامر قد حلف ليركِزنَّ رمحه في اصل مُزاحم أُطم عبدالله

---

١) امّ بني عبد الاشهل هي صخرة بنت مرة بن ظفر

٢) حاق الباب ما احاط بهِ

ابن ابيّ . فخرجت جماعة من الاوس حتى احاطوا بهِ وكانت امرأة أبي عامر جميلة بنت عبد الله بن ابيّ (وهي امّ حنظلة الغسيل (١ بن ابي عامر) . فاشرف عليهم عبد الله فقال : اني والله ما رضيت هذا الامر ولا كان عن رأيي وقد عرفتم كراهتي لهُ فانصرفوا عني . فقال ابو عامر : لا والله لا انصرف حتى اركز لوائي في اصل اطمك . فلما رأى حنظلة انهُ لا ينصرف قال لهم : ان ابي شديدُ الوَجد بي فأشرفوا بي عليه ثم قولوا : والله لئن لم تنصرف عنا لنرمينّ برأسهِ اليك . فقالوا ذلك لهُ . فركز رمحهُ في اصل الاطم ليمينهِ ثم انصرف عنهم . فذلك قول قيس بن الخطيم :

صبحنا بهِ الآطام حولَ مزاحم قوانسُ (٢ اولى بَيضِنا كالكواكبِ

وأسر ابو قيس بن الاسلت يومئذٍ مخلّد بن الصامت الساعدي ابا مسلمة ابن مخلد . واجتمع اليهِ ناس من قومه من مُزَينة ومن يهود فقالوا : اقتلهُ . فأبى وخلّى سبيله وأنشأ يقول :

اسرت مخلداً فعفوت عنهُ وعند الله صالحُ ما أتيتُ

مزينة عنده ويهود قَوْرَى وقومي كل ذلكم كفيتُ

وقال خُفاف بن نُدبة يرثي حُضَيرَ الكتائب وكان نديمه وصديقه :

لوَ انَّ المنايا حِدنَ عن ذي مَهابةٍ لَهَبْنَ حضيراً يوم أغلق واقما (٣

أطاف بهِ حتى اذا الليل جنَّه تبوَّأ منهُ منزلاً متناعما

---

١) ويُسمى غسيل الملائكة

٢) القونس مقدَّم البيضة من السلاح وقيل اعلاها

٣) واقم أطم من آطام المدينة تُنسب اليه حَرَّة واقم

وقال ايضاً يرثيه :

اتاني حديثٌ فكذَّبتـهُ ... وقيل خليلكَ في المرمسِ
فيا عين بكّي حضير النَّدى ... حضير الكتائب والمجلسِ
ويوم شديدٍ أوارُ(١ الحديدِ ... تُقطَّع منهُ عُرى الانفسِ
صَليتَ بهِ وعليك الحديدُ ... ما بين سَلع (٢ الى الاعرسِ
فأودى بنفسك يومَ الوغى ... ونقّى ثيابك لم تدنسِ

حسَّان بن تبَّع (*

حدَّث ابن الكلبي وغيره قال : كان حسَّان بن تبع أحول اعسر بعيد الهمة شديد البطش . فدخل اليهِ يوماً وجوه قومه وهم الأقيال من حمير . فلما اخذوا مواضعهم ابتدأهم فأنشدهم :

ايها الناس ان رأيي يريني ... وهو الرأي طوفةً في البلادِ
بالعوالي وبالقنـابل تردي ... بالبطاريق مشية العوَّادِ
وبجيشٍ عرمرمٍ عربيٍّ ... جحفلٍ يستجيب صوت المنادي
من تميمٍ وخندفٍ وإيادٍ ... والبهاليل حِميرٍ ومُرادِ
فاذا سرتُ سارتِ الناس خلفي ... ومعي كالجبال في كل وادِ

---

١) اوار حرّ ٢) سلع موضع بقرب المدينة

*) وتُبَّع ابو حسان هو تُبَّع الاوسط واسمهُ اسعد ابو كَرب او اسعد تِبَّان بن كُليكَرب بن تُبَّع الأكبر . وهو من اشهر التبابعة وملك في عهد اردشير بن بابك ملك الفرس . امَّا حسَّان فانهُ ملك في عهد سابور بن اردشير

سقني ثم سقِ حِميرَ قومي كأس خمر أولي النهى والعِمادِ

ثم قال لهم : استعدُّوا لذلك . فلم يراجعهُ احد لهيبته . فلما كان بعد ثلثة خرج وتبعهُ الناس حتى وطئَ ارض العجم . وقال : لأَبلُغنَّ من البلاد حيث لم يبلغ احد من التبابعة . فجال بهم في ارض خُراسان . ثم مضى الى المغرب حتى بلغ رومية وخلَّف عليها ابن عمّ لهُ . واقبل الى ارض العراق حتى اذا صار على شاطئ الفرات قالت وجوه حمير : ما لنا نُفني اعمارنا مع هذا نطوف في الارض كلها ونفرّق بيننا وبين بلدنا واولادنا وعيالنا واموالنا فلا ندري من نخلّف عليهم بعدنا . فكلموا اخاه عمرًا وقالوا لهُ : كلِّم اخاك في الرجوع الى بلده وملكه . قال : هو اعسر من ذلك وانكر . فقالوا : فاقتلهُ وتملّكك علينا فانت احقُّ بالملك من اخيك وانت اعقل واحسن نظرًا لقومك . فقال : اخاف ان لا تفعلوا واكون قد قتلت اخي وخرج الملك عن يدي . فواثقوهُ حتى ثلج (١ الى قولهم واجمع الرؤساء على قتل اخيهِ كلهم الّا ذا رُعَيْن فانهُ خالفهم وقال : ليس هذا برأي يذهب الملك من حمير . فشجّعه الباقون على قتل اخيه . فقال ذو رعين : ان قتلتهُ باد ملكك . فلما رأى ذو رعين ما اجمع عليهِ القوم اتاه بصحيفة مختومة فقال : يا عمرو اني مستودعك هذا الكتاب فضعهُ عندك في مكان حريز وكتب فيهِ :

ألا مَن يشتري سهرًا بنومٍ سعيدٌ من يبيت قريرَ عينِ

فان تكُ حميرٌ غدرت وخانت فمعذرةُ الاله لذي رُعَينِ

ثم ان عمرًا اتى حسّان اخاه وهو نائم على فراشه فقتلهُ واستولى على

---

١) ثلج الى قوله ارتاح به ورضي

ملكه (١ . فلم يُبارَك فيهِ وسُلّط عليهِ السهر وامتنَعَ منهُ النوم (٢ . فسأل الاطباء والكُهّان والعُيّاف (٣ . فقال لهُ كاهن منهم : انهُ ما قتل اخاهُ رجلٌ قطّ الّا مُنِع نومه . فقال عمروٌ : روَّساء حمير حملوني على قتله ليرجِعوا الى بلادهم ولم ينظروا اليَّ ولا لاخي . فجعل يقتل من اشار عليهِ منهم بقتله . فقتلهم رجلًا رجلًا حتى خلص الى ذي رُعين وايقن بالشَرّ . فقال لهُ ذو رعين : أَلم تعلم اني اعلمتك ما في قتله ونهيتك وبينت هذا . قال : وفيمَ هو . قال : في الكتاب الذي استودعتك . فدعا بالكتاب فلم يجدهُ . فقال ذو رعين : ذهب دمي على اخذي بالحزم فصرت كمن اشار بالخطإ . ثم سأل الملك ان يُنعم في طلبه (٤ . ففعل فأُتي بهِ فقرأهُ فاذا فيهِ البيتان . فلما قرأهما قال : لقد أخذتَ بالحزم . قال : اني خشيت ما رأيتك صنعت باصحابي

(قال) وتشتت امر حمير حين قتل اشرافها واختلفت عليهِ حتى وثب على عمرو لخنيعة تنوف (٥ ولم يكن من اهل بيت المملكة فقتله

---

١) وقيل لعمرو الموثبان اشارةً الى تقاعده عن الغزو لانَّ «وثب» في لغة حمير تتضمّن معنى القعود على الوسادة . وقيل بل لُقّب الموثبان لانهُ وثب على اخيهِ فقتلهُ ٢) وتواترت بعمرو المذكور الاسقام حتى كان لا يخرج الّا محمولًا على نعش فسمي ذا الاعواد لذلك . وقال صاحب الاغاني في ترجمة ذي الاصبع العدواني ان ذا الاعواد هو ربيعة بن مخاشن وانهُ لُقّب بذي الاعواد لانهُ اوّل مَن جلس على منبر او سرير وتكلّم وفيهِ يقول الاسود بن يَعْفُر :

ولقد علمتُ لو أنَّ علمي نافعي انَّ السبيل سبيل ذي الاعوادِ

٣) العيافة التفاؤل بالطير

٤) انعم في طلبه بالغ واجتهد. ٥) في النقوش الحميرية يروى «ينوف»

واستولى على ملكه . وكان يقال لهُ ذو شناتر (١ الحميري وكان فاسقاً . فمكث بذلك حتى نشأ زُرعة ذو نوَاس وكانت لهُ ذوَابة وبه سُمّي ذو نوَاس . فلما نشأ ذو نواس اخذ سكيناً لطيفاً خفيفاً وسمَّهُ وجعل لهُ غلافاً . فلما دعا بهِ لخنيعة جعلهُ بين اخمصه ونعله واتاه على ناقة لهُ يقال لها سراب فاناخها وصعد اليه . فلمّا قام اليهِ انحنى زرعة فأخذ السكين فوجأ بها بطنهُ فقتلهُ واحتزَّ رأسهُ فجعل السِّواكَ في فيهِ واطلعه من الكوَّة . فرفع الحرس رؤوسهم فرأوهُ . ونزل زُرعة وجاءَ الى ناقته فركبها . فلما رأى الحراس اطلاع الرأس صعدوا اليهِ فاذا هو قد قتل . فاتوا زرعة فقالوا : ما ينبغي ان يملكنا غيرك بعد ان ارحتنا من هذا الفاسق . واجتمعت حمير اليه . وهو الذي تهوَّد وتسمى يوسف وهو صاحب الاخدود بنجران وكانوا نصارى . فخوَّفهم وحرق الانجيل وهدم الكنائس . ومن اجله غزت الحبشة اليمن لانهم نصارى . فلما غلبوا على اليمن اعترض البحر واقتحمه على فرس فغرق

خبر طَسْم وجَدِيس

اخبر ابن الاعرابي عن المفضل انّ عمليقاً ملك طسم وجديس (وكانت منازلهم في موضع اليمامة) كان في اول مملكته قد تمادى في الظلم والغَشم والسيرة بغير الحقّ . وان امرأة من جديس كان يقال لها هُزَيلة وكان لها زوج يقال لهُ ماشق فطلقها واراد أخذ ولدها منها فخاصمتهُ الى عِملِيق

---

١) اي الاقراط . قيل لهُ ذلك لأقراط كان يتحلَّى بها

فقالت : يا ايها الملك اني حملتهُ تسعاً . ووضعتهُ دفعاً وارضعتهُ شَغْعاً . حتى اذا تمت اوصاله (١ . ودنا فصاله (٢ . اراد ان يأخذه مني كَرْهاً . ويتركني من بعده وَلَهاً . فقال لزوجها : ما حجتك . قال : حجتي ايها الملك اني قد اعطيتها المهر كاملًا . ولم اصب منها طائلًا . الَّا وليداً خاملًا . فافعل ما كنت فاعلًا . فأمر بالغلام ان ينزع منهما جميعاً ويجعل في غلمانهِ . وقال لهزيلة : ابغيه ولداً . ولا تنكحي احداً . واجزيه صَفَداً (٣ . فقالت هزيلة : أمَّا النكاح فانما يكون بالمَهْر . واما السفاح فانما يكون بالقهر . وما لي فيهما من أمر . فلما سمع ذلك عمليق امر بان تباع هي وزوجها فيعطَى زوجُها خُمْس ثمنها وتعطى هزيلة عُشر ثمن زوجها . فأنشأت تقول :

اتينا اخا طسم ليحكم بيننا ... فانفذ حكماً في هزيلة ظالما
لعمري لقد حكمت لا متورعاً ... ولا كنتَ فيما يُبرَمُ الحكم عالما
ندمتُ ولم أندم واني بعثرتي ... وأصبح بعلي في الحكومة نادما

فلما سمع عمليق قولها اغتاظ وزاد في الظلم . فلقوا من ذلك بلاء وجهداً وذُلاً . حتى زُوِّجت الشموس وهي عُفَيرة بنت غِفار اخت الاسود . فأساء اليها عمليق ووجأها بجديدة فأدماها . فقالت تحرّض قومها فيما أتى اليها :

أيجمُل ما يؤتى الى فَتَياتِكم ... وانتم رجالٌ فيكمُ عَددُ الرملِ
أيجمُل تمشي في الدماء عفيرة ... صَبيحةَ زُفَّت في النساء الى بعلِ
ولو اننا كنا رجالًا وكنتمُ ... نساء لكنا لا نقرُّ بذا الفعلِ
فموتوا كراماً او أميتوا عدوَّكم ... ودِبُّوا لنارِ الحرب بالحطب الجزلِ

---

١) الاوصال الاعضاء ٢ . الفصال فطم الولد ٣) الصفد العطاء

والّا فخلّوا بطنهـا وتحمّلوا الى بلد قفر وموتوا من الهزلِ
فلَلبينُ خيرٌ من تمادٍ على اذًى وللموتُ خيرٌ من مقامٍ على الذُّلِّ
وان انتمُ لم تغضبوا بعد هذه فكونوا نساءً لا تُعابُ من الكحلِ
ودونكمُ طِيبَ العروسِ فانما خُلقتم لاثواب العَروس وللغسلِ
فبُعدًا وسُحقًا للذي ليس دافعاً ويحتال يمشي بيننا مشيةَ الفحلِ

فلما سمع الاسود اخوها ذلك وكان سيّدًا مُطاعاً قال لقومه : يامعشر جديس ان هؤلاء القوم ليسوا باعزّ منكم في داركم الّا بما كان من مُلك صاحبهم علينا وعليهم . ولولا عجزنا وإدهاننا (١ ما كان لهُ فضل علينا وعليكم . ولو امتنعنا لكان لنا منهُ النَّصَف (٢ . فاطيعوني فيما آمركم بهِ فانهُ عزُّ الدهرِ وذهابُ ذُلّ العُمر واقبلوا رأيي . (قال) وقد احمى جديساً ما سمعوا من قولها فقالوا : نطيعك ولكن القوم اكثر واحمى واقوى . قال : فاني اصنع للملك طعاماً ثم ادعوهم لهُ جميعاً فاذا جاؤوا يرفُلون في الحُلل ثُرنا الى سيوفنا وهم غارّون فاهمدناهم بها . قالوا : نفعل . وصنع طعاماً كثيرًا وخرج بهِ الى ظَهْر بلدهم ودعا عمليقاً وسألهُ ان يتغدّى عنده هو واهل بيته . فاجابهم الى ذلك وخرج اليهِ مع اهله يَرفُلون في الحُليّ والحُلَل حتى اذا اخذوا مجالسهم ومدّوا ايديَهم الى الطعام اخذوا سيوفهم من تحت اقدامهم فشدّ الاسود على عمليق فقتلهُ وكلّ رجل منهم على جليسه حتى اماتوهم . فلما فرغوا من الاشراف شدّوا على السفَلة فلم يدَعوا منهم احدًا . فقال الاسود في ذلك :

ذوقي ببغيك يا طسم محللةً فقد اتيتِ لعمري اعجبَ العجبِ

---

١) الادهان المصانعة واللين ٢) النَّصَف والنِّصف الإنصاف

انّا اتينا فلا ننفكّ نقتلهم والبغي هيّج منّا سَوْرةَ الغضبِ
ولن يعودَ علينا بغيهم ابداً ولن يكونوا كذي انفٍ ولا ذنبِ
وان رعيتم لنا قُربى مؤكدةً كنا الاقارب في الارحام والنسبِ

ثم ان بقية طسم (١ لجأُوا الى حسان بن تبع . فغزا جديساً فقتلها واخرب بلادها فهرب الاسود قاتل عمليق فاقام بجبل طيئ قبل نزول طيئ اياه

خبر زرقاء اليمامة

ان الزرقاء كانت ترى الجيش من مسيرة ثلاثين ميلاً . فغزا قوم من العرب اليمامة فلما قربوا من مسافة نظرها قالوا : كيف لكم بالوصول مع الزرقاء . فاجتمع رأيهم على ان يقتلعوا شجراً تستر كل شجرة منها الفارس اذا حملها . فقطع كل واحد منهم بمقدار طاقته وساروا بها . فأشرفت كما كانت تفعل فقال قومها : ما ترينَ يا زرقاء وذلك في آخر النهار . قالت : ارى شجراً يسير . فقالوا : كذبتِ أو كذبتْكِ عينُكِ واستهانوا بقولها . فلما اصبحوا صَبَّحهم القوم فاكتسحوا اموالهم وقتلوا منهم مقتلةً عظيمة واخذوا الزرقاء فقلعوا اعينها فوجدوا فيها عروقاً سودًا فسُئلت عنها فقالت اني كنتُ أُديم الاكتحال بالإثمد فلعلّ هذا منهُ . وماتت بعد ذلك بايام (٢

---

١) وكان ممّن لجأ الى حسّان بن تُبَّع رباح بن مُرَّة وهو اخو زرقاء اليمامة . وكانت زرقاء اليمامة تزوجت برجل جديسي فلذا نراها مع جديس . ويقال لرباح القاشر وفيهِ يُضرب المثَل في الشؤم فيقال : اشأم من قاشر . وقيل غير ذلك في قاشر ٢) قال صاحب الاغاني بعد ذكر زرقاء اليمامة : « وبلغ هدًا

مقتل الأسود بن غِفار

كانت طيٌ تسكن الجُرف من ارض اليمن وهو اليوم محلة مُراد وهمدان وكان سيدهم يومئذٍ أُسامة بن لُؤَيّ بن الغَوث بن طيٍ . وكان الوادي مَسْبعة . وهم قليل عددهم . وقد كان ينتابهم بعير في ازمان الخريف ولم يُدرَ اين يذهب ولم يَرَوْه الى قابل (١ . وكانت الازد قد خرجت من اليمن ايام العَرِم (٢ فاستوحشت طيٌ لذلك وقالت : قد ظعن اخواننا فصاروا الى الأرياف (٣ . فلما همُّوا بالظعن قالوا لاسامة : ان هذا البعير يأتينا من بلد ريف وخصب وانّا لنرى في بعره النوى . فلو اننا نتعهَّده عند انصرافهِ فشخصنا معهُ لكنا نصيب مكاناً خيراً من مكاننا هذا . فاجمعوا امرهم على ذلك . فلما كان الخريف جاء البعير فاختلط في ابلهم . فلما انصرف احتملوا واتبعوه يسيرون بسيره ويبيتون حيث يبيت حتى هبط على الجبلين (٤ . فهجمت طيٌ على

(بنت النعمان) خبرها فترهَّبت ولبست المسوح وبنَت ديراً يُعرف بدير هند الى الآن . فاقامت فيهِ حتى ماتت» ونظن ان هذا سهو . لان زرقاء اليمامة التي سمل عينيها حسَّان بن تُبَّع هي غير زرقاء اليمامة صاحبة هند بنت النعمان المعروفة بحُرَقَة . فهذه عاشت في القرن السادس للمسيح . اما الاولى واسمها اليمامة فكانت في اواسط القرن الثالث بعد المسيح . ولُقبت بالزرقاء لزرقة عينيها . وفيها يُضرَب المثَل فيُقال : ابصر من زرقاء اليمامة . وقيل انها هي المسماة بحذامِ واليها يشير الشاعر بقولهِ : اذا قالت حَذامِ فصدقوها فانَّ القول ما قالت حَذَام

١) قابل اي عام قابل ٢) العرم اي سيل العرِم

٣) الارياف جمع الريف وهو ما قارب المياه من الارض فتكون مخصبة

٤) الجبلان هما اجأ وسَلْمَى

النخل في الشِعاب وعلى مواشٍ كثيرة واذا هُم برجل في شِعْب من تلك الشِعاب وهو الاسود بن غِفار فهالهم ما رأوا من عِظَم خَلْقه وتخوَّفوهُ وقد نزلوا ناحيةً من الارض واستبروها (١ هل يرون فيها احدًا غيره فلم يرَوا. فقال اسامة بن لؤَي لابنٍ لهُ يقال لهُ الغوث: أَيْ بُنيَّ ان قومك قد عرفوا فضلك عليهم في الجلَد والبأس والرمي. فان كفيتنا هذا الرجل سُدْتَ قومك آخرَ الدهر وكنتَ الذي انزلتنا هذا البلد. فانطلق الغوث حتى أتى الرجل فكلمهُ وسألهُ. فعجب الاسود من صِغَر خَلْق الغوث فقال لهُ: من اين اقبلتم. قال: من اليمن واخبره خبر البعير ومجيئهم معهُ وانهم رَهِبوا ما رأوا من عظم خَلقه وصِغَرهم عنهُ. وشغلوه بالكلام. فرماه الغوث بسهم فقتلهُ. واقامت طيْ بالجبلين بعده. فهم هنالك الى اليوم

مقتل نصارى نجران وقدوم الحبشة الى اليمن

كان السبب في قدوم الحبشة اليمن وغلبتهم عليها وخروج سيف ابن ذي يزَن الى كسرى يستنجده عليهم انَّ ملكاً من ملوك اليمن يقال لهُ ذو نواس غزا اهل نجران وكانوا نصارى فحصرهم. ثم انهُ ظَفِر بهم فخدَّد لهم الاخاديد وأعرضهم على اليهودية (٢. فامتنعوا من ذلك. فحرقهم بالنار وحرق الانجيل وهدم بِيعتهم. ثم انصرف الى اليمن.

---

١) استبروُها اي نفضوها ونظروا الى جميع ما فيها حتى يعرفوها

٢) اعرضهم على اليهودية اي عرض اليهودية عليهم كما تقول عرض البعير على الحوض

وأفلتَ منهُ رجل يقال لهُ دوس ثعلبان على فرس فركضهُ حتى اعجزهم في الرمل . ومضى دوس الى قيصر (١ ملك الروم يستغيثه ويخبره بما صنع ذو نواس بنجران ومَن قتل من النصارى وانهُ خرَّب كنائسهم وبقر النساءَ وهدم الكنائس فما فيها ناقوس يُضرَب بهِ . فقال لهُ قيصر : بعُدتْ بلادي عن بلادكم ولكن أبعثُ الى قوم من اهل ديني اهل مملكتي قريب منكم فلينصرونكم . قال دوس ثعلبان : فذاك اذًا . قال قيصر : ان هذا الذي اصنعه بكم أذلُّ للعرب أن يطأها سودان ليس ألوانهم على الوانهم ولا ألسنتهم على السنتهم . فقال : الملكُ أنظرُ لاهل دينه انما هم خَوَلهُ . فكتب الى ملك الحبشة ان : أنصرْ هذا الرجل الذي جاءَ يستنصرني وأغضبْ للنصرانية فأوطئْ بلادَهم الحبشةَ . فخرج دوس ثعلبان بكتاب قيصر الى ملك الحبشة . فلما قرأ كتابهُ امر ارياط وكان عظيماً من عظمائهم ان يخرجَ معهُ فينصرَهُ . فخرج ارياط في سبعين الفاً من الحبشة وقوَّد على جنده قوَّادًا من رؤسائهم وأقبلَ بفيَلهِ . وكان معهُ أبرَهَة بن الصبَّاح . وكان في عهد ملك الحبشة الى ارياط : اذا دخلتَ اليمن فأقتلْ ثلث رجالها وخرِّب ثلث بلادها وابعث اليَّ بثلث نسائها

فخرج ارياط في الجنود فحملهم في السفن في البحر وعبر بهم حتى ورد اليمن وقد قدم مقدمات الحبشة فرأى اهل اليمن جندًا كثيرًا . فلما تلاحقوا اقام ارياط في جنده خطيباً فقال : يا معشر الحبشة قد علمتم

---

١) وقيصر هذا هو يوستينوس الاول . وفي دوس يضرب المثل في الشؤم فيقال : لا كدوس ولا كاعلاق رحله

انكم لن ترجعوا الى بلادكم ابدًا . هذا البحر بين ايديكم ان دخلتموهُ غرقتم وان سلكتم البَرّ هلكتم واتخذتكم العربُ عبيدًا . وليس لكم الّا الصبر حتى تموتوا أو تَقتلوا عدوّكم . فجمع ذو نواس جمعاً ثم سار اليهم . فاقتتلوا قتالًا شديدًا . فكانت الدولة للحبشة . فظفِر ارياط وقتل اصحاب ذي نواس وانهزموا في كل وجه . فلما تخوَّف ذو نواس أن سيؤسر ركَضَ فرسَهُ واستعرض بهِ البحر (١ وقال : الموت بالبحر احسن من إسارِ أسودَ . ثم اقحم فرسهُ لجةَ البحر فمضى بهِ فرسهُ وكان آخر العهد بهِ . ثم خرج اليهم ذو جَدَن (٢ الهمداني في قومه فناوشهم وتفرقت عنه همدان . فلما تخوَّف على نفسه قال : ما الامر الّا ما صنع ذو نواس فأقحم فرسه فكان آخر العهد به

ودخل ارياط اليمن فقتل ثلثاً وبعث ثلث السبي الى ملك الحبشة وخرب ثلثاً وملك اليمن وقتل اهلها وهدم حُصونها . وكان مما خرب من حصونهم سلحين وبينون وغُمْدان (٣ حصوناً لم يُرَ مِثلُها . فقال

---

١) استعرض به البحر اي اتى به ناحية البحر

٢) واسمهُ علس ولُقّب ذا جدن لحسن صوته . والجدن الصوت بلغة حِمْيَر . ويقال انه اوّل من تغنّى باليمن ٣) بينون اسم حصن عظيم كان باليمَن قرب صنعاء وهو من بناء بعض التبابعة ولهُ ذكر في اخبار حمير واشعارهم . قال ذو جدَن الحميري :

يا بنت قَيْلِ مَعافِرٍ لا تسخري ثم اعذريني بعد ذلك او ذَري
اَوَلا ترينَ وكل شيءٍ هالكٌ بينونُ هالكةً كأن لم تُعمَرِ
اَوَلا ترين وكل شيءٍ هالكٌ سلحينَ مُديرةً كظُهرِ الادبرِ
اَوَلا ترين ملوك ناعِطَ اصبحوا تُسفي عليهم كلَّ ريح صرصرِ
اَوَما سمعتِ بحميرٍ وبيوتهم اَمست معطَّلةً مساكنُ حميرِ

الحميري وهو يذكر ما دخل على حمير من الذلّ

هَوْنَكَ اين تردّ العينُ ما فاتا لا تهلكنْ اسفاً في اثر مَن ماتا
ابعدَ بينونَ لا عينٌ ولا اثرٌ وبعد سلحين يبني الناسُ ابياتا

(قال) فلما ظفر ارياط اخذ الاموال واظهر العطاء في اهل الشرف. فغضبت الحبشة حين اعطى اشرافهم وترك اهل الفقر منهم واستذلّهم وأجاعهم وأعراهم واتعبهم في العمل وكلّفهم ما لا يُطيقون. فجزع من ذلك الفقراء وشكا ذلك بعضهم الى بعض وقالوا : ما نرانا الّا اذلّة اشقياء اينما كنّا . ان كان قتال قُدّمنا في نحور العدوّ . وان كان

فابكيهم او ما بكيت لمعشرٍ لله درُّكِ حِمْيَرًا من معشرِ

امّا غمدان فانّه حصن بين صنعاء وطيوَة بناه لِيَشْرَح بن يحصب على اربعة اوجه وجه ابيض ووجه احمر ووجه اصفر ووجه اخضر وبنى في داخله قصرًا على سبعة سقوف بين كل سقفين منها اربعون ذراعًا . وكان ظلهُ اذا طلعت الشمس يرى على عيثان وبينهما ثلاثة اميال . وجعل في اعلاه مجلساً بناه بالرخام الملوّن . وجعل سقفه رخامة واحدة . وصير على كل ركن من اركانه تمثال اسد من شبه كاعظم ما يكون من الأُسد . فكانت الريح اذا هبت الى ناحية تمثال من تلك التماثيل دخلتْ من مؤخره وخرجت من فيهِ فيُسمع لهُ زئير كزئير السباع . وكان يأمر بالمصابيح فتُسرَج في ذلك البيت ليلًا فكان سائر القصر يلمع من ظاهره كما يلمع البرق فاذا اشرف على الانسان من بعض الطرق ظنهُ برقًا او مطرًا ولا يعلم ان ذلك ضوْ المصابيح . وفيهِ يقول ذو جدَن الهمداني :

وهذا المال ينفد كل يوم لنزل الضيف او صلة الحقوقِ
وغمدانُ الذي حُدّثتِ عنهُ بناهُ مشيدًا في رأس نيقِ
بمرمرةٍ واعلاه رخامٌ تحامٌ لا يغيَّب بالشقوقِ
مصابيح السليط يُلحْنَ فيهِ اذا يُمسي كتوماض البروقِ
فاضحى بعد جدّتهِ رمادًا وغيّر حسنهُ لعب الحريقِ

قَتل قُتلنا . وان كان عَملٌ فعلينا . والبلايا علينا . والعطايا لغيرنا مع ما يُقصِينا ويجفونا . فقال لهم عند ذلك رجل من الحبشة يقال لهُ ابرهة من قواد ارياط : لو انَّ رجلًا غضب لغضبكم اذًا لأَسلمتموه حتى يُذبح كما تذبح الشاة . قالوا : لا والمسيح ما كنا نُسلِمه ابدًا . فواثقوهُ بالانجيل لا يُسلموه حتى يموتوا عن آخرهم . فنادى مناديهِ فيهم فاجتمعوا اليهِ . فبلغ ذلك ارياط ابا اصحم ان ابرهة جمع لك الجموع ودعا الناس الى قتالك قال : أَوَقَدْ فعل ذلك ابرهة وهو ممَّن لا بيتَ لهُ في الحبشة . وغضِب ارياط غضباً شديدًا وقال : هو ادنى من ذلك نفساً وبيتاً هذا باطل . قالوا : فأَرسلْ اليه فان اتاك فهو باطل وان لم يأتك فاعلم انهُ كما يقال . فارسل اليهِ : اجبِ الملك ارياط . فجثا ابرهة على ركبتيهِ وخرَّ لوجهه واخذ عودًا من الارض فجعلهُ في فيهِ وقال للرسول : اذهب الى الملك فأَخبره بما رأيت مني . انا أَخلَعُه انا اشدُّ تعظيماً لهُ من ذلك . وانا آتيه على اربع قوائم بحساب البهيمة . فرجع الرسول الى الملك فأَخبره بالخبر . فقال : أَلم أَقل لكم . قالوا : الملك اعقل واعلم منَّا

فلما ولَّى الرسول من عند ابرهة وتوارى عنهُ صاح ابرهة في الفقراء من الحبشة فاجتمعوا اليهِ معهم السلاح والآلة التي كانوا يعملون بها ويهدمون بها مدن اليمن المَعاوِل والكرازين (١ والمساحي . ثم صفُّوا صفًّا وصفّوا خلفه آخر بازائهِ . فلما ابطأَ ابرهة على الملك وهو يرى انهُ يأتيهِ على اربع قوائم كما قال وأَتى ارياط فاخبره بما صنع ابرهة فركب في الملوك ومن تبعه من اتباعهم فلبسوا السلاح وجاءوا بالفيلة وكان معهُ

---

١) الكرازين الفؤوس

سبعة فيلة . حتى اذا دنا بعضهم من بعض برز ابرهة بين الصفين فنادى بأعلى صوته : يا معشر الحبشة الله ربُّنا والانجيل كتابنا والنجاشي ملكنا . علامَ يَقتُل بعضُنا بعضاً في مذهب النصرانية . هذا رجل وانا رجل فخلُّوا بيني وبينهُ فان قتلني عاد الملك الى ما كان عليهِ من أَثرة(١ الاغنياء وهلاك الفقراء . وان قتلتهُ سلمتم وعملت فيكم بالانصاف بينكم ما بقيتُ . فقال الملوك لارياط : قد اخبرناك انهُ صنع ما قد ترى وقد أبنت أحسن الرأي فيهِ وقد أنصفك . وكان ارياط قد عُرف بالشجاعة والنجدة وكان جميلًا . وكان ابرهة قصيرًا ذميماً قبيحاً منكر الجُمَّة . فاستحيا ارياط من الملوك ان يجبن فبرز بين الصفين ومشى احدهما الى صاحبه . وحمل عليهِ ارياط فضرب ابرهة ضربةً وقع منها حاجباه وعامَّة انفه ووقع بين رجلي ارياط . فعمد ابرهة الى عمامته فشدَّ بها وجههُ فسكن الدم والتأم الجرح واخذ عودًا وجعلهُ في فيهِ وقال : ايها الملك انما انا شاة فاصنع ما اردت فقد ابصرت امري . ففرح ارياط بما صنع . وكان ابرهة قد سمَّ خنجرًا وجعلهُ في بطن فخذهِ كانهُ خافية نسر (٢ . فلما رأى ابرهة ان ارياط قد افلت عنهُ وهو ينظر يميناً وشمالًا لئلَّا تراهُ ملوك الحبشة استلَّ خنجره فطعنهُ طعنة في فرج درْعه اثبتهُ وخرَّ ارياط على قفاه وقعد ابرهة على صدره فأجهز عليهِ . فسُمي ابرهة الاشرم بتلك الضربة التي شرمت وجهه وانفه

فملك ابرهة عشرين سنة . ثم ملك بعد ابرهة ابنه يكسوم . ثم

---

١) اثرة الاعنياء تفضيلهم ٢) خافية واحدة الخوافي وهي الريش الصغار التي في جناح الطائر بعد القوادم والمعنى خنجر صغير

اخوه مسروق بن ابرهة وامهُ ريحانة امرأة ذي يزَن امُّ سيف بن ذي يزَن الحميريّ . فكلّموهُ في الخروج وقالوا: انّا نجد في هاروت عن خبر لسطيح انهُ يوشك ان هذا البلاء يُفرَج بيد رجل من اهل بيتك ابن ذي يزن وقد رجونا أن نُدرِك بثأرنا . فأنعمَ لهم . فخرج الى قيصر (١ ملك الروم فكلمهُ ان ينصره على الحبشة . فأبى وقال : الحبشة على ديني ودين اهل مملكتي وانتم على دين يهود . فخرج من عنده يائساً . فخرج عامدًا الى كسرى (٢ فانتهى الى النعمان بن المنذر بالحيرة فدخل عليهِ فأخبره بما لقي قومه من الحبشة . فقال : أقم فان لي على الملك كسرى إذناً في كل سنة وقد حان ذلك . فلما خرج أخرج معهُ سيف ابن ذي يزن فادخلهُ على كسرى فقال : غُلبنا على بلادنا وغلب الاحابيش علينا وانا اقرب اليك منهم لاني ابيض وانت ابيض وهم سُودان . فقال بلادك بلاد بعيدة ولا ابعث معك جيشاً في غير منفعة ولا أَمِنَ اخافُهُ على مُلكي . فلما أيأسهُ من النصر أمر لهُ بعشرة آلاف درهم وافٍ . وكساه كُسىً . فلما خرج بها من باب كسرى نثرها بين الصبيان والعبيد . فرأى ذلك اصحاب كسرى فقالوا ذلك لهُ . فارسل اليهِ : لِمَ صنعت بجائزة الملك تَنثُرها للصبيان والناس . فقال سيف : وما اعطاني الملك . جبال ارضي ذهب وفضة . جئت الى الملك ليمنعني من الظلم ولم آتهِ ليعطيني الدراهم . ولو اردت الدراهم كان ذلك في بلدي كثيرًا . فقال كسرى : أَنظرُ في امرك . فخرج سيف على طمع واقام عندهُ فجعل سيف كلما ركب كسرى عرض لهُ . فجمع لهُ كسرى

---

١) قيصر هذا هو يستنيانوس. او يستينوس الثاني ٢) كسرى انو شروان

مرازبته (١ وقال : ما ترون في هذا العربي وقد رأيتهُ رجلًا جَلْدًا (٢ . فقال قائل منهم . انَّ في السجون قوماً قد سجنهم الملك في مَوْجدة عليهم (٣ فلو بعثهم الملك معهُ فان قُتلوا استراح منهم وان ظَفِروا بما يريد هذا العربي فهو زيادة في ملك الملك . فقال كسرى : هذا الرأي . وأمر بهم كسرى فأُحضروا . فوجد ثمانمائة رجل . فولّى امرهم رجلًا معهم يقال لهُ وَهرز وكان رامياً شجاعاً مع مكانه في الفرس . وجهزهم واعطاهم سلاحاً وحملهم في البحر في ثماني سفن . فغرقت سفينتان وبقي من بقي وهم ستمائة رجل . فأرسوا الى ساحل عدن . فلما ارسوا قال وهرز لسيف : ما عندك فقد جئنا بِلادَك . فقال : ما شئتَ من رجل عربي وقوس عربي ثم اجعل رجلي مع رجلك حتى نموت جميعاً او نظفر جميعاً . قال وهرز : أنصفت . فاستجلب سيف مَن استطاع من اليمن ثم رجعوا الى مسروق بن ابرهة وقد سمع بهم مسروق وبتعبيتهم . فجمع اليهِ جنده من الحبشة وسار اليهم والتقى العسكران وجعلت امداد اليمن تشوب (٤ الى سيف . وبعث وهرز ابناً لهُ كان معهُ على جريدة خيل (٥ فقال : ناوشوهم القتال حتى ننظر قتالهم . فناوشهم ابنهُ وناوشوه شيئاً من قتال . ثم تورَّط ابنهُ في هلكة لم يستطع التخلص منها . فاشتملوا عليهِ فقتلوه . فازداد وهرز عليهم حنقاً وسيءَ (٦ العربُ وفرحت الحبشة فاظهروا الصليب . فوتر وهرز قوسهُ وكان لا يقدر ان

---

١) مرازبة جمع مرزبان وهو الرئيس عند الفُرس ٢) جلد قويّ
٣) وجد عليه غضب ٤) تشوب ترجع وتجتمع
٥) اي جماعة خيل ٦) سيء العرب اي حزنوا

يوترها غيره . وقال وهرز والناس في صفوفهم : انظروا اين ترون ملكهم . قال سيف : ارى رجلًا قاعدًا على فيل تاجهُ على راسه . بين عينيه ياقوتة حمراء . قال : ذلك ملكهم . قال وهرز : قد تحوَّل على فرس . قال : هذا منهُ اختلاط (١ . ثم وقف طويلًا وقال : انظروا هل تحوَّل . قالوا : قد تحوَّل على بغلة . فقال : ابنة الحمار . ذلَّ الاسود وذلَّ ملكه . ثم قال لاصحابه : قتلتهُ في هذه الرمية تأملوا النشابة . واخذ النشابة وجعل فُوقَها (٢ في الوتر ثم نزع فيها حتى ملأها وكان ايّدًا ثم ارسلها . فصكَّت الياقوتة التي بين عيني ملكهم مسروق فتغلغلت النشابة في راسه حتى خرجت من قفاه . وحملت عليهم الفرس فانهزمت الحبشة في كل وجه . وجعلت حِمير تقتل مَن ادركوا منهم وتُجهِز على جريحهم (٣ . واقبل وهرز يريد ان يدخل صنعاء . وكان موضعهم الذي التقوا فيهِ خارج صنعاء . وكانت صنعاء مدينة لها باب صغير يُدخَل منهُ . فلما دنا وهرز من باب المدينة رآهُ صغيرًا فقال : لا تدخل رايتي منكسة اهدموا الباب . فهُدم باب صنعاء ودخل ناصباً رايتهُ وسِيرَ بها بين يديه . فقال سيف بن ذي يزن : ذهب ملك حمير آخر الدهر لا يرجع اليهم ابدًا . فملك وهرز اليمن وقهر الحبشة وكتب الى كسرى يخبره : اني قد ملكت للملك اليمن وهي ارض العرب القديمة التي تكون فيها ملوكهم . وبعث بجوهر وعنبر ومال وعود وزَبَاد وهو جلود لها رائحة طيبة . فكتب كسرى يأمره ان يملّك سيفاً ويَقدَم وهرز الى كسرى .

---

١) اختلاط حمق وجنون ٢) الفوق مشقّ راس السهم حيث يقع الوتر ٣) اجهز على الجريح اتمَّ قتلهُ

فخلّف على اليمن سيفاً . فلما خلا سيف باليمن وملكها عدا على الحبشة فجعل يقتل رجالها ويبقر نساءها عمًّا في بطونها حتى افناها الّا بقايا منها اهل ذِلّة وقِلّة فاتخذهم خوَلًا واتخذ منهم جمّازين (١ بجرابهم بين يديه . فمكث كذلك غير كثير . وركب يوماً وتلك الحبشة معهُ ومعهم حرابهم يسعون بها بين يديه حتى اذا كان وسطاً منهم مالوا عليهِ بحرابهم فطعنوهُ بها حتى قتلوه

وكان سيف قد آلى الّا يشرب الخمر حتى يُدرِك ثارهُ من الحبشة . فجُعلت لهُ حُلّتانِ واسعتانِ فائتزر بواحدة وارتدى الاخرى وجلس على رأس غُمدان يشرب وبرّت يمينُه . وخرج بعد ذلك يتصيد فقتلتهُ الحبشة . وكان ملك ارياط عشرين سنة . وقال أُمية بن ابي الصلت الثقفيّ يمدح ابن ذي يزن :

لا يطلب الثأر الّا كابنِ ذي يزَنِ في البحر خيَّم للاعداء أحوالا
أتى هرقلَ وقد شالت نعامتــهُ فلم يجد عندهُ النعرَ الذي سالا
ثم انتهى نحو كسرى بعد عاشرةٍ من السنين يُهينُ النفسَ والمــالا
حتى اتى ببني الاحرار (٢ يُقدِمهم تخالهم فوق متن الارض أجبالا
لله درُهم من فِتيــةٍ صبروا ما ان رأيتُ لهم في الناس أمثالا

---

١) الجمّاز الذي يعدو عدوًا شديدًا ٢) بنو الاحرار الذين عناهم امية في شعره هم الفُرس الذين قدموا مع سيف بن ذي يزن وهم الى الآن يسمّون بني الاحرار بصنعاء ويسمون باليمن الابناء وبالكوفة الاحامرة وبالبصرة الاساورة وبالجزيرة الحضارمة وبالشام الجراجمة (للاصبهاني)

بيضٌ مَرازِبةٌ غُلبٌ اساورةٌ (١ أُسدٌ تُرَبّبُ في الغيضات أشبالا
فالقطْ من المسك اذ شالت نعامتهم وأسبلِ اليومَ في بُردَيكَ إسبالا
واشرب هنيئاً عليك التاجُ مرتفعاً في رأس غُمْدانَ دارًا منك مِحلالا
تلك المكارمُ لا قَعْبانِ (٢ من لبنٍ شِيبا بماء فعادا بعدُ أبوالا

خبر جَذيمة الابرش (*

ذكر ابن الكلبي عن ابيهِ والشرقي وغيره من الرواة انَّ جذيمة الابرش (واصله من الازد وكان اوَّل من ملك قضاعة بالحِيرة واوَّل من حذا النِعال وادلج (٣ من الملوك وصنع لهُ الشمع) قال يوماً لجلسائهِ : قد ذُكر لي عن غلام من لخم مقيم في أخواله من إياد له ظَرْف ولبّ فلو بعثت اليهِ يكون في ندمائي ووليتهُ كأسي والقيام بمجلسي كان الرأي. فقالوا: الرأي ما رأى الملك فليبعث اليهِ. ففعل. فلما قدم فعل بهِ ما اراد لهُ. فمكث كذلك مدة طويلة. ثم اشرفت عليه يوماً رَقاشِ اخت جذيمة

---

١) غُلبٌ غلاظ الرقاب اساورة جمع اسوار وهو القائد عند الفرس

٢) القعب القَدح الضخم *) وانما قيل لهُ الابرش والوضاح لبرص كان بهِ. وكان يعظم ان يسمّى بذلك فجعل مكانهُ الابرش والوضاح. وكان جذيمة الملك شاعرًا وهو الذي يقول :

والملك كان لذي برا ش حولهُ يزري بجابرْ
بالسابغات وبالقنا والبيض تبرق والمغافرْ
أزمانَ لا ملك يجبـ ـر م ولا ذمام لمن يجاورْ
أودى بهم غِيَر الزما ن فمُنجدٌ منهم وغائرْ

٣) ادلج وادَّلج سار الليل

الملك فقالت لهُ : يا عدي اذا سقيت القوم فامزج لهم واسقِ الملك صِرفاً . فاذا اخذَت منهُ الخمر فاخطبني اليهِ فانهُ يزوّجك وأشهِد القومَ عليهِ ان هو فعل . ففعل الغلام ذلك فخطبها فزوّجهُ . وانصرف الغلام بالخبر اليها . فقالت : عرّس باهلك . ففعل . فلما اصبح غدا مضرَّجاً بالخلوق . فقال لهُ جذيمة : ما هذه الآثار يا عدي . قال : آثار العرس . قال : ايّ عرس . قال : عرس رقاش . (قال) فنخر واكبَّ على الارض . ورفع عدي جراميزه (١ . فأسرع جذيمة في طلبه فلم يجده وقيل انهُ قتلهُ . فنقل جذيمة اختهُ اليهِ وحصنها في قصره فولدت غلاماً وسمّتهُ عمرًا وربّتهُ فلما ترعرع حلّتهُ وعطرتهُ والبستهُ كسوة مثله ثم أرتهُ خاله . فأعجب بهِ وألقيت عليهِ منهُ محبة ومودّة . حتى اذا وصف(٢ خرج الغلمان يجتنون الكمأة في سنة قد اكمأت وخرج معهم وقد خرج جذيمة فبُسط لهُ في روضة . فكان الغِلمان اذا اصابوا الكمأة الطيبة اكلوها . واذا اصابها عمرو خبأها . ثم اقبلوا يتعادَون وهو معهم يقدُمهم ويقول :

هذا جناي وخيارُه فيهْ اذ كلُّ جانٍ يدهُ الى فيهْ

فالتزمهُ جذيمة وحَباه وقَرُب من قلبه وحلّ منهُ بكل مكان . ثم ان الجنّ استطارته . فلم يزل جذيمة يرسل في الآفاق في طلبه فلم يسمع لهُ بخبر فكفّ عنهُ . ثم اقبل رجلان يقال لاحدهما عقيل والآخر مالك ابنا فالج وهما يريدان الملك بهديّة . فنزلا على ماء ومعهما قينة يقال لها امّ عمرو فنصبت قِدرًا واصلحت طعاماً . فبينما هما يأكلان اذ اقبل رجل اشعث(٣

---

١) الجراميز القوائم اي اسرع في الهرب ٢) وصف اي تمّ قدّه . وفي الاصل « وصب » ٣) اشعث متلبّد الشعر

أغبر قد طالت اظفاره وساءت حاله حتى جلس مَزجَر الكلبِ (١. فمدَّ يدهُ فناولتهُ شيئاً فأكلهُ . ثم مدَّ يده . فقالت : ان يُعطَ العبدُ كُراعاً يتَّسع ذِراعاً (٢ فارسلتها مثلًا. ثم ناولت صاحبيها من شرابها وأوكأت دنَّها . فقال عمرو بن عديّ :

صددتِ الكأس عنَّا امَّ عمرٍو وكان الكأس مجراها اليمينا
وما شرّ الثلاثة امّ عمرٍو بصاحبك الذي لا تصحبينا

فقال الرجلان : ومن انتَ . فقال :

ان تنكراني لن تنكرا نسبي اني انا عمرو وعديّ ابي

فقاما اليهِ فلثماه وغسلا رأسهُ وقلَّما اظفاره وقصَّرا من لمَّته والبساه من طرائف ثيابهما وقالا : ما كنا لنُهدي الى الملك هديَّة انفس عنده ولا هو عليها أحسن صنعاً من ابن اخته فقد ردَّه الله عزّ وجلّ اليهِ . فخرجا حتى اذا رُفعا الى باب الملك بشراه بهِ . فصرفه الى امّه فالبستهُ ثياباً من ثياب الملوك وجعلت في عنقه طوقاً كانت تُلبسهُ اياه وهو صغير وامرتهُ بالدخول على خاله . فلما رآه قال : شبَّ عمرو عن الطوق . فارسلها مثلًا . وقال للرجلين اللذين قدما بهِ : احكما فلكما حكمكما . قالا : منادمتك ما بقيت وبقينا . قال : ذلك لكما فهما نديما جذيمة اللذان ذكرهما مُتَمِّم ابن نُوَيْرَة وضربت بهما الشعراء المثل . قال ابو خِراش الهُذَليّ :

أَلم تعلمي ان قد تفرَّق قبلنا خليلا صفاء مالكٌ وعقيلُ

(قال ابن حبيب في خبره) وكان جذيمة من افضل الملوك رأياً وابعدهم مغاراً واشدهم نكاية وهو اوَّل من استجمع لهُ الملك بارض العراق .

---

١) اي جلس متنحّياً ٢) اي يُعطى القليل فيطمع في الكثير

وكانت منازلهُ ما بين الأنبار وبقّة وهِيت وعين التمر واطراف البرّ والقُطقُطانيّة والحيرة . فقصد في جموعه عمرو بن الظرب بن حيّان بن اذينة بن السميدع بن هويز العامليّ من عاملة العمالين . فجمع عمرو جموعهُ ولقيهُ . فقتلهُ جذيمة وفضّ جموعهُ وانفلُّوا وملكوا عليهم ابنتهُ الزبّاء وكانت من احزم الناس . فخافت ان تغزوها ملوك العرب فاتخذت لنفسها نفقاً في حصن كان لها على شاطئ الفرات وسكنت الفرات في وقت قلّة الماء وبنت أزَجاً (١ من الآجرّ والكلس متصلًا بذلك النفق وجعلت نفقاً آخر في البرية متصلًا بمدينة لاختها ثم اجرت الماء عليهِ . فكانت اذا خافت عدوًّا دخلت النفق . فلما اجتمع لها امرها واستحكم ملكها أجمعت على غزو جذيمة ثائرة بابيها . فقالت لها اختها وكانت ذات رأي وحزم : انكِ ان غزوتِ جذيمة فانهُ امروٌ لهُ ما يصدُّه فان ظفرتِ اصبتِ ثأركِ وان ظفر بكِ فلا بقية لكِ . والحرب سِجال (٢ ولا تدرين كيف تكونين أنكِ ام عليكِ . ولكن ابعثي اليهِ فأعلميهِ انكِ قد رغبتِ في ان تتزوجيهِ وتجمعي ملككِ الى ملكه وسليهِ ان يجيبك لذلك فانهُ ان اغترَّ ففعل ظفرتِ بهِ بلا مخاطرة . فكتبت الزباء في ذلك الى جذيمة تقول لهُ انها قد رغبت في صلة بلدها ببلده وانها في ضعف من سلطانها وقلة ضبط لمملكتها وانها لم تجد كفوًّا غيره وتسألهُ الاقبال عليها وجمع ملكها الى ملكه . فلمّا وصل ذلك اليهِ استخفهُ وطمع فيهِ . فشاور أصحابه . فكلٌّ صوّب رأيهُ في قصدها وإجابتها الّا قصير بن سعد بن عمرو بن جذيمة بن قيس بن هلال بن غارة بن لخم فقال : هذا

---

١) الأزج البيت المبني طولًا ٢) اي تارةً لك وتارةً عليك

رأي فاتر . وغدر حاضر . فان كانت صادقة فلتُقبل اليك والّا فلا تمكّنها من نفسك فتقع في حبالها وقد وترتَها في أبيها . فلم يوافق جذيمة ما قال وقابل لهُ : أنت امرؤ ورأيك في الكِنّ لا في الضِحّ (١ . ورحل . فقال لهُ قصير في طريقه : انصرف ودمك في وجهك . فقال جذيمة : ببقّة (٢ تُقضي الامرُ . فأرسلها مثلًا . ومضى حتى اذا شارف مدينتها قال لقصير : ما الرأي . قال : ببقة تركتَ الرأي . قال : فما ظنك بالزباء . قال : القول رداف . والحزم عثراته تخاف

واستقبله رسلها بالهدايا والالطاف فقال : يا قصير كيف ترى . قال : خطر يسير . في خطب كبير . وستلقاك الخيول فان سارت امامك فالمرأة صادقة . وان أخذت في جنبيك وأحاطت بك فالقوم غادرون . فلقيته الخيول فأحاطت بهِ . فقال لهُ قصير : اركب العصا فانها لا تُدرَك ولا تسبق (يعني فرساً لهُ كانت تُجنَب) قبل ان يحولوا بينك وبين جنودك . فلم يفعل . فجال قصير في ظهرها فمرَّت بهِ تعدو في أوَّل أصحاب جذيمة . ولما أُحيط بجذيمة التفت فرأى قصيرًا على فرسه العصا في اول القوم فقال : الحازم ما يُجري العصا في اول القوم . فذكر ابو عبيدة والاصمعي انها لم تكن تقف حتى جرت ثلاثين ميلًا ثم وقفت هناك فبني على ذلك الموضع برج يسمَّى العصا . وأخذ جذيمة فأُدخل على الزباء . فاستقبلتهُ . ثم قالت لجواريها : خذنَ بعضد سيدكنَّ . فقعلنَ . ثم دعت بنِطع (٣ فاجلسنهُ عليهِ

---

١) الضحّ ما وقعت عليه الشمس اي البارز من الارض ٢) بقّة موضع قريب من الحيرة وقيل حصن كان ينزله جذيمة الابرش ملك الحيرة

٣) النطع بساط من جلد يُفرش تحت من يُحكم عليهِ بقطع الراس

وأمرت برواهشه (١ فقُطعت في طست من ذهب يسيل دمهُ فيهِ وقالت لهُ : يا جذيم لا يضيعنَّ من دمك شيء فاني أُريده للخَبل (٢ . فقال لها : وما يحزنكِ من دم اضاعهُ اهله . وانما كان بعض الكُهّان قال لها : ان نَقَط من دمه شيءٌ في غير الطست أدرك بثأرهِ . فلم يزل دمه يجري في الطست حتى ضعُف . فتحرَّك فسقطت من دمه نقطة على أُسطوانة رخام فمات . (قال) وجمعت دمه في بَرْنية وجعلتهُ في خزانتها . ومضى قصير الى عمرو بن عبد الجنّ التنوخي فقال لهُ : اطلب بدم ابن عمك والَّا سبَّتك بهِ العرب . فلم يحفِل بذلك . فخرج قصير الى عمرو بن عدي ابن اخت جذيمة فقال : هل لكَ في ان أصرف الجنود اليك على ان تطلب بثأر خالك . فجعل ذلك لهُ . فأتى القادة والاعلام فقال لهم : انتم القادة والرؤساء وعندنا الاموال والكنوز . فانصرفَ اليهِ منهم بشرٌ كثير . فالتقى بعمرو التنوخي فلمَّا صافوا (٣ القتال تابعه التنوخي ومالك ابن عمرو بن عدي . فقال لهُ قصير : انظر ما وعدتني في الزبَّاء . فقال : وكيف وهي امنع من عُقاب الجوّ . فقال : اما اذ أبيت فاني جادع انفي وأُذني ومحتالٌ لقتلها فأعني وخَلاك ذمٌّ . فقال لهُ عمرو : وأنت أبصر .

---

١) الراهشان عرقان في باطن الذراعين . وعليهِ قول عمرو بن عديّ اللخميّ حين قتلت الزباء الغسانية ملكة الجزيرة خاله جذيمة الابرش :

وحكَّمتِ الحديد براهشيه فألفى قولها كذباً ومَينا

والرواهش ايضاً عروق ظواهر الكفّ ٢) الخبل الجنون . والعرب تتحدث ان في دماء الملوك شفاء من الخَبل . قال المتلمس :

من الدارميين الذين دماؤهم شفاء من الداء المَجَنَّة والخبلِ

٣) ويروى خافوا

فجدع قصير انفه . ثم انطلق حتى دخل على الزباء . فقالت . مَن انت . قال : انا قصير . لا وربِّ البشر ما كان على ظهر الارض احد انصح لخدمته مني ولا اغشَّ لكِ حتى جدع عمرو بن عدي انفي واذني فعرفت اني لن اكون مع احد اثقل عليهِ منكِ . فقالت : أيْ قصير نقبل ذلك منك ونصرفك في بِضاعتنا . واعطتهُ مالًا للتجارة . فأتى بيت مال الحِيرة فأخذ منهُ بأمر عدي ما ظنَّ انهُ يُرضيها وانصرف اليها بهِ . فلما رأت ما جاءَ بهِ فرحت وزادته . ولم يزل حتى أنست بهِ . فقال لها : انهُ ليس من ملك ولا مملكة الَّا وقد ينبغي لهُ ان يتخذ نفقاً يهرب اليهِ عند حدوث حادثة يخافها . فقالت : أما إني قد فعلت واتخذت نفقاً تحت سريري هذا يخرج الى نفق تحت سرير اختي . وأرتهُ اياه . فاظهر لها سروراً بذلك . وخرج في تجارته كما كان يفعل . وعرف عمرو بن عدي ما فعلهُ فركب عمرو في ألفي دارع على الف بعير في الجُوالق (١ حتى اذا صاروا اليها تقدم قصير يسبق الابل ودخل على الزَّباء فقال لها : إصعدي في حائط مدينتكِ فانظري الى مالكِ وتقدَّمي الى بوابكِ فلا يعرض اشيءٌ من اعكامنا (٢ فاني قد جئت بمال صامت (٣ . وقد كانت أمِنتهُ فلم تكن تُتهمه ولا تخافه . فصعِدت كما أمرها . فلما نظرت الى ثقل مشي الجمال قالت (وقيل انهُ مصنوع منسوب اليها) :

ما للجمال مشيهـا وئيدا أجندلًا (٤ يحملنَ أم حديدا

---

١) الجوالق العِدل من شعر ٢ جمع عكم وهو العِدل

٣) الصامت من المال الذهب والفضة ٤) الجندل الحجارة . ومشي وئيد اي على تُؤَدة اي بتثبُّت وتأنٍ وذلك لشدّة الوطء على الارض من ثقل الحمل

ام صَرَفاناً (١ باردًا شديدا أم الرجال جُثَّماً قُعودا

فلما دخل آخر الجمال نخس البوَّاب عِكماً من الاعكام بمنخسة معهُ . فاصابت خاصرة رجل فصرخ . فقال البواب : شرّ والله عكمتم بهِ في الجواليق . فثاروا باهل المدينة ضرباً بالسيف . فانصرفت راجعة فاستقبلها عمرو بن عدي فضربها فقتلها . وقيل : بل مصَّت خاتمها وقالت : بيدي لا بيد عمرو . وخربت المدينة وسُبيت الذراري وغنِم عمرو كل شيْ كان لها ولأَبيها واختها . وقال الشعراء في ذلك تذكر ما كان من قصير في مشورتهِ على جذيمة وفي جدعه انفَه فأكثروا . قال عدي بن زيد :

أَلا يا ايها المُثري المرجّي أَلم تسمع بخطب الاوَّلينا

دعا بالبقة الامراءَ يوماً جذيمة ينتحي عُصَباً ثُبينا (٢

فطاوع امرهم وعصى قصيرًا وكان يقول لو سُمع اليقينا (٣

وهي طويلة . وقال المتلمس يذكر جدع قصير انفه :

ومن حذر الايام ما جزَّ انفه قصير وخاض الموت بالسيف بيهسُ (٤

غزو كسرى إيادًا

حدَّث الشرقي بن القطامي قال : كان سبب غزو كسرى ايادًا ان

---

١) الصرفان النحاس والرصاص ٢) عُصَب جمع عُصْبة اي الجماعة . وثُبون وثِبون جمع ثُبة وهي العُصبة من الفرسان

٣) المعنى : كان يقول اليقين لو سُمع له . ويروى لو نفع

٤) ومنهُ المثل « لمكرٍ ما جدع قصير انفه »

بلادهم اجدبت فارتحلوا حتى نزلوا بسِنداد ونواحيها . فاقاموا بها دهرًا حتى اخصبوا وكثروا . وكانوا يعبدون صنماً يقال لهُ ذو الكعبين وعبدته بسكر بن وائل من بعدهم . فانتشروا ما بين سنداد الى كاظمة والي بارق والخورنق واستطالوا على الفرات حتى خالطوا أرض الجزيرة. ولم يزالوا يُغيرون على اهاليهم من ارض السواد ويغزون ملوك آل نَصر حتى أصابوا امرأة من اشراف العجم كانت عروساً قد هُديت الى زوجها . فولي ذلك منها سفهاؤهم واحداثهم . فسار اليهم من كان يليهم من الاعاجم . فانحـازت اياد الى العراق وجعلوا يعبّرون إبلَهم في القراقير (١ ويقطعون بها الفرات . وجعل راجزهم يقول :

بئس مناخ الحلقات (٢ الدهمِ في ساحة القرقور وسط اليمِّ

وعبروا الفرات وتبعهم الاعاجم . فقالت كاهنة من اياد تسجع لهم : ان يقتلوا منكم غلاماً سِلماً . او يأخذوا منكم شيخاً هِمًّا (٣ . تخضبوا نحورهم دماً . وتُروُوا منها سيوفاً ظماً . فخرج غلام منهم يقال لهُ ثواب ابن مِحْجَن . فلقيتهُ الاعاجم . فقتلوه واخذوا الابل . ولقيتهم اياد في آخر النهار فهزمت الاعاجم . (قال) وحدثني اهل بعض العلم ان اياداً بيَّتت (٤ ذلك الجمع حين عبروا شطّ الفرات الغربي . فلم يفلت منهم الّا القليل . وجمعوا بهِ جماجمهم واجسادهم فكانت كالتلّ العظيم وكان الى جانبهم دير فسُمي دير الجماجم (٥ . وبلغ كسرى الخبر فبعث

---

١) القرقور السفينة الطويلة ٢) الحلقات الضروع يريد بها الابل
٣) الهمّ الشيخ الفاني ٤) بيَّت العدوَّ هجم عليهِ ليلًا
٥) دير الجماجم بظاهر الكوفة على سبعة فراسخ منها على طرف البرّ

مالك بن حارثة احد بني كعب بن زهير بن جُشَم في آثارهم . ووجّه معهُ اربعة آلاف من الاساورة. فكتب اليهم لقيط (١ :

يا دار عمرة من يحتلُّهـا الجزعا ... هاجت ليَ الهمّ والاحزان والوجعا

وفيها يقول :

يا قوم لا تـأمنوا ان كنتمُ غُيُرًا ... على نسائكمُ كسرى وما جمعا
هو الخـلاء الذي تبقى مذلّتهُ ... ان طار طائرهم يوماً وان وقعـا
هو الفنـاء الذي يجتثُّ اصلهمُ ... فمن رأى مثل ذا يوماً ومن سمِعا
فقلّـدوا امركم لله درُّكمُ ... رحْبَ الذراع بأمر الحرب مضطلعا
لا مُترَفاً إن رَخاء العيش ساعدَهُ ... ولا اذا حلَّ مكروه بـهِ خشعا
لا يطعم النومَ الّا حيث يبعثـهُ ... همٌّ يكاد حشاه يقطع الضِلَعـا
مُسهَّر النوم تعنيهِ اموركمُ ... يروم منها على الاعداء مطّلعـا
ما انفكَّ يحلب هذا الدهرَ أشطرَهُ ... يكون مُتّبِعاً طورًا ومُتّبَعـا
فليس يشغلـهُ مالٌ يثمّرهُ ... عنكم ولا ولدٌ يبغي لهُ الرِفعا
حتى استمرّ على شَزْرٍ مريرتـهِ ... مستحكم السنّ لا قحماً ولا ضَرَعا(٢
كمالكِ بن سنانٍ او كصاحبـهِ ... زين القنا حين لاقى الحارثينِ معا
اذ عابهُ عائب يومـاً فقـال لهُ ... دمّث(٣لجنبك قبل الليل مضطجَعا

للسالك الى البصرة ١) هو لقيط بن بكر شاعر جاهليّ قديم مقلّ ليس يعرف لهُ شعر غير هذه القصيدة وقطَع من الشعر متفرّقة

٢) الشزر فتل الحبل والمريرة العزيمة . والمعنى استحكم امره على كذا وقويت شكيمته فيه وألفه واعتادهُ . ويروى : استمرت على شزرٍ مريرتهُ . القحم الكبير السنّ والضرع الصغير السنّ . ٣) دمّث سهّل ولَيّن

فثـاوروهُ فالفوهُ اخا علل (١ في الحرب لا عاجزاً نكساً ولا وَرَعا
عَبْلَ الذراع ابيًّا ذا مزابنـة (٢ في الحرب يختتل الرئبال والسَّبُعا
مستنجداً يتحدَّى (٣ الناسَ كلَّهمُ لو صارعوهُ جميعاً في الورى صرعا
هذا كتابي اليكم والنذير لكم لمن رأى الرأي بالابرام قد نصعا (٤
وقد بذلت لكم نصحي بلا دَخل فاستيقظوا ان خير العلم ما نفعـا

وجعل عنوان الكتاب:

كتاب في الصحيفة من لقيطٍ الى من بالجزيرة من ايادِ
بانَّ الليث كسرى قد اتاكم فلا يحبسكمُ سَوْقُ النقادِ

(قال) وسار مالك بن حارثة التغلبي بالاعاجم حتى لقي اياداً وهم غارُّون لم يلتفتوا الى قول لقيط وتحذيره اياهم ثقةً بان كسرى لا يقدُم عليهم. فلقيهم بالجزيرة في موضع يقال لهُ مَرْج الاكم . فاقتتلوا قتالاً شديداً . فظفِر بهم وهزمهم وأثخن ما كانوا اصابوا من الاعاجم يوم الفرات . ولحقت اياد باطراف الشام ولم تتوسطها خوفاً من غسَّان يوم الحارثين ولاجتماع قضاعة وغسَّان في بلد خوفاً من ان يصيروا يداً واحدة عليهم. فأقاموا حتى أَمِنوا. ثم انهم تطرَّفوهم (٥ الى ان لحقوا بقومهم ببلد الروم بناحية انقرة. ففي ذلك يقول الشاعر:

حلُّوا بأنقِرةَ يسيل عليهـم ماء الفرات يجيءُ من اطوادِ

---

١) ثاوروه ساوروه وهيَّجوه. النكس الضعيف والورَع الجبان
٢) المزابنة المدافعة ٣) يتحدَّى يباري وينازع الغلبة
٤) نصع وضح وبان ٥) تطرَّفوهم اي لحقوا باطرافهم

مقتل كليب وحرب البسوس

كان السبب في قتل كليب بن ربيعة فيما ذكره ابو عبيدة عن مقاتل الاحول بن سنان . ونسختُ بعضهُ من رواية الكلبي . واخبرنا بهِ محمد ابن العباس اليزيدي عن عمهِ عبيد الله عن ابن حبيب عن ابن الاعرابي عن المفضل . جمعت من روايتهم ما احتيج الى ذكره مختصر اللفظ كامل المعنى

انَّ كليباً كان قد عزَّ وساد في ربيعة فبغى بغياً شديدًا . وكان هو الذي يُنزلهم منازلهم ويُرحلهم ولا ينزلون ولا يرحلون الَّا بأمره . فبلغ من عزّه وبغيه انهُ اتَّخذ جرو كلبٍ فكان اذا نزل منزلًا بهِ كلأ قذف ذلك الجرو فيه فيعوي فلا يرعى احد ذلك الكلأ الَّا باذنه . وكان يفعل هذا بحياض الماء فلا يردُها احد الا باذنه او مَن أذِن بجربٍ(١ . فضُرب بهِ المثل في العزَّة فقيل: أعزُّ من كليب وائل . وكان يحمي الصيد ويقول : صيدُ ناحية كذا وكذا في جواري . فلا يصيد احد منهُ شيئاً . وكان لا يمرّ بين يديه احد اذا جلس ولا يحتبي (٢ احد في مجلسهِ غيره . وكان لِمُرَّة بن ذُهْل بن شَيْبان بن ثعلبة عشرة بنين جسَّاس اصغرهم . وكانت اختهم امرأة كليب(٣ . وخالة جساس البسوس وهي التي يقال لها اشأم من البسوس . فجاءت فنزلت على ابن اختها جساس

---

١) اذن بجرب اعلمه به وتهدَّده به

٢) يحتبي اي يجمع ظهره وساقيه بيديه

٣) واسمها جليلة

فكانت جارة لبني مرّة ومعها ابن لها ومعها ناقة خوّارة (١ من نَعَم بني سعد ومعها فصيل . فبينا اخت جساس تغسل رأس كليب زوجها وتسرّحه ذات يوم اذ قال: مَن اعزّ وائل . فصمتت . فاعاد عليها . فلما اكثر عليها قالت : اخوايَ جساس وهمّام . فنزع رأسهُ من يدها وأخذ القوس فرمى فصيل ناقة البسوس خالة جساس وجارة بني مرّة فقتله . فأغمضوا على ما فيهِ وسكتوا على ذلك . ثم لقي ابن البسوس فقال: ما فعل فصيل ناقتكم . قال : قتلتَه واخليتَ لنا لبن امّه . فاغمضوا على هذه ايضاً . ثم انَّ كليباً أعاد على امرأتهِ فقال: مَن اعزّ وائل . فقالت: اخوايَ . فأضمرها وأسرّها في نفسه وسكت حتى مرّت بهِ ابل جساس فرأى الناقة فأنكرها فقال : ما هذه الناقة . قالوا : لخالة جساس . فقال : او قد بلغ من امر ابن السعدية ان يُجير عليّ بغير اذني . ارمِ ضرعها يا غلام . (قال فراس) فاخذ القوس فرمى ضرع الناقة فاختلط دمها بلبنها . وراحت الرعاة على جساس فاخبروهُ بالامر . فقال: احلبوا لها مكيالَي لبن بمحلبها ولا تذكروا لها من هذا شيئاً . ثم اغمضوا عليها ايضاً . (قال مقاتل) حتى اصابتهم سماء فغدا في غبّها يتمطر (٢ . وركب جساس بن مرّة وابن عمّه عمرو بن الحرث بن ذهل . فمرّت بكر بن وائل على نِهْيٍ (٣ يقال لهُ شُبَيْث . فنفاهم كليب عنهُ وقال: لا يذوقون منهُ قطرة . ثم مرّوا على نِهْيٍ آخر يقال لهُ الأحَصّ . فنفاهم عنهُ وقال: لا

---

١) خوارة غزيرة اللبن . اسم الناقة سراب . وفيها يضرب المثل فيقال اشأم من سراب

٢) يتمطّر يُسرع

٣) النهي كل موضع يجتمع فيه الماء

يذوقون منهُ قطرة . ثم مروا طلى بطن الجَرِيب . فمنعهم اياه . فمضوا حتى نزلوا الذنائب . واتبعهم كليب وحيُّه حتى نزلوا عليهِ . ثم مرّ عليهِ جسّاس وهو واقف على غدير الذنائب فقال : طردتَ اهلنا عن المياه حتى كدت تقتلهم عطشاً . فقال كليب : ما منعناهم من ماء الّا ونحن لهُ شاغلون . فمضى جسّاس ومعهُ ابن عمه المزدلف (وقال بعضهم) بل جساس ناداه فقال : هذا كفعلك بناقة خالتي . فقال لهُ : أو قد ذكرتها . أما اني لو وجدتها في غير ابل مُرَّة لاستحللتُ تلك الابل بها . فعطف عليه جساس فرسهُ فطعنهُ برمح فأنفذ حِضنَيه (١ . فلما تداءمهُ (٢ الموت قال : يا جساس اسقني من الماء . قال : ما عقلت استسقاءَك الماءَ منذ ولدتك امّك الّا ساعتك هذه (٣ . (قال ابو برزة) فعطف عليه المزدلف بن

---

١) حضناه جنباه ٢) تداءمه غشيهُ ٣) ويروى ان جساساً قال لكليب : تجاوزت شُبَيْثاً والاحصّ . وفي ذلك يقول عمرو بن الاهتم :

وانَّ كليباً كان يظلم قومهُ فادركهُ مثل الذي تريانِ
فلمّا حشاه الرمحَ كفَّ ابن عمهِ تذكّر ظلمَ الاهل ايّ أوانِ
وقال لجساسٍ أغثني بشربة والّا فخبّر من رأيتَ مكاني
فقال تجاوزتَ الاحصّ وماءهُ وبطنَ شُبيثٍ وهو غير دِنانِ

وقال النابغة الجعدي يخاطب عقالَ بن خُوَيلد وقد اجار بني وائل ابنَ مَعنٍ وكانوا قتلوا رجلاً من بني جُعدة فحذّرهم مثل حرب البسوس وحرب داحس والغبراء :

فابلغ عقالاً انَّ غاية داحس بكفّيك فاستأخر لها او تقدّمِ
تُجيرُ علينا وائلاً بدمائنا كانّك عمّاً نابَ اشياعنا عمِ
كليبٌ لَعمري كان اكثرَ ناصراً وأيسرَ جُرماً منك ضُرّج بالدمِ
رمى ضرعَ نابٍ فاستمرَّ بطعنةٍ كحاشيةِ البُرْدِ اليماني المسهَّمِ

عمرو بن ابي ربيعة فاحتزَّ رأسهُ (١ (قال ابو برزة) فلما قتلهُ أمالَ يده بالفرس حتى انتهى الى اهلهِ (قال) . وتقول اختهُ حين رأتهُ لابيها : ان ذا الجساس أتى خارجاً ركبتاه . قال : والله ما خرجت ركبتاه الَّا لامر عظيم (قال) . فلما جاء قال : ما وراءك يا بنيَّ . قال : ورائي اني قد طعنت طعنة لَتُشغَلَنَّ بها شيوخُ وائلٍ زمناً . قال : أقتلتَ كليباً . قال : نعم . قال : وددتُ أنك واخوتك كنتم متُّم قبل هذا ما بي الَّا ان تتشاءم بي ابناء وائل . (وزعم مقاتل) ان جساساً قال لاخيهِ نضلة ابن مرَّة وكان يقال لهُ عَضُد الحمار :

واني قد جنيتُ عليك حرباً ... تُغِصُّ الشيخَ بالماءِ القَراحِ
مُذكِّرةً متى ما يَصحُ عنها ... فتًى نَشِبت بآخرَ غيرِ صاحِ
تُنكِّلُ عن ذناب الغيّ قوماً ... وتدعو آخرين الى الصلاحِ

فاجابهُ نضلة :

فان تك قد جنيتَ عليَّ حرباً ... فلا وانٍ ولا رثُّ السلاحِ

وقال لجساس اعثني بشربة ... تفضَّلْ بها طولًا عليَّ وأنعِمِ
فقال تجاوزتَ الاحصَّ وماءهُ ... وبطنَ شُبَيثٍ وهو ذو مترسَّمِ

١) وأمَّا مقاتل فزعم أنَّ عمرو بن الحرث بن ذهل الذي طعنهُ فقصم صلبهُ وفيهِ يقول المهلهل :

قتيلٌ ما قتيلُ المرء عمروٍ ... وجساس بن مرَّة ذو ضرير

(قال) ومقتل كليب بالذنائب عن يسار فَلْجةَ مُصمدًا الى مكةَ وقبرهُ بالذنائب وفيهِ يقول المهلهل :

ولو نُبشَ المقابرُ عن كليبٍ ... فتخبرَ بالذنائب ايُّ زيرِ

(وزعم مقاتل) ان همّاما كان آخى مهلهلًا (١ وكان عاقدهُ ان لا يكتمهُ شيئاً . فكانا جالسين فمرّ جساس يركض بهِ فرسهُ مُخرجاً فخذيهِ . فقال همام : ان لهُ لأَمرًا واللهِ ما رأَيتهُ كاشفاً فخذيهِ قط في ركض . فلم يلبث الّا قليلًا حتى جاءته الخادم فسارّتهُ انَّ جساساً قتل كليباً . فقال لهُ مهلهل : ما اخبرتك . فقال : أخبرتني ان اخي قتل اخاك . قال : هو اقصرُ يداً من ذلك . وتحمّل القوم وغدا مهلهلٌ بالخيل

حرب البسوس

قال المفضل في خبره : فلما قُتل كليب قالت بنو تغلب بعضهم لبعض لا تعجلوا على اخوتكم حتى تعذروا بينكم وبينهم . فانطلق رهط من اشرافهم وذوي أسنانهم حتى أتوا مرّة بن ذُهل فعظموا ما بينهم وبينهُ وقالوا لهُ : اختر منّا خصالًا إمّا أن تدفع الينا جسّاساً ونقتلهُ بصاحبنا فلم يظلم من قتل قاتله . واما أن تدفع الينا همّاماً . واما ان تُقيدَنا من نفسك . فسكت وقد حضرتهُ وجوه بني بكر بن وائل فقالوا : تكلّم غيرَ مخذولٍ . فقال : اما جسّاس فغلامٌ حديث السنّ ركبَ راسهُ (٢ فهرب حين خاف فلا عِلم لي بهِ . واما همام فأَبو عشرة واخو عشرة ولو دفعتُهُ اليكم لَصيّحَ بنوه في وجهي وقالوا : دفعتَ ابانا للقتل بجريرةِ غيره . واما انا فلا اتعجل الموت وهل تزيد الخيل

---

١) اسم المهلهل عديّ بن ربيعة . وانّما قيل لهُ المهلهل لانهُ اوّل من هلهل الشعر اي ارقّهُ

٢) ركب رأسه اي مضى على وجهه هائمًا

على ان تجول جولةً فأكون اوّل قتيل . ولكن هل لكم في غير ذلك . هؤلاء بنيَّ فدونكم احدهم فاقتلوه بهِ . وان شئتم فلكم الف ناقة تضمنُها لكم بكر بن وائل . فغضبوا وقالوا : إنّا لم نأتِك لتؤدي لنا بنيك ولا لتسومَنا اللبنَ . فتفرّقوا ووقعت الحرب . وتكلم في ذلك عند الحرث بن عباد . فقال : لا ناقة لي في هذا ولا جمل . وهو أوّل من قالها وأرسلها مثلًا

(قالوا جميعاً) كانت حربهم أربعين سنة فيهنَّ خمس وقعات مزاحفات . وكانت تكون بينهم مغاورات . وكان الرجل يلقى الرجل والرجلان الرجلين ونحو هذا وكان أوّل تلك الايام يوم عُنَيْزة وهي عند فلجةَ . فتكافأوا لا لبكرٍ ولا لتغلب . وتصديق ذلك قول مهلهل :

كأنا غدوةً وبني أبينا ... بجنب عنيزة رَحيا مديرِ

ولولا الريحُ أُسمع مَن بحَجْر ... صليلَ البيضِ تُقرعُ بالذكورِ (١

فتفرّقوا . ثم غبروا زماناً . ثم التقوا يوم واردات . وكان لتغلب على بكر وقتلوا بكرًا أشدّ القتل وقتلوا بُجيرًا وذلك قول مهلهل :

فاني قد تركت بواراتٍ ... بجيرًا في دمٍ مثل العبير (٢

هتكتُ بهِ بيوتَ بني عُباد ... وبعضُ الغشم (٣ أشفى للصدور

(قال مقاتل) انهُ انما التقط توًا (٤ وسيجيء حديثهُ اسفلَ مِن هذا . (قال أبو برزة) ثم انصرفوا بعد يوم واردات غير بني ثعلبة بن عُكابة ورأسوا على انفسهم الحرث بن عُباد . فاتبعتهم بنو ثعلبة بن عكابة حتى

---

١) الذكور السيوف ٢) العبير الزعفران وقيل ضربٌ من الطيب
٣) الغشم الظلم ٤) التوّ الفرد يقال وجدته توًّا اي وحدهُ

التقوا بالحنو فظهرت بنو ثعلبة على تغلب . (قال مقاتل) ثم التقوا يوم بطن السرو وهو يوم القصيبات (١ لبني تغلب على بني بكر حتى ظنّت بكر أن سيُقتلوا معاً . (قال مقاتل) وقتلوا يومئذٍ همّام بن مرّة . ثم التقوا يوم قِضَة وهو يوم التحالق . ويوم الثنيَّة ويوم قِضة ويوم الفصيل لبكر على تغلب

وكان من حديث مقتل همام انهُ وجد غلاماً مطروحاً فالتقطهُ وربّاه وسمّاه ناشرة . فكان عنده لقيطاً . فلما شبّ تبيَّن أنهُ من بني تغلب . فلما التقوا يوم القصبات جعل همام يقاتل فاذا عطش رجع الى قربة فشرب منها ثم وضع سلاحهُ . فوجد ناشرة من همام غفلة فشدّ عليهِ بالعَنَزة (٢ فأقصده فقتلهُ ولحق بقومهِ تغلب . فقال باكي همام :

لقد عيَّل الاقوام طعنةُ ناشره أناشرَ لا زالت يمينك آشره (٣

ثم قَتل ناشرةَ رجلٌ من بني يشكر

(وقال فراس) كان رئيس بكر بعد همام الحرث بن عباد . (قال مقاتل) وكان الحرث بن عباد قد اعتزل يوم قُتل كليب وخذل بكرًا عن تغلب واستعظم قتل كليب لسؤدده في ناقة . فقال سعد بن مالك يحضّض الحرث بن عباد :

يا بؤس للحـرب التي وضعت اراهطَ فاستراحوا
والحرب لا يبقى لِصـا حبهـا التخيُّل والمِراحُ (٤

---

١) وربّما قيل يوم القصيبة وهي القصبات ٢) العَنَزة عصا في قدر نصف الرمح فيها سنان مثل سنان الرمح ٣) آشرة اي مأشورة ومعناها منشورة كما يقال راضية اي مرضية ٤) مَن بُلي بالحرب وكان ذا خيلاء

الّا الفتى الصبّار في النَّجدات والفرَسُ الوَقاحُ (١

فلما أُخذ بجير بن الحرث بن عباد توّا بواردات وانما سُلّ ولم يؤخذ في مزاحفة . قال لهُ مهلهل : مَن خالك يا غلام وبوّأَ نحوهُ الرمح (٢ . فقال لهُ امروُ القيس بن ابان التغلبي وكان على مُقدّمتهم في حروبهم : مهلًا يا مهلهل فان اهل بيته قد اعتزلوا حربنا ولم يدخلوا في شيْ مما نكره . والله ان قتلتهُ لَيُقتلنَّ بهِ رجل لا يُسأَل عن نسبه . فلم يلتفت مهلهل الى قوله وشدَّ عليهِ فقتلهُ وقال : بوْ بشِسْع نعل كليب (٣ . فقال الغلام : ان رضيتْ بهذا بنو تغلب فقد رضيتهُ . فلما بلغ الحرث قتلُ بجير ابنه قال : نعمَ الغلامُ غلامٌ أَصلحَ بين ابنَي وائل وباء بكليب . فلما سمعوا قول الحرث قالوا لهُ : ان مهلهلًا لما قتلهُ قال لهُ : بوْ بشسع كليب . فغضب الحرث عند ذلك فنادى بالرحيل . (قال مقاتل) وقال الحرث بن عُباد :

قرّبا مربطَ النعامةِ (٤ منّي لَقِحتْ حربُ وائل عن حِيالِ
لا بُجيرٌ أَغنى قتيلًا ولا رهطُ م كليبٍ تزاجروا عن ضَلالِ
لم اكن من جُناتها علِمَ الله م واني بحرّها اليومَ صالِ

(قال مقاتل) فكان حكم بكر بن وائل يوم قِضّة الحرث بن عباد وكان الرئيس الفند وكان فارسهم جحدر وكان شاعرهم سعد بن مالك ابن ضُبَيْعَة وكان الذي سدّ الثنيّة عوف بن مالك بن ضبيعة وكان عوف

---

١) الوقاح الذي حافره صُلب ومرحٍ شغلته الحرب عن خيلائه ومرحهِ
٢) بوّأ الرمح سدّده
٣) اي سفك دمك كفؤ لشسع نعله فقط
٤) فرس الحرث بن عباد

أنبه من أخيهِ سعد

(قال أبو برزة) اتبعت تغلب بكرًا فقطعوا رملات خزازى والرغام ثم مالوا لبطن الحمارة. فوردت بكر قضة فسقت واسقت ثم صدرت وحلأُوا تغلب ونهضوا في نجعة يقال لها مويبة لا يجوز فيها الّا بعير بعير. فلحق رجل من الاوس بن تغلب بغليم من بني تيم اللات بن ثعلبة يطرد ذودًا لهُ فطعن في بطنه بالرمح ثم رفعهُ فقال : تحدَّبي امّ البوّ على بوّك. فرآه عوف بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة فقال : أنفذوا جمل اسماء ابنته فانهُ أمضى جمالكم وأجودها منفذًا فاذا نفذ تبعتهُ النعم . فوثب الجمل في المويبة حتى اذا نهض على يديهِ وارتفعت رجلاه ضرب عرقوبيه وقطع بطان الظعينة فوقع فسدّ الثنية . ثم قال عوف : أنا البُرَك أبرك حيث ادرك. فسُمي البرك (١ . ووقع الناس الى الارض لا يرون مجازًا وتحالقوا لتعرفهم النساء . فقال جحدر بن ضبيعة بن قيس ابو المسامعة واسمهُ ربيعة : لا تحلقوا رأسي فاني رجل قصير لا تشينوني ولكني اشتريهِ منكم بأوَّل فارس يطلع عليكم من القوم. فطلع ابن عناق فشدّ عليهِ فقتلهُ . فقال رجل من بكر بن وائل يمدح مسمع بن مالك بذلك :

يا ابن الذي لما حلقنا اللمما ابتاع منا رأسهُ تكرّما
بفارس اوَّل من تقدما

وقال البكري :

ومِنّا الذي فادَى من القوم راسهُ بمستلئم من جمعهم غيرِ اعزلا(٢

١) البرك البارك ٢) مستلئم لابس اللأمة وهي اداة الحرب

فأدّى الينا بَزَّه (١ وسلاحـهُ ومنفصـلًا من عنقهِ قد تزيّلا

(قال) وكان جحدر يرتجز يومئذٍ ويقول:

رُدّوا عليَّ الخيل ان أَلَمّتِ (٢ إن لم اقاتلهم فجُزُّوا لِمّتي

(وقال البكري) :

ومنّا الذي سدَّ الثنية غدوةً على حَلفةٍ لم يُبقِ فيها تحلُّلا

بجهد يمينِ الله لا يطلعونهـا ولمّا نُقاتلْ جمعَهم حين أسهلا

فاسر الحرث بن عباد عديًّا وهو مهلهل بعد انهزام الناس وهو لا يعرفهُ فقال لهُ : دلّني على المهلهل . قال : ولي دمي . قال : ولك دمك . قال : ولي ذمّتك وذمة ابيك . قال : نعم ذلك لك . قال : فانا مهلهل . قال : دلّني على كفوٍ لبجير . قال : لا اعلمه الا امرءَ القيس بن أبان هذاك علمه . فجزَّ ناصيتهُ وقصَد قصْد امرئ القيس فشدَّ عليهِ فقتلهُ . فقال الحرث في ذلك :

لهفَ نفسي على عديٍّ ولم اعرف م عديًّا اذ امكنتني اليدانِ

طلّ من طلّ في الحروب ولم أوترْ م بجيرًا أبـأتهُ ابنَ أبانِ

فارسٌ يضرب الكتيبة بالسيف م وتسمو أمـامهُ العينـانِ

(قال مقاتل) وشدّ عليهم جحدر فاعتوره عمرو وعامر التغلبيّان . فطعن عمرًا بعالية الرمح وطعن عامرًا بسافلته فقتلهما عداء (٣ وجاء ببزّهما . (قال) وقتل جحدر أيضاً أبا مكنف . (قال مقاتل) فلما رجع مهلهل بعد الوقعة والاسر الى أهلهِ جعل النساء والولدان يستخبرونهُ تسأل

---

١) البَزّ والبزّة السلاح التامّ الكاملة . والاعزل الذي لا سلاح معه

٢) اي اصرفوا وجوهها اليَّ

٣) قتلهما عداء اي موالاة الواحد اثر الآخر

المرأة عن زوجها وابيها واخيها والغلام عن أبيهِ واخيه . فقال:

ليس مثلي من يخبّر الناس عن آ بائهم قُتّلوا وينسى القتالا
لم أرِمْ عَرْصةَ الكتيبةِ حتى أُنعِلَ الوَرْدُ من دماء نِعالا
عرفتهُ رماحُ بكر فما يأ خذنَ الا لبّاتِهِ والقذالا
غلبونا ولا محالةَ يوماً يقلب الدهرُ ذاك حالًا فحالا

ثم خرج حتى لحق بأرض اليمن فكان في جَنْب . فخطب اليهِ أحدهم بنته . فأبى ان يفعل . فاكرهوه فانكحها اياه . فقال في ذلك مهلهل :

أنكحَها فقدُها الاراقم في جَنْبٍ وكان الحِباء من أدَمِ
لو بأبازين جاء يخطبها ضُرّج ما انفكّ خاطبٌ بدمِ
أصبحتُ لا منفساً اصبت ولا أُبت كريماً حرًّا من الندمِ
هان على تغلبٍ بما لقيتْ اخت بني الاكلبين من جشمِ
ليسوا باكفائنا الكرام ولا يغنون من عيلةٍ ولا عدمِ

ثم ان مهلهلًا انحدر فاخذه عمرو بن مالك بن ضُبيعة . فطلب اليهِ اخوالهُ بنو يشكر (وامّ مهلهل المرادة بنت ثعلبة بن جشم بن عبد اليشكرية واختها امية بنت ثعلبة حيّ من وائل وكان المجلل بن ثعلبة خالها) فطلب الى عمرو ان يدفعهُ اليهِ فيكون عنده . ففعل . فسقاه خمرًا فلما طابت نفسهُ تغنى : « طفلة ما ابنة المجلل بيضاء » حتى فرغ من القصيدة . فأدّى ذلك مَن سمعه من المهلهل الى عمرو . فحوّلهُ اليهِ واقسم ان لا يذوق عندهُ خمرًا ولا ماء ولا لبناً حتى يرِد ربيب الهضاب (جمل لهُ كان اقلّ وروده في الصيف الخمس) . فقالوا لهُ يا خير الفتيان أرسل الى ربيب فلتوتَ بهِ قبل وروده . ففعل فأوجره ذَنوباً من ماء .

فلما تحلل من يمينه سقاه من ماء الحاضرة وهو اوبأ ماء رأيتهُ فمات . (قال مقاتل) ولم يقاتل معنا من بني يشكر ولا من بني لجيم ولا ذهل ابن ثعلبة غير ناس من بني يشكر وذهل قاتلت بآخرةٍ . ثم جاء ناس من لجيم يوم قضة مع الفند . وفي ذلك يقول سعد بن مالك :

ان لجيماً قد ابتْ كلها ... ان يرفدونا رجلًا واحدا
ويشكر اضحت على نأيها ... لم تسمع الآن لها حامدا
ولا بنو ذهل فقد اصبحوا ... بها حلولًا خلقاً ماجدا
القائدي الخيل لأرض العِدا ... والضاربين الكوكب الوافدا

وقال البكريّ :

وصدَّت لجيم للبراءة اذ رأت ... أهاضيب موت تمطر الموت معضلا
ويشكر قد مالت قديماً وارتعت ... ومنَّت بقرباها اليهم لتوصلا

قال مهلهل يصف هذه الايام :

أليلتنا بذي حُسُم أنيري ... اذا أنتِ انقضيتِ فلا تحوري
فان يكُ بالذنائب طال ليلي ... فقد ابكي من الليل القصيرِ
فلو نُبش المقابر عن كليب ... فيعلم بالذنائب ايّ زيرِ (١
بيوم الشعثمين (٢ اقرّ عيناً ... وكيف لقاء مَن تحتَ القبورِ
واني قد تركت بواردات ... بُجيراً في دمٍ مثلَ العبيرِ

---

١) الزير الذي يحبّ محادثة النساء قيل له ذلك لكثرة زيارته لهنّ

٢) الشعثان شعثم وعبد شمس ابنا معاوية بن عامر بن ذهل بن ثعلبة قُتلا يوم واردات . واردات عن يسار طريق مكة وانت قاصدها . ويوم واردات بين بكر وتغلب قتل فيهِ بجير بن الحرث بن عباد

هتكتُ بهِ بيوتَ بني عُبادٍ ... وبعضُ الغشم اشفى للصدورِ
على ان ليس يوفى من كليب ... اذا برزتْ مخبَّأة الخدورِ
وهمّام بن مرّة قد تركنا ... عليهِ القشعمانُ (١ من النسورِ
ينوءُ بصدرهِ والرمحُ فيهِ ... ويخلجهُ خِدَبٌّ (٢ كالبعيرِ
فلولا الريحُ أُسمِعَ من بجيرٍ ... صليلَ البَيضِ تُقرعُ بالذكورِ (٣
فدًى لبني شقيقة يومَ جاؤوا ... كأُسْدِ الغاب لجّت في الزئيرِ
كأنّ رماحَهم أشطانُ بئرٍ ... بعيد بين جاليها جَرورِ (٤
غداة كأننا وبني أبينا ... بجنبِ عُنيزةٍ رَحيا مُديرِ
تظَلُّ الخيل عاكفةً عليهم ... كأنّ الخيلَ تُرحضُ في غديرِ

القتلى في حرب البسوس

قال عامر بن عبد الملك : لم يكن بينهم من قتلى تُعدُّ ولا تُذكر الّا ثمانية نفر من تغلب واربعة من بكر عددهم مهلهل في شعرهِ . والدليل على انَّ القتلى كانوا قليلًا انَّ آباء القبائل هم الذين شهدوا تلك الحروب فعدُّوهم وعدّوا بنيهم وبني بنيهم فان كانوا خمسمائة فقد صدقوا . فكم عسى ان يبلغ عدد القتلى والقبائل . فقال مسمع : ان أخي مجنون وكيف يحتج بشعر المهلهل وقد قتل جحدر أبا مكنف يوم

---

١) القشعم والقشعمان المُسنّ ٢) خِدب ضخم ٣) الذكور السيوف
٤) الاشطان الحبال والجال جدار البئر والجرور البعيدة القعر لان دلوها يجرّ على شفيرها لبعد قعرها

قضة فلم يذكر في شعره . وقتل اليشكري ناشرة فلم يذكرهُ في الشعر . وقُتل حبيب يوم واردات . وقتل سعد بن مالك يوم قضة ابن القبيحة فلم يذكر . فهولاء اربعة . وقال البكري :

تركنا حبيباً يوم أَرجف جمعه صريعاً بأَعلى واردات مجدّلا

وقال مهلهل ايضاً :

لست ارجو لذّة العيش ما أَزمت أَجلاد قدٍ(١ بساقي

جللوني جِلدَ حَرفٍ (٢ فقد جعلوا نفسي عنـد التراقي

وقال آخر يوم واردات :

ومهراق الدماء بواردات تبيد المخزيات وما تبيدُ

فقلت لعامر : ما بال مسمع وما احتجّ بهِ من هولاء الاربعة . فقال عامر : وما اربعة ان كنت لأَعقلهم فيما يقولون انهم قتلوا يوم كذا وكذا ثلاثة آلاف ويوم كذا وكذا أَربعة آلاف . والله ما اظنّ جميع القوم كانوا يومئذٍ الفاً . فهاتوا فعدّوا اسماء القبائل وابنائهم وأَنزلوا أَبناء ابنائهم فكم عسى ان يكونوا

مقتل جسّاس

حدّث ابو عبيدة أَنّ آخر من قُتل في حرب بكر وتغلب جسّاس ابن مرّة بن ذهل بن شيبان وهو قاتل كليب بن ربيعة وكانت اختهُ

---

١) اي عضّ القدّ بساقي ويريد باجلاد القدّ القدّ عينه

٢) الحرف الضامرة الصلبة من الابل

امرأة كليب . فقتلهُ جساس وهي حامل فرجعت الى اهلها ووقعت الحرب فكان من الفريقين ما كان . ثم صاروا الى المُوادعة بعد ما كادت القبيلتان تتفانيان . فولدت اخت جساس غلاماً سمّتهُ الهِجرِس ربّاه جساس فكان لا يعرف أباً غيره . فزوَّجهُ ابنته فوقع بين الهجرس وبين رجل من بني بكر بن وائل كلام . فقال لهُ البكري : ما انت بمنتهٍ حتى نُلحقَكَ بأبيك . فأمسك عنهُ ودخل الى امه كئيباً . فسألتهُ عمَّا بهِ . فأخبرها الخبر . فلما اوى الى فراشه ونام تنفَّس تنفُّسةً أحسَّت منها امرأتهُ لهيبَ نارٍ فقامت فزِعة قد اقلَّتها رِعدةٌ (١ حتى دخلت على ابيها فقصَّت عليهِ قِصة الهجرس . فقال جساس : ثائر وربّ الكعبة . وبات جساس على مثل الرَّضف (٢ حتى أصبح فأرسل الى الهجرس فأتاه . فقال لهُ : انما أنت ولدي ومنّي بالمكان الذي قد علمت وقد زوّجتك ابنتي وانت معي وقد كانت الحرب في أبيك زماناً طويلًا حتى كدنا نتفانى وقد اصطلحنا وتحاجزنا وقد رأيت ان تدخل فيما دخل فيهِ الناس من الصلح وان تنطلق حتى نأخذ عليك مثل ما أُخذ علينا وعلى قومنا . فقال الهجرس : انا فاعل ولكن مثلي لا يأتي قومه الَّا بلأمته وفرسه . فحملهُ جساس على فرس وأعطاه لأمةً ودِرعاً . فخرجا حتى أتيا جماعة من قومهما فقصَّ عليهم جساس ما كانوا فيهِ من البلاء وما صاروا اليهِ من العافية ثم قال : وهذا الفتى ابن اختي قد جاء ليدخل فيما دخلتم فيهِ ويَعقِد فيما عقدتم . فلما قرَّبوا الدم وقاموا الى العَقْد اخذ الهجرس بوسط

---

١) اقلّتها رعدة اخذتها رعدة

٢) الرضف الحجارة المحماة بالنار

رمحه ثم قال : وفرسي واذنيهِ ورمحي ونصليهِ وسيفي وغراريهِ (١ لا يترك الرجل قاتل أبيهِ وهو ينظر اليهِ . ثم طعن جساساً فقتلهُ ثم لحق بقومهِ . فكان آخر قتيل في بكر بن وائل

يوم أُوارة (*

كان من حديث يوم اوارة ان عمرو بن المُنذِر بن ماء السماء (٢ كان عاقد هذا الحي من طيٍّ على ان لا ينازعوا ولا يفاخروا ولا يغزوا . وانَّ عمرو بن هند غزا اليمامة فرجع مُنفضًّا فمرَّ بطيٍّ . فقال لهُ زُرارة بن عُدُس بن زيد بن عبد الله بن دارم الحنظلي : أبيت اللعن أصبْ من هذا الحي شيئاً . قال لهُ : ويلك ان لهم عقدًا . قال : وان كان . فلم يزل بهِ حتى أصاب نسوة واذوادًا . فقال في ذلك الطائي وهو قيس بن جروة أحد الاجئيين . قال :

ألا حيِّ قبل البين مَن انت عاشقه	ومَن انت مشتاقٌ اليهِ وشائقُهْ
ومَن لا تؤاتي دارَه غيرَ فينةٍ (٣	ومَن انت تبكي كل يوم تُفارقهْ
وتعدو بصحراء الثُّوَيَّــة ناقتي	كعدوِ النَّحُوص قد امخَّت نواهقهْ (٤

---

١) غرار السيف حدُّه

*) اوارة اسم ماء او جبل لبني تميم بناحية البحرين ٢) ويقال له مُضرّط الحجارة وامّه هند ابنة الحرث الملك ابن عمرو المقصور بن حجر آكل المُرار ٣) اي لا تأتي دارَهُ الّا ساعة ٤) النحوص الاتان الوحشية . امخَّ العظم صار فيه مخٌّ . والنواهق عظمان في الساق . وفي غير هذا المكان ما يكتنف الحياشيم من الدابة . والمعنى انها سمينة

الى الملك الحيرِ ابن هندٍ تزوره ... وليس من الفَوْت الذي هو سابقهْ (١
وأنّ نساءً غيرِ ما قال قائل ... غنيمة سَوءٍ بينهنّ مهارقهْ (٢
ولو نِيلَ في عهدٍ لنا لحمُ ارنبٍ ... رددنا وهذا العهدُ انتَ مُعالقهْ (٣
فهبك ابنَ هندٍ لم تعُقْك أمانة ... وما المرء الا عقده ومواثقه
وكنا اناساً خافضين بنعمة ... يسيل بنا تَلْع الملا وأبارقهْ (٤
فأقسمتُ لا احتلُّ الّا بصهوةٍ ... حَرام عليك رمله وشقائقهْ (٥
وأُقسم جهدًا بالمنازلِ مِن منًى ... وما خبَّ في بطحانهنّ درادقهْ (٦
لئن لم تغيّر بعض ما قد فعلتمُ ... لانتحينّ العظم ذو أنا عارقهْ (٧

فسُمي عارقاً بهذا البيت. فبلغ هذا الشعر عمرو بن هند. فقال لهُ زرارة ابن عدس: أبيت اللعن انهُ يستوعدك. فقال عمرو بن هند لثُرْمُلة بن شُعاث الطائي وهو ابن عم عارق: أيهجوني ابن عمّك ويتوعّدني. قال: والله ما هجاك ولكنهُ قد قال:

والله لو كان ابن جَفنةَ جارَكم ... ما ان كساكم غُضَّةً وهَوانا
وسلاسلًا يَبرُقنَ في أعناقكم ... واذًا لقطّع تِلكمُ الاقرانا (٨

---

١) اي ليس هذا عند ابن هند مما يفوت عارقًا ويسبقه ٢) المهارق جمع مُهرَق الصحائف كانوا يصقلون الثياب البيض وتكتب عليها العهود

٣) اي متعلق بذمتك ٤) تلع جمع تلعة وهو ما انخفض من الارض وما ارتفع وهو من الاضداد. ابارق جمع ابرق وهي ارض مختلطة بحجارة ورمل

٥) صهوة كل شيء اعلاه. الشقائق قطع غلاظ بين حبال الرمل واحدتها شقيقة ٦) منًى موضع بمكة. الدرادق صغار الابل

٧) ذو بمعنى الذي عرق العظم انتزع اللحم منه. يقول: لأقصدنّ كسر العظم الذي صرتُ اعرقه ٨) الاقران الحبال

ولكان غارتهُ على جيرانه ذهباً وريطاً رادعاً (١ وجفانا

وانما اراد ثرملة أن يُذهِب سخيمته . فقال : والله لاقتلنَّهُ . فبلغ ذلك عارقاً فأنشأ يقول :

مَن مُبلغٌ عمرو بن هندٍ رسالةً

اذا استحقبتها العيس تُنضَى على البعدِ (٢

أيوعدني والرملُ بيني وبينهُ تبيَّنْ رُويدًا ما أُمامةُ من هندِ

ومِن أجإٍ دُوني رِعانٌ كأنها قنابلُ (٣ خيلٍ من كميتٍ ومن وَردِ

غدرتَ بأمرٍ أنت كنت احتديتنا إليهِ (٤ وشرُّ الشيمة الغدرُ بالعهدِ

فقد يترك الغدرَ الفتى وطعامُهُ اذا هو أمسى حلبةٌ من دم الفَصْدِ

فبلغ عمرو بن هند شعره هذا فغزا طيئاً فأسر اسرى من طيئ بن أخزم وهم رهط حاتم بن عبد الله فيهم رجل من الاجئيين يقال لهُ قيس بن جحدر وهو جد الطرمّاح بن حكيم وهو ابن خالة حاتم . فوفد حاتم فيهم الى عمرو بن هند وكذلك كان يصنع فسأله اياهم فوهبهم لهُ الّا قيس بن جحدر لانهُ كان من الاجئيين من رهط عارق . فقال حاتم :

فككتَ عَديًّا كلَّها من إسارها فأنعِم وشفِّعني بقيسِ بن جحدرِ

أبوه أبي والامّهات أمّهاتنا فأنعم فدتْك اليومَ نفسي ومعشري

فأطلقهُ (قال) وبلغنا ان المنذر بن ماء السماء وضع ابناً لهُ صغيرًا ويقال بل كان اخاً لهُ صغيرًا يُقال لهُ مالك عند زرارة . وانهُ خرج ذات يوم

---

١) الرادع المصبوغ بالزعفران ٢) اي اذا حملتها الابل هُزلت لبعد المسافة

٣) رعان جمع رَعْن وهو انف يتقدّم الجبل . القنابل الجماعات من الخيل

٤) احتدى من الحدو السَّوق

يتصيد فأخفق ولم يُصب شيئاً . فرجع فمرّ بإبل لرجل من بني عبدالله ابن دارم يُقال لهُ سُوَيد بن ربيعة بن زيد بن عبدالله بن دارم . وكانت عند سويد ابنةُ زرارة بن عُدُس فولدت لهُ سبعة غِلْمة . فأمر مالك بن المنذر بناقة سمينة منها فنحرها ثم اشتوى وسويدٌ نائم . فلما انتبه شدّ على مالك بعصاً فضربهُ بها فأمّه ومات الغلام . وخرج سويد هارباً حتى لحق بمكة . وعلم انهُ لا يأمن فحالف بني نوفل بن عبد مناف واختط بمكة (١ . وكانت طيٌ تطلب عثرات زرارة وبني أبيه حتى بلغهم ما صنعوا باخي الملك فأنشأ عمرو بن ثعلبة بن مِلقَط الطائي يقول :

من مبلغٌ عمرًا بأنّ المرْ م لم يُخلَق صِبارَهْ (٢
وحوادثُ الايـام لا تَبقَى لها الّا الحجـارهْ
انّ ابن عِجْزةِ (٣ امّهِ بالسفحِ أسفلَ من أُوارهْ
تسفي الرياحُ خلالَـهُ سحياً وقد سَلبوا إزارهْ
فاقتـلْ زرارةَ لا أرى في القوم أفضلَ من زرارهْ

فلما بلغ هذا الشعر عمرو بن هند بكى حتى فاضت عيناه . وبلغ الخبر زرارة فهرب . وركب عمرو بن هند في طلبه فلم يقدر عليهِ . فأخذ امرأتهُ وهي حبلى فقال : أذكرٌ في بطنك ام انثى . قالت : لا علم لي بذلك . قال : ما فعل زرارة الفاجر . قالت : ان كان ما عَلِمت الطيّب العرق . السمين المرق . ويأكل ما وجد . ولا يسأل عمّا فقد . لا ينام ليلة يخاف . ولا يشبع ليلة يُضاف . فبقر بطنها . فقال قوم زرارة لزرارة :

---

١) اختطّ بمكة استملك فيها ٢) الصبارة الحجارة المُلس
٣) اول ولد المرأة يقال لهُ زكمة والآخر عجزة

والله ما قتلتَ أخاه فائتِ الملك فأصدُقْهُ الخبر. فاتاه زرارة فأخبره الخبر. فقال : جئني بسويد . فقال : قد لحق بمكة . قال فعليَّ بابنيه السبعة وأمهم بنت زرارة غِلْمةٌ بعضهم فوق بعض . فأمر بقتلهم . فتناولوا احدهم فضربوا عنقهُ . وتعلق بزرارة الآخرون فتناولوهم . فقال زرارة : يا بعضي دَعْ بعضاً فذهبتْ مثلًا . وقُتلوا . وآلى عمرو بن هند بأليَّة لَيُحرِقنَّ من بني حنظلة مائة رجلٍ . فخرج يريدهم وبعث على مقدمتهِ الطائي عمرو بن ثعلبة بن عتاب بن مِلقَط . فوجدوا القوم قد نَذِروا . فأخذوا منهم ثمانية وتسعين رجلًا بأسفل أُوارة من ناحية البحرين فحبسهم . ولحقهُ عمرو بن هند حتى انتهى الى اوارة فضربت قبته . فأمر لهم بأُخدود فحفر لهم ثم أضرمهُ نارًا . فلما احتدمت وتلظَّت قذف بهم فيها فاحترقوا (١ . واقبل راكب من البراجم (٢ وهم بطن من بني حنظلة عند المساء ولا يدري بشيء مما كان يُوضِع لهُ بَعيرُهُ (٣ . فاناخ . فقال لهُ عمرو بن هند : ما جاءَ بك . قال : حبّ الطعام قد أقويتُ (٤ ثلاثاً لم اذق طعاماً . فلما سطع الدخان ظنتهُ دخان طعام . فقال له عمرو بن هند : ممن انت . قال : من البراجم . قال عمرو : ان الشقيّ وافدُ البراجم فذهبت مثلًا . ورمى بهِ في النار فهجت العرب تميماً

---

١) ولذا سمّت العرب عمرو بن هند محرّقًا

٢) البراجم خمسة رجال من بني تميم قيس وعمرو وغالب وكُلفة وظُليم بنو حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم اجتمعوا وقالوا : نحن كبراجم الكف فغلب عليهم والبراجم لغة رؤوس السلاميات من ظهر الكفّ اذا قبض الشخص كفهُ نشزت وارتفعت الواحدة بُرْجُمة ٣) اوضع البعيرُ اسرع في سيره . اوضع البعيرَ جعله يُسرع في سيره ٤) أقوى الرجل نفِد طعامه

بذلك . فقال ابن الصَّعِق العامري قولهُ :

الا أَبلغ لديك بني تميم بآية ما يُحبُّون الطعاما

وأقام عمرو بن هند لا يرى احدًا . فقيل لهُ : أَبيت اللعن لو تحللت بامرأة منهم فقد أَحرقت تسعة وتسعين رجلًا . فدعا بامرأَة من بني حنظلة فقال لها : من أَنتِ . قالت : أَنا الحمراء بنت ضَمْرة بن جابر بن قَطَن بن نهشل بن دارم . فقال : اني لأَظُنُّكِ أَعجمية . فقالت : ما انا باعجمية ولا ولدتني العجم

اني لَبنتُ ضمرة بنِ جابرْ ساد معدًّا كابرًا عن كابرْ
اني لأُختُ ضمرة بن ضمرهْ اذا البلاد لُفِّعت بجمرهْ (١

قال عمرو : أَما والله لولا مخافة ان تلدي مثلك لصرفتك عن النار . قالت : أَما والذي أَسالهُ أَن يضع وِسادك . ويخفِض عِمادك . ويسلبك ملكك ما قتلت الَّا نساء ذوات مِيسَم (٢ ودين . قال : اقذفوها في النار . فالتفتت فقالت : ألا فتًى يكون مكان عجوز . فلما ابطأُوا عليها قالت : كانَّ الفتيان حمىً فذهبت مثلًا . فأُحرقت . وكان زوجها يقال لهُ هوذة بن جرول بن نهشل بن دارم . فقال لقيط بن زرارة يعيّر بني مالك بن حنظلة في أَخذ مَن أخذ منهم الملك وقتله اياهم ونزولهم معهُ :

لمن دمنةٌ اقفرتْ بالجنـابْ الى السفح بين الملا بالهضابْ
بكيت لعرفـان آياتها وهاج لك الشوقَ نعبُ الغرابْ

---

١) لفحته النار اصابه لهيبها ٢) الميسم الجمال

فأبلغ لديك بني مالكٍ مغلغلةً وسراةَ الرّبابْ
فانّ امرءا أنتمُ حولهُ تحفّون قبّتهُ بالقبابْ
يُهينُ سراتكمُ عامدًا ويقتلكمُ مثلَ قتلِ الكِلابْ
فلو كنتمُ إبلًا أملحت (١ لقد كرعت للمياه العذابْ
ولكنكم غنمٌ تصطفى ويُترَكُ سائرها للذئابْ
لعمرُ أبيك أبي الخير ما أردتَ بقتلهمُ من صوابْ
ولا نعمةً انّ خير الملو ك أفضلُهم نعمةً في الرقابْ

وفيها يقول الطرمّاح بن حكيم ويذكر هذا:

واسأل زرارة والمأمون ما فعلتْ قتلى أُوارة من رَعْلان واللددِ
ودارماً قد قتلنا منهمُ مائةً في جاحم النار(٢ اذ يُلقَون بالخددِ
ينزون بالمشتوَى منها ويُوقدها عمرٌو ولولا شحوم القوم لم تقدِ

فلما حضر زرارةَ الموتُ جمع بنيهِ واهل بيته ثم قال: انهُ لم يبقَ لي عند احد من العرب وِترٌ الا وقد أدركته غير تحضيض الطائي مِلقط الملكَ علينا حتى صنع ما صنع . فأيّكم يضمن لي طلب ذلك من طيْ . قال عمرو بن عمرو بن عدس بن زيد : أنا لك بذلك يا عمّ . ومات زرارة . فغزا عمرو بن عمرو جديلةَ بن طيْ ففاتوهم . وأصاب ناساً من بني طَريف بن مالك وطريف بن عمرو بن ثُمامة وقال في ذلك شعرًا

---

١) أملحت وردت ماء مِلحاً ٢) يقال : للنار جاحمٌ اي توقّد والتهاب . ويقال للنار الشديدة الجحيم

لقيط بن زرارة

كان زُرارة بن عُدُس بن زيد رجلًا شريفاً . فنظر ذات يوم الى ابنه لقيط رأى منهُ خُيَلاء ونشاطاً وجعل يضرب غلمانهُ وهو يومئذٍ شاب . فقال لهُ زرارة : لقد اصبحت تصنع صنيعاً كأنما جئتني بمائة من هِجان ابن المنذر بن ماء السماء أو تزوجتَ بنت ذي الجَدَّين بن قيس بن خالد . قال لقيط : لله عليّ أن لا يمسّ رأسي غسل ولا آكل لحماً ولا اشرب خمرًا حتى اجمعهما جميعاً او اموت . فخرج لقيط ومعهُ ابن خال لهُ يقال لهُ القراد بن اهاب . وكلاهما كان شاعرًا شريفاً . فسارا حتى اتيا بني شيبان فسلَّما على ناديهم . ثم قال لقيط : أفيكم قيس بن خالد ذي الجَدَّين وكان سيّدَ ربيعة يومئذٍ . قالوا : نعم . قال : فأيُّكم هو . قال قيس : أنا قيس فما حاجتك . قال : جئتك خاطباً ابنتك . وكانت على قيس يمين ان لا يخطب اليهِ أحد ابنته علانية الا اصابه بشرّ وسمَّع بهِ (١ . فقال له قيس : ومن أنت . قال : انا لقيط بن زرارة بن عدس ابن زيد . قال قيس : عجباً منك يا ذا القصَّة هلَّا كان هذا بيني وبينك . قال : لمَ يا عمّ فوالله انك لرغبة وما بي من نضاة (٢ ولئن ناجيتك لا أخدعك . ولئن عالنتك لا افضحك . فاعجب قيساً كلامهُ وقال : كفوءٌ كريم . اني قد زوّجتك ومهرتك مائة ناقة ليس فيها مصابرة ولا ناب ولا كزوم (٣ . ولا تبيت عندنا عزَباً ولا محروماً . ثم ارسل الى امّ الجارية : اني قد زوّجت لقيط بن زرارة ابنتي القذور فأصنعيها واضربي لها ذلك

---

١) اي فضحه وشتمه ٢) اي ما بي عار ٣) الناب المُسنّة والكزوم الهرمة

البَلَق فانّ لقيط بن زرارة لا يبيت فينا عزباً . وجلس لقيط يتحدّث معهم . فذكروا الغزوَ فقال لقيط : أمّا الغزو فأردأها للقاح وأهزلها للجمال . واما المقام فأسمنها للجمال وأحبها للنساء . فاعجب ذلك قيساً . وامر لقيطاً فذهب الى البَلَق فجلس فيهِ . وبعثت اليهِ امّ الجارية بمجمرة وبخور وقالت للجارية : اذهبي بها اليهِ فوالله لئن ردّها ما فيهِ خير . فلما جاءته الجارية بالمجمرة بخر شعره ولحيته ثم ردّها عليها . فلما رجعت الجارية اليها خبرتها بما صنع . فقالت : انهُ لخليق للخير . فلما امسى لقيط أهديت الجارية اليه . فمازحها بكلام اشمأزّت منهُ فنام وطرح عليهِ طرف خميصة فلما استثقل انسلّت فرجعت الى امّها . فانتبه لقيط فلم يرها . فخرج حتى اتى ابن خاله قراداً وهو في أسفل الوادي . فقال : ارحلْ بعيرك واياك ان يُسمع رغاؤها . فتوجها الى المنذر بن ماء السماء . واصبح قيس ففقد لقيطاً . فمكث ولم يدرِ ما الذي ذهب بهِ . ومضى لقيط حتى أتى المنذر فأخبره ما كان من قول أبيهِ وقوله . فاعطاه مائة من هجائنهِ . فبعث بها مع قراد الى أبيهِ زرارة . ثم مضى الى كسرى فكساه واعطاه جوهراً . ثم انصرف لقيط من عند كسرى فاتى اباه فاخبره خبره وأقام يسيراً . ثم خرج هو وقراد حتى جاءا محلة بني شيبان فوجداهم قد انتجعوا . فخرجا في طلبهم حتى وقعا في الرمل فقال لقيط :

انظر قرادُ وهانا نظرة جزعاً ... عرض الشقائق هل بيّنتَ اظعانا

فيهنّ أُترُجّة نضخُ العبير بها ... تُكسى تراثبها شذراً ومرجانا

فخرجا حتى اتيا قيس بن خالد فجهزها ابوها . فلما ارادت الرحيل قال لها : يا بنية كوني لزوجك أَمَة يكن لك عبداً . وليكن اكثر طيبك

الماء فانك انما يُذهَبُ بكِ الى الأعداء . واراكِ ان ولدتِ فستلدين انا غيظاً طويلًا . واعلمي ان زوجك فارس مُضَر وانهُ يوشك ان يُقتل أَو يموت فلا تخمشي عليهِ وجهاً ولا تحلقي شعرًا . قالت لهُ : اما والله لقد ربيتني صغيرة وأقصيتني كبيرة . وزوّدتني عند الفراق شرّ زاد . وارتحل بها لقيط فجعلت لا تمرّ بحيّ من العرب الّا قالت : يا لقيط أهؤلاء قومُك . فيقول : لا . حتى طلعت على محلة بني عبد الله بن دارم فرأت القِباب والخيل العِراب قالت : يا لقيط أهولاء قومُك . قال : نعم . فاقام اياماً يطعم وينحر . فاقامت عنده حتى قُتل يوم جَبَلَة . فبعث اليها أبوها أخاً لها فحُملت . فلما ركبت اقبلت حتى وقفت على نادي بني عبدالله بن دارم فقالت : يا بني دارم أوصيكم بالغرائب خيرًا . فوالله ما رايتُ مثل لقيط لم تخمش عليهِ امرأة وجهاً ولم تحلق عليهِ شعرًا . فلولا اني غريبة لخمشت وحلقت . فحبب الله بين نسائِكم . وعادى بين رعائكم . فاثنوا عليها خيرًا . ثم مضت حتى قدمت على أبيها فزوّجها من قومهِ . فجعل زوجها يسمعها تذكر لقيطاً وتحزن عليهِ . فقال لها : اي شيء رايتِ من لقيط احسن في عينك . قالت : خرج في يوم دَجن وقد تطيَّب وشرب . فطرد البقر فصرع منها ثم اتاني وبهِ نضح دماء . فلم ارَ منظرًا كان احسن من لقيط . فمكث عنها حتى كان يوم دجن شرب وتطيب . ثم ركب فطرد البقر . ثم اتاها وبهِ نضح دم والطيب وريح الشراب فقال لها : كيف ترين أأنا احسن أم لقيط . فقالت : ماء ولا كصدًاء ومرعىً ولا كالسعدان فذهبت مثلًا (١

---

١) صداء ركية ليس في الارض أطيب منها . والسعدان من اطيب وأنجع المرعى

تحاكم تغلب وبكر عند عمرو بن هند

ذكر ابن الكلبي عن أبيهِ انَّ الصلح كان بين بكر وتغلب عند المنذر بن ماء السماء . وكان قد شرط اي رجل وُجد قتيلاً في دار قوم فهم ضامنون لدمه . وان وجد بين محلّتين قِيسَ ما بينهما فينظر اقربهما اليهِ فتضمن ذلك القتيل . وكان الذي ولي ذلك واحتمى لبني تغلب قيس بن شراحيل بن مرّة بن همام . ثم ان المنذر أخذ من الحيّين اشرافهم وأعلامهم فبعث بهم الى مكة . فشرط بعضهم على بعض وتوافقوا على ان لا يُبقي واحد منهم لصاحبه غائلة (١ ولا يطلبهُ بشيءٍ مّما كان من الآخر من الدماء . وبعث المنذر معهم رجلًا من بني تميم يقال لهُ العلاق . وفي ذلك يقول الحرث بن حلزة :

فهلّا سعيت لصلح الصديق ... كصلح ابن مارية الاقصمِ (٢
وقيسٌ تدارك بكرَ العراق ... وتغلب من شرّها الاعظمِ
وبيت شراحيل في وائلٍ ... مكان الثريّا من الأنجُمِ
فأصلحَ ما أفسدوا بينهم ... كذلك فعلُ الفتى الاكرمِ

فلبثوا كذلك ما شاء الله وقد أخذ المنذر من الفريقين رهناً باحداثهم فمتى التوى احد منهم بحق صاحبه أقاد من الرّهن . فسرّح النعمان بن المنذر ركباً من بني تغلب الى جبل طيّ في أمر من امره . فنزلوا بالطرفة وهي لبني شيبان وتيم اللات . فذكروا انهم أجلَوهم عن الماء وحملوهم

---

١) الغائلة الحقد الباطن ٢) ابن مارية هو قيس بن شراحيل والاقصم هو الذي انقصمت ثنيته من المصف

على المفازة فمات القوم عطشاً . فلما بلغ ذلك بني تغلب غضبوا وأتوا عمرو بن هند فاستعدَوه على بكر وقالوا: غدرتم ونقضتم العهد وانتهكتم الحرمة وسفكتم الدماء . وقالت بكر: أنتم الذين فعلتم ذلك قذفتمونا بالعَضيهة وسمّتم الناس بها (١ وهتكتم الحجاب والستر بادّعائكم الباطل علينا . قد سقيناهم اذ وردوا وحملناهم على الطريق اذ خرجوا . فهل علينا اذ حار القوم وضلّوا . ويصدّق ذلك قول الحرث بن حلزة :

لم يغرّوكمُ غروراً ولكن يَرفعُ الآلُ جِرمَهم والضَحاء (٢

قال ابو عمرو الشيباني: أنّ عمرو بن هند الملك وكان جبارًا عظيم الشأن والملك لما جمع بكرًا وتغلب ابني وائل وأصلح بينهم أخذ من الحيّين رهناً من كل حيّ مائة غلام ليكفّ بعضهم عن بعض . فكان اولئك الرهن يكونون معهُ في مسيره ويغزون معهُ . فأصابتهم سَموم في بعض مسيرهم فهلك عامّة التغلبيّين وسَلِم البكريُّون . فقالت تغلب لبكر: أعطونا ديات أبنائنا فانّ ذلك لكم لازم . فأبت بكر بن وائل . فاجتمعَت تغلب الى عمرو بن كلثوم وأخبروه بالقصة . فقال عمرو: أرى والله الامر سينجلي عن أحمر أصلح أصمّ (٣ من بني يشكُر . فجاءَت بكر بالنعمان بن هرم أحد بني ثعلبة بن غنم بن يشكر ؛ وجاءَت تغلب بعمرو بن كلثوم . فلما اجتمعوا عند الملك قال عمرو بن كلثوم للنعمان

---

١) العضيهة الافك والبهتان . سمتم الناس بها اي شيعتموها بين الناس

٢) الآل السراب . الجرم الجسم . الضحاء وقت ارتفاع النهار. يريد ان السراب جعلهم يضلّون

٣) اصلح اصمّ كأصمّ اصلخ . والاصلخ الاصمّ . اذا بالغوا بالاصم قالوا اصمّ اصلخ

ابن هرم : يا أصم جاءت بك اولاد ثعلبة تناضل عنهم وهم يفخرون عليك . فقال النعمان : وعلى من أظلت السماء كلّها يَفخَرون ثم لا يُنكَر ذلك . فقال عمرو بن كلثوم لهُ : أما والله لو لطمتك لطمة ما أخذوا لك بها . فقال لهُ النعمان : والله لو فعلتَ ما أفلت بها قيس ابن ابيك . فغضب عمرو بن هند وكان يُوثِر بني تغلب على بكر فقال : يا حارثة أعطه لحناً بلسان انثى اي شبيه بلسانك . فقال : ايها الملك أعطِ ذلك أحبَّ اهلك اليك . فقال : يا نعمان أيسرُّك اني ابوك . قال : لا ولكن وَدِدت انك امّي . فغضب عمرو بن هند غضباً شديداً حتى همَّ بالنعمان . وقام الحرث بن حِلِّزَة فارتجل قصيدته المشهورة ارتجالاً توكأ على قوسه وأنشدها واقتطم (١ كفّهُ وهو لا يشعُر من الغضب حتى فرغ منها . (قال ابن الكلبي) أنشد الحرثُ عمرو بن هند هذه القصيدة وكان بهِ وضح (٢ . فقيل لعمرو بن هند : انَّ بهِ وضحاً . فأمر ان يُجعَل بينه وبينه ستر . فلما تكلّم أُعجب بمنطقهِ . فلم يزل عمرو يقول : أدنوه أدنوه حتى أمر بطرح الستر واقعده معهُ قريباً منهُ لاعجابهِ بهِ

مقتل عمرو بن هند

قال ابن الكلبي : حدثني أبي وشَرْقيُّ بن القُطامي وأخبرنا ابرهيم ابن ايوب عن ابن قُتَيبة ان عمرو بن هند قال ذات يوم لندمائهِ : هل تعلمون احداً من العرب تأنف أُمه من خدمة أُمي . فقالوا : نعم امُّ

١) اقتطم عضّ ٢) الوضح البرَص

عمرو بن كلثوم . قال : ولِمَ . قالوا : لأنَّ اباها مهلهل بن ربيعة وعمها كليب بن وائل اعزّ العرب وبعلها كلثوم بن مالك أفرس العرب وابنها عمرو وهو سيد قومهِ . فأرسل عمرو بن هند الى عمرو بن كلثوم يستزيره ويسألهُ ان يُزير امَّهُ امَّه . فأقبل عمرو من الجزيرة الى الحيرة في جماعة بني تغلب . وأقبلت ليلى بنت مهلهل في ظُعن من بني تغلب . وأمر عمرو ابن هند برُواقه فضُرب فيما بين الحيرة والفرات . وأرسل الى وجوه اهل مملكتهِ فحضروا في وجوه بني تغلب . فدخل عمرو بن كلثوم على عمرو ابن هند في رواقه ودخلت ليلى وهند في قبة من جانب الرواق . وكانت هند عمة امرئ القيس بن حجر الشاعر . وكانت امّ ليلى بنت مهلهل بنت أخي فاطمة بنت ربيعة التي هي امّ امرئ القيس وبينهما هذا النسب . وقد كان عمرو بن هند أمر امَّه ان تنحّي الخَدَم اذا دعا بالطُرف وتستخدم ليلى . فدعا عمرو بمائدة ثم دعا بالطرف . فقالت هند : ناوليني يا ليلى ذلك الطبق . فقالت ليلى : لتقمْ صاحبة الحاجة الى حاجتها . فأعادت عليها وألحَت . فصاحت ليلى : وا ذلّاه يا لتغلب . فسمعها عمرو ابن كلثوم فثار الدم في وجههِ . ونظر اليهِ عمرو بن هند فعرف الشرّ في وجههِ . فوثب عمرو بن كلثوم الى سيف لعمرو بن هند معلّق بالرواق ليس هناك سيف غيره فضرب بهِ رأس عمرو بن هند . ونادى في بني تغلب . فانتهبوا ما في الرواق وساقوا نجائبهُ وساروا نحو الجزيرة . ففي ذلك يقول عمرو بن كلثوم :

ألا هبّي بصَحنِك فاصبَحينا ولا تُبقي خمور الاندرينا (١

---

١) الصحن القدح لا بالصغير ولا بالكبير والصَّبُوح شربُ الغداة كما

مشعشعةً كأنَّ الحُصَّ (١ فيها اذا ما الماء خالطها سَخينا

وكان قام بها خطيباً بسوق عكاظ وقام بها في مَوسِم مكة وبنو تغلب تعظمها جدًّا ويرويها صغارهم وكبارهم حتى هُجوا بذلك. قال بعض شعراء بكر بن وائل:

ألهى بني تغلبٍ عن كل مَكرُمة قصيدةٌ قالها عمرو بن كلثومِ
يروونها ابدًا مذ كان اوّلهم يا لَلرجال لشعرٍ غير مسؤُومِ

وقال أُفنون بن صُرَيم التغلبي يفخر بفعل عمرو بن كلثوم في قصيدة لهُ:

لعمرك ما عمرو بن هند وقد دعا لتخدمَ امّي امَّهُ بتوقُّقِ
فقام ٱبن كلثومٍ الى السيف مُصلِتاً فأمسك من نَدمانه (٢ بالمخنَّقِ
وجلله عمرٌو على الرأس ضربة بذي شُطَبٍ (٣ صافي الحديدة رونقِ

(قال) وكان لعمرو أَخ يقال لهُ مرّة بن كلثوم فقتل المنذر بن النعمان وأخاه. وإيّاه عنى الاخطل بقولهِ لجرير:

أبني كُلَيبٍ انّ عمَّيَّ اللذا قتلا الملوكَ وفكّكا الاغلالا

وكان لعمرو بن كلثوم ابن يقال لهُ عباد وهو قاتل بشر بن عمرو بن عدس. ولعمرو بن كلثوم عقب باقٍ ومنهم كلثوم بن عمرو العتّابي الشاعر صاحب الرسائل

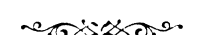

الغَبوق شرب العشاء. أندرين اسم قرية بينها وبين حلب مسيرة يوم للراكب

١) الحصّ الورس ٢) الندمان النديم

٣) الشُطَب والشُطُب والشُطوب الطرائق التي تكون في متن السيف

اسر عمرو بن كلثوم

أخبر ابن الاعرابي قال . اغار عمرو بن كلثوم التغلبي على بني تميم . ثم مرَّ من غزوه ذلك على حيّ من بني قيس بن ثعلبة فملأ يديهِ منهم وأصاب أسارى وسبايا . وكان فيمن أصاب أحمد بن جندل السعدي . ثم انتهى الى بني حنيفة باليمامة وفيهم أُناس من عِجل . فسمع بها أهل حجر . فكان أوَّل من اتاه من بني حنيفة بنو سُحيم عليهم يزيد بن عمرو بن شمر . فلما رآهم عمرو بن كلثوم ارتجز فقال :

مَن عالَ (١ منّا بعدها فلا اجتبرْ ولا سقى الماء ولا أرعى الشجرْ
بنو لجيمٍ وجعاسيس مُضرْ بجانب الدوّ يُدهدون العَكَرْ (٢

فانتهى اليهِ يزيد بن عمرو فطعنهُ فصرعه عن فرسه واسره . وكان يزيد شديداً جسيماً فشدّه في القدّ وقال لهُ : انت الذي تقول :

متى نعقِدْ قرينتنا بحبل نجذّ الحبلَ أو نَقِصِ (٣ القرينا

أمَا اني ساقرنك الى ناقتي هذه فأطردكما جميعاً . فنادى عمرو بن كلثوم : يا لربيعة أُمثلةٌ . (قال) فاجتمعت بنو لُجَيم فنهوه ولم يكن يريد ذلك به . فسار بهِ حتى اتى قصراً بحجر من قصورهم وضرب عليهِ قبَّة ونحر لهُ وكساه وحملهُ على نجيبهِ وسقاهُ الخمر . فلما اخذت برأسهِ تغنَّى :

---

١) عال جار ومال . لا اجتبر اي لا جبره الله

٢) جُعسوس لئيم الخِلقة والخُلق . العكر جمع عكرة وهي القطعة من الابل . يدعون الابل لتجيء الى اولادها بقولهم دُه دُه

٣) القرينة التي تُقرَن الى غيرها . يقول اذا اقرنّا لغيرنا غلبناه . نقص ندقّ عنقه

أأجمعَ صُحبتي السَّحَرَ ارتحالا ... ولم اشعُر ببينٍ منكِ هالا
ولم ارَ مثل هالةَ في معدٍّ ... اشبَهَ حُسنها الّا الهلالا
ألا أبلغْ بني جشمَ بنِ بكر ... وتغلبَ كلّها نبأً جُلالا
بانَّ الماجد القرم ابن عمروٍ ... غداةَ نَطاعِ (١ قد صدَقَ القتالا
كتيبتهُ ململمة رَداح (٢ ... اذا يرمونها تُفني النبالا
جزى الله الاغرّ يزيدَ خيرًا ... وقّاه المسرّةَ والجمالا
بأخذِه ابن كلثومَ بن عمروٍ ... يزيدُ الخيرِ نازلهُ نِزالا
بجمعٍ من بني قُرّانَ صيدٍ ... يُجيلون الطِعان اذا أجالا
يزيد يقدّم الشقراء حتى ... يروّي صدرَها الاسلَ النهالا

مقتل شاس بن زُهَيْر

قال ابو عبيدة: حدّثني رجلٌ يُخيَّلُ اليَّ انهُ ابو يحيى الغنويّ قال: ورد شاس وقد حباه الملك بجبوة فيها قطيفة حمراء ذات هُدب وطيب. فورد مَنعِجاً وعليهِ خباء ملقىً لرياح بن الأَسَكّ فيهِ اهله في الظهيرة. فألقى ثيابهُ بفنائهِ ثم قعد يُهريق عليهِ الماء. فناداه الغنوي: استتر. فلم يَحفِل بما قال. فقال: استتر ويحك البيوت بين يديك. فلم يحفل. فقال رياح لامرأتهِ: انطيني قوسي. فمدّت اليهِ قوسهُ وسهماً وانتزعت المرأة نصله لئلّا يقتلهُ. فأهوى عجلانَ اليهِ فوضع السهم في مستدقّ الصُلب بين فَقارتين ففصلهما وخرَّ ساقطاً. وحفر لهُ حَفرًا فهدمهُ عليهِ

---

١) نطاع قرية من قرى اليمامة ٢) رداح ضخمة كثيرة الحيش

ونحر جمله واكله واولج مَتاعه بيته

(قال) ونشد زهير بن جذيمة الناس فانقطع ذِكره على مَنعِج وسط غنيّ . ثم أصابت الناس جائحة (١ وجوع . فنحر زهير ناقته فاعطى امرأة شطَبَها (٢ فقال : اشتري لي الهدب والطيب . فخرجت بذلك الشحم والسنام تبيعهُ حتى دفعت الى امرأة رياح فقالت : انَّ معي شحماً ابيعهُ في الهدب والطيب . فاشترت المرأة منها . فأتت المرأة زهيرًا بذلك فعرف الهدب فأتى زهير غنيًّا . فقالوا : نعم قتلهُ رياح بن الاسك ونحن براء منهُ وقد لحق بخالهِ من بني الطماح وبني اسد بن خزيمة فكان يكون الليل عنده ويظهر في أبان (٣ اذا أحسَّ الصبح يرمي الاروى

فلما استبان لزهير بن جذيمة ان رياحاً ثأرهُ قال يرثي شاساً :

بكيت لشاسٍ حين خُبِّرت انهُ ... بماءِ غنيٍّ آخرَ الليلِ يُسلَبُ
لقد كان مأتاهُ الرِداهَ (٤ لحتفهِ ... وما كان لولا غرَّةُ الليل يُغلبُ
قتيلُ غنيٍّ ليس شكلٌ كشكلهِ ... كذاك لعمري الحينُ للمرءِ يُجلَبُ
سأبكي عليهِ ان بكيت بعَبرةٍ ... وحقَّ لشاسٍ عبرةٌ حين تُسكَبُ
وحزنٌ عليهِ ما حييتُ وعولةٌ ... على مثل ضوءِ البدر أو هو أعجبُ
اذا سيمِ ضيماً كان للضيم مُنكِرًا ... وكان لدى الهيجاء يُخشى ويُرهَبُ
وان صوَّت الداعي الى الخير مرَّةً ... أجاب لما يدعو لهُ حين يكربُ
ففرِّج عنهُ ثم كان وليَّهُ ... فقلبي عليهِ لو بدا القلب ملهبُ

---

١) جائحة شدَّة ٢) الشطُّ جانب السنامّ ٣) أبان جبل وهما ابانان وبينهما ميلانِ ابان الابيض فيه نخل وماء وهو علم لبني فزارة وعبس وابان الاسود جبل لبني فزارة خاصةً ٤) جمع رَدْهة وهي النقرة يستنقع فيها الماء

وقال زهير بن جذيمة حين قُتل شاس : شاس وما شاس . والبأس وما البأس . لولا مقتل شاس لم يكن بيننا بأس . (قال) ثم انصرف الى قومهِ . فكان لا يقدر على غنويّ الّا قتلهُ . (قال) ثم غزت بنو عبس غنيًّا قبل ان يطلبوا قَوَدًا او دِيةً مع اخي شاس الحصين بن زهير بن جذيمة والحصين بن أسيد بن جذيمة ابن اخي زهير . فقيل ذلك لغنيّ . فقالت لرياح : انجُ لعلّنا نصالح على شيءٍ او نرضيهم بدية وفداء . فخرج رياح رديفاً لرجل من بني كلاب . وكان معهما صحيفة فيها أدأب لحم لا يريان الّا انهما قد خالفا وجهة القوم . فأوجفا ايديهما في الصحيفة . فأخذ كلُّ واحدٍ منهما وضرة(١ ليأكلها مترادفين لا يقدران على النزول . (قال) فمرّ فوق رؤوسهما صُرَد فصرصر . فألقيا اللحم وأمسكا بايديهما وقالا : ما هذا . ثم عادا الى مثل ذلك فاخذ كل واحد منهما عظماً . ومرّ الصرد فوق رؤوسهما فصرصر . فالقيا العظمين وأمسكا بايديهما وقالا : ما هذا . ثم عادا الثالثة . فاخذ كل واحد منهما قطعة . فمرّ الصرد فوق رؤوسهما فصرصر . فألقيا العظمين . حتى فعلا ذلك ثلاث مرّات . فاذا هما بالقوم أدنى ظَلَمٍ وأدنى ظلام (٢ . وقد كانا يظنّان انهما قد خالفا وِجهة القوم . فقال صاحبهُ لرياح : اذهب فاني آتي القوم أُشاغلهم عنك وأحدّثهم حتى تُعجزَهم . ثم ماضٍ ان تركوني . فانحدر رياح عن عَجُز الجمل فأخذ ادراجهُ (٣ وعدا إثر الراحلة حتى أتى ضفّة فاحتفر تحتها مثل مكان الارنب فولج فيهِ . ثم اخذ نعلينِ من سِبْت (٤ فصيّرهما على

---

١) ويروى الوذرة وهي القطعة الصغيرة من اللحم ٢) اي ادنى شيءٍ

٣) ادراج جمع درَج وهو الطريق ؛ مضى في سبيله ٤) السبت كل جلد مدبوغ

صدره حيالَ كبدهِ ثم شدَّ عليهما العمامة . ومضى صاحبهُ حتى لقي القوم . فسألوه فحدَّثهم وقال : هذه غنيّ كاملة وقد دنوتُ منهم . فصدَّقوه وخلَّوا سَرْبه (١ . فلما ولَّى رأوا مركب الرجل خلفهُ فقالوا : مَن الذي كان خلفَك . فقال : لا مَكذُبة ذلك رياح في الاوَّل من السمرات . فقال الحصينان لمن معهما : قِفوا علينا حتى نعلم علمهُ فقد أمكننا الله من ثأرنا . ولم يريدا ان يشرَكهما فيهِ احدٌ . فمضيا ووقف القوم عنهما . (قالوا) قال رياح : فاذا هما ينقلان فرسيهما (٢ فما زالا يريغاني (٣ فابتدراني . فرميت الاوَّل فبترت صُلبهُ وطعنني الآخر قبل ان ارميه واراد السُرَّة فاصاب الرُبلة (٤ . ومرَّ الفرس يهوي بهِ فاستدبرتهُ بسهم فرشقت بهِ صلبهُ فانفقر مُنحنى الاوصال وقد بترت صلبيهما . (قال) وندَّ (٥ فرساهما فلحقتا بالقوم . (قال رياح) فاخذت رحيهما فخرجت بهما حتى اتيت رملة فسندت (٦ فغرزت الرحين فيها ثم انحدرت . (قال) وطلبهُ القوم حتى اذا رُفع لهما الرحان لم يقربوهما علم الله حتى وجدوا اثر رياح خارجاً قد فات . وانطلق رياح خارجاً حتى ورد رَدْهة عليها بيت انمار بن بغيض وفيهِ امرأة ولها ابنان قريبان منها وجمل لها راتع في الجبل وقد مات رياح عطشاً . فلما رأتهُ يستدمي طمعت فيهِ ورجت ان يأتيها ابناها . فقالت لهُ : استأسر . فقال لها : دعيني ويحك اشرب . فأبت . فاخذ حديدة إما سكيناً واما مِشقَصاً (٧

---

١) سربه اي طريقه ٢) اي يسيران سيراً سريعاً ٣) اراغ طلب
٤) الربلة اصول الأفخاذ ٥) ندّ نفر وذهب شارداً
٦) سندت رُقيت ٧) المشقص السهم العريض النصل

فجذم بهِ رواهشها (١ فماتت . وعبَّ في الماء حتى نهِل . ثم توجه الى قومهِ . فقال رياح فيها وفي الحُصينَين (٢ :

قالت لي استأسر لتكنفني حيناً ويعلو قولها قولي
ولأنتَ اجرأُ من أُسامةَ او منّي غداةَ وقفتُ للخيلِ
اذا الحصينُ لدى الحصينِ كما عدل الرِجازة (٣ جانبَ الميلِ

مقتل زُهَير بن جَذيمة العبسيّ

قتلهُ خالد بن جعفر بن كلاب . قال ابو عبيدة : قال ابو حيَّة النُمَيري : كان بين انصراف حديث شاس وحديث قتل خالدِ بن جعفر زهيرَ بن جذيمة ما بين العشرين سنة الى الثلاثين سنة . وهوازن بن منصور لا ترى زهير بن جذيمة الّا ربًّا . (قال) وهوازن يومئذٍ لا خير فيها وانما هم رُعاء الشاء في الجبال . (قال) وكان زهير يعزّهم وكان اذا كان ايام عُكاظ أتاها زهير ويأتيها الناس من كل وجهٍ فتأتيهِ هوازن بالإتاوة التي كانت لهُ في أعناقهم فيأتونهُ بالسمن والأَقِط والغنم وذلك بعد ما خلع ذلك من أبي الجناد أخي بني أسيد بن عمرو بن تميم . ثم اذا تفرَّق الناس من عكاظ نزل زهير بالنفراوات . فأتتهُ عجوز من هوازن بسمن في نِحْيٍ (٤ واعتذرت اليهِ وشكت السنين التي تتابعنَ على

---

١) جذم قطع الرواهش عروق في الذراع ٢) هما حصين بن زهير بن جذيمة وحصين بن اسيد اخو زهير ٣) الرجازة شيء يكون مع المرأة في هودجها فاذا مال احد الجانبين وضعته في الناحية الاخرى ليعتدل
٤) النحي الزقّ الذي يجعل فيه السمن

الناس . فذاقهُ فلم يرضَ طعمهُ . فدعَّها (١ بقوسٍ في يدهِ عُطل (٢ في صدرها . فاستلقت لحلاوة القفا . فغضب من ذلك هوازن وأصمدت عليهِ الى ماكان في صدرها من الغيظ والدِمَن وأوحرَها (٣ من الحسد . (قال) وتذامرت (٤ عامر بن صعصعة يومئذٍ فآلى خالد بن جعفر فقال : والله لاجعلنَّ ذراعي وراء عنقهِ حتى أُقتل أو يُقتل . (قال) وفي ذلك يقول خالد بن جعفر بن كلاب :

اديروني أداتكمُ فاني ... وحُذفة (٥ كالشجا تحت الوريدِ
مقرَّبة أُسويها بخزٍّ ... وألحفها ردائي في الجليدِ
وأُوصي الراعيَين ليؤثراها ... لها لبنُ الخليَّة والصَّعودِ (٦
تراها في الغزاة وهنَّ شعثٌ ... كقُلب (٧ العاج في الرُسغ الجديدِ
يبيت رباطها بالليل كفّي ... على عود الحشيش وغير عودِ
لعلَّ الله يُقدرني عليها ... جهارًا من زهيرٍ او اسيدِ
فاماً تَثقفوني (٨ فاقتلوني ... فإن أُثقَفْ فليس الى خلودِ
وقيسٌ في المعارك غادرتهُ ... قناتي من فوارسَ كالاسودِ
ويربوع بن غيظٍ يوم ساقٍ ... تركناهم كجاريةٍ وبيدِ (٩
تركت بها نساء بني عصيم ... أرامل ما تحنُّ الى وليدِ

---

١) دعَّ دفع ٢) عُطل وعُطُل لا وتر فيها ٣) أوحرهُ وأوغرهُ أوقدهُ
٤) تذامرت تحاضّت على القتال ٥) ويروى : اريغوني إراغتكم اي اطلبوني طلبتكم . وحذفة فرس خالد ٦) الحلية الناقة تمتح فيُنحر ولدها ليدوم لهم لبنها . والصعود الناقة يموت حوارها فترجع الى فصيلها فتدرّ عليه ٧) القلب السوار ٨) ثَقِف الرجلَ ظفر بهِ
٩) وبيد سيئة الحال

يلذنَ بحارثٍ جزعاً عليهِ يقلنَ لحارث لولا تسودُ
ومني بالظويام قارعاتٌ تبيد المخزيات ولا تبيدُ
وحكَّت بَرْكَها (١ ببني جحاشٍ وقد أجروا اليها من بعيدِ
تركت بني جذيمة في مَكَرٍّ ونصراً قد تركت لها شهودي

(قال الاصمعي) فضرب الزمان ضَرَبانهُ (٢ . فالتقى خالد بن جعفر ابن كلاب وزهير بن جذيمة العبسي. فقال خالد لزهير: أما آن لك ان تشتفي وتكفَّ (قال الاصمعي) يعني مما قتل بشاش. (قال) فاغلظ لهُ زهير وحقرهُ. (قال الاصمعي) وأخبرني طلحة بن محمد بن سعيد ابن المسيَّب ان ذلك الكلام بينهما كان بعكاظ عند قريش. فلما حقرهُ زهير وسبَّهُ قال خالد: عمى ان كان يتهددهُ. ثم قال: اللَّهمَّ أمكن يدي هذه الشقراء القصيرة من عنق زهير بن جذيمة ثم أعني عليهِ. فقال زهير: اللهمَّ أمكن يدي هذه البيضاء الطويلة من عنق خالد ثم خلِّ بيننا. فقالت قريش: هلكتَ والله يا زهير. فقال: انكم والله الذين لا عِلمَ لكم

قال ابو عبيدة: اخبرني سليمان بن المزاحم المازني عن ابيهِ قال: كانت بنو عامر بالجريشة وزهير بالنفراوات وكانت تُماضر بنت عمرو السُلمي امرأة زهير بن جذيمة وهي ام ولده. فمرَّ بها اخوها الحرث بن عمرو. فقال زهير لبنيهِ: ان هذا الحمار لطليعة عليكم فاوثقوه. فقالت اختهُ لبنيها: أيزوركم خالكم فتوثقوه وتحرموه. فخلّوه. فقالت تماضر

---

١) البرك كالكل البعير وصدره الذي يسحق به الشيء تحته. والعبارة تعني شدّة الحرب ٢) اي مرّ من مروره وذهب بعضه

لاخيها الحرث : انهُ ليريبني ما قال زهير فانهُ رجل نذّارة (١ وعيد ان شنأوه . (قال) ثم حلبوا لهُ وَطباً وأخذوا منهُ يميناً ان لا يخبر عنهم ولا ينذر بهم احداً . وزعم ابو حيّة انهُ لما اتوه بقراهم أراهم انهُ يشربهُ في الظلمة وجعل يهوي بهِ الى جيبهِ فيصبُّهُ بين سربالهِ وصدرهِ اسفاً وغيظاً . (قال) وكان الذي حلب الوطب وقراه الحرث بن زهير وبهِ سُمي . (قال) فخرج يطير حتى اتى بني عامر عند ناديهم فأتى حاذةً (٢ أو شجرة غيرها . فالقى الوطب تحتها والقوم ينظرون ثم قال : ايتها الشجرة الذليلة اشربي من هذا اللبن فانظري ما طعمهُ . فقال اهل المجلس : هذا رجل مأخوذ عليهِ وهو يخبركم خبراً . فأتوه فاذا هو الحرث بن عمرو . وذاقوا اللبن فاذا هو حلو لم يقرُص (٣ بعد . فقالوا : انهُ ليخبرنا ان طلبنا قريب . فركب معهُ ستة فوارس (٤ لينظروا ما الخبر . فاقتصّوا أثر السير حتى اذا رأوا ابل بني جذيمة نزلوا عن الخيل . فقالت النساء : انّا لنرى حَرْجة من عِضاه او غابة رماح بمكان لم نكن نرى بهِ شيئاً . ثم راحت الرعاء فأخبروا بمثل ما للنساء . (قال) وأخبرت راعية أسيد بن جذيمة اسيداً

---

١) نذّارة اي يُعلِم بشرّ ٢) حاذة شجرة يألفها بقر الوحش

٣) قرص حمض ٤) هم خالد بن جعفر بن كلاب على حذفة وحُنْدُج بن البكّاء ومعوية ابن عُبادة بن عقيل فارس الهرّار وهو الاخيل جدّ ايلى الاخيلية . والاخيل هو معاوية (قال) وهو يومئذٍ غلام لهُ ذوَابتان وكان اصغر مَن ركبَ . وثلاثة فوارس من سائر بني عامر وليس على احدهم درع غير خالد كانت عليهِ درع اعاره اياها عمرو بن يربوع الفنوي وكانت درع ابن الاجلح المَراري كان قتلهُ فأخذها منهُ وكان يقال لها ذات الازنّة وانما سميت بذلك لانها كانت لها عرى تطّق فضولُها بها اذا اراد ان يشمّرها

بمثل ذلك . فأتى اسيد اخاه زهيرًا فأخبره بما اخبرتهُ بهِ الراعية وقال : انما رأت خيل بني عامر ورماحها . فقال زهير : كل ازبّ (١ نفور فذهبت مثلًا . واين بنو عامر . امّا بنو كلاب فكالحيّة ان تركتها تركتك وان وطئتها عضّتك . واما بنو كعب فانهم يصيدون اللأى (٢ . واما بنو نمير فانهم يرعون ابلهم في رؤوس الجبال . واما بنو هلال فيبيعون العطر . (قال) فتحمل عامّة بني رواحة وآلى زهير لا يبرح مكانهُ حتى يُصبح . وتحمل من كان معهُ غير ابنيهِ ورقاء والحرث . (قال) وكان لزهير ربيئة (٣ من الجنّ فحدّثهُ ببعض امرهم حتى اصبح . وكانت لهُ مِظلّة دَوْح يربُط فيها افراسهُ لا تريمهُ حذرًا من الحوادث . (قال) فلما اصبح صهات فرس منها حين أحسّت بالخيل وهي القعساء . فقال زهير : ما لها . فقال ربيئتهُ : أحسّت الخيل فصهلت اليهم . فلم تؤذنهم بهم الّا والخيل دَواس (٤ محاضر بالقوم غُدَيّة . فقال زهير وظنّ انهم اهل اليمن : يا اسيد ما هؤلاء . فقال : هؤلاء الذين تعمّي حديثهم منذ الليلة . (قال) وركب اسيد فمضى ناجياً . (قال) ووثب زهير وكان شيخاً نبيلًا فتدثّر (٥ القعساء فرسهُ وهو يومئذٍ شيخ قد بدُن وهو يومئذٍ عقوق متهم . واعرورى ورقاء والحرث ابناه فرسيهما . ثم خالفوا جهة مالهم ليُعتموا على بني عامر مكانَ مالهم فلا يأخذوه . فهتف هاتف من

---

١) الازبّ الكثير شعر الاذنين والحاجبين فاذا ضربتهُ الريح نفر . وكان اسيد كثير الشعر ٢) اللأى الثور الوحشي ٣) الربيئة الطليعة الذي ينظر للقوم لئلّا يدهمهم عدوّ ٤) دواس ودوائس اي يتبع بعضها بعضاً ٥) نبيل جسيم . تدثر فرسه وتب عليها فحال في متنها

بني عامر : يا لَعامر يريد بعامر وهو شعار لاهل اليمن لِأَن يُعتِمي على الجذيميّين من القوم . فقال زهير: هذه اليمن قد علمتُ انها اهل اليمن . وقال لابنه ورقاء : انظر يا ورقاء ما ترى . قال ورقاء : أَرى فارساً على شقراء يجهَدها ويكُدّها بالسوط قد ألحَّ عليها يعني خالدًا . فقال زهير : شيئاً ما يريد السوط الى الشقراء فذهبت مثلًا . وقال في المرَّة الثانية : شيئاً ما يطلب السوط الى الشقراء . وهي حُذفة فرس خالد بن جعفر والفارس خالد بن جعفر . (قال) وكانت الشقراء من خيل غنيّ . (قال) وتمرَّدت القعساء بزهير وجعل خالد يقول : لا نجوتُ ان نجا مجدّع يعني زهيرًا . فلما تمَّطت (١ القعساء بزهير ولم تتعلق بها حذفة قال خالد لمعاوية الاخيل بن عبادة وكان على الهرَّار حصان عوج : أَدرِك مُعاوي . فادرك معاوية زهيرًا . وجعل ابناه ورقاء والحرث يوطّشان (٢ عنهُ اي عن ابيهما . (قال) فقال خالد : اطعن يا معاوية في نَسَاها . فطعن في احدى رجليها فانخذلت القعساء بعض الانخذال وهي في ذلك تمطّ . فقال زهير : اطعن الاخرى . يكيدهُ بذلك لكي تستوي رجلاها . فتحامل . فناداه خالد : يا معاوية أَفِذَّ طعنتك (٣ . فشعشع الرمح في رجلها فانخذلت . (قال) ولحقهُ خالد على حذفة فجعل يده وراء عنق زهير فاستخفَّ بهِ عن الفرس حتى قابلهُ . وخرَّ خالد فوقع فوقهُ ورفع المِغفر عن رأس زهير وقال : يا لعامر اقتلونا معاً . فعرفوا انهم بنو عامر . فقال ورقاء : وا انقطاع ظهراه انها لَبنو عامر سائرَ اليوم . (قال) ولحق

---

١) التمطط نوع من حُضر الفرس ٢) وطشهُ ووطّشهُ دفعهُ
٣) اي إطعنَ مكانًا واحدًا

حُندُج بن البكّاء وقد حسر خالد المِغفَر عن رأس زهير فقال : نحِّ راسك يا أبا جزء لم يجز يومك . (قال) فنحّى خالد راسهُ وضرب حندج رأس زهير وضرب ورقاء بن زهير راس خالد بالسيف وعليه درعان وكان اسجر العينين ازبّ اقمر (١ مثل الفالج . فلم يُغنِ شيئاً . (قال) وأجهَض (٢ ابنا زهير القوم عن زهير فانتزعاه مرتثًا . فقال خالد حين استنقذ زهيرًا ابناه : وا لهفتاه قد كنت اظنُّ ان هذا المخرج سينفعكم . ولامَ حندجاً . فقال حندج وكان لجلالتهِ غصة اذا تكلم : السيف حديد والساعد شديد وقد ضربتهُ ورجلاي متمكنتان في الركائب وسمعت السيف قال قَبْ حين وقع براسهِ ورأيت على ظُبتهِ مثل ثمر المرار وذقتهُ فكان حلوًا . فقال خالد : قتلتَهُ بأبي انت . ونظر بنو زهير فاذا بالضربة قد بلغت الدماغ . ونهى بنو زهير ان يسقوا اباهم الماء . فاستسقاهم فمنعوه حتي نُهك عطشاً . (قال وذلك ان المأموم يُخاف عليهِ الماء) . حتى بلغهُ العطش فجعل يهتف : أُمية انا عَطِش وينادي : يا ورقاء (قال أبوحية : فجعل ينادي : يا شاس) . فلما رأَوا ذلك سقوه فمات لثالثة . فقال ورقاء بن زهير :

رأيت زهيرًا تحت كلكل خالدٍ ... فأقبلتُ أسعى كالعجولِ أُبادرُ

الى بطلين ينهضان كلاهما ... يُريغانِ نصل السيف والسيف نادرُ (٣

---

١) اسجر اي يخالط بياض عينيه حمرة . اقمر اي لون بياض وجهه الى الخضرة ٢) اجهض نحّى

٣) يُريغان يطلبان . ويروى ناذر ويروى داثر . سيف داثر بعيد العهد بالصقال

فشلّت يميني اذ ضربتُ ابن جعفر واحزهُ مني الحديدُ المظـاهرُ (١
فيا ليتني من قبلِ ايّامِ خالـدٍ ويومِ زهـيرٍ لم تلدني تُماضِرُ
لعمري لقد بشرتِ بي اذ ولدتِني فماذا الذي ردَّتْ عليكِ البشائرُ

وقال خالد بن جعفر يمنّ على هوازن بقتلهِ زهيرًا ويصدّق الحديث :

بل كيف تكفرني هوازن بعد ما اعتقتهم فتوالدوا احرارا
وقتلت ربَّهمُ زهيرًا بعد مـا جدعَ الانوفَ واكثر الاوزارا
وجعلت حَزْنَ جبالِهم وبلادِهم أرضًا فضاء سهـلة وعشارا
وجعلت مهرَ بناتهم ودمائهم عقلَ الملوكِ هجائنـاً ابكارا

وقال ورقاء بن زهير :

أمّا كلابٌ فانّا لا نسالمهـا حتى يسالمَ ذئبَ الثلّة (٢ الراعي
بنو جذيمة حاموا حولَ سيدهم الّا أسيدًا نجا اذ ثوَّبَ (٣ الداعي

مقتل خالد بن جعفر

قتلهُ الحرث بن ظالم المرّي . قال أبو عبيدة : كان الذي هاج الامر بين الحرث بن ظالم وخالد بن جعفر انَّ خالد بن جعفر أغار على رهط الحرث بن ظالم من بني يربوع بن غَيْظ بن مرّة وهم في وادٍ يقال لهُ حُراض فقتل الرجال حتى اسرف والحرث يومئذٍ غلام وبقيت النساء . وزعموا ان ظالمًا هلك في تلك الواقعة من جراحة اصابتهُ يومئذٍ . وكانت

---

١) ظاهرَ الدرعَ لأم بعضها على بعض . ويراد بالحديد هنا الدرع
٢) الثلّة جماعة الغنم ٣) ثوَّب لوّح بثوبهِ يدعو الناس

نساء بني ذبيان لا يحلبن النعم . فلما بقينَ بغير رجال طفقنَ يدعون الحرث فيشدّ عصاب الناقة ثم يحلبنها ويبكين رجالهنَّ ويبكي الحرث معهنَّ . فنشأ على بغض . واردف ذلك قتلُ خالدٍ زهيرَ بن جذيمة فاستحقَّ العداوة في غطفان

(قال ابو عبيدة) فمكث خالد بن جعفر برهة من دهرهِ حتى اذا كان من امرهِ وامر زهير بن جذيمة ما كان وخالد يومئذٍ رأس هوازن فلما استحق عداوة عبس وذبيان أتى النعمان بن المنذر ملك الحيرة لينظر ما قدرُهُ عندهُ وأتاه بفرس فألفى عنده الحرث بن ظالم قد اهدى لهُ فرساً فقال : ابيت اللعن نَعِم صباحك واهلي فداؤك هذا فرس من خيل بني قرَّة فلن نؤتى بفرس يشقّ غباره ان لم ننسبهُ انتسب كنت ارتبطهُ لغزو بني عامر بن صعصعة فلما اكرمتَ خالدًا اهديته اليك . وقام الربيع بن زياد العبسي فقال : ابيت اللعن نعم صباحك واهلي فداؤك هذا فرس من خيل بني عامر ارتبطت أباهُ عشرين سنة لم يُخفِق في غزوة ولم يعتلك في سفر وفضلهُ على هذين الفرسين كفضل بني عامر على غيرهم . (قال) فغضب النعمان عند ذلك وقال : يا معشر قيس ايّ خيلكم اشباهنا أين اللواتي كانّ اذنابها شقاق أعلام وكانَّ مناخرها وجار الضباع . رقاق المُستطعَم (١ تعالك اللجم في اشداقها تدور على مذاودها كأنّا يقضمن حصًى . قال خالد : زعم الحرث أبيتَ اللعن انَّ تلك الخيل خيلهُ وخيل آبائهِ . فغضب النعمان عند ذلك على الحرث ابن ظالم . فلما أمسوا اجتمعوا يشربون فقال خالد لقينةٍ تَغنّي :

---

١) مستطعم الفرس جحافله ويستحبّ من الفرس ان يرقّ مستطعمه

دار لهندٍ والرباب وفَرْتَنى ولبئس قول حوداث الايام

وهنَّ خالات الحرث بن ظالم . فغضب الحرث بن ظالم حتى امتلأ غيظاً وغضباً وقال : ما تزال تتبع أُولى بآخرة . (قال ابو عبيدة) ثم ان النعمان بن المنذر دعاهم بعد ذلك وقدَّم لهم تمرًا . فطفق خالد بن جعفر يأكل ويلقي نوى ما يأكل من التمر بين يدي الحرث . فلما فرغ القوم قال خالد بن جعفر : أبيت اللعن انظر الى ما بين يدي الحرث بن ظالم من النوى فما تَرك لنا تمرًا الَّا اكلهُ فقال الحرث : أمَّا انا فأكلت التمر وألقيت النوى . وأما أنت يا خالد فأكلتهُ بنواه . فغضب خالد وكان لا يُنازَع . فقال : أتنازعني يا حارث وقد قتلت حاضِرَتك (١ وتركتك يتيماً في حُجور النساء . فقال الحرث : ذلك يوم لم أشهدهُ وانا مُغنٍ اليوم بمكاني . فقال خالد : فهلَّا تشكر لي اذ قتلت زهير بن جذيمة وجعلتك سيد غطفان . قال : بلى اشكرك على ذلك . فخرج الحرث ابن ظالم الى بنت عَفزَر فشرب عندها وقال لها تغنَّي :

تعلمْ أبيت اللعن أنَّيَ فـاتكٌ من اليوم او من بعدهِ بابن جعفرِ
أخالدُ قد نبَّهتني غـير نائمٍ فلا تأمننْ فتكي مدى الدهر واحذرِ
أعيَّرتني ان نلتَ منَّا فوارسـاً غداةَ حُراضٌ مثل جِنَّات عَبْقَرِ (٢
اصابهمُ الدهر الخَتُور بخَتْرهِ (٣ ومن لا يقي اللهُ الحوادثَ يَعثُرِ
فعلَّك يومـاً ان تَنُوءَ بضربةٍ بكفٍّ فتًى من قومهِ غير جَيْدرِ (٤

---

١) الحاضرة والحاضر الحيّ العظيم او القوم ٢) حُراض وادٍ لبني يربوع ابن غيظ رهط الحرث بن ظالم . وعبقر موضع كثير الجنّ يقال في المثل كأنهم جنّ عبقر . ويروى جِنَّان ٣) ختر غدر ٤) جيدر قصير

يَعَضُّ بها عليا هوازنَ والمُنى لقاءُ ابي جزء (١ بأبيضَ مِبتَرِ

(قال) فبلغ خالد بن جعفر قولهُ فلم يحفل بهِ . فقال عبدالله بن جعدة وهو ابن اخت خالد وكان رجل قيس رأياً لابنهِ : يا بنيَّ ائتِ ابا جزء فاخبرهُ ان الحرث بن ظالم سفيه مَوتور فأخفِ مبيتك الليلة فانهُ قد غلبهُ الشراب . فان ابيتَ فاجعل بينك وبينهُ رجلًا ليحرسك . فوضعوا رجلًا بازائهِ . ونام ابن جعدة دون الرجل وخالد من خلف الرجل . وعُرف ان عروة وابن جعدة يحرسان خالدًا . فأقبل الحرث فانتهى الى ابن جعدة فتعدَّاه ومضى الى الرجل وهو يحسبهُ خالدًا فعجنهُ بكلكلهِ حتى كسرهُ وجعل يكلِّمهُ لا يَعقِل . فخلَّى عنهُ والرجل تحتهُ ومضى الى خالد وهو نائم فضربهُ بالسيف حتى قتلهُ . فقال لعروة : اخبر الناس اني قتلت خالدًا . وقال في ذلك :

ألا سائلِ النعمانَ إن كنتَ سائلًا وحيَّ كِلابٍ هل فتكتُ بخالدِ
عشوتُ اليهِ (٢ وابنُ جعدةَ دونهُ وعروةُ يَكلا عمَّهُ غيرَ راقدِ
وقد نصبا رَجلًا فباشرتُ جَوزهُ بكلكلِ مَخشيِّ العداوةِ حاردِ (٣
فأضربُهُ بالسيف يافوخَ راسهِ وصمَّمَ حتى نالَ نَيطَ القلائدِ (٤
وأفلتَ عبدُ الله مني بذُعرهِ وعروةُ من بعدِ ابنِ جعدةَ شاهدي

فلما ابت غطفان ان تجيرهُ غضبت لذلك بنو عبس . وبعث اليهِ قيس بن

---

١) ابو جزء كنية خالد ابن جعفر كما مرَّ بك في المتن في الصفحة ٢١٩ . والمعنى ان جلّ ما يتمنّاه ان يلقى خالدًا ليضربهُ بالسيف

٢) عشوت اليه قصدته ليلًا ٣) جوزه وسطه . رجل حرد وحارد غضبان

٤) يافوخ ملتقى عظم مقدَّم الراس ومؤخره . ويقال للضارب بالسيف اذا اصاب العظم فانفذ الضربة قد صمَّم . ونيط القلائد حيث تعلّق القلائد اي العنق

زهير بن جذيمة بهذه الابيات :

جزاك الله خيراً من خليلٍ ... شفى من ذي تبولته الخليلا
ازحتَ بها جوًى ودخيلَ حزنٍ ... تمخَّخَ اعظمي زمناً طويلا
كسوتَ الجعفريَّ ابا جزيءٍ ... ولم تخفل بهِ سيفاً صقيلا
أبأتَ بهِ زهيرَ بن بغيضٍ ... وكنت لمثلها وَلِهاً حمولا
كشفتَ لهُ القناعَ وكنتَ ممَّن ... يجلّي العار والامر الجليلا

فاجابهُ الحرث بن ظالم :

أتاني عن قُيَيْسِ بني زهيرٍ ... مقالةُ كاذبٍ ذكرَ التبولا
فلو كنتم كما قلتم لكنتم ... لِقاتلِ ثاركم حِرزًا أصيلا
ولكن قلتمُ جاورْ سِوانا ... فقد جللتَنا حدَثاً جليلا
ولو كانوا همُ قتلوا اخاكم ... لما طَرَدُوا الذي قَتَلَ القتيلا

(قال أبو عبيدة) فلما منعتهُ غطفان لحق بحاجب بن زرارة فأجارهُ ووعدهُ أن يمنعهُ من بني عامر . وبلغ بني عامر مكانهُ في بني تميم فساروا في علياء هوازن . فلما كانوا قريباً من القوم في اوّل وادي من اوديتهم خرج رجل من بني غنيّ ببعض البوادي فاذا هو بامرأة من بني تميم ثم من بني حنظلة تجتني الكمأة . فأخذها فسألها عن الخبر فأخبرتهُ بمكان الحرث بن ظالم عند حاجب بن زرارة وما وعدهُ من نصرتهِ ومنعهِ . فانطلق بها الغنويّ الى رحلهِ فانسلّت في وسط من الليل . فأتى الغنويُّ الاحوصَ بن جعفر فأخبرهُ ان المرأة قد ذهبت وقال : هي مُنذرة عليك . وتبع المرأة عمرو بن مالك يقُصّ أثرَها حتى انتهى الى بني زرارة والمرأة عند حاجب وهو يقول لها : اخبريني ايّ قوم اخذوكِ .

قالت : اخذني قوم يُقبلون بوجوه الظباء ويُدبرون باعجاز النساء . قال : اولئك بنو عامر . قال : فحدّثيني ما في القوم . قالت : رايتهم يغدون على شيخ كبير لا ينظر بمأقيهِ حتى يرفعوا لهُ من حاجبيهِ . قال : ذلك الاحوص بن جعفر . قالت : ورأيت شابًا شديد الخَلْق كانَّ شعرَ ساعديهِ حلَق الدِرع يعذِم القوم بلسانهِ عذْمَ الفرس العضوض . قال : ذلك عُتبة بن بشير بن خالد . قالت : ورأيت كهلًا اذا اقبل معهُ فتيانِ يشرف القوم اليهِ فاذا نطق انصتوا . قال : ذلك عمرو بن خويلد والفتيانِ ابناه زُرعة ويزيد . قالت : ورأيت شابًا طويلًا حسناً اذا تكلم بكلمة انصتوا لها ثم يؤولون اليهِ كما تؤول الشَول الى الفحل . قال : ذلك عامر ابن مالك . (قال ابو عبيدة) فدعا حاجب الحرث بن ظالم فأخبرهُ برأيهِ وخبر القوم وقال : يا ابن ظالم هؤلاء بنو عامر قد اتوك فما انت صانع . قال الحرث : ذلك اليك فان شئت اقمتُ فقاتلت القوم وان شئت تنحّيت . قال حاجب : تنحَّ عني غير مَلُوم . فغضب الحرث من ذلك وقال :

لعمري لقد جاورتُ في حيّ وائلٍ ومن وائل جاورت في حيّ تغلبِ
فأصبحتُ في حيّ الاراقم لم يقُلْ ليَ القومُ يا حارِ بن ظالمٍ اذهبِ
وقد كان ظني اذ عدلتُ اليكمُ بني عُـدُسٍ ظنّي باصحاب يثربِ
غداة اتاهم تُبَّـعٌ في جنودهِ فلم يُسلِموا المرأينِ من حيّ يحصِبِ
فان تكُ في عليا هوازنَ شوكةٌ تُخاف ففيكم حدُّ نابٍ ومِخلبِ
وان يُسلِمِ المرءُ الزراريّ جارَهُ فأعجِبْ بها من حاجبٍ ثم أعجبِ

فغضب حاجب وقال :

لَعمرُ ابيك الخير يا حارِ انني ... لأَمنع جارًا من كليب بن وائلِ
وقد علم الحيّ المَعدّيّ اننـا ... على ذاك كنا في الخطوب الاوائلِ
وأَنّا اذا ما خافَ جارٌ ظُلامةً ... لبسنـا لهُ ثوبَي وفاءٍ ونائلِ
وانَّ تميماً لم تحارِبْ قبيلـةً ... من الناس الّا أُولعت بالكواهلِ
ولو حاربَتنا عامرُ يا ابن ظالمٍ ... لعضَّت علينـا عامرٌ بالانامل
ولاستيقنت عليا هوازنَ اننا ... سنوطئُها في دارها بالقبائلِ
ولكنَّني لا ابعثُ الحرب ظالماً ... ولو هِجتُها لم أُلفِ شحمةَ آكلِ

(قال) فتنحّى الحرث بن ظالم عن بني زرارة فلحق بعَروض اليمامة . ودعا حاجب معبدًا ولقيطاً ابني زرارة فقال : سيرا في الظُعن فموعدكما رحرحان فانّا مقيمون في حامية الخيل حتى تأتينا بنو عامر . وخرج عامر ابن مالك الى قومهِ باخبر . فقالوا : ما ترى . قال : ان ندعهم بمكانهم ونسبقهم الى الظعن . (قال) فلقوها برحرحان . فاقتتلوا قتالًا شديدًا فاصابوها وأُسر معبد وجُرح لقيط . فبعثوا بمعبد الى رجل بالطائف كان يعذّب الاسرى . فقطعهُ اربًا اربًا حتى قتلهُ . وقال عمرو بن مالك يردُّ على حاجب قولهُ :

أَلكُنِي الى المرء الزراريّ حاجب ... رئيس تميم في الخطوب الاوائلِ
وفارسها في كل يوم كريهةٍ ... وخيرِ تميم بين حافٍ وناعلِ
لعمري لقد دافعت عن حيّ مالك ... سبائب من حربٍ تُلفّح حـائلِ
على كل جرداء السَّراة طِمرَّةٍ ... وأَجردَ خوّارِ العنـانِ مُناقلِ (١

---

١) السراة اعلى الظهر اي رقيقة شعر الظهر وهو مدح . طِمرة طويلة القوائم . خوّار العنانِ ليّن العطف . مناقل سريع نقل القوائم

نصحتُ لهُ اذ قلتُ ان كنتَ لاحقاً بقومٍ فلا تعدل بابنـاء وائلِ
ولو أجأتهُ عُصبة تغلبيَّـة لَسِرنا اليهم بالقنـا والقنابلِ
ولو رُمتمُ أن تمنعـوهُ رأيتمُ هناك اموراً غيُّها غير طائـلِ
لَشابَ وَليدُ الحيّ قبـلَ مَشيبهِ وعضَّت تميمٌ كلُّها بالانامل
وقامت رجال منكمُ خِندفيـة ينادون جهراً ليتنـا لم نقاتلِ

فلما قُتل الحرثُ بن ظالم خالد بن جعفر في جوار الملك خرج هارباً حتى اتى صديتاً لهُ من كندة يَحِلُّ شعبى . فلما الحَّ الاسود في طلب الحرث قال لهُ الكنديُّ : ما أرى لك نجاة الَّا ان ألحقك بحضرموت ببلاد اليمن فلا يوصل اليك . فسار معهُ يوماً وليلة فلما غرَّبه قال : انني انقطع ببلاد اليمن فاغترب بها وقد برئتُ منك خَفارتي . فرجع حتى اتى ارض بكر بن وائل فلجأ الى بني عجل بن لجيم . فنزل على زبّان . فأجارهُ وضرب عليهِ قبَّة . وفي ذلك يقول العجليّ :

ونحن منعنا بالرماح ابنَ ظالم فظلَّ يغنّي آمناً في خبائنا

(قال ابو عبيدة) فجاءتـهُ بنو ذهل بن ثعلبة وبنو عمرو بن شيبان فقالوا : أخرج هذا المشئوم من بين اظهرنا لا يغرّنا بشرّ فاننا لا طاقة لنا بالملجإ . والملجأ كتيبة الاسود . فأبت عجل ان تخفرهُ فقاتلوهُ فامتنعت بنو عجل . فقال الحرث بن ظالم في الكنديّ وفيهم :

يكلّفني الكنديُّ سيرَ تنوفةٍ أكابد فيها كلَّ ذي ضبَّةٍ (١ مُثري
وأقبلَ دوني جمعُ ذهل كأنني خلاةٌ لذهلٍ والزَّعانفِ (٢ من عمرو
ودونيَ ركبٌ من لجيم مصممٌ وزبَّان جاري والخفير على بكرِ

١) الضبة القطعة من الغنم ٢) خلاة كلُّ بقلة قلعتَها . الزعانف رُذال الناس

لعمريَ لا أخشى ظُلامة ظالمٍ وسعدُ بن عِجلٍ مجمعون على نصري

(قال ابو عبيدة) ثم قال لهم الحرث : اني قد شُهر امري فيكم ومكاني وأنا راحل عنكم . فارتحل فلحق بطيء . فقال الحرث في ذلك :

لعمري لقد حلَّت بنيَ اليومَ ناقتي إلى ناصرٍ من طيءٍ غير خاذلِ
فأصبحت جارًا للمجرَّة منهمُ على باذخ يعلو على المتطاولِ

(قال أبو عبيدة) وحدَّثني ابو حيَّة انَّ الاسود حين قتل الحرث خالدًا سأل عن امر يبلغ منهُ . فقال لهُ عروة بن عتبة : انَّ لهُ جارات من بَليّ ابن عمرو ولا أراك تنال منهُ شيئاً أغيظ لهُ من اخذهنَّ وأخذ أموالهنَّ فبعث الاسود فأخذهنّ واستاق اموالهنّ . فبلغ ذلك الحرث فخرج في الحين فانساب في غُمار (١ الناس حتى عرف موضع جاراتهِ ومرعى ابلهنَّ . فأتى الابل فوجد حالبَين يحلبان ناقة لهنَّ يقال لها اللِفاع (٢ وكانت لبوناً كأغزر الابل اذا حلبت اجترَّت ودمعت عيناها وأصغت برأسها وتفاجَت وهجمت في المحلب هجماً حتى تسنَّمهُ وتجاوبت احاليلها بالشخب هشًّا وهشيماً حتى تصُفّ بين ثلاثة محالب (٣ فصاح الحرث بهما ورجز فقال :

اذا سمعتِ حَنَّة اللفاعِ فادعي أبا ليلى ولا تراعي
ذلك راعيكِ فنعمَ الراعي يُجبك رحبَ الباع والذراعِ
منطَقاً بصارمٍ قطَّاعِ

---

١) غمار الناس زحمتهم وكثرتهم

٢) اللفاع اسم ناقة بعينها ٣) الاحليل مخرج اللبن من الثدي .

الشخب ما يخرج من الضرع من اللبن عند كل عصرة . هشت ثرَّت باللبن . هشم الناقة حلبها . الصفّ ان تحلب الناقة في محلبين او ثلاثة في حلبة واحدة

خلّيا عنها . فعرفاه فصرخ البائن (١ . ثم عمد الحرث الى اموال جاراتهِ والى جاراتهِ فجمعهنّ وردّ اموالهنّ وسار معهنّ حتى اشتلاهنّ(٢ ولحق الحرث ببلاد قومهِ مختفياً . وكانت اختهُ سلمى بنت ظالم عند سنان بن ابي حارثة المرّي . (قال أبو عبيدة) وكان الاسود بن المنذر قد تبنّى سنانُ بنُ ابي حارثة المرّي ابنهُ شرحبيل . فكانت سلمى امرأة سنان بن ابي حارثة المرّي ترضعهُ وهي أمّ هَرِم . وكان هرم غنياً يقدر على ما يعطي سائليهِ . فجاءَ الحرث وكان قد اندسَّ في بلاد غطفان فاستعار سَرج سنان ولا يعلم سنان وهم نزول بالشَربَّة . فأتى بهِ سلمى بنت ظالم فقال : يقول لكِ بعلك ابعثي بابن الملك مع الحرث حتى استأمن لهُ ويتخفَّر بهِ . وهذا سرجهُ آية اليكِ . فزيَّنتهُ ثم دفعتهُ الى الحرث . فأتى بالغلام ناحية من الشربة فقتلهُ ثم أنشأ يقول :

قفا فاسمعا أُخبرْكما اذ سألتما ... محاربُ مولاهُ وثكلانُ نادمُ (٣
أَخُصَيَّ حمارٍ بات يكدِم نَجمةً (٤ ... أَتُوكل جاراتي وجارك سالمُ
تمنيتهُ جهراً على غير ريبةٍ ... أَحارث ظلماً انما انتَ حالمُ
فان تكُ أَذواد أُصبنَ ونسوةٌ ... فهذا ابن سلمى رأسهُ متفاقمُ
علوتُ بذي الحيَّات مَفرقَ رأسهِ ... وكان سلاحي تجتويهِ الجماجمُ (٥
فتكت بهِ فتكاً كفتكي بخالد ... ولا يركب المكروه الّا الاكارمُ

---

١) البائن الحالب الايمن والمستعلي الحالب الايسر

٢) اي انقذهنّ ٣) محارب مولاه يعني الحرث نفسه . وثكلان نادم يعني الاسود لانه قتل ابنه شرحبيل ٤) نجمة نبتة خلاف الشجر

(٥ كان على سيف الحرث صورة حيتين . تجتويه لا يوافقها

بدأتُ بتلك واثنيتُ بهـذهِ وثالثة تبيضُ منها المقادِمُ (١
شفيت عليك الصدر منهُ بضربة كذلك يأبى المغضبون القماقمُ (٢

(قال أبو عبيدة) وهرب الحرث . فغزا الاسود بني ذبيان اذ نقضو العهد وبني اسد بشطّ أريك لدفع الاسدية سلمى ابنهُ الى الحرث . فقتل فيهم قتلًا ذريعاً وسبى واستاق اموالهم . وفي ذلك يقول :

وشيوخٌ صرعى بشطّي اريكِ ونسـاءٌ كأنهنَّ السعالي (٣
مِن نواصي دودانَ اذ نقضوا العهدَ م وذبيانَ والهجـانِ الغوالي
رُبَّ رفد هرقتـهُ ذلك اليو مَ وأسرى من معشر اقتالِ (٤
هؤلا ثم هؤلا كلًّا أحذيتُ م نِعـالًا محـذوّةً بمثـال
وأرى مَن عصاك أصبح مخذو لًا وكعبُ الذي يُطيعك عالي

(قال) ووجد نعل شرحبيل عند أُضاخ (٥ وهو من الشربة في بني محارب بن خَصَفة بن قيس عيلان . (قال) فأحمى لهم الاسود الصفا التي بصحراء اضاخ وقال لهم : اني أحذيكم نعالًا . فأمشاهم على الصفا المُحمى . فتساقط لحم أقدامهم

(قال ابو عبيدة) وأخذ الاسودُ سنانَ بن ابي حارثة فأتاهُ الحرث ابن سفيان احد بني الصادر وهو الحرث بن سفيان بن مرّة أخو سيار بن عمرو بن جابر الفزاريّ لامّهِ فاعتذر الى الاسود ان يكون سنان بن ابي حارثة علم او اطّلع . ولقد كان أطرد الحرث من بلاد غطفان وقال :

---

١) المقادم جمع مُقدَم الراس . الثالثة قتل النعمان ٢) جمع القُماقم اي السيّد
٣) جمع السِّعلاة انثى الغول . اريك اسم حبل بالبادية وقيل وادٍ
٤ جمع قِتل العدوّ ٥) إضاخ من قرى اليمامة

عليَّ دية ابنك الف بعير دية الملوك. فحمَّلها اياه وخلَّى عن سنان. فأدَّى الى الاسود منها ثمانمائة بعير. ثم مات. فقال سيار بن عمرو اخوه لامِّهِ: انا اقوم بما بقي مقام الحرث بن سفيان. فلم يرضَ بهِ الاسود. فرهنهُ سيار قوسهُ. فأدَّى البقيَّة

(قال أبو عبيدة) فلما قتل الحرثُ شرحبيلَ لحق ببني دارم فلجأ الى بني ضمرة. (قال) وبنو عبدالله بن دارم يقولون: بل جاور معبد ابن زرارة فأجارهُ. فجرَّ جوارهُ يومَ رحرحان وجرَّ يومُ رحرحان يومَ جبلة. وطلبهُ الاسود بن المنذر بخُفرتهِ. فلما بلغهُ نزولهُ ببني دارم ارسل فيهِ اليهم ان يُسلموه. فأبوا. فقال يمنّ على بني قطن بن نهشل ابن دارم بما كان من النعمان بن المنذر في أمر بني رشية وهي رُميلة (١ حين طلبهم من لقيط بن زرارة حتى استنقذهم. فقال الاسود بن المنذر في ذلك:

كأَيْنْ لنا من نعمةٍ في رِقابكم ... بني قَطَنٍ فضلًا عليكم وأَنعُما
وكم مِنَّةٍ كانت لنا في بيوتكم ... وقتل كريمٍ لم تعدُّوه مَغرما

---

١) رشية امة كانت لزرارة بن عديّ بن زيد المشاجعي. فتزوج بها رجل من بني نهشل. فولدت لهُ الاشهب بن رميلة والرباب بن رميلة وغيرهما. وكان زرارة يأتي بني نهشل يطلب الغلمة التي ولدت. فكانوا يُسمعونهُ ما يكره فيرجع الى ولده فيقول: اسمعني بنو عمّي خيرًا. وقالوا: سنبعث بهم اليك عاجلًا. حتى مات زرارة فقام لقيط ابنهُ بامرهم. فلما اتاهم أسمعوه ما كره ووقع بينهم شرّ. فذهب النهشليُّ الى الملك فقال: أبيت اللعن لا تصلني وتصل قومي بافضل من طلبتك الى لقيط الغلمة لتكفّ عني. فدعاه فشرب معهُ ثم استوهبهم منهُ فوهبهم لهُ. فقال الاسود بن المنذر في ذلك ما قال

فانكمُ لا تمنعون ابنَ ظالمٍ ولم يُمسِ بالأيدي الوشيجَ المقوّما(١

فاجابهُ ضمرة بن ضمرة فقال :

سنمنع جارًا عانذًا في بيوتكم بأسيافنا حتى يؤوبَ مُسلَّما
اذا ما دعونا دارماً حال دونهُ عوابسُ يعلكنَ الشكيمَ المعجَّما
ولو كنت حرباً ما وردتَ طُوَيلِعاً ولا جَوفه الّا خميساً عرمرما
تركتَ بني ماء السماء وفعلَهم وأشبهتَ تيساً بالحجاز مزنَّما (٢
ولن اذكرَ النعمانَ الّا بصالحٍ فانّ لهُ فضلًا علينا وانعُما

(قال) وبلغ ذلك بني عامر فخرج الاحوص غازياً لبني دارم طالباً بدم أخيهِ خالد بن جعفر حين انطووا على الحرث وقاموا دونهُ . فغزاهم فالتقوا برحرحان فهزمت بنو دارم وأُسر معبد بن زرارة فانطلقوا بهِ حتى مات في أيديهم . وحديثهُ في يوم رحرحان يأتي بعد . ثم أسر بنو هزان الحرث ابن ظالم

يوم رحرحان (*

قال ابو سعيد الحسن بن الحسين السكري عن محمد بن الحبيب عن أبي عبيدة قال : كان من خبر رحرحان الثاني ان الحرث بن ظالم المرّي لما قتل خالدَ بن جعفر بن كلاب غدرًا عند النعمان بن المنذر بالحيرة

---

١) الوشيج الرماح ٢) المزنَّم الذي لهُ زغة وهي هنة معلقة تحت لحية العتر *) رحرحان اسم جبل قريب عكاظ خلف عرفات . قيل هو لغطفان . وكان فيهِ يومان للعرب اشهرهما الثاني

هرب فأتى زرارةَ بن عُدُس فكان عندهُ . وكان قوم الحرث قد تشاءموا بهِ فلاموه وكره ان يكون لقومهِ زعم عليهِ (١ فلم يزل في بني تميم عند زرارة حتى لحق بقريش . وكان يقال ان مرَّة بن عوف من لؤيّ بن غالب . وهو قول الحرث بن ظالم ينتمي الى قريش :

رفعت السيف اذ قالوا قريشٌ وبينَّت الشمائل والعتابا
فما قومي بثعلبـة بن سعدٍ ولا بفزارةَ الشُّعرِ الرقـابا

وأتاهم لذلك النسب . فكان عند عبدالله بن جدعان . فخرجت بنو عامر الى الحرث بن ظالم حيث لجأ الى زرارة وعليهم الاحوص بن جعفر والتقوا برححان وأُسر يومئذٍ معبد بن زرارة اسرهُ عامر بن مالك واشترك في اسرهِ طُفَيل بن مالك ورجل من غني يقال لهُ ابو عميلة وهو عِصْمة بن وهب وكان أخا طُفَيل بن مالك من الرَّضاعة . وكان مَعبَد بن زرارة أغار على عامر بن مالك في الشهز الحرام وهو رجب وكانت مُضر تدعوه الاصمّ لانهم كانوا لا يتنادون فيهِ : يا لفلان ويا لفلان ولا يتغازون ولا يتنادون فيهِ بالثارات . وهو ايضاً مُنْصِل الأَلّ (والألّ الاسنَّة . كانوا اذا دخل رجب أنصلوا الاسنة من الرماح حتى يخرجَ الشهرُ) . وسأل لَقيط عامرًا ان يُطلق اخاه . فقال : اما حِصَّتي فقد وهبتها لك ولكن أرضِ أخي وحليفي اللذين اشتركا فيهِ . فجعل لقيط لكلّ واحد مائة من الابل . فرضيا وأتيا عامرًا فاخبراه . فقال عامر للقيط : دونك اخاك فاطلق عنهُ . فلما أُطلق فكَّر لقيط في نفسهِ فقال : اعطيتهم مائتي بعير ثم تكون لهم النعمة عليَّ بعد ذلك .

---

١) الزعم المنَّة

لا والله لا أفعل ذلك . ورجع الى عامر فقال : انَّ أبي زرارة نهاني ان أزيد على مائةِ دِيةَ مُضَر . فان انتم رضيتم اعطيتكم مائة من الابل . فقالوا : لا حاجة لنا في ذلك . فانصرف لقيط . فقال لهُ معبد : مالي يخرجني من أيديهم . فأبى ذلك عليهِ . فقال : اذًا يقتسم العرب بني زرارة . فقال معبد لعامر بن مالك : يا عامر أنشُدُك اللهَ لَما خلَّيت سبيلي فانما يريد ابن الحمراء ان يأكل كل مالي . ولم تكن امّهُ أُمَّ لقيط . فقال لهُ عامر : أبعَدك الله ان لم يُشفق عليك اخوك فانا أحقُّ ان لا أُشفق عليك . فعمدوا الى معبد فشدّوا عليهِ القِدّ وبعثوا بهِ الى الطائف . فلم يزل بهِ حتى مات . فذلك قول شُرَيح بن الاحوص :

لقيطُ وأنتَ امرؤٌ ماجد ... ولكنَّ حِلمَك لا يهتدي
ألَمَّا امِنتَ وساغ الشرا ... بُ واحتلّ بيتُك في شَهمَدِ (١
رفعتَ برجلك فوق الفرا ... شِ تُهدَى القصائدَ في معبدِ
واسلمتهُ عند جِدَ القتال ... وتبخلُ بالمالِ ان تَفتدي

وقال في ذلك عوف بن عطية بن الجزع التيمي يعيّر لقيط بن زرارة :

هلَّا فوارس رحرحان هجوتهم ... عُشَرًا تَناوَحُ في سَرارةِ (٢ وادِ
لا تاكل الابل الغراث (٣ نباتهُ ... ما إن يقومُ عِمادهُ بعمادِ (٤
هلَّا كررت على أُخيّك معبدٍ ... والعامريُّ يقودهُ بصِفادِ (٥

---

١) شهمد اسم موضع ٢) العشر من شجر العضاه . تناوح تقابل بعضها بعضاً . سرارة الوادي وسطه وافضل موضع فيهِ ٣) الغراث الجباع
٤) اي هو اضعف العماد ٥) الصفاد ما يوثق به الاسير من قِدّ وقيد وغلّ

وذكرتَ من لبن المحلَّق شربةً والخيل تعدو بالصفاح بَدادِ (١
لو كنتَ اذ لا يستطيع فديتَهُ بهجانِ أُدمٍ طارفٍ وتـلادِ
لكن تركتـهُ في عميقٍ قعرُها جَزَرًا لخامعـةٍ (٢ وطيرٍ عوادِ
لو كنتَ مستحياً لعِرضك مرَّةً قاتلتَ او لَفديتَ بالاذوادِ

وفيها يقول نابغة بني جعدة:

هلَّا سألت بيومَي رحرحانَ وقد ظنَّت هوازنُ انَّ الغيَّ قد زالا

وفيها يقول مقدام اخو عدس بن يزيد في الاسلام وقتلت بنو طُهَيَّة ابناً للقَعْقاع بن معبد فتنادوا فاخذت بنو طهية منهم الفضلَ:

وانتم بنو ماء السماء زعمتمُ ومات ابوكم يا بني معبدٍ هَزْلا

وقال المخبَّل السعدي يذكر معبداً:

فان تكُ نالتنا كليب بقرَّةٍ فيومك فيهم بالمصيفة (٣ ابردُ
همُ قتلوا يوم المصيفة مالكاً وشاط بايديهم لقيطٌ ومعبدُ

وفيهما يقول عياض بن مرثد بن أسيد بن قريط بن لبيد في الاسلام:

ونحن أسرنا معبداً يوم معبدٍ فما افتكَّ حتى مات من شدَّة الاسرِ
ونحن قتلنا بالصفا بعد معبدٍ أخاهُ باطراف الرديْنيَّـة السمرِ

هرب الحرث بن ظالم ومقتله

قال ابو عبيدة: خرج الحرث من عند بني دارم فجعل يطوف في

---

١) بداد متفرّقة متبدّدة. الصفاح موضع. محلّق موسومة بحلق على وجوهها وهي سمة ابل بني زرارة. يقول ذكرت لبن الابل ٢) الخامعة الضبع لانها تخمع في مشيتها اي تعرج ٣) روى ياقوت « بالمَضيقة

البلاد حتى سقط في ناحية من بلاد ربيعة ووضع سلاحهُ وهو في فلاة ليس فيها أثر ونام . فمرّ بهِ نفرٌ من بني قيس بن ثعلبة ومعهم قوم من بني هزان من عنزة وهو نائم . فاخذوا فرسهُ وسلاحهُ . ثم أوثقوه . فانتبه وقد شدّوه ولم يملك من نفسهِ شيئاً . فسألوه : من انت . فلم يخبرهم وطوى عنهم الخبر . فضربوهُ ليقتلوه على ان يخبرهم من هو . فلم يفعل . فاشتراه القيسيُّون من الهزانيّين بزقّ خمر وشاة . ثم انطلقوا بهِ الى بلادهم فقالوا لهُ : من انت وما حالك . فلم يخبرهم . فضربوه ليموت . فأبى . (قال) وهو قريب من اليمامة . (قال) فبينما هم على تلك الحال وهم يُريعونهُ ضرباً مرَّةً وتهدداً اخرى ولِيناً مرّةً ان يخبرهم بحالهِ وهو يأبى حتى ملّوه فتركوه في قيده حتى انفلت ليلاً فتوجّه نحو اليمامة وهو قريب منه . فلقي غلمة يلعبون . فنظر الى غلام منهم اخلقهم للخير عنده فقال : من انت . قال : أنا بجير بن أبجر العجليّ . ولهُ ذوأبة يومئذٍ وأُمهُ امرأة قتادة بن مسلمة الحنفيّ . فأتاه وأخذ بحقويهِ والتزمهُ وقال : انا لك جار . فيقال انَّ عجلاً اجارتهُ في هذا اليوم لا في اليوم الاوّل الذي ذكرناه في اوّل الحديث . فأتى الغلام اباه فأخبره واجاره وقال : انت عمّك قتادة بن مسلمة الحنفيّ فاخبرهُ . فأتى قتادة فاخبرهُ فاجارهُ

(قال ابو عبيدة) وأما فراش فزعم انهُ أفات من بني قيس فاقبل شدًّا حتى اتى اليمامة . وتبعوهُ حتى انتهى الى نادي بني حنيفة وفيهِ قتادة ابن مسلمة . فلما رأوهُ يهوي نحوهم قال : انَّ هذا لخائف . وبصر القومَ من خلفهِ فصاح بهِ : الحصنَ الحصن . فاقبل حتى ولج الحصن . وجاءت

بنو قيس . فحال دونهُ وقال : لو اخذتموه قبل دخولهِ الحصن لأَسلمتهُ اليكم . فاما اذ تحرَّم بي فلا سبيل اليهِ . (قال) فقالوا : اسيرنا اشتريناه باموالنا وما هو لك بجار ولا تعرفهُ وانما أَتاكَ هارباً من ايدينا ونحن قومك وجيرتك . قال : امَّا ان اسلمهُ ابدًا فلا يكون ذلك ولكن اختاروا مني ان شئتم فانظروا ما اشتريتموه بهِ فخذوه مني . وان شئتم اعطيتهُ سلاحاً كاملًا وحملتهُ على فرس ودَعوه حتى يقطع الوادي بيني وبينهُ ثم دونكموه . فقالوا : رضينا . فقال ذلك للحرث . فقال : نعم . فالبسهُ سلاحاً كاملًا وحملهُ على فرسهِ وقال لهُ : ان افلتهم فردّ اليَّ الفرسَ والسلاحُ لك . (قال) فخرج وتركوهُ حتى جاز الوادي ثم اتبعوه ليأخذوه . فلم يزل يقاتلهم ويطاردهم حتى ورد بلاد بني قُشَير وهو قريب من اليمامة أَيضاً بينهما اقلّ من يوم . فلما صار الى بلاد بني قشير يئسوا منهُ فرجعوا عنهُ . وعرفهُ بنو قشير فانطوا عليهِ وأَكرموه وردَّ الى قتادة بن مسلمة فرسه وارسل اليهِ بمائة من الابل لا ادري أَأَعطاه اياها بنو قشير من اموالهم ليكافئَ بها قتادة أَم كانت لهُ . لم يفسر ابو عبيدة امرها ولا سالتهُ عنها . فقال الحرث بن ظالم في ابني حلاكة وهما من الذين باعوهُ من القيسيين وفيما كان من امره :

أَبلغ لديك بني قيس مغلغلة ... اني اقسَم في هزَّان ارباعا
ابنا حلاكة باعاني بلا ثمن ... وباع ذو آل هزَّان بما باعا
يا ابني حلاكة لمَّا تأْخذا ثمني ... حتى أُقسّم افراساً وادراعا
قتادة الخير نالتني حذيَّتهُ (١ ... وكان قدماً الى الخيرات طلَّاعا

---

١) حذيَّة عطيَّة

وقال في ذلك ايضاً :

همَّت عكابة ان تضيم لجيّماً فأبت لجيم ما تقول عكابهْ
فاسقي بجيرًا من رحيقِ(١ مدامةٍ واسقي الخفير وطهّري اثوابهْ
جاءت حنيفة قبل جيئة يشكر كلًّا وجدنا أربياء ذوَّابهْ (٢

وزعم ابو عبيدة ان الحرث لما هُزمت بنو تميم يوم رحرحان مرَّ برجل من بني أسد بن جذيمة . فقال : يا حارِ انك مشئوم وقد فعلت ما فعلت فانظر اذا كنت بمكان كذا وكذا من بُرقة رحرحان فان لي بهِ جملًا احمر فلا تتعرض لهُ . وانما يعرّض لهُ ويكره ان يصرّح فيبلغ الاسودَ فياخذهُ . فلما كان الحرث بذلك المكان اخذ الجمل فنجا عليهِ . واذا لا يساير مَن امامه ولا يسبق من وراءهُ . فبلغ ذلك الاسودَ فاخذ الاسودُ الاسديَّ وناساً من قومهِ وبلغ ذلك الحرث بن ظالم فقال كأنهُ يهجوهم لئلَّا يتهمهم الاسودُ :

أراني الله بالنَعَم المُبدَّى ببرقة رحرحان وقد اراني
لحيّ الانكَدين وحي عبس وحيّ نعامة وبني غدان

(قال) فلما بلغ قولهُ الاسود خلَّى عنهم ولحق الحرث بمكة وانتمى الى قريش . وذلك قوله :

وما قومي بثعلبة بن سعد ولا بفزارة الشُعر الرقابا
وقومي ان سألتَ بنو لؤيّ بمكَّة علّموا مضر الضرابا

(قال) فزوّدهُ وحملهُ رواحة الجمحي على ناقة . فذلك قولهُ :

---

١) الرحيق الصافي من الخمر
٢) ذوّابة كل شيء اعلاه ويستعار للعز والشرف والمرتبة

وهشّ(١ رواحة الجُمَحيّ رحلي بناجيةٍ ولم يطلب ثوابا
كأنّ الرحلَ والأنساع فيها ومبترتي كُسينَ أقبَّ جابا (٢

(قال) فلحق الحرث بالشام بملك من ملوك غسان يقال النعمان ويقال بل هو يزيد بن عمرو الغساني فأجارهُ . وكانت للملك ناقة محماة في عنقها مدية وزناد وصرّة ملح . وانما يختبر بذلك رعيته هل يجترئ عليهِ احد منهم . ومع الحرث امرأتان . فوحمت احدى امرأتيه . (قال ابو عبيدة) واصابت الناس سنة شديدة فطلبت الشحم اليهِ . قال : وانّى لي بالشحم . فالحّت عليه . فعمد الى الناقة فادخلها الى بطن وادٍ فلبّ في سَبَلتها(٣ . فأكلت امرأتهُ ورفعت ما بقي من الشحم في عُكَّتها (٤ . (قال) وفُقدت الناقة فوُجدت نحيرًا لم يؤخذ منها الّا السنام . فاعلموا ذلك الملك وخفي عليهم مَن فعلهُ . فارسل الى الخِمس التغلبيّ وكان كاهناً فقال : من نحر الناقة . فذكر ان الحرث نحرها . فتذمّم الملك وكذّب عنهُ . فقال : ان اردتَ تعلم علم ذلك فدسّ امرأة تطلب الى امرأتهِ شحماً . ففعل . فدخل الحرث وقد أخرجت امرأتهُ اليها شحماً فعرف الرأي فقتلها ودفنها في بيتهِ . فلما فُقدت المرأة قال الخمس : غالها ما غال الناقة فان كره الملك ان يفتشهُ عن ذلك فليأمر بالرحيل فاذا ارتحل بحث بيتهُ . ففعل واستأثر الخمس مكان بيتهِ . فوثب عليهِ الحرث فقتلهُ .

---

١) يروى حشّ وهشّ وهما لغتان . وحشَّ سوّى ٢) الجأب حمار الوحش الغليظ واقبّ ضامر البطن شبّه ناقته به ٣) لبّ طعن والسبلة منحر البعير ٤) العكّة وعاء من جلود مستدير مختصّ بالسمن والعسل وهو بالسمن اخصّ

فأُخذ الحرث فحُبس . فاستسقى ماء فأتاه رجل بماء فقال : أتشرب . فانشأ الحرث يقول :

لقد قال لي عند المجاهد صاحبي وقد حيل دون الميش هل أنت شاربُ

وددت باطراف البنان لو أنني بذي أَرْوَنا ترمي ورائي الثعالبُ (١

(قال) فأمر الملك بقتله . فقال : انك قد اجرتني فلا تغدرني . فقال : لا ضير ان غدرت بك مرّة فقد غدرت بي مرارًا . فأمر مالك بن الخمس التغلبيّ ان يقتلهُ بأبيهِ . فقال : يا ابن شرّ الاظماء أنت تقتلني . فقتله . وقال ابن الكلبي : لما قام ابن الخمس الى الحرث ليقتلهُ . قال : من انت . قال : ابن الخمس . قال : انت ابن شرّ الاظماء . قال : وانت ابن شرّ الاسماء . فقتلهُ

واخذ ابن الخمس سيف الحرث بن ظالم المعلوب (٢ فأتى بهِ سوق عكاظ في الحرم . فجعل يعرضهُ على البيع ويقول : هذا سيف الحرث ابن ظالم . فاشتراه قيس بن زهير بن جذيمة . فاراه اياه . فعلاه بهِ حتى قتلهُ في الحرم . فقال قيس بن زحك يرثي الحرث بن ظالم :

ما قصّرت من حاضنٍ ستر بيتها أبرّ واوفى منك حارِ بن ظالمِ

أعزّ واحمى عند جار وذمـةٍ وأضرب في كابٍ من النقع قاتمِ (٣

هذه رواية أبي عبيدة والبصريّين . واما الكوفيون فانهم يذكرون ان النعمان بن المنذر هو الذي قتلهُ

---

١) الثعالب من بني مُرَّة وهم رُماة . يقول كانوا يرمون عني ويقومون بامري . ارونا موضع في ديار بني مرّة . والبَنان موضع ٢) المعلوب اسم سيف الحرث ٣) النقع الغبار الساطع وكابٍ ضخم

اخبرني بذلك علي بن سليمان الاخفش قال : حدَّثنا ابو سعيد عن محمد بن حبيب عن ابن الاعرابي عن المفضل قال : لما هرب الحرث الى مكة أَسف النعمان بن المنذر على فوتهِ اياه . فلطف لهُ وراسلهُ واعطاه الامان واشهد على نفسهِ وجوه العرب من ربيعة ومضر واليمن انهُ لا يطلبهُ بذَحل ولا يسوءهُ في حال . وارسل بهِ مع جماعة ليسكن الحرث اليهم . وأمرهم ان يتكلفوا لهُ بالوفاء ويضمنوا لهُ عنهُ انهُ لا يهيجهُ . ففعلوا ذلك . وسكن اليهِ الحرث فأتى النعمان وهو في قصر بني مقاتل فقال للحاجب : استأذن لي . والناس يومئذٍ عند النعمان متوافرون . فاستأذن لهُ . فقال النعمان : ائذن لهُ وخذ سيفهُ . فقال لهُ : ضع سيفك وادخل . فقال الحرث : ولمَ اضعهُ . قال : ضعهُ فلا بأس عليك . فلما ألحَّ عليهِ وضعهُ ودخل ومعهُ الامان . فلما دخل قال : أَنعم صباحاً أَبيت اللعن . قال : لا أَنعم الله صباحك . فقال الحرث : هذا كتابك . قال النعمان : كتابي والله ما انكرهُ انا كتبتهُ لك وقد غدرتَ وفتكت مراراً . فلا ضير ان غدرتُ بك مرَّة . ثم نادى : من يقتل هذا . فقام ابن الخمس التغلبيّ وكان الحرث فتك بابيهِ . فقال : أَنا أَقتلهُ . وذكر باقي الخبر في قصتهِ مع ابن الخمس ما ذكر ابو عبيدة

خبر الحرث بن ظالم وعمرو بن الاطنابة

وانما ذُكر ههنا لاتصالهِ بمقتل خالد بن جعفر ولانَّ فيما تناقضا من الاشعار اغاني صالح ذكرها في هذا الموضع . (قال ابو عبيدة) كان

عمرو بن الاطنابة الخزرجيّ ملك الحجاز . ولما بلغهُ قتل الحرث بن ظالم خالد بن جعفر وكان خالد مصافياً لهُ غضب لذلك غضباً شديداً وقال : والله لو لقي الحرث خالداً وهو يقظان لما نظر اليهِ ولكنهُ قتلهُ نائماً . ولو اتاني لعرف قدره . ثم دعا بشرابهِ ووضع التاج على رأسهِ ودعا بقيانهِ فتغنينَ لهُ :

علّلاني وعلّلا صاحبيّاً ... واسقياني من المروّق رَيّاً
انّ فينا القيان يعزفنَ بالدفـ ... ـم لفتياننا وعيشاً رخيّاً
يتبارينَ في النعيم ويصبُبْنَ ... خلالَ القرونِ مسكاً زكيّاً
انّما همّهنَّ ان يتحلّين ... سُموطاً وسنبلاً فارسيّاً
من سموط المرجان فُصّل بالدرّ ... فأحسِنْ بحليهنَّ حليّاً
وفتًى يضرب الكتيبة بالسيف ... اذا كانت السيوف عصيّاً
اننا لا نسرُّ في غير نجدٍ ... ان فينا بها فتًى خزرجيّاً
يدفع الضيم والظلامة عنها ... فتجافَيْ عنهُ لنا يا مَنيّاً
أبلغ الحرث بن ظالم الرعديد ... والنـاذر النذور عليّا
أنّما يقتل النيام ولا يقتل ... يقظانَ ذا سلاح كميّا
ومعي مشتكى مَعابلَ (١ كالجمر ... وأعددت صارماً مشرفيّا
لو هبطت البلاد أنسيتك القتل ... كما ينسيْ النسيْ النسيّا (٢

(قال) فلما بلغ الحرث شعره هذا ازداد حنقاً وغيظاً . فسار حتى ديار

---

١) معابل جمع معبلة نصل طويل عريض . مشتكى يشتكى من ألمها

٢) انسأ أخّر . النسيْ الخمر والنسيْ ايضاً شهر كانت العرب تُؤخره في الجاهلية . والنسي الكثير النسيان

بني الخزرج ثم دنا من قبّة عمرو بن الاطنابة ثم نادى : أيها الملك أغثني فاني جار مكثور وخذ سلاحك . فاجابهُ وخرج معهُ حتى اذا برَز لهُ عطف عليهِ الحرث وقال : انا ابو ليلى . فاعتركا مليًّا من الليل . وخشي عمرو ان يقتلهُ الحرث فقال لهُ : يا حارِ اني شيخ كبير واني تعتريني سِنة . فهل لك في تأخير هذا الامر الى غد . فقال : هيهات ومَن لي بهِ في غد . فتجاولا ساعة . ثم ألقى عمرو الرمح من يدهِ وقال : يا حارِ ألم أُخبرك ان النعاس يغلبني . قد سقط رمحي فاكفف . فكفَّ . قال : أنظِرني الى غد . قال : لا افعل . قال : فدعني آخذ رمحي . قال : خذه . قال : اخشى ان تُعجلني عنهُ او تفتك بي اذا اردتُ اخذه . قال : وذمة ظالم لا اعجلتك ولا قاتلتك ولا فتكت بك حتى تأخذهُ . قال : وذمة الاطنابة لا آخذهُ ولا أُقاتلك . فانصرف الحرث الى قومهِ وقال مجيباً لهُ :

إعزِفا لي بلذّة قينتيّا ... قبل ان يَبكُرَ المنونُ عليّا
قبل ان يبكر العواذلُ اني ... كنت قِدماً لامرهنَّ عصيّا
ما أُبالي اذا اصطبحت ثلاثاً ... أرشيدًا حسبتني أم غويًّا
بعد ان لا أُصرّ لله اثماً ... في حياتي ولا اخون صفيّا
من سلاف كأنها دمُ ظبيٍ ... في زجاج تخالهُ رازقيّا (١
بلغتنا مقالة المرء عمرو ... فأنفنا وكان ذاك بَديًّا (٢
قد هممنا بقتلهِ اذ برزنا ... ولقيناهُ ذا سلاحٍ كميّا (٣
غير ما نائمٍ تعلّل بالحُلم م مُعِدًّا بكفهِ مشرفيّا

---

١) الرازقي ثياب كتان بيض وضرب من عنب الطائف ابيض طويل الحبّ . ٢) بديّ امرٌ عجيب ٣) كمي لابس السلاح

فمننّا عليه بعد عاورٍ بوفاءٍ وكنت قِدماً وفيّا
ورجعنا بالصفح عنهُ وكان م المنُّ منّا عليهِ بعدُ تليّا

يوم شِعْب جَبَلة (*

(قال ابو عبيدة) وأمّا يوم جبلة وكان من عظام ايام العرب . وكان عظام ايام العرب ثلاثة يوم كُلاب لربيعة ويوم جبلة ويوم ذي قار . وكان الذي هاج يوم جبلة انَّ بني عَبْس بن بَغيض حين خرجوا هاربين من بني ذبيان بن بغيض وحاربوا قومهم خرجوا متلزّزين . فقال الرَّبيع بن زياد العبسي أما والله لارمينَّ العرب بحَجَرها . إقصدوا بني عامر . فخرج حتى نزل مَضيقاً من وادي بني عامر . ثم قال : امكثوا فخرج ربيع وعامر ابنا زياد والحرث بن خلف حتى نزلوا على ربيعة بن شَكَل بن كعب بن الحرث . وكان العَقد من بني عامر الى كعب بن ربيعة . فقال ربيعة بن شكل : يا بني عبس شأنكم جليل وذَحلكم الذي يُطلَب منكم عظيم وأنا اعلم والله ان هذه الحرب أعزُّ حرب ما حاربتها العرب

---

*) جبلة هضبة حمراء بنجد بين التُرَيف والشرَف . والشريف ماءٌ لبني نُمَيْر والشرَف لبني كلاب . وجَبَلَة حبل عظيم واسع لهُ شِعْب طويل لا يرقى الجبل الّا من قبل الشعب . والشعب متقارب وداخلهُ متّسع . وقال ابو زياد : جبلة هضبة طولها مسيرة يوم وعرضها مسيرة نصف يوم وليس فيها طريق الّا طريقان فطريق من قبل مطلع الشمس وهو اسفل الوادي الذي يجيءُ من جبلة وبه ماءة لعرينة يقال لها سلمة . وعرينة حيٌّ من بجيلة حلفاء في بني كلاب . وطريق آخر من قبل مغرب الشمس يسمّى الحريف . وليس الى جبلة طريق غير هذين

قط ولا والله لا بد من بني كِلاب فامهلوني حتى استطلع طِلع قومي. فخرج في قوم من بني كعب حتى جازوا بني كلاب . فلقيهم عوف بن الاحوص فقال: يا قوم أطيعوني في هذا الطَرَف من غطفان فاقطعوهم واغنموهم لا تُفلِح غطفان بعده ابدًا . ووالله إن تزيدون على ان تُسمّنوهم وتمنعوهم ثم يصيروا لقومكم اعداء. فأبوا عليهِ وانقلبوا حتى نزلوا على الاحوص بن جعفر فذكروا لهُ من امرهم. فقال لربيعة بن شكل: أظللتهم ظلك وأطعمتهم طعامك. قال: نعم. قال: قد والله أجرت القومَ. فأنزلوا القومَ وسطهم بجبوحة دارهم

وذكر بِشر بن عبد الله بن حيّان الكِلابي ان عبساً لما حاربت قومها أتوا بني عامر وارادوا عبد الله بن جَعْدة وابن الحرِيش ليصيروا حلفاءهم دون كلاب . فأتى قيسُ بن زهير وأقبل نحو بني جعفر هو والرَّبيع بن زياد حتى انتهيا الى الاحوص وقد لم يأتهِ . فقال قيس للربيع : انهُ لا حِلف ولا ثِقة دون ان انتمي الى هذا الشيخ . فتقدم اليهِ قيس فاخذ بمجامع ثوبهِ من وراء فقال: هذا مُقام العائذِ بك قتلتم ابي فما اخذت لهُ عَقْلًا ولا قتلت بهِ احدًا وقد أتيتك لتجيرنا . فقال الاحوص: نعم انا لك جارٌ مما أُجيرُ منهُ نفسي. وعوف بن الاحوص عن ذلك غائب. فلما سمع عوف بذلك أتى الاحوص وعنده بنو جعفر فقال: يا معشر بني جعفر أطيعوني اليوم وأعصوني ابدًا وان كنت والله فيكم مَعصيًا انهم والله لو لقوا بني ذبيان لولّوكم اطراف الاسنّة اذا نكصوا في أفواههم بكلام فابدأوا بهم فاقتلوهم واجعلوهم مثل البُرغوث دماغُهُ دمهُ . فأبوا عليهِ وحالفوهم . فقال رجل لا أدخل في هذا الحلف. (قال)

وسمعت بهم حيث قرّ قرارهم بنو ذبيان فحشدوا واستعدّوا وخرجوا وعليهم حِصن بن حُذَيفة ومعهُ الحليفان أسد وذبيان يطلبون دم حذيفة . وأقبل معهم شرحبيل بن أخضر بن الجون بن آكل المُرار الكِندي في جمع من بني كندة . وأقبلت بنو حنظلة بن مالك والرّباب عليهم لقيطُ بن زرارة يطلبون بدم معبد بن زرارة ويثربي بن عُدُس . وأقبل معهم كيسان بن عمرو بن الجون في جمع عظيم من كندة وغيرهم . فاقبلوا عليهِ بوضائع كانت تكون بالحيرة مع الملوك وهم الرابطة (١ . وكان في الرباب رجل من اشرافهم يقال لهُ النعمان بن قَهْوَسٍ التَّيمي . وكان معهُ لواء مَن سارَ الى جبلة . وكان من فرسان العرب ولهُ تقول دُخْتَنوس بنت لقيط بن زرارة يومئذٍ:

فرَّ ابن قَهْوَسٍ الشجاع م بكفهِ رمح مِتَلٌّ (٢
يعدو بهِ خاظي البضيع م كأنهُ سِنع أزلُّ (٣
انَّك من تميمٍ فدَع غطفانَ إن ساروا وحلُّوا
لا منك عِدُّهمُ ولا آباك ان هلكوا وذلّوا
فخرَ البَغيّ بجدجِ ربّتها م اذا الناس استقلّوا
لا جِدجها رَكبتْ ولا لِرَغالِ (٤ فيها مُستظَلُّ

---

١) الوضائع قوم من الجند . المرابطة ملازمة ثغر العدو واصلهُ ان يربط كل واحد من الفريقين خيلهُ ثم صار لزوم الثغر رباطاً

٢) متلّ مستقيم يتل بهِ كل شيء اي يصرع

٣) الخاظي الشيء المكتنز . السمع ولد الضبع كما ان العسبار ولد الذئب من الكلبة . الازلّ الارسح

٤) رغالِ الأَمَة

ولقد رأيت أَباكَ وسط م القوم يربقُ او يَجُلُّ (١
مُتقلدًا رِبْقَ الفُرار (٢ م كأَنهُ في الجيـد غُلُّ

(قال) وكان معهم رؤساء بني تميم حاجب بن زرارة ولقيط بن زرارة وعمرو بن عمرو بن عيينة والحرث بن شهاب وتبعهم غُثاء (٣ من غثاء الناس يريدون الغنيمة . فجمعوا جمعاً لم يكن في الجاهلية قطّ مثلهُ أكثر كَثْرةً . فلم تشُكّ العرب في هلاك بني عامر : حتى مرّوا ببني سعد بن زيدِ مَناة فقالوا لهم : سيروا معنا الى بني عامر . فقالت لهم بنو سعد : ما كنّا لنصير معكم ونحن نزعُم ان عامرَ ابنُ صعصعة بن سعد . فقالوا . اما اذا أبيتم ان تسيروا معنا فاكتموا علينا . فقالوا : أمّا هذا فنعم . فلما سمعت بنو عامر مسيرهم اجتمعوا الى الاحوص بن جعفر وهو يومئذٍ شيخ كبير قد وقع حاجباه على عينيهِ وقد ترك الغزو . غير انهُ يدبّر امر الناس وكان مجرّباً حازماً ميمون النقيبة (٤ . فاخبروه الخبر . فقال لهم الاحوص : قد كَبِرت فما استطيع ان اجيءَ بالحزم وقد ذهب الرأي مني . ولكني اذا سمعت عرفت فاجمعوا آراءَكم ثم بيتوا ليلتكم هذه ثم اغدوا عليَّ فاعرضوا عليَّ آراءَكم . ففعلوا فلما اصبحوا غدوا عليهِ . فوُضعت لهُ عباءَة بفنائهِ فجلس عليها ورفع حاجبيهِ عن عينيهِ بعِصابة ثم قال : هاتوا ما عندكم . فقال قيس بن زهير العبسي : بات في كنانتي الليلة مائةُ رأي .

---

١) يربق يشدّ الغنم بالربق وهو الحبل فيه عدّة عُرى . يجلّ يلتقط الجُلّة وهي البعرة . وهذا دليل على ذلّه ٢) الفرار اولاد الغنم واحدها فرارة

٣) الغثاء ما يجيء فوق السيل مما يحمله من الزبد وورق الشجر البالي يريد ارذال الناس وسقطهم ٤) اي محمود المختبر

فقال لهُ الاحوص : يكفينا منها رأي واحد حازم صَليب مُصيب هات فأنثر كنانتك . فجعل يَعرِض كل رأي رآه حتى أنفدَ . فقال لهُ الاحوص : ما أرى بات في كنانتك الليلة رأي واحد . وعرض الناس آراءهم حتى أنفدوا . فقال : ما أسمع شيئاً وقد صرتم اليَّ . اجمعوا اثقالكم وضعفاءكم . ففعلوا . ثم قال : حمّلوا ظُعُنكم فحملوها . ثم قال : اركبوا . فركبوا وجعلوه في مِحفَّة . وقال : انطلقوا حتى تعلُوا في اليمين فان ادرككم احد كررتم عليهِ وان أعجزتموهم مضيتم . فسار الناس حتى أتوا وادي نجار(١ ضحوةً . فاذا الناس يرجع بعضهم على بعض . فقال الاحوص : ما هذا . قيل : هذا عمرو بن عبدالله بن جَعْدة قدم في فتيان من بني عامر يغدُون بمن أجاز بهم ويقطعون بالنساء حَواياهنَّ . فقال الاحوص : قدّموني . فقدّموه حتى وقف عليهم فقال : ما هذا الذي تصنعون . قال عمرو : أردتَ ان تفضحنا وتُخرجنا هاربين من بلادنا ونحن أعزُّ العرب واكثرُ عدداً وجَلَداً واحدّ شوكة . تريد ان تجعلنا موالي في العرب اذ خرجتَ بنا هارباً . قال : فكيف افعل وقد جاءنا ما لا طاقة لنا بهِ فما الرأي . قال : نرجع الى شِعب جبلة فنحرز النساء والضَعَفة والذراري والاموال في راسهِ ونكون في وَسْطهِ ففيه ثَمَلٌ (٢ اي خصب وماء . فان أقام من جاءك اسفل أقاموا على غير ماء ولا مُقامَ لهم . وان صَعِدوا عليك قاتلتهم من فوقِ رؤوسهم بالحجارة فكنت في حِرزٍ وكانوا في غير حِرزٍ وكنت على قتالهم اقوى منهم على قتالك . قال : هذا والله الرأي . فأين كان هذا حين استشرتُ الناس . قال : انما جاءني الآن . قال

---

١) روى ياقوت والبكري « وادي بحار » ٢) في الاصل : ثمّل

الاحوص للناس : ارجعوا . فرجعوا . ففي ذلك يقول نابغة بني جعدة :

ونحن حبسنا الحيّ عبساً وعامرًا لحسّانَ وابنِ الجونِ اذ قيلَ أقبلا
وقد صعدت وادي نجارٍ نساؤهم كإصعادِ نسر لا يرومون مَنزِلا
عطفنا لهم عطفَ الضَّروسِ(١ فصادفوا من الهَضبة الحمراءِ عِزًّا ومَعقِلا

فدخلوا شعب جبلة . ودخلت بنو عامر شعباً منهُ يقال لهُ مُسَلّح فحصنوا النساء والذراري والاموال في رأس الجبل وحلّأوا الابل عن الماء واقتسموا الشعب بالقِداح والقُرَع بين القبائل في شظاياه (٢ . فخرجت بنو تميم ومعهم بارق حيّ من الازد حلفاء يومئذٍ لبني نمير . فولجوا الخليف (٣ . وفيه يقول مُعَقّر بن اوس بن حماد البارقي :

ونحن الايمنون بنو نُمير يسير بنا امامهمُ الخليفُ

(قال) وكان مُعقّر يومئذٍ شيخاً كبيرًا اعمى ومعهُ ابنة لهُ تقود به جملهُ فيسألها مَن أسفل من الناس فتخبرهُ وتقول : هؤلاء بنو فلان وهؤلاء بنو فلان . حتى اذا تناهى الناس قال : اهبطي لا يزال هذا الشعب منيعاً سائر هذا اليوم وهبط . وكانت كبشة بنت عروة الرَّحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب يومئذٍ حاملًا بعامر بن الطُّفَيل . فقالت : ويلكم يا بني عامر ارفعوني فوالله ان في بطني لَعِزّ بني عامر . فصفُّوا القسيّ على عواتقهم ثم حملوها حتى اثوروها بالقُنَّة (٤ . فزعموا انها ولدت عامرًا يوم فرغ الناس من القتال . فشهدت بنو عامر كلّها جبلة الّا هلالَ بن عامر وعامر بن ربيعة بن عامر . وشهدها مع بني عامر من العرب بنو عبس بن رِفاعة بن

---

١) الضَّروس الناقة العَضوض ٢) شظايا جمع شظية وهي قطعٌ من رؤوس الجبال
٣) الخليف الطريق بين شِعبين شبه الزقاق ٤) قنّة الجبل وقلّته اعلاه

الحرث بن بُهثة بن سُلَيم . وكان لهم بأس وحزم وعليهم مِرداس بن أبي عامر وهو أبو العباس بن مرداس . وكانت بنو عبس بن رفاعة حلفاء بني عمرو بن كلاب . وزعم بعض بني عامر انَّ مرداساً كان مع اخواله وامه فاطمة بنت جَلهمة الغنوية . وشهدتها غني وباهلة وناس من بني سعد بن بكر وقبائل بَجيلة كلُّها الَّا قُشيراً الحربِ كانت بين قيس وقومها . فارتحلت بجيلة فتفرَّقت في بطون بني عامر . فكانت عاديةُ من عامر بن قراد بن بجيلة في بني عامر بن ربيعة . وكانت شحمة من بجيلة في بني جعفر بن كلاب ويقال عمرو بن كلاب . وكانت عرينة من بجيلة في عمرو بن كلاب . وكانت بنو قيس كُبَّة (الفرس يقال لها كبة) من بجيلة في بني عامر بن ربيعة . وكانت قينان في بني عامر بن ربيعة . وبنو قُطَيفة من بجيلة في بني أبي بكر بن كلاب . ونَصيب بن عبدالله بن بجيلة في بني عامر بن ربيعة . وبنو عمرو بن معاوية بن زيد من بجيلة في بني ابي بكر بن كلاب معهم يومئذٍ نُفَير من عُكل . فبلغ جمعهم ثلاثين الفاً . وعمي على بني عامر الخبر فجعلوا لا يدرون ما قُربُ القوم من بُعدهم . وأقبلت تميم وأسد وذبيان وَلِفُّهم نحو جبلة فلقوا كَربَ بن صفوان فقالوا لهُ : اين تذهب اتريد تُنذِر بنا بني عامر . قال : لا . قالوا : فأعطنا عهداً ومَوْثِقاً لا تفعل . فأعطاهم . فخلّوا سبيلهُ . فمضى مسرعاً على فرس لهُ عُرْيٍ حتى اذا نظر الى مجلس بني عامر وفيهم الاحوص نزل تحت شجرة حيث يرونهُ . فارسلوا اليهِ يدعونهُ . قال : لست فاعلاً ولكن اذا رحلت فائتوا منزلي فان الخبر فيهِ . فلما جاءوا منزلهُ اذا فيهِ تراب في صُرَّة وشَوك قد كُسِر رؤوسهُ وفُرّق جِهتُه واذا حنظلةٌ

موضوعة واذا وطبٌ معلّق فيهِ لبن . فقال الاحوص : هذا رجل قد أُخذ عليهِ المواثيق ان لا يتكلم وهو يخبركم ان القوم مثل التراب كثرةً وان شوكتهم كليلة وجاءتكم بنو حنظلة . انظروا ما في الوطب . فاصطبُوه فاذا فيهِ لبن جبن قارص . فقال : القوم منكم على قَدْر حِلاب اللبن الى ان يحزُر . فقال رجل من بني يربوع . ويقال قالتهُ دختنوس بنت لقيط بن زرارة :

كَرِبُ بنُ صفوان بن شِجنةَ لم يدَع من دارمٍ احدًا ولا من نهشلِ
أَجعلت يربوعاً كَقَوْزَةِ دائرٍ ولَتحلِفنْ بالله أن لم تفعلِ

وذلك قول عامر بن الطفيل بعد جبلة بحين :

الا ابلغ لديك جموعَ تيمٍ فبيتوا لن نَهيجَكم نياما
نصحتم بالمغيب ولم تُعينوا علينا انكم كنتم كراما
ولو كنتم معَ ابنِ الجَوْنِ كنتم كمن اودى واصبح قد ألاما

فلما استثبت بنو عامر بإقبالهم صعِدوا الشِعب وامر الاحوص بالابل التي ظُمئت قبل ذلك فقال : اعقِلوها كل بعير بعقالين في يديهِ جميعًا . واصبح لقيط والناس نزول بهِ وكانت مشورتهم الى لقيط . فاستقبلهم جمل عَوْد اجرب احدُّ اعصل كاشر عن انيابه . فقال الحزاة (١ من بني اسد : اعقِروه . فقال لقيط : والله لا يُعقَر حتى يكون محل ابي (٢ . وكان البعير من عصافير (٣ المنذر التي اخذها قرّة بن زهير بن عامر بن سَلَمة بن قُشَير . ثم استقبلهم معاوية بن عُبادة بن عُقَيل وكان اعسر فقال :

---

١) الحزاة جمع حازٍ وهو العائف ٢) ويروى « فحل ابي نذرًا »
٣) العصافير ابل كانت للملوك نجائب

انا الغلام الاعسرْ الخير فيَّ والشرّْ والشرُّ فيَّ اكثرْ

فتشاءمت بنو اسد وقالوا : ارجعوا عنهم واطيعونا . فرجعت بنو اسد فلم تشهد جبلة مع لقيط الّا نُفيراً يسيراً منهم شاس بن ابي ليلى ابو عمرو بن شاس الشاعر ومَعقِل بن عامر بن موالكة المالكي . وقال الناس للقيط : ما ترى . فقال : ارى ان تصعدوا اليهم . فقال شاس : لا تدخلوا على بني عامر . فاني اعلمُ الناسِ بهم قد قاتلتهم وقاتلوني وهزمتهم وهزموني فما رأيت قوماً قط اقلق بمنزل من بني عامر . والله ما وجدت لهم مثلًا الّا الشجاع (١ فانهُ لا يقرّ في جحرهِ قَلقاً وسيخرجون اليكم . والله ان نمتم هذه الليلة لا تشعُرون بهم الّا وهم منحدرون عليكم . فقال لقيط : والله لندخلنَّ عليهم . فأتوهم وقد اخذوا حذرهم . وجعل الاحوص ابنهُ شريحاً على تعبية الناس . فأقبل لقيط واصحابهُ مُدلّين (٢ فاسندوا الى الجبل حتى ذرّت الشمس . فصعد لقيط في الناس واخذ في حافتي الشَّجْن (٣ . فقالت بنو عامر للاحوص : قد اتوك . فقال : دعوهم . حتى اذا انصفوا الجبل وانتشروا فيهِ قال الاحوص : حُلُّوا عُقُل الابل ثم احدروها واتبعوا آثارها وليُتبِع كل رجل منكم بعيرَهُ حجرين او ثلاثة . ففعلوا ثم صاحوا بها . فلم يفجإِ الناس الّا الابل تريد الماء والمرعى . وجعلوا يرمونهم بالحجارة والنبل . واقبلت الابل تحطِم كل شيءٍ مرّت بهِ . وجعل البعير يدهدي بصدرهِ كذا وكذا حجراً . فقال رجل من بني اسد :

---

١) الشجاع بضم الشين وكسرها الحيّة الذكر

٢) مُدلّين اي محترئين ٣) الشجن اعالي الوادي

زعمتَ انَّ العير لا تُقاتلُ بلى اذا ما قعقع الرحائلُ
واختلف الهنديّ والذوابلُ وقالت الابطال من ينازلُ
بلى وفيها حسبٌ ونائلُ

فانحطّ الناس منهزمين في الجبل حتى السهل . فلما بلغ الناسُ السهلَ لم يكن لاحد همّة الّا ان يذهب على وجهه . فجعلت بنو عامر يقتلونهم ويصرعونهم بالسيوف في آثارهم . فانهزموا شرّ الهزيمة . فجعل رجل من بني عامر يومئذٍ يرتجز ويقول:

لم أرَ يوماً مثلَ يومِ جبلهْ يوم أتتنا أسَد وحنظلهْ
وغطفانٌ والملوكُ أزفلهْ (١ نضربهم بقضُبٍ مُنتخَلهْ
لم تَعدُ ان أفرشَ عنها الصَّقلهْ حتى حدوناهم حداء الزَّوْملهْ (٢

وجعل معقل بني عامر يرتجز ويقول:

نحن سماة (٣ الخيل يوم جبلهْ بكل عضب صارم ومِعبلهْ
وهَيْكلٍ نهدٍ (٤ معاً وهيكلهْ

وخرجت بنو تميم من الخليف على الخيل فكرّوا الناس (٥ . وانقطع شريح بن الاحوص في فرسان حتى أخذ الجُرفَ فقاتل الناس قتالاً شديداً هناك . وجعل لقيط يومئذٍ وهو على بِرْذَوْن لهُ مُجفَّف بديباج أعطاه اياه كسرى وكان اوّل عربيّ جُفِّف يقول:

---

١) ازفله جماعة من الناس . انتخلتُ الشيءَ استقصيت افضله وتخيّرته
٢) افرش اقلع والصقلة جمع صاقل والمعنى انها قريبة العهد بالصقل اي السيوف . والزوملة الرفقة ٣) سُماة جمع سامٍ . ويروى: حُماة الشِعب
٤) هيكل فرس طويل ضخم . نهد جسيم مُشرف ٥) اي رَدُّوهم

عرفتكم والدمع بالعين يكفْ لفارس اتلفتموهُ ما خُلِفْ
ان النشيلَ والشواءَ والرُّغُفْ والقينةَ الحسناء والكاسَ الأُنُفْ (١
وصفوةَ القدرِ وتعجيلَ اللففْ (٢ للطاعنين الخيلَ والخيلُ قُطُفْ

وجعل لا يمرّ بهِ احد من الجيش الّا قال : أنت والله قتلتنا وشاتمتنا . فجعل يقول :

يا قوم قد احرقتموني باللومْ ولم اقاتل عامرًا قبل اليومْ
فاليومَ اذ قاتلتهم فلا لومْ تقدَّموا وقدّموني للقومْ

وقال شاس بن أبي ليلى يجيبهُ :

لكن انا قاتلتها قبل اليومْ اذ كنتُ لا تُعصَى اموري في القومْ

وجعل لقيط يقول : من كرّ فلهُ خمسون ناقة وجعل يقول :

أكلكم يزجركم أرحبُ هَلا (٣ ولن تروه الدهرَ الّا مُقبلا
يحمل زغفاً وربيباً جحفلا (٤ وسائلًا في اهلهِ ما فعلا

وجعل يقول ايضاً :

أأشقرُ إن لم تَقدَّمْ تُنحرِ وان تأَخَّرْ عن هِياجٍ تُعقَرِ

ثم عاد يقول :

ان الشواء والنشيل والرغف

فأجابهُ شريح بن الاحوص :

---

١) النشيل ما يُنشل من اللحم من القِدر باليد . كاس انف لم يُشرب بها قبل ذلك ٢) اللفف في الاكل إكثار وتخليط . ويروى اللقف وهو الابتلاع
٣) ارحب وهلا زجر للخيل ٤) الزغف الدرع الواسعة الطويلة والجحفل السيّد العظيم القدر . ويروى : يقود جيشاً ورئيساً

ان كنتَ ذا صدقٍ فأَقحِمْهُ الجُرُفْ وقرّبِ الاشقرَ حتى تعترِفْ
وجوهَنا انّا بنو البيض العُطُفْ

وبينهُ وبينهُ جُرْف مُنكَر . فضرب لقيط فرسهُ واقحمهُ عليهِ الجرف . فطعنهُ شُرَيح . وقد اختلفوا في ذلك . فذكروا ان الذي طعنهُ جَزء بن خالد بن جعفر . وبنو عُقَيل تزعم ان عوف بن المُنتفِق العُقَيلي قتلهُ يومئذٍ وانشأ يقول :

ظلّتْ تلوم لما بها عِرسي جَهلًا وانتِ حليمةٌ امسِ
ان تقتلوا بَكري وصاحبَه فلقد شفيتُ بسيفيَ نفسي
فقتلتهُ في الشعب وا فرسي في الشرق قبلَ تَرجُّل الشمسِ (١

فزعموا ان عوفاً هذا قتل يومئذٍ ستة نفرٍ وقُتل ابن لهُ وابن اخ لهُ . واما العلماء فلا يشكّون ان شريحاً قتلهُ وارتُثَّ (٢ وبهِ طَعنات . فبقي يوماً ثم مات . فجعل لقيط يقول عند موتهِ :

يا ليت شِعري عنكِ دَختَنوسُ اذا اتاكِ الخبرُ المَرسوسُ (٣
اتحلِقُ القرونَ ام تميسُ لا بل تَميسُ إنّها عَروسُ

وجعلت بنو عامر يضربونهُ وهو ميت . فقالت دختنوس :

ألا يا لها الويلات ويلة من بكى لضرب بني عبس لقيطاً وقد قضى

وقُتل يومئذٍ قُريظ بن معبد بن زرارة وزيدُ بن عمرو بن عدس قتلهُ الحرث بن الابرص

---

١) ترجّل الشمس اي ارتفاعها . وفي الاصل « ترحُّل » بجاء مُهملة

٢) الارتثاث ان يُحمل وهو مجروح ٣) دختنوس بنت لقيط ابن زرارة . المرسوس الذي يُسرّونه . ويروى المرموس

(قال) وحمل معاوية بن يزيد الفزاريّ فأخذ كبشة بنت الحجاج بن معاوية بن قشير وكانت عند مالك بن خَفاجة . فحمل معاوية بن خفاجة ابي مالك على معاوية بن يزيد فقتلهُ واستنقذ كبشة . وقال : يا بني عامر انهم يموتون . وقد كان قيل لهم انهم لا يموتون . ونزل حسّان بن عامر ابن الجون وصاح : يا آل كندة . فحمل عليه شريح بن الاحوص . فاعترض دون ابن الجون رجل من كندة يقال لهُ حوشب . فضربهُ شريح بن الاحوص في رأسهِ فانكسر السيف فيهِ . فخرج يعدو بنصف السيف وكان مما رغب الناس مكانهُ . وشدّ طفيل بن مالك بن جعفر فأسر حسّان بن الجون . وشدَّ عوف بن الاحوص على معاوية بن الجون فأسره وجزَّ ناصيتهُ واعتقهُ على الثواب . فلقيتهُ بنو عبس فاخذهُ قيس بن زهير فقتلهُ . فأتاهم عوفٌ فقال : قتلتم طليقي . فأحيُوهُ او ائتوني بملكٍ مثله . فتخوَّفت بنو عبس شرَّهُ وكان مَهيباً فقالوا : امهلنا . فانطلقوا حتى أتوا ابا براء عامرَ بن مالك بن جعفر يستغيثونهُ على عوف . فقال : دونكم سلمى بن مالك فانهُ نديمهُ وصديقهُ . وكانا مشتبهين أحويين (١ اشعرين ضخمةً انوفهما . وكان في سلمى حياء فقال : سأكلم لكم طفيلًا حتى يأخذ اخاهُ فانهُ لا ينجيكم من عوف الّا ذلك . وأيمُ الله ليأتينَّ شحيحاً . فانطلقوا اليهِ فقال طفيل : قد اتوني بك ما اعرفني بما جنتم لهُ . اتيتموني تريدون مني ابن الجون تُقيدُون بهِ من عوف . خذوه . فاعطاهم اياه . فأتوه . فجزّ ناصيتهُ واعتقهُ . فسمي الجزَّاز . فذلك قول نافع بن الخنجرة في الاسلام :

---

١) احوى الذي لونه سواد الى الخضرة او حمرة الى السواد

قضينا الجونَ عن عبسٍ وكانت صنيعة معبدٍ فينا هُزالا

(قال) وشهدها لبيد بن ربيعة وهو ابن تسع سنين . يُقال انهُ كان ابن بضع عشرة سنة . وعامر بن مالك يقول لهُ : اليومَ يَتِمتَ من أبيك أن قُتل اعمامُك . وقتل يومئذٍ زهير بن عمرو بن معاوية وُجد مقتولًا بين ظهرانَيْ صفوف بني عامر حيث لم يبلغ القتال هو ومعاوية الضباب بن كلاب

ذكروا ان الطفيل بن مالك لما رأى القتال يوم جبلة قال : وياكم وأين نَعَمُ هؤلاء . فأغار على نعم عمرو واخوته وهم من بني عبدالله بن غطفان ثم من بني الثرماء فاستاق الف بعير . فلقيهُ عبيدة بن مالك فاستجداه فاعطاه مائة بعير وقال : كأني بك قد لقيت ظَبْيانَ بن مرَّة ابن خالد فقال لك اعطاك من ألفهِ مائة فجئت مغضباً . فلقي عبيدة ظبيان فقال لهُ : كم اعطاك . قال : مائة . فقال : أمائة من الف . فغضب عبيدة . (قال) وذكر ان عبيدة تسرَّع يومئذٍ الى القتال . فنهاه اخواه عامر وطفيل ان يفعل حتى يرى مُقاتلًا . فعصاهما وتقدّم . فطعنهُ رجل منهم في كتفهِ حتى خرج السنان من فوق ثَدْيهِ . فاستمسك فيهِ السنان . فأتى طفيلًا فقال لهُ : دونك السنان فانزِعهُ . فأبى ان يفعل ذلك غضَباً . فأتى عامرًا فلم ينزعهُ منهُ غضباً . فاتى سالم بن مالك فانتزعهُ . وأُلقي جريحاً مع النساء حتى فرغ القوم من القتال . وقتلت بنو عامر يومئذٍ من تميم ثلاثين غلاماً أغرل . وخرج حاجب بن زرارة منهزماً . وتبعهُ الزَهدَمان زَهدَمٌ وقيس ابنا حَزْن بن وَهْب العبسيَّان . فجعلا يطردان حاجباً ويقولان لهُ : استأسر وقد قَدرا عليهِ . فيقول : من انتما . فيقولان :

الزهدمان . فيقول : لا استأسر اليوم لمولَيين . فبينما هم كذلك اذ أدركهم مالك ذو الرُقَيبة . فقال لحاجب : استأسر . قال : ومن انت . قال : انا مالك ذو الرقيبة . فقال : افعلُ فلَعَمري ما ادركتني حتى كدتُ ان اكون عبداً . فالقى اليهِ رمحهُ . واعتنقه زهدم فالقاه عن فرسه . فصاح حاجب : يا غوثاه . وجعل زهدم يراوغ قائم السيف . فنزل بهِ مالك واقتلع زهداً عن حاجب . فمشى زهدم واخوه حتى أتيا قيس بن زهير ابن جذيمة فقالا : اخذ مالك اسيرنا من ايدينا . قال : ومَن اسيركما . قالا : حاجب بن زرارة . فخرج قيس يتمثَّل قول حنظلة بن الشرقيّ القيني أبي الطمَحان رافعاً صوتهُ يقول :

أَجِـدُّ بني الشرقيّ أُولعَ انني متى أَستجرْ جارًا (١وان عزّ يغدرِ
اذا قلت أوفى ادركته دروكة فيا مُوزعَ الجيرانِ بالغيّ أقصرِ

حتى وقف على بني عامر فقال : ان صاحبكم اخذ اسيرنا . قالوا : مَن صاحبنا . قال : مالك ذو الرقيبة اخذ حاجباً من الزهدمين . فجاءهم مالك فقال : لم آخذهُ منهما ولكنهُ استأسر لي وتركهما . فلم يبرحوا حتى حكَّموا حاجباً في ذلك وهو في بيت ذي الرقيبة . فقالوا : من اسرك يا حاجب . فقال : اما من ردَّني عن قصدي ومنعني ان أنجو ورأى مني عورة فتركها فالزهدمان . واماَّ الذي استأسرت لهُ فمالك . فحكِّموني في نفسي . قال لهُ القوم : قد جعلنا اليك الحكم في نفسك . فقال . اماَّ مالك فلهُ الف ناقة . وللزهدمين مائة . فكان بين قيس ابن زهير وبين الزهدمين مغاضبة . فقال قيس :

---

١) روى الاغاني (١٦ : ٦٩) : ان اخاهم متى يعتلق جارًا

جزاني الزهدمانِ جزاءَ سَوءٍ وكنتُ المرءَ يُجزَى بالكرامهْ
وقد دافعتُ قد علمت معدّ بني قرظ وعمَّهمُ قُدامـهْ
ركبتُ بهم طريقَ الحقّ حتى أتيتهمُ (١ بها مائةَ ظُلامـهْ

وزعم علماؤنا انهم لما انهزم الناس خرجت بنو عامر وحلفاؤهم في آثارهم يقتلون ويأسِرون ويسلُبون . فلحق قيس بن المنتفق عمرَو بن عمرو فأسرهُ . فاقبَل الحرث بن الابرص في سَرَعان الخيل (٢ . فرآه عمرو مقبلًا فقال لقيس : ان ادركني الحرث قتلني وفاتك ما تلتمس عندي . فهل انت محسن اليَّ والى نفسك تجُزّ ناصيتي فتجعلها في كنانتك ولك العهد لأفينَّ لك . ففعل . وادركهما الحرث وهو ينادي قيساً ويقول : اقتل اقتل . فلحق عمرو بقومهِ . فلما كان في الشهر الحرام خرج قيس الى عمرو يستثيبهُ . وتبعهُ الحرث بن الابرص حتى قدما على عمرو بن عمرو . فأمر عمرو بن عمرو ابنة اخيهِ آمنة فقال : اضربي على قيس الذي انعم على عمك هذه القبة . وقد كان الحرث قتل اباها يوم جبلة . فجاءت بالقبة فرأت الحرث احياهما واجلهما فظنتهُ قيساً فضربت القبَّة وهي تقول : هذا والله رجل لم يطلع الدهر عليهِ بما اطلع به عليَّ . فلما رجعت الى عمّها عمرو قال : يا ابنة اخي على من ضربتِ القبة . فنعتت نعت الحرث . فقال : ضربتها والله على رجل قتل اباكِ وامر بقتل عمك . فجزعت مما قال لها عمها . فقال الحرث بن الابرص :

أما تدرين يا ابنـة آل زيد أمينَ بما أجنَّ اليوم صدري

---

١) اثبتُهم (نقائض ج وف ٦٧٠) ٢) سرَعان الخيل اوائلها ويجوز سُرْعان

فكم من فارس لم تُرزَئيهِ (١ فتى الفِتيان في عيصٍ وقصرِ
رأَيت مكانهُ فصددت عنهُ فاعيا امرهُ وشددت ازري
أمرت بهِ لتخمُشَ حَنتاهُ (٢ فضيَّع امرهُ قيس وامري

ثم ان عمراً قال · يا حار ما الذي جاء بك فوالله ما لك عندي نعمة ولقد كنت سيّء الرأي فيَّ وقتلتَ اخي وامرت بقتلي · فقال : بل كففتُ عنك ولو شئتُ اذ ادركتك لقتلتك · قال : ما لك عندي من يدٍ · ثم تذمَّم منهُ فاعطاه مائة من الابل · ثم انطلق · فذهب الحرث فلما جاءَ عمراً قيسٌ اعطاه ابلًا كثيرة · فخرج قيس بها حتى اذا دنا من اهلهِ سمع بهِ الحرث بن الابرص فخرج في فوارس من بني ابيهِ حتى عَرَض لقيس فاخذ ما كان معهُ · فلما اتى قيس بني ابيهِ بني المنتفِق اجتمعوا اليهِ وارادوا الخروج · فقال : مهلًا لا تقاتلوا اخوتكم فانهُ يوشك ان يرجع وان يؤول الى الحق فانهُ رجل حسود · فلما رأى الحرث ان قيساً قد كفَّ عنهُ ردَّ اليهِ ما اخذ منهُ · واما عُتَيبة بن الحرث بن شِهاب فانهُ أُسِر يومئذٍ فقُيِّد في القِدّ وكان يبول على قدّهِ حتى عَفِن · فلما دخل الشهر الحرام هرب فافلت منهم بغير فداء · وغنم مرداس بن ابي عامر غنائم وأَخذ رجلًا فأَخذ منهُ مائة ناقة · فانتزعها منهُ بنو ابي بكر بن كلاب · فخرج مرداس الى يزيد بن الصَّعِق وكان لهُ خليلًا فانتهى اليهِ مرداس وهو يقول :

لعمرك ما ترجو معدّ ربيعَها رجائي يزيدًا بل رجائيَ اكثرُ
يزيدُ بن عمرو خيرُ من شدَّ ناقةً بأقتادها اذا الرياحُ تُصرصرُ

---

١) اي لم تُصابي بهِ أبرزيئة ٢) الحنَة الروحة يقال حنَّتهُ وكلتهُ

تداعت بنو بكر عليَّ كانما تداعت عليَّ بالاخيرة بَربرُ
تداعت عليَّ ان رأوني بخلوةٍ وأنتم بأحراد(١ الفوارس ابصرُ

فركب يزيد حتى أخذ الابل من بني ابي بكر فردّها اليه . فطرقهُ البكريُّون فسقوه حتى سكِر . ثم سألوه الابل . فاعطاهم اياها . فلما اصبح ندِم فخرج الى يزيد فوجد الخبر قد جاءهُ . فقال لهُ يزيد : أصاحٍ انت أم سكرانُ . فانصرف فاطرد إبلًا من ابل بني جعفر فذهب بها

وانصرف يومئذٍ سِنان بن ابي حارثة المرّي في بني ذبيان على حاميتهِ . فلحق بهم معاوية بن الصموت بن الكامل الكلابي وكان يُسمى الاسد المجدّع ومعهُ حرملة العُكلي ونفرٌ من الناس . فلحق سنان بن ابي حارثة ومالك بن حمار الفزاريّ في سبعين فارساً من بني ذبيان . فقال سنان : يا مالك كُرّ واحمِنا والك خولةُ بنت سنان ابنتي أُزوّجكَها . فكرَّ مالك فقتل معاوية . ثم اتّبعهُ حرملة العكلي وهو يقول :

لأيِّ يومٍ يخبأُ المرءُ السَّعهْ مودَّعٌ ولا يرى فيها الدعهْ

فكرَّ عليهِ مالك فقتلهُ . ثم اتّبعهُ رجل من بني كلاب فكرَّ عليهِ مالك فقتلهُ . ثم اتبعهُ رجلان من قيس كُتبة من بُجيلة . فكرَّ عليهما فقتلهما . ومضى مالك واصحابه . فقال مالك في ذلك :

ولقد صددتُ عن الغنيمة حَرْملًا وبغيته لددًا (٢ وخيلي تطردُ
أقبلتهُ صدر الاغرّ وصارماً ذَكرًا فخرَّ على اليدين الابعدُ
وابنَ الصموتِ تركتُ حين لقيتهُ في صدر مارنةٍ (٣ يقوم ويقعدُ
وابنا ربيعة في الغبار كلاهما وابنا غنيّ عامر والاسودُ

---

١) الاحرد الذي ثقلت عليه الدرع ٢) اللدد الخصومة ٣) يريد قناة

حتى تنفس بعد نَكْظٍ مُجحَرًا (١ أذهبتُ عنهُ والفرائصُ تُرعَدُ
يعدو ببزّي سابحٌ ذو مَيْعةٍ نَهْدُ المَراكِلِ ذو تَليلٍ أقوَدُ (٢
فخطب اليه مالك خولة فأبا ان يزوّجهُ . واما بنو جعفر فيزعمون ان عروة الرحّال بن عُتبة بن جعفر وجد سنان بن ابي حارثة وابنيه هَرِماً ويزيدَ على غدير قد كاد العطش يُهلكهم فجزّ نواصيهم واعتقهم . ثم ان عروة أتى سناناً بعد ذلك يستثيبهُ فلم يُثبهُ ثواباً يرضاه . فقال عروة في ذلك :

ألا مَن مبلغٌ عني سناناً أُلوكاً لا اريد بها عتابا
أفي الخضراء تقسِمُ هَجمتيكم (٣ وعُروةُ لم يَشِب إلّا الترابا
فلو كان الجعافر طاوعوني غداةَ الشِعب لم تذقِ الشرابا
أتجزي القينَ نِعمتَها عليكم ولا تجزي بنِعمتها كِلابا

لَبيد والنُّعمان والرَّبيع بن زياد

اخبر محمد بن حبيب عن ابن الاعرابي قال : وفد ابو بَراء ملاعب الاسنّة وهو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب واخوتهُ طفيل ومعاوية وعُبيدة ومعهم لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر وهو غلام على النعمان ابن المنذر فوجدوا عندهُ الربيع بن زياد العبسي . وكان الربيع ينادم

مارنة اي لدنة . رمح مارن صلب لَيّن ١) الكظ الجهد . والمجحر المضطرّ المُلجأ والمضيّق عليه ٢) البزّ السلاح يريد يعدو بي سابح فرس يمدّ يديه في الجري . ميعته اول جريهِ ونشطه . نهد مرتفع اي عظيم المراكل والمَرْكل من الفرس حيث تصيب برجلك والتليل العنق يريد قوي العنق . اقود سلس منقاد ٣) هجمة قطعة ضخمة من الابل

النعمان مع رجل من اهل الشام تاجر يقال لهُ زرجون بن نوفل وكان حريفاً للنعمان يعني زرجون يبايعهُ . وكان اديباً حسن الحديث والمنادمة . فاستخفهُ النعمان وكان اذا أراد ان يخلو على شرابهِ بعث اليهِ والى النطاسي متطبب كان لهُ والى الربيع بن زياد وكان يُدعى الكامل . فلما قدم الجعفريون كانوا يحضرون النعمان لحاجتهم . فاذا خلا الربيع بالنعمان طعن فيهم وذكر معايبهم . ففعل ذلك بهم مرارًا . وكانت بنو جعفر لهُ اعداء فصدَّهُ عنهم . فدخلوا عليهِ يوماً فرأوا منهُ تغيُّرًا وجفاء وقد كان يكرمهم قبل ذلك ويقرّب مجلسَهم . فخرجوا من عنده غضاباً ولبيد في رحالهم يحفظ أمتعتهم ويغدو بابلهم كلَّ صباح فيرعاها فاذا أمسى انصرف بابلهم . فاتاهم ذات ليلة فألفاهم يتذاكرون امر الربيع وما يلقون منهُ . فسألهم فكتموه . فقال لهم : والله لا احفظ لكم متاعاً ولا اسرّح لكم بعيرًا أو تخبروني . وكانت امّ لبيد امرأة من بني عبس وكانت يتيمة في حجر الربيع . فقالوا : خالك قد غلبنا على الملك وصدَّ عنَّا وجههُ . فقال لهم لبيد : هل تقدرون على ان تجمعوا بينه وبيني فازجرهُ عنكم بقول مُمضّ ثم لا يلتفت النعمان اليهِ بعده ابدًا . فقالوا : وهل عندك من ذلك شيءٌ . قال : نعم . قالوا : فانَّا نبلوك بشتم هذه البقلة لبقلةٍ قدَّامهم دقيقة القضبان قليلة الورق لاصقة فروعها بالارض تدعى التَّربَة . فقال : هذه التربة التي لا تُذكي نارًا . ولا توهل دارًا ولا تَسرُّ جارًا . عودها ضئيل . وفرعها كليل . وخيرها قليل . بلدها شاسع . ونبتها خاشع . وآكلها جائع . والمقيم عليها ضائع . اقصر البقول فرعاً . واخبثها مرعىً . واشدُّها قلعاً . فتعساً لها وجدعاً . القوا بي اخا بني عبس . أُرجعهُ

عنكم بتعس ونكس . وأتركهُ من امرهِ في لَبس . فقالوا : نصبح فنرى فيك رأينا . فقال لهم عامر : انظروا غلامكم فان رأيتموه نائماً فليس امرهُ بشيءٍ وانما يتكلم بما جاءَ على لسانهِ ويهذي بما يهجس في خاطرهِ . واذا رأيتموه ساهرًا فهو صاحبكم . فرمقوه بابصارهم فوجدوه قد ركب رَحْلًا فهو يكدم باوسطهِ حتى أصبح . فلما اصبحوا قالوا : انت والله صاحبنا . فحلقوا رأسهُ . وتركوا ذؤابتين والبسوه حلَّة . ثم غدوا بهِ معهم على النعمان فوجدوه يتغدّى ومعهُ الربيع وهما يأكلان ليس معهُ غيرهُ والدار والمجالس مملوءَة من الوفود . فلما فرغ من الغداء اذن للجعفريّين . فدخلوا عليهِ وقد كان تقارب امرهم فذكروا للنعمان الذي قدموا لهُ من حاجتهم . فاعترض الربيع في كلامهم . فقام لبيد يرتجز ويقول :

يا ربَّ هيجا هيَ خيرٌ من دعهْ ... أكلَّ يوم هامتي مُقزَّعهْ (١
نحن بنو امّ البنين الاربعهْ ... ومن خيار عامر بن صعصعهْ
المطعمون الجفنة المُدعدَعهْ ... والضاربون الهام تحت الخَيضعهْ (٢
يا واهب الخير الكثير من سعهْ ... اليك جاوزنا بلادًا مَسْبعهْ
نُخبر عن هذا خبيرًا فاسمَعَهْ ... مهلًا أبيتَ اللعنَ لا تأكل معهْ

ثم اخذ في هجاء الربيع . فلما فرغ من انشادهِ التفت النعمان الى الربيع شزرًا يرمقهُ فقال : أكذا انت . قال : لا والله لقد كذب عليَّ ابن الحمق اللئيم . فقال النعمان : أُفٍّ لهذا الغلام لقد خبَّث عليَّ طعامي . فامر النعمان

---

١) مُقزَّعة لا يُرى عليها الّا شعرات متفرّقة ٢) مدعدعه مملوءة . خيضعة صوت القتال

ببني جعفر فأُخرجوا . وقام الربيع فانصرف الى منزلهِ . فبعث اليهِ النعمان بضعف ما كان يحبوه بهِ وامرهُ بالانصراف الى أَهلهِ . وكتب اليهِ الربيع : اني قد تخوَّفت ان يكون قد وقر في صدرك ما قالهُ لبيد ولست برائم حتى تبعث من يفحص عن امري فيعلم من حضرك من الناس اني لست كما قال . فارسل اليهِ . انك لست صانعاً بانتفائك مما قال لبيد شيئاً ولا قادراً على ما زلَّت بهِ الالسن فالحقْ باهلك . فقال الربيع :

لئن رحلتُ جِمالي إنَّ لي سعةً ... ما مثلها سعةٌ عرضاً ولا طولا
بحيث لو وُزِنت لحمٌ باجمعها ... لم يَعدِلوا ريشة من ريش سَمنويلا (١
ترعى الروائمُ احرارَ البقول بها ... لا مثل رعيكمُ ملحاً وغَسْويلا (٢
فأبرقْ بأرضك يا نعمان متكئاً ... مع النِّطاسيّ يوماً وابنِ توفيلا

فكتب اليهِ النعمان :

شرِّد برحلك عنّي حيث شئتَ ولا ... تُكثِر عليَّ ودَعْ عنك الاباطيلا
فقد ذُكرتَ به والركبُ حاملهُ ... وِردًا يعلّل اهل الشأم والنيلا
فما انتفاؤك منهُ بعد ما قطعَت ... هُوجُ المطيّ بهِ أبراقَ شِمليلا (٣
قد قيل ذلك إنْ حقًّا وان كذباً ... فما اعتذارك من شيء اذا قيلا
فالحقْ بحيث رأيت الارض واسعةً ... وانشرْ بها الطرْفَ إن عَرضاً وان طولا

---

١) سمويل طائر ٢) روائم جمع رئم وهو الظبي . غسويل نبت ينبت في السِّباخ . واراد بالملح المالح من النبت ٣) ابراق جمعُ قلّةٍ لبُرقة . شمليل بلد

يوم الصفقة (*

انَّ كسرى ابرويز كان قد توَّج هَوْذةَ بن العليّ الحنفيّ وضمَّ اليهِ جيشاً من الاساورة فاوقع ببني تميم يوم الصفقة . وذلك قول الشاعر :

اشرب هنيئاً عليك التاجُ مرتفعاً ... بالشاذِياخ (١ ودع غمدان لليمنِ
فانت اولى بتـاج الملك تلبسـهُ ... من هوذةَ بن عليٍّ وابن ذي يزَنِ

كان من حديث يوم الصفقة انَّ باذان عامل كسرى باليمن بعث الى كسرى عِيراً تحمل ثياباً من ثياب اليمن ومسكاً وعنبراً وخُرجين فيهما مَناطق محلَّاة وخفراء تلك العير فيما يزعم بعض الناس بنو الجُعَيد المراديون . فساروا من اليمن لا يعرَض لهم احد حتى اذا كان بحَضَى من بلاد بني حنظلة بن يربوع وغيرهم أغاروا عليها وقتلوا مَن فيها من بني جعيد والاساورة واقتسموها . وكان فيمن فعل ذلك النَّطَف بن جبير وأسيد بن جنادة . فبلغ ذلك الاساورة الذين بهَجَر مع كزارجر المُكَعْبِر . فساروا الى بني حنظلة بن يربوع . فصادفوهم على حوض . فقاتلوهم قتالًا شديداً . فهُزِمت الاساورة وقُتلوا قتالًا شديداً ذريعاً . ويومئذٍ اخذ النَّطَف الخرجين اللذين يضرب بهما المثل . فلما بلغ ذلك كسرى استشاط غضباً

وأما ما وُجد عن ابن الكلبي في كتاب حمَّاد الراوية : ان كسرى بعث الى عامله باليمن بِعِير وكان باذان على الجيش الذي بعثهُ كسرى الى

---

*) ويُقال لهُ ايضاً يوم المشقَّر والمشقَّر حصن بالبحرين عظيم يلي حصناً آخر يقال لهُ الصفا قبل مدينة هَجَر

١) الشاذياخ مدينة نيسابور

اليمن . وكانت العير تحمل نَبْعاً فكانت تُبذرَق(١ من المدائن حتى تُدفع الى النعمان ويُبذرقها النعمان بخفراء من بني ربيعة ومضر حتى يدفعها الى هوذة بن عليّ الحنفي فيبذرقها حتى يخرجها من ارض بني حنيفة . ثم تُدفع الى سعد وتجعل لهم جعالة فتسير فيها فيدفعونها الى عُمّال باذان باليمن . فلما بعث كسرى بهذه العير قال هوذة للاساورة : انظروا الذي تجعلونهُ لبني تميم فاعطونيهِ فانا أكفيكم أمرهم واسير فيها معكم حتى تبلُغوا مأمنكم . فخرج هوذة والاساورة والعير معهم من هجر حتى اذا كانوا بنطاع بلغ بني سعد ما صنع هوذة فساروا اليهم وأخذوا ما كان معهم واقتسموه وقتلوا عامة الاساورة وسلبوهم وأسروا هوذة ابن عليّ . فاشترى هوذة نفسهُ بثلثمائة بعير . فساروا معهُ الى هجر فاخذوا منهُ فداه . ففي ذلك يقول شاعر بن كلاب :

ومنّا رئيس القوم ليلة ادلجوا بهوذةَ مقرونِ اليدين الى النحرِ
وردتا بهِ نخلَ اليمامة عانياً عليهِ وثاقُ القِدّ والحلَقِ السُّمرِ

فعمد هوذة عند ذلك الى الاساورة الذين اطلقهم بنو سعد وكانوا قد سُلبوا فكساهم وحملهم . ثم انطلق معهم الى كسرى . وكان هوذة رجلًا جميلًا شجاعاً لبيباً . فدخل عليهِ فقصَّ أمر بني تميم وما صنعوا . فدعا كسرى بكاس من ذهب فسقاه فيها وأعطاه اياها وكساهُ قَباء (٢ ديباج منسوجاً بالذهب واللؤلؤ وقلنسوة قيمتها ثلاثون الف درهم . وهو قول الاعشى :

---

١) البذرقة الخُفارة ٢) قباء ثوب يُلبس فوق الثياب

لهُ اكاليل بالياقوت فصَّلها صُوَّاغها لا ترى عيباً ولا طَبَعا (١

وذكر ان كسرى سأل هوذة عن مالهِ ومعيشتهِ . فاخبرهُ انهُ في عيش رغد وانهُ يغزو المغازي فيُصيب . فقال لهُ كسرى في ذلك : كم ولدُك . قال . عشرة . قال : فأيهم أحبّ اليك . قال : غائبهم حتى يحضر وصغيرهم حتى يكبر ومريضهم حتى يبرأ . قال كسرى : الذي أخرج منك هذا العقل حملك على ان طلبت مني الوسيلة . وقال كسرى لهوذة : رأيت هؤلاء الذين قتلوا اساورتي واخذوا مالي أبينك وبينهم صلح . قال هوذة : أيها الملك بيني وبينهم حَساء (٢ الموت وهم قتلوا ابي . فقال كسرى : قد ادركتَ ثأرك فكيف لي بهم . قال هوذة : ان ارضهم لا تطيقها اساورتك وهم يمتنعون بها ولكن احبس عنهم الميرة فاذا فعلت ذلك بهم سنة ارسلت معي جنداً من اساورتك فأقيم لهم السوق فانهم يأتونها فتصيبهم عند ذلك خيلك . ففعل كسرى ذلك وحبس عنهم الاسواق في سنة مجدبة . ثم سرَّح الى هوذة فأتاه . فقال : ائتِ هؤلاء فاشفني منهم واشتفِ . وسرّح معهُ جواربودار ورجلًا من اردشير خُرّه . فقال لهوذة : سِر مع رسولي هذا . فسار في الف أسوار حتى نزلوا المشقَّر من ارض البحرين وهو حصن هجَر . وبعث هوذة الى بني حنيفة فأتوهُ فدنوا من حيطان المشقَّر . ثم نودي : ان كسرى قد بلغهُ الذي اصابكم في هذه السنة وقد أمر لكم بميرة فتعالوا فامتاروا . فانصبّ عليهم الناس . وكان اعظم من أتاهم بنو سعد (٣ فنادى

---

١) الطبع الدنس واصلهُ الصدأ يغشى السيف ٢) اي تجرُّع الموت

٣) ذكر ابن الاعرابي ان المكمبر تقدَّم في اتخاذ طعام على ظهر الحصن

منادي الاساورة : لا يدخلها عربيّ بسلاح . فأقيم بوّابون على باب المشقَّر فاذا جاء الرجل ليدخل قالوا : ضع سلاحك وامتَرْ واخرج من الباب الآخر . فيُذهب بهِ الى رأس الاساورة فيقتلهُ . فاذا مرَّ رجل من بني سعد بينهُ وبين هوذة إخاء او رجل يرجوه قال للمكعبر : هذا من قومي . فيخليهِ لهُ . فنظر خيبري بن عبادة الى قومهِ يدخلون ولا يخرجون وتؤخذ اسلحتهم وجاء ليمتار فلما رأى ما رأى قال : ويلكم أين عقولكم فوالله ما بعد السلب الّا القتل . وتناول سيفاً من رجل من بني سعد يُقال لهُ مصاد وعلى باب المشقَّر سلسلة ورجل من الاساورة قابض عليها . فضربها فقطعها ويد الاسوار . فانفتح الباب فاذا الناس يُقتلون فثارت بنو تميم . فلما علم هوذة ان القوم قد نَذِروا بهِ أمر المكعبر فأطلق منهم مائة من خيارهم وخرج هارباً من البـاب الاوّل هو والاساورة . فتبعتهم بنو سعد والرباب فقُتل بعضُهم وافلتَ مَن أفلت

بحطب رطب . فارتفع منهُ دخان عظيم . وبعث اليهم يعرض الطعام . فاغترّوا وجاءوا فدخلوا الحصن . فأُصفق الباب عليهم (ولذا سُمي يوم الصفقة) . فغبروا هناك يُستعملَون في مهن البناء . فسار فيهم المثل فقيل في من قُتل منهم : ليس باوّل من قتلهُ الدخان . وآخشع من اسرى الدخان . وآجشع من الوافدين على الدخان . واجشع من وفد تميم . وقال الشاعر في ذلك :

اذا ما مات ميتٌ من تميمٍ ... فسرَّك ان يعيش فجيءْ بزادِ
بخبزٍ او بسمنٍ او بتمرٍ ... او الشيء الملفَّف في البجادِ
تراهُ يطوف في الآفاق حرصاً ... ليأكل راس لقمان بن عادِ

وقال الميداني : ان الشيء الملفَّف في البجاد هو الوطب من اللبن

يوم كُلاب الثاني

كان من حديث يوم كلاب الثاني فيمَ ذكر أبو عبيدة قال : لما أوقع كسرى ببني تميم يوم الصَّفقة بالمشقَّر فقتل المُقاتلة وبقيت الاموال والذراري بلغ ذلك مَذحِجَ فمشى بعضهم الى بعض وقالوا : اغتنموا بني تميم . ثم بعثوا الرسل الى قبائل اليمن وأحلافها من قضاعة . فقالت مذحج للمأمور الحارثي وهو كاهن : ما ترى . فقال لهم : لا تغزو بني تميم فانهم يسيرون أَعقاباً (١ . ويردون مياهاً جِباباً . فتكون غنيمتكم تراباً . قال أَبو عبيدة : فذكر انهُ اجتمع من مذحج ولفّها اثنا عشر الفاً . وكان رئيس مذحج عبدُ يغوثَ بن صَلاءة . ورئيس هَمدان رجل يُقال لهُ مِسرح(٢ ورئيس كِندة البَراء بن قيس بن الحرث . فأقبلوا الى تميم . فبلغ ذلك سعدًا والرِّباب فانطلق ناس من اشرافهم الى اكثم بن صَيفيّ وهو قاضي العرب يومئذٍ فاستشاروه . فقال لهم : أَقِلُّوا الخِلاف على امرِائكم واعلموا ان كثرة الصِياح من الفشل والمرء يَعجِز لا محالة . يا قوم تثبَّتوا فان احزم الفريقينِ الرَّكِينُ . ورُبَّ عجلة تهَبُ رَيْثاً . واتَّزروا للحرب . وادَّرعوا الليل فانهُ اخفى للويل . ولا جماعةَ لمن اختَلف . فلما انصرفوا من عند اكثم تهيأُوا واستعدّوا للحرب . وأقبل اهل اليمن حتى اذا كانوا بتَيْمَنَ نزلوا قريباً من الكُلاب . ورجل من بني زيد بن رياح بن يربوع يقال لهُ مُشمِّت بن زِنباع في ابل لهُ عند خال لهُ من بني سعد يُقال لهُ زهير بن بوّ . فلما ابصرهم المشمت قال لزهير : دونك الابل

---

١) ويروى اغباباً ٢) ويروى : مِشرَح (نق ج وف ١٤٦)

وتنحّ عن طريقهم حتى آتي الحيّ فأُنذرَهم. (قال) فركب المشمت ناقة ثم سار حتى اتى سعداً والرباب وهم على الكلاب فانذرهم فأعدّوا للقوم وصبّحوهم فأغاروا على النَّعم فطردوها. وجعل رجل من اهل اليمن يرتجز ويقول:

في كل عامٍ نعمٌ تنتابهُ على الكلاب غُبَّاً أربابهُ

(قال) فأجابهُ غلام من بني سعد كان في النعم على فرس لهُ فقال:

عمَّا قليـل سترى اربابهُ صلب القناة حازماً شبابهُ
على جيادٍ ضمَّرٍ عيابهُ

(قال) فأقبلت سعد والرباب. ورئيس الرباب النعمان بن جِسَاس. ورئيس بني سعد قيس بن عاصم المنقري. فقال صبي حين دنا من القوم:

في كل عامٍ نعمٌ تحوونهُ يُلقِحهُ قوم وتُنتجونهُ
أربابهُ نَوكى (١ فلا يحمونهُ ولا يلاقون طعاناً دونهُ
أنَعَمَ الابناءِ تحسَبونـهُ هيهاتَ هيهاتَ لِما ترجونهُ

فقال ضمرة بن اسد الحارثي: انظروا اذا استقتم النعم فان اتتكم الخيل عُصَباً عصباً وثبتت الاولى اللاخرى حتى تلحق فانَّ أمر القوم هيّن. وان لحق بكم القوم فلم ينظروا اليكم حتى يَرُدّوا وجوهَ النعم ولا ينتظر بعضهم بعضاً فان أمر القوم شديد. وتقدَّمت سعد والرباب فالتقوا في اوائل الناس فلم يلتفتوا اليهم واستقبلوا النعم من قِبل وجوهها فجعلوا يضربونها بارماحهم. واختلط القوم فاقتتلوا قتالاً شديداً يومَهم حتى اذا كان من آخر النهار قُتل النعمان بن جساس قتلهُ رجل من اهل اليمن

١) نوكى جمع أنوك

كانت امهُ من بني حنظلة يقال لهُ عبدالله بن كعب وهو الذي رماه . فقال للنعمان حين رماه : خذها وأنا ابن الحنظليَّة . فقال النعمان : ثَكِلتك أُمك رُبَّ حنظليةٍ قد غاظتني . فذهبت مثلًا . وظنَّ اهل اليمن ان بني تميم سيَهزمهم قتلُ النعمان . فلم يزدهم ذلك الَّا جرأة عليهم . فاقتتَلوا حتى حجز الليل بينهم فباتوا يحرِس بعضهم بعضاً . فلما اصبحوا غَدَوا على القتال . فنادى قيس بن عاصم : يال سعد . ونادى عبديغوث : يال سعد . قيس بن عاصم يدعو سعد بن زيد مناة بن تميم . وعبد يغوث يدعو سعد العشيرة . فلما سمع ذلك قيس نادى : يال كعب . فنادى عبد يغوث : يال كعب . قيس يدعو كعب بن سعد . وعبد يغوث يدعو كعب بن عمرو . فلما رأى ذلك قيس من صنيع عبد يغوث قال : ما لهم اخزاهم الله ما ندعو بشِعار الَّا دعوا بمثلهِ . فنادى قيس : يال مُقاعِس يعني بني الحرث بن عمرو بن كعب وكان يلقب مقاعساً . فلما سمع وعلة بن عبدالله الجَرْمي الصوت وكان صاحب اللواء يومئذٍ طرحهُ . وكان اوَّل من انهزم من اليمن . وحملت عليهم بنو سعد والرباب فهزموهم افظع هزيمة . وجعل رجل منهم يقول :

يا قوم لا يُغلتكمُ اليزيدانْ مُخرَمٌ اعني بهِ والـدَّيانْ

وجعل قيس بن عاصم ينادي : يال تميم لا تقتلوا الَّا فارساً فان الرجَّالة لكم . وجعل يرتجز ويقول :

لمـَّا تَولَّوا عُصَباً شوازبا أقسمتُ لا أطعُن الَّا راكبا
اني وجدتُ الطعنَ فيهم صائبا

وجعل يأخذ الاسارى فاذا اخذ اسيرًا قال لهُ : ممن انت . فيقول :

من بني رعبل . وهم انذال . فكان الاسارى يريدون بذلك رُخصَ الفِداء . فجعل قيس اذا أخذ اسيرًا منهم دفعهُ الى من يليهِ من بني تميم ويقول : امسك حتى اصطاد لك رعبلة اخرى . فذهبت مثلًا . فما زالوا في آثارهم يقتلون ويأسرون حتى أُسر عبد يغوث أَسرهُ فتًى من بني عمير ابن عبد شمس . وقتل يومئذٍ علقمة بن سباح القُرَيعي وهو فارس هَبُود (١ . وأُسر الاهتم واسمهُ سنان بن سمي ويومئذٍ سُمّي الاهتم . ورئيس كندة البراء بن قيس . وقتلت التيم الادبر الحارثي وآخر من بني الحرث يقال لهُ معاوية قتلهما النعمان بن جساس . وقُتل يومئذٍ من اشرافهم خمسة . وقتلت بنو ضمرة ابنَ لبيد الحماسيّ الكاهن قتلهُ قبيصة بن ضِرَار . واما عبديغوث فانطلق بهِ العبشميّ الى اهله وكان العبشميّ أهوج . فقالت لهُ امُّهُ ورأت عبد يغوث عظيماً جميلًا : من انت . قال : انا سيد القوم . فضحكت وقالت : قبحك الله من سيد قوم حين اسرك هذا الاهوج . فقال عبد يغوث :

وتضحك مني شيخة عبشمية كأن لم تَرى قبلي اسيرًا يمانيا

ثم قال لها : ايتها الحرَّة هل لك الى خير . قالت : وما ذاك . قال : أُعطي ابنك مائة من الابل وينطلق بي الى الاهتم فاني اتخوَّف ان تنتزعني سعد والرباب منهُ . فضمن لهُ مائة من الابل وأرسل الى بني الحرث فوجَّهوا بها اليهِ . فقبضها العبشميّ فانطلق بهِ الى الاهتم . وأنشأ عبد يغوث يقول :

أَأهتمُ يا خير البرية والدًا ورهطًا اذا ما الناس عدّوا المساعيا
تَداركْ اسيرًا عانياً في بلادكم ولا تثقفنّي (٢ التيمُ أَلقَ الدواهيا

---

١) هبّود فرس عمرو بن جعيد المرادي ٢) لا تثقفنّي لا تظفر بي

فمشت سعد والرباب فيهِ . فقالت الرباب : يا بني سعد قُتل فارسنا ولم يُقتل لكم فارس مذكور . فدفعهُ الاهتم اليهم . فأخذهُ عصمة بن أبير التيمي فانطلق بهِ الى منزله . فقال عبد يغوث : يا بني تيم اقتلوني قِتلة كريمة . فقال لهُ عصمة : وما تلك القتلة . قال : اسقوني الخمر ودعوني أُنحْ على نفسي . فقال لهُ عصمة : نعم . فسقاه الخمر ثم قطع لهُ عرقاً يقال لهُ الاكحل وتركهُ ينزف ومضى عنهُ عصمة وترك معهُ ابنين لهُ . فقالا : جمعتَ اهل اليمن وجئت لتصطلمنا فكيف رأيت صنع الله بك . فقال عبد يغوث في ذلك :

ألا لا تلوماني كفى اللومَ ما بيا ... فما لكما في اللـوم نفعٌ ولا ليا
ألم تعلما ان الملامة نفعها ... قليل وما لومي اخي من شِماليا
فيا راكباً إمّا عرضت فبلِّغنْ ... نداماي من نجـران ألّا تَلاقِيا
أبا كَرِبٍ والايهمينِ كليهـما ... وقيساً بأعلى حضرموتَ اليمانيا
جزى الله قومي بالكُلاب ملامةً ... صريحَهمُ والآخرين المواليـا
ولو شئت نجّتني من الخيل نهدةٌ ... تَرى خلفَها الحُوَّ الجيادَ تواليا (١
ولكنني أحمي ذمـار أبيكمُ ... وكان الرماح يختطفنَ المُحاميـا
وتضحك مني شيخةٌ عبشميةٌ ... كأن لم ترى قبلي اسيراً يمانيـا
وقد علمت عرسي مليكـة انني ... أنا الليث معدوًّا عليـهِ وعاديا
أقول وقد شدّوا لساني بنِسعـةٍ ... أمعشرَ تيمٍ اطلقوا لي لسانيا (٢

---

١) الحوّ من الخيل التي تضرب الى الحضرة . تواليا توابع . يقول فرسي لحقتها تسبق الحوّ فهي تتلو فرسي
٢) يقول انعلوا بي خيراً لينطلق لساني بشكركم فان لم تفعلوا فلساني مشدود لا اقدر على مدحكم

أمعشر تيم قد ملكتم فأسجحوا (١ فانَّ اخاكم لم يكن من بَوائيا
فان تقتلوني تقتلوا بي سيّدًا وان تُطلِقوني تَحرُبوني بماليا (٢
أحقًّا عبادَ الله أن لستُ سامعاً نشيدَ الرِعاء المُعزِدينَ المَتاليا (٣
وقد كنتُ نحّارَ الجَزورِ ومُعمِلَ م المَطيِّ وامضي حيث لا حيّ ماضيا
وأنحر للشَّربِ الكرامِ مطيتي وأصدعُ (٤ بين القينتين ردائيا
وعادية سوم الجراد وزعتها (٥ بكفي وقد أنحَوا اليَّ العواليا
كأنيَ لم اركب جوادًا ولم أقل لخيليَ كرّي نَفِّسي (٦ عن رجاليا
ولم أسبإِ الزِّقَّ الرويَّ ولم اقل لأيسار (٧ صدقٍ اعظموا ضوءَ ناريا

(قال) فضحكت العبشمية . وهم أسروه وذلك انهُ لما أُسر شدّوا لسانهُ بنسعة لئلّا يهجوهم وابوا الّا قتلهُ . فقتلوه بالنعمان بن جساس . فقالت صَفيَّة بنت الحرِع ترثي النعمان :

نِطاقهُ هندوانيٌّ وجُبَّتهُ فَضفاضة كأَضاة النِهي موضونهْ (٨
لقد أخذنا شِفاء النفس لو شُفيت وما قتلنا بهِ الا امرءًا دونَهْ

وقال علقمة بن السبّاح لعمرو بن الجُعَيد :

لما رأيتُ الامر مخلوجةً (٩ اكرهتُ فيهِ ذابلًا مارنا (١٠
قلت له خذها فاني امرؤٌ يعرف رمحي الرجلَ الكاهنا

---

١) اي سهّلوا ويسّروا ٢) تحربوني تسلبوني وتغلبوني بالفداء ٣) المعزب المتنحّي بابلهِ والمتالي التي نتج بعضها وبقي البعض ٤) الشرب جمع شارب واصدع اشقّ ٥) العادية القوم يركضون وسوم الجراد انتشاره . وزعتها كففتها ٦) نفّسي وسّعي ٧) السِباء شراء الخمر للشرب والايسار الذين يضربون القداح ٨) فضفاضة واسعة . اضاة غدير . موضونة منسوجة ٩) مخلوجة غير مستقيم ١٠) ذابل دقيق ومارن لدن يعني الرمح

قولهُ « يعرف رحي الرجل الكاهنا » يريد ان عمرو بن الجعيد كان كاهناً وهو احد بني عامر بن الديل بن شنّ بن افصى بن عبد القيس ولم يزل ذلك في ولده . ومنهم الرباب بن البراء كان يتكهّن ثم طلب خلاف اهل الجاهلية فصار على دين المسيح عليهِ السلام

عديّ بن زيد

هو عدي بن زيد بن حمّار بن زيد بن ايوب بن مجروف(١ بن عامر بن عصية بن امرئ القيس بن زيد مناة . هو قرويّ وقد أخذوا عليهِ في اشياء عِيبَ فيها . وكان الاصمعي وابو عبيدة يقولان : عديّ بن زيد في الشعراء بمنزلة سُهيل في النجوم يُعارضها ولا يجري معها مجراها . وكذلك عندهم أُميَّة بن ابي الصلت . ومثله كان عندهم من الاسلاميين الكُمَيت والطِرِمّاح . قال العجّاج : كانا يسألاني عن الغريب فأُخبرهما به ثم أراه في شعرهما وقد وضعاه في غير مواضعه . فقيل له : ولمَ ذاك . قال : لانهما قرويّان يَصِفان ما لم يريا فيضعانه في غير موضعه . وأنا بدويّ أصف ما رأيت فأضعه في مواضعه . وكذلك عندهم عديّ وأُمية . قال ابن الاعرابي فيما اخبرني به عليّ بن سليمان الاخفش قال : سبب نزول آل عديّ بن زيد الحيرة أنَّ جدّهُ أيوب بن مجروف كان منزله اليمامة في بني امرئ القيس بن زيد مناة . فأصاب دماً في قومه فهرب فلحق بأوس بن قلّام أحد بني الحرث بن كعب بالحيرة . وكان بين ايوب بن

---

١) ويروى : محروف

مجروف وبين أوس بن قلّام هذا نسب من قبل النساء. فلما قدم عليه أيوب بن مجروف اكرمه وانزله في داره. فمكث معه ما شاء الله ان يمكث. ثم انّ اوساً قال له: يا ابن خالي أتريد المقام عندي وفي داري. فقال له أيوب: نعم فقد علمت اني ان اتيت قومي وقد اصبت فيهم دماً لم أسلم وما لي دار الّا دارك آخر الدهر. قال أوس: اني قد كبرت وأنا خائف ان اموت فلا يعرف وُلدي لك من الحقّ مثل ما اعرف واخشى ان يقع بينك وبينهم امرٌ يقطعون فيه الرحم. فانظرْ احبّ مكان في الحيرة اليك فأعلمني به لأقطعكه او ابتاعه لك. (قال) وكان لايوب صديق في الجانب الشرقيّ من الحيرة وكان منزل اوس في الجانب الغربيّ. فقال له: قد احببت ان يكون المنزل الذي تُسكِنُنيه عند منزل عصام بن عبدة أحد بني الحرث بن كعب. فابتاع له موضع داره بثلثمائة أُوقية من ذهب وانفق عليها مائتي أُوقية ذهباً واعطاه مائتين من الابل بِرُعائها وفرساً وقَينة. فمكث في منزل أوس حتى هلك. ثم تحوّل الى دارهِ التي في شرقيّ الحيرة فهلك بها. وقد كان ايوب اتّصل قبل مهلكه بالملوك الذين كانوا بالحيرة وعرفوا حقه وحقّ ابنه زيد ابن ايوب. فلم يكن منهم ملك يملك الّا ولولد ايوب منه جوائز وحَملات (١. ثم ان زيد بن ايوب نكح امرأة من آل قلام فولدت له حمّارًا. فخرج زيد بن ايوب يوماً من الايام يريد الصيد في ناس من اهل الحيرة وهم منتدون (٢ بجفير المكان الذي يذكرهُ عديّ بن زيد في

---

١) حملات ما يُحمل اليهِ من الهدايا

٢) منتدون اي مجتمعون. ويروى مبتدون اي نازلون البادية

شعرهِ . فانفرد في الصيد وتباعد من اصحابه . فلقيه رجل من بني امرئ القيس الذين كان لهم الثأر قِبل ابيه . فقال له وقد عرف فيه شبه ايوب : ممَّن الرجل . قال : من بني تميم . قال : من أيّهم . قال : مرّيّ . قال له الاعرابي : واين منزلك . قال : الحيرة . قال : أمن بني ايوب انت . قال : نعم ومن اين تعرف بني ايوب . واستوحش من الاعرابي وذكر الثأر الذي هرب ابوهُ منه . فقال له : سمعتُ بهم . ولم يُعلِمه انه قد عرفه . فقال له زيد بن ايوب : فمن ايّ العرب انت . قال : أنا امروءٌ من طيءٍ . فأَمِنه زيدٌ وسكت عنه . ثم ان الاعرابي اغتفل زيدَ بن ايوب فرماه بسهم فوضعهُ بين كتفيهِ فثلق قلبهُ . فلم يَرِمْ حافر دابته حتى مات . فلبث اصحاب زيد حتى اذا كان الليل طلبوه وقد افتقدوه وظنوا انهُ قد امعن في طلب الصيد فباتوا يطلبونهُ حتى يئسوا منهُ . ثم غدوا في طلبه فاقتفوا اثرهُ حتى وقفوا عليهِ ورأَوا معهُ أثر راكب يسايرهُ . فاتبعوا الاثر حتى وجدوهُ قتيلًا . فعرفوا ان صاحب الراحلة قتلهُ فاتبعوهُ واغذُّوا السيرَ فأدركوهُ مساء الليلة الثانية . فصاحوا بهِ . وكان من ارمى الناس فامتنع منهم بالنبل حتى حال الليل بينهم وبينهُ وقد اصاب رجلًا منهم في مَرجِع كَتِفَيهِ (١ بسهم . فلما اجنَّهُ الليل مات وأفلت الرامي . فرجعوا وقد قَتل زيدَ بن ايوب ورجلًا آخر معهُ من بني الحرث بن كعب . فمكث حمَّار في اخوالهِ حتى أَيفع ولحق بالوصفاء . فخرج يوماً من الايام يلعب مع غلمان بني لحيان . فلطم اللحيانيُّ عين حمَّار . فشجَّهُ حمَّار .

---

١) مرجع الكتف اسفلها وهو ما يلي الابط منها من جهة منبض القلب يقال طعنَهُ في مرجع كتفيه

فخرج أبو اللحياني فضرب حمّارًا . فأتى حمّار امهُ يبكي . فقالت له : ما شأنك . فقال : ضربني فلان لانَّ ابنه لطمني فشججتهُ . فجزعت من ذلك وحوَّلته الى دار زيد بن ايوب وعلَّمته الكتابة في دار ابيهِ . فكان حمار أوَّل من كتب من بني ايوب . فخرج من اكتب الناس وطلب حتى صار كاتب ملك النعمان الاكبر فلبث كاتباً له حتى وُلد له ابن من امرأة تزوجها من طيئ فسماهُ زيدًا باسم ابيهِ . وكان لحمار صديق من الدهاقين (١ العظماء يقال له فرُّوخ ماهان وكان محسناً الى حمار . فلما حضرت حمارًا الوفاة أَوصى بابنهِ زيد الى الدهقان وكان من المرازبة . فأَخذهُ الدهقان اليهِ فكان عنده مع ولده . وكان زيد قد حذق الكتابة والعربية قبل ان يأخذهُ الدهقان . فعلَّمهُ لما اخذهُ الفارسيَّة فلَقِفها وكان لبيباً . فأشار الدهقان على كسرى (انو شروان) أن يجعله على البريد في حوائجه . ولم يكن كسرى يفعل ذلك الَّا باولاد المرازبة . فمكث يتولَّى ذلك لكسرى زماناً . ثم ان النعمان النصري اللخميّ هلك . فاختلف اهل الحيرة في مَن يملّكونه الى ان يعقد كسرى الامر لرجل ينصبه . فاشار عليهم المرزبان بزيد بن حمار . فكان على الحيرة الى ان ملَّك كسرى المنذر بن ماء السماء . ونكح زيد بن حمار نعمة بنت ثعلبة العَدَوِيَّة فولدت له عديًا . وملك المنذر وكان لا يعصيهِ في شيء . وولد للمرزبان ابن فسماهُ شاهان مرد . فلما تحرَّك عدي بن زيد وأَيفع طرحه أبوهُ في الكُتَّاب حتى اذا حَذَقَ أَرسله المرزبان مع ابنه شاهان مرد الى كُتَّاب الفارسية . فكان يختلف مع ابنهِ ويتعلم الكتابة والكلام بالفارسية حتى خرج

---

١) جمع دُهقان بضمّ الدال وفتحها ومعناه الرئيس

من أفهم الناس بهما وأفصحهم بالعربية وقال الشعر وتعلم الرمي بالنشاب . فخرج من الاساورة الرُّماة وتعلم لعب العجم على الخيل بالصوالجة وغيرها . ثم ان المرزبان وفد على كسرى ومعهُ ابنه شاهان مرد . فبينما هما واقفان بين يديهِ اذ سقط طائران على السُّور . فقال كسرى للمرزبان وابنه : ليرمِ كل واحدٍ منكما واحدًا من هذين الطائرين فان قتلتماهما ادخلتكما بيت المال وملأت افواهكما بالجوهر . ومن اخطأ منكما عاقبته . فاعتمد كل واحد منهما طائرًا منهما ورميا فقتلاهما جميعاً . فبعثهما الى بيت المال فملئت افواههما جوهرًا وأثبت شاهان مرد وسائر اولاد المرزبان في صحابتهِ . فقال فروخ ماهان عند ذلك للملك : ان عندي غلاماً من العرب مات أبوه وخلفهُ في حُجري فربيتهُ فهو افصح الناس وألبَبهم بالعربية والفارسية والملك محتاج الى مثلهِ فان رأى ان يُثبته في ولدي فعل . فقال : ادعُه . فارسل الى عديّ بن زيد وكان جميل الوجه فائق الحسن وكانت الفُرس تتبرَّك بالجميل الوجه فلما كلَّمه وجدهُ اظرف الناس وأحضرهم جواباً . فرغِب فيهِ وأثبته مع ولد المرزبان . فكان عدي اوَّل من كتب بالعربية في ديوان كسرى . فرغب اهل الحيرة الى عدي ورهبوه . فلم يزل بالمدائن في ديوان كسرى يؤذن له عليه في الخاصَّة وهو مُعجَب بهِ قريب منه وابوه زيد بن حمَّار يومئذٍ حيٌّ الَّا ان ذِكر عدي قد ارتفع وخمَل ذكرُ ابيه . فكان عدي اذا دخل على المنذر قام جميع من عندهُ حتى يقعد عدي . فعلا له بذلك صيت عظيم . فكان اذا أراد المقام بالحيرة في منزلهِ ومع أبيهِ وأهلهِ استأذن كسرى فأقام فيهم الشهرَ والشهرين واكثر واقلّ . ثم ان كسرى

ارسل عدي بن زيد الى ملك الروم بهدية من طُرَف ما عندهُ . فلما أتاه بها عدي أكرمه وحمله الى اعماله على البريد ليريهُ سعة ارضهِ وعظيم ملكهِ . وكذلك كانوا يصنعون . فمن ثم وقع عديّ بدمشق وقال فيها الشعر . فكان مما قاله بالشأم وهي أوّل شعر قاله فيما ذكر :

ربَّ دارٍ بأسفلِ الجزعِ من دَوْمَةَ م أشهى اليَّ من جَيدونِ
وندامى لا يفرحون بما نا لوا ولا يرهبون صَرفَ المنونِ
قد سُقيتُ الشَّمولَ في دارِ بِشر قهوةً مرَّةً بماء سخينِ

ثم كان اوّل ما قالهُ بعدها قولهُ :

لمن الدارُ تعفَّتْ بخَيَم (١ أصبحت غيَّرها طولُ القِدَمْ
ما تَبينُ العينُ من آياتها غيرَ نُؤيٍ مثل خطٍّ بالقلمْ
وثلاثٍ كالحماماتِ بها بين مجثاهُنَّ توشيمُ الحُمَمْ (٢

(قال) وفسد امر الحيرة وعدي بدمشق حتى اصلح ابوه بينهم . لان اهل الحيرة حين كان عليهم المنذر أرادوا قتله لانهُ كان لا يَعدِل فيهم وكان يأخذ من اموالهم ما يُعجبه . فلما تيقَّن ان اهل الحيرة قد اجمعوا على قتلهِ بعث الى زيد بن حمَّار بن زيد بن ايوب وكان قبلهُ على الحيرة فقال له : يا زيد انت خليفة ابي وقد بلغني ما اجمع عليه اهل الحيرة فلا حاجة لي في ملككم دونكموه ملّكوه من شئتم . فقال له زيد : ان الامر ليس اليَّ ولكني أسبُرُ لك هذا الامر ولا آلوكَ نصحاً . فلما اصبح غدا اليه الناس فحيَّوه تحية الملك وقالوا له : ألا تبعث الى عبدك الظالم يعنون

---

١) جبل بعاينين . وموضع بالجزيرة ٢) ثلاث يعني الاثافي التي تُنصَب عليها القِدر والتوشيم آثار الوقود قد صار فيها كالوشم

المنذر فتريح منه رعيتك . فقال لهم : أوَ لا خير من ذلك . قالوا : أشرْ علينا . قال : تدَعونه على حاله فانَّهُ من اهل بيت ملك وأنا آتيه فاخبرهُ ان اهل الحيرة قد اختاروا رجلًا يكون امر الحيرة اليه الَّا ان يكون غزو او قتال فلك اسم الملك وليس اليك سوى ذلك من الامور . قالوا : رأيك افضل . فأتى المنذر فأخبرهُ بما قالوا . وقبل ذلك وفرح وقال : انّ لك يا زيد عليَّ نعمة لا اكفُرها ما عرَفتُ حقَّ سبد (١ فولّى اهل الحيرة زيدًا على كل شيْ سوى اسم الملك فانهم اقرّوه للمنذر وفي ذلك يقول عدي :

نحن كنَّا قد علمتم قبلكم عُمُدَ البيتِ وأوتادَ الإصارْ

(قال) ثم هلك زيد وابنه عدي يومئذٍ بالشأم . وكانت لزيد الف ناقة للحَمالات كان أهل الحيرة اعطوه اياها حين ولّوه ما ولّوه . فلما هلك ارادوا اخذها . فبلغ ذلك المنذر فقال : لا واللات والعزّى لا يؤخذ ممَّا كان في يد زيد ثفروق (٢ وانا اسمع الصوت . ففي ذلك يقول عدي ابن زيد لابنه النعمان بن المنذر :

وأبوك المرْ لم يشنـأ بهِ يومَ سِيمَ الخسفَ منَّا ذو الخَسارْ

(قال) ثم ان عدياً قدم المدائن على كسرى بهديَّة قيصر فصادف اباه والمرزبان الذي ربَّاه قد هلكا جميعاً . فاستأذن كسرى في الالمام بالحيرة . فأذن له . فتوجه اليها . وبلغ المنذر خبره فخرج فتلقاهُ الناس ورجع معهُ وعديّ أنبل اهل الحيرة في انفسهم ولو أراد ان يملكوه لملكوه ولكنهُ

---

١) سبد كان صنم لاهل الحيرة ٢) ثفروق قمع الثمرة اللازق بها

كان يؤثر الصيد واللهو واللعب على المُلك. فمكث سنين يبدو (١ في فصلَي السنة فيقيم في حفير ويشتو بالحيرة ويأتي المدائن في خلال ذلك فيخدم كسرى. فمكث ذلك سنين وكان لا يُؤثر على بلاد بني يربوع مَبْدًى (٢ من مبادي العرب ولا ينزل في حيّ من احيـاء بني تميم غيرهم. وكان أَخِلَّاؤه من العرب كلهم بني جعفر. وكانت ابلهُ في بلاد بني ضبة وبلاد بني سعد وكذلك كان أبوه يفعل لا يجاوز هذين الحيَّين بابله. ولم يزل على حاله تلك حتى تزوَّج هندًا بنت النعمان بن المنذر وهي يومئذٍ جارية حين بلغت او كادت

وذكر هشام بن الكلبي قال: كان لعدي بن زيد اخوانِ احدهما اسمه عَمَّار ولقبُهُ أُبَيّ والآخر اسمه عمرو ولقبهُ سُمَيّ. وكان لهم اخ من امهم يقال له عديّ بن حنظلة من طيئ. وكان أُبَيّ يكون عند كسرى وكانوا اهل بيت نصارى يكونون مع الاكاسرة ولهم معهم اكل وناحية يقطعونهم القطائع ويجزلون صِلاتهم. وكان المنذر لما ملك جعل ابنهُ النعمان بن المنذر في حُجر عدي بن زيد. فهم الذين ارضعوه وربَّوه. وكان للمنذر ابن آخر يقال لهُ الاسود امُّهُ مارية بنت الحرث. فارضعه وربَّاه قوم من اهل الحيرة يقال لهم بنو مرينا ينتسبون الى لخم وكانوا أشرافاً. وكان للمنذر سوى هٰذين من الولد عشرة. وكان ولده يقال لهم الاشاهب من جَمالهم. فذلك قول اعشى بن قيس بن ثعلبة:

وبنو المنذر الاشاهب في الحيرة م يمشون غُدوةً كالسيوفِ

---

١) يبدو يخرج الى البادية

٢) المبدى خلاف المحضر وهو المنتجع في البادية المكلأ

وكان النعمان من بينهم أحمر أبرش قصيراً وأمهُ سلمى بنت وائل بن عطية الصائغ من اهل فَدَك . فلما احتُضر المنذر وخلّف اولاده العشرة أوصى بهم الى قَبيصة الطائي وملّكه على الحيرة الى أن يرى كسرى رأيه . فمكث مملّكاً عليها اشهراً وكسرى في طلب رجل يملّكه عليهم . فلم يجد احداً يرضاه . فضجِر وقال : لأَبعثنّ الى الحيرة اثني عشر الفاً من الاساورة ولأُملّكنّ عليهم رجلًا من الفرس ولآمرنّهم ان ينزلوا على العرب في دورهم ويملكوا عليهم اموالهم ونساءهم . وكان عدي بن زيد واقفاً بين يديه . فأقبل عليه وقال : ويحك يا عدي من بقي من آل المنذر وهل فيهم احد فيهِ خير . فقال : نعم ايها الملك السعيد ان في ولد المنذر لبقية فيهم كلهم خير . فقال : ابعث اليهم فأحضِرهم . فبعث اليهم فاحضرهم وانزلهم جميعاً عندهُ . ويقال بل شخص عدي بن زيد الى الحيرة حتى خاطبهم بما أَرادوا واوصاهم ثم قدم بهم الى كسرى . (قال) فلما نزلوا على عدي بن زيد أرسل الى النعمان : لست املك غيرك . فلا يوحشنّك ما أُفضّل بهِ اخوتك عليك من الكرامة فاني انما اغترُّهم بذلك . ثم كان يفضّل اخوته جميعاً عليهِ في النُّزل والاكرام والملازمة ويُريهم تنقُّصاً للنعمان وانهُ غير طامع في تمام امرٍ على يدهِ وجعل يخلو بهم رجلًا رجلًا فيقول : اذا أدخلتكم على الملك فالبسوا أفخر ثيابكم وأجملها . واذا دعا لكم بالطعام لتأكلوا فتباطأوا في الاكل وصغِروا اللُّقَم ونزّروا ما تاكلون . فاذا قال لكم : أتكفوني العرب . فقولوا : نعم . فاذا قال لكم : فان شذّ احدكم عن الطاعة وأفسد أتكفوننيهِ . فقولوا : لا انّ بعضنا لا يقدر على بعض . ليهابكم ولا يطمع

في تفرّقكم ويعلم انَّ للعرب منعةً وبأساً . فقبلوا منهُ . وخلا بالنعمان فقال لهُ : البس ثياب السفر وادخل متقلّداً بسيفك . واذا جلست للاكل فعظِّم اللقم وأسرع المضغ والبلع وزد في الاكل وتجوَّع قبل ذلك فان كسرى يعجبهُ كثره الاكل من العرب خاصّة ويرى انهُ لا خير في العربي اذا لم يكن أكولًا شرِهاً ولا سيما اذا رأى غير طعامهِ وما لا عهدَ لهُ بمثلهِ . واذا سألك : هل تكفيني العرب . فقل : نعم . فاذا قال لك : فمن لي باخوتك . فقل لهُ : ان عجزتُ عنهم فاني عن غيرهم لأعجز . (قال) وخلا ابن مرينا بالاسود فسألهُ عمَّا اوصاه بهِ عديّ . فاخبرهُ . فقال : غشَّك والصليبِ والمعمودية وما نصحك وان اطعتني لتخالفنَّ كل ما أمرك بهِ ولتملكنَّ وان عَصيتني ليملكنَّ النعمان . ولا يغرَّنك ما أراكهُ من الاكرام والتفضيل على النعمان فان ذلك دَهاء فيهِ ومكر وان هذه المعدّيَّة لا تخلو من مكر وحيلة . فقال لهُ : ان عديًّا لم يألُني نصحاً وهو اعلم بكسرى منك وان خالفتهُ اوحشته وأفسد عليّ . وهو جاءَ بنا ووصفنا والى قولهِ يرجع كسرى . فلما أيس ابن مرينا من قبوله منهُ قال : ستعلم . ودعا بهم كسرى فلما دخلوا عليهِ اعجبهُ جمالهم وكمالهم ورأى رجالًا قلَّما رأى مثلهم . فدعا لهم بالطعام ففعلوا ما أمرهم بهِ عديّ . فجعل ينظر الى النعمان من بينهم ويتأمل أكلهُ فقال لعدي بالفارسية : ان يكن في أحد منهم خيرٌ ففي هذا . فلما غسلوا ايديهم جعل يدعوهم رجلًا رجلًا فيقول لهُ : اتكفيني العرب . فيقول : نعم أكفيكها كلَّها الَّا اخوتي . حتى انتهى الى النعمان آخرهم فقال : أتكفيني العرب . قال : نعم . قال : كلَّها . قال : نعم . قال : فكيف لي باخوتك .

قال : ان عَجِزت عنهم فانا عن غيرهم اعجز . فملّكهُ وخلع عليهِ والبسهُ تاجاً قيمتهُ ستون الف درهم فيهِ اللؤلؤ والذهب . فلما خرج وقد ملك قال ابن مرينا للاسود : دونك عُقبى خِلافك لي . ثم ان عدياً صنع طعاماً في بيعة وأرسل الى ابن مرينا ان : ائتني بمن احببت فان لي حاجة . فأتى في ناس فتغدّوا في البيعة . فقال عدي بن زيد لابن مرينا : يا عدي انَّ احقّ من عرف الحقّ ثم لم يلُمْ عليهِ من كان مثلك . واني قد عرفت ان صاحبك الاسود بن المنذر كان احبَّ اليك ان يملك من صاحبي النعمان . فلا تلُمْني على شيءٍ كنتَ على مثلهِ . وأنا احبّ ان لا تحقد عليَّ شيئاً لو قدرتَ ركِبتَهُ . وانا أُحبّ ان تُعطيني من نفسك ما أُعطيك من نفسي فان نصيبي في هذا الامر ليس باوفر من نصيبك . وقام الى البيعة فحلف ان لا يهجوه ابداً ولا يبغيهِ غائلة ابداً ولايزوي عنهُ خيراً ابداً . فلما فرغ عدي بن زيد قام عدي بن مرينا فحلف مثل يمينهِ ان لا يزال يهجوهُ ابداً ويبغيهِ الغوائل ما بقي . وخرج النعمان حتى نزل منزل ابيهِ بالحيرة . فقال عدي بن مرينا لعدي بن زيد :

ألا أَبلغ عديـًّا عن عديٍّ ... فلا تجزع وان رثّت قُواكا
هياكلنا تَبِرُّ لغير فقدٍ ... لتُحمَد او يـتمّ بهِ غناكا
فان تظفَر فلا تظفر حميداً ... وان تعطَب فلا يَبعَد سِواكا
ندمتَ ندامة الكُسَعيِّ لما ... رأَت عيناكَ ما صنعت يداكا

(قال) ثم قال عدي بن مرينا للاسود : امّا اذا لم تظفر فلا تعجَزنَّ ان تطلب بثأرك من هذا المعدّيّ الذي فعل بك ما فعل فقد كنت اخبرك ان معدّاً لا ينام كيدها ومكرها وأَمرتك ان تعصيهُ فخالفتني . قال : فما

تريد . قال : اريد ان لا يأتيك فائدة من مالك وارضك الّا عرضتها عليّ . ففعل . وكان ابن مرينا كثير المال والضيعة . فلم يكن في الدهر يوم ياتي الا على باب النعمان هدية من ابن مرينا . فصار من اكرم الناس عليهِ حتى كان لا يقضي في ملكهِ شيئاً الا بأمر ابن مرينا . وكان اذا ذُكر عدي بن زيد عندَ النعمان أحسنَ الثناء عليهِ وشيَّع ذلك بان يقول : ان عدي بن زيد فيهِ مكر وخديعة . والمعديّ لا يصلح الا هكذا . فلما رأى من يُطيف بالنعمان منزلةَ ابن مرينا عنده لزموه وتابعوه . فجعل يقول لمن يثق بهِ من اصحابهِ : اذا رأيتموني اذكر عديًا عند الملك بخير فقولوا : انهُ لكذلك ولكنهُ لا يسلَم عليهِ احد وانهُ ليقول ان الملك يعني النعمان عاملهُ وانهُ هو ولّاه ما ولّاهُ . فلم يزالوا بذلك حتى اضغنوه عليهِ فكتبوا كتاباً على لسانه الى قهرمان لهُ ثم دسُّوا اليهِ حتى اخذوا الكتاب منهُ واتوا بهِ النعمان . فقرأهُ فاشتدَّ غضبهُ فأرسل الى عدي بن زيد : عزمت عليك الّا زرتني فاني قد اشتقت الى رؤيتك . وعدي يومئذٍ عند كسرى . فاستأذن كسرى . فأذن لهُ . فلما أتاهُ لم ينظر اليه حتى حبسهُ في محبس لا يدخل عليه فيه احد . فجعل عدي يقول الشعر في الحبس . هذه رواية الكلبيّ في قصائد كثيرة كان يقولها فيه ويكتب بها اليه فلا تغني عندهُ شيئاً

واما المفضَّل الضبّي فانهُ ذكر ان عدي بن زيد لما قدم على النعمان صادفهُ لا مال عندهُ ولا اثاث ولا ما يصلح للملك وكان آدمَ اخوتهِ منظرًا وكلّهم اكثر مالًا منهُ . فقال لهُ عدي : كيف اصنع بك ولا مال عندك . فقال لهُ النعمان : ما أعرف لك حيلة الا ما تعرفهُ أنت . فقال لهُ : قم بنا نمضِ الى ابن قردس رجل من اهل الحيرة من دومة . فاتياهُ ليقترضا منهُ

مالًا . فأبى ان يقرضهما وقال : ما عندي شيء . فأتيا جابر بن شمعون وهو الاسقف احد بني الاوس بن قلّام . فاستقرضا منهُ مالًا . فانزلهما عنده ثلاثة ايام يذبح لهم ويسقيهم الخمر . فلما كان في اليوم الرابع قال لهما : ما تريدان . فقال لهُ عدي : تقرضنا اربعين الف درهم يستعين بها النعمان على امرهِ عند كسرى . فقال : لكما عندي ثمانون الفاً . ثم اعطاهما اياها . فقال النعمان لجابر : لا جرم لا جرى لي درهم الا على يديك ان انا ملكت . وجابر هو صاحب القصر الابيض بالحيرة . ثم ذكر من قصة النعمان واخوته وعدي وابن مرينا مثل ما ذكرهُ ابن الكلبي . وقال المفضَّل خاصة : ان سبب حبس النعمان عدي بن زيد ان عدياً صنع ذات يوم طعاماً للنعمان وسألهُ ان يركب اليهِ ويتغدَّى عندهُ هو واصحابهُ . فركِب النعمان اليهِ . فاعترضهُ عدي بن مرينا فاحتبسهُ حتى تغدَّى عندهُ هو واصحابهُ وشربوا حتى ثمِلوا . ثم ركب الى عدي ولا فضل فيهِ فاحفظهُ ذلك . ورأى في وجه عدي الكراهة فقام وركب ورجع الى منزلهِ . فقال عدي بن زيد في ذلك من فعل النعمان :

أحسِبتَ مجلِسَنا وحُسنَ م حديثنا يُودي بمالِكْ
فالمالُ والاهلون مَصرعةٌ م لأمرك او نَكالِكْ
ما تأمُرَنْ فينا فأمرُك م في يمينك او شِمالِكْ

(قال) وأرسل النعمان ذات يوم الى عدي بن زيد فأبى ان يأتيه . ثم اعاد رسولهُ . فأبى ان يأتيَهُ . وقد كان شرب . ففضب وأمر بهِ فسحب من منزلهِ حتى انتُهي بهِ اليهِ فحبسهُ في الصِنّين ولجَّ في حبسهِ وعدي يرسل اليهِ بالشعر

وقالوا جميعاً : فلما سجن عدي بن زيد كتب الى أخيهِ أُبيّ وهو مع كسرى بهذا الشعر :

أَبلغْ أُبيًّا على نأيـهِ ... وهل ينفع المرءَ ما قد عَلِمْ
بأنَّ أَخاكَ شقيقَ الفؤا ... دِ كنتَ بهِ واثقاً ما سَلِمْ
لدى ملكٍ موثَقٌ في الحديد م إمَّا بحـقٍّ وإمَّا ظُلِـمْ
فلا أعرفَنَّك كذاتِ الغلا ... مِ ما لم تجدْ عارماً تعترمْ (١
فأَرضَكَ أَرضَـكَ ان تأْتِنا ... تَنَمْ ليلةً ليس فيها حُلُمْ (٢

قال فكتب اليهِ اخوهُ أُبيّ :

ان يـكن خانك الزمان فلا عا ... جزُ باعٍ ولا أَلَفٌ (٣ ضعيفُ
ويمـينُ الاله لو انَّ جأْواءَ (٤ م طَحوناً فيهـا تُضيْ السيوفُ
ذاتَ رِزٍّ (٥ مجتابةً غمرةَ المو ... تِ صحيحٌ سربالها مكفوفُ
كنتَ في حَنيها لجئتُك اسعى ... فاعلمنْ لو سَمعتُ اذ تَستضيفُ
أَو بمالٍ سُئلتُ دونك لم يُمنَع م تِـلادٌ لحاجـةٍ او طريفُ
أَو بارضٍ اَسطيعُ آتيك فيها ... لم يهُلْني بُعدٌ بها او مَخـوفُ
إنْ يعنّي والله أُلفَ فجوعاً ... لا يعنّيك ما يصوبُ الخريفُ
في الاعـادي وانت مني بعيد ... عِزُّ هذا الزمـان والتعنيفُ
ولعمـري لئن جَزعتُ عليـهِ ... لجَزُوعٌ على الصـديق اسوفُ

---

١) المعنى ان امّ الغلام إن لم تجد من تُرضعه درَّت هي فحلبت ثديها . يقال هذا للمتكلّف ما ليس من شأنهِ ٢) النومة التي ليس فيها حُلُم هي الموت ٣) ألفٌ اي عيٌّ بطيءُ الكلام ٤) كتيبة جأواء يعلوها لون السواد لكثرة الدروع يريد جيشاً عظيماً ٥) الرِّزّ الصوت الخفيّ

ولعمري لئن ملكتُ عَزائي لقليلٌ شَرواك(١ فيما اطوفُ

قالوا جميعاً : فلما قرأ أُبيّ كتاب عدي قام الى كسرى فكلّمهُ في أمره وعرّفهُ خبرهُ . فكتب الى النعمان يأمره باطلاقه وبعث معهُ رجلًا . وكتب خليفة النعمان اليه : انهُ قد كُتِب اليك في امرهِ . فأتى النعمانَ اعداء عدي من بني نفيلة وهم من غسان فقالوا لهُ : اقتلهُ الساعة . فأبى عليهم . وجاء الرسول . وكان اخو عدي تقدم اليه ورثاه وأمرهُ ان يبدأ بعدي فيدخل اليه وهو محبوس بالصّنين . فقال لهُ : ادخل عليه فانظر ما يأمرك به فامتثلهُ . فدخل الرسول على عدي فقال لهُ : اني قد جئت بارسالك فما عندك . قال : عندي الذي تحبّ . ووعدهُ بعدّة سنيّة وقال لهُ : لا تخرجنَّ من عندي واعطني الكتاب حتى ارسلهُ اليه . فانك والله ان خرجت من عندي لأُقتلنَّ . فقال : لا أستطيع الّا ان آتي الملك بالكتاب فأُوصلهُ اليه . فانطلق بعض من كان هناك من أعدائه فاخبر النعمان ان رسول كسرى دخل على عدي وهو ذاهب به وانْ فعل والله لم يستبقِ منّا احدًا أنت ولا غيرك . فبعث اليه النعمان اعداءه فغمّوه حتى مات ثم دفنوه . ودخل الرسول الى النعمان فأوصل الكتاب اليه . فقال : نعم وكرامة وامر لهُ بأربعة آلاف مثقال ذهباً وجارية حسناء وقال لهُ : اذا أصبحتَ فادخل انت بنفسك فأخرجهُ . فلما اصبح ركب فدخل السجن . فأعلمهُ الحرس انهُ قد مات منذ ايام ولم نجترئ على اخبار الملك خوفاً منهُ وقد عرفنا كراهتهُ لموته . فرجع الى النعمان وقال لهُ : اني كنت امس دخلت على عدي وهو حيّ وجئت اليوم فحجزني السجان وبهتني (٢ وذكر أنهُ قد

---

١) شرواك مِثلك ٢) بهته كذب عليه

مات منذ ايام . فقال لهُ النعمان : أيبعث بك الملك اليّ فتدخل اليه قبلي . كذبت . ولكنك أردتَ الرُشوة والخُبث . فتهدده ثم زاده جائزة وأكرمهُ وتوثّق منهُ ان لا يخبر كسرى الا انهُ قد مات قبل ان يقدم عليه . فرجع الرسول الى كسرى وقال : اني وجدت عديًّا قد مات قبل أن أدخل عليه . وندم النعمان على قتل عدي وعرف انه قد احتيل عليه في امره واجترأ اعداؤه عليه وهابهم هيبة شديدة . ثم انهُ خرج الى صيده ذات يوم فلقي ابناً لعدي يقال لهُ زيد . فلما رآه عرف شبههُ . فقال لهُ : من انت . فقال : انا زيد بن عدي بن زيد . فكلّمهُ فاذا غلام ظريف . ففرح به فرحاً شديدًا وقرّبهُ واعطاه ووصلهُ واعتذر اليهِ من امر ابيه وجهّزه . ثم كتب الى كسرى . ان عديًّا كان ممّن أُعين به الملك في نصحهِ ولبّه فاصابه ما لا بدَّ منهُ وانقطعت مُدّتهُ وانقضى اجلهُ ولم يُصَب به احد اشدّ من مصيبتي واماً الملك فلم يكن ليفقد رجلًا الا جعل الله لهُ منهُ خلفاً لما عظّم الله من ملكهِ وشأنه . وقد بلغ ابنٌ لهُ ليس بدونه رأيتهُ يصلح لخدمة الملك فسرّحتهُ اليه فان رأى الملك ان يجعلهُ مكان ابيه فليفعل وليصرف عمّهُ عن ذلك الى عملٍ آخر . وكان هو الذي يلي المكاتبة عن الملك الى ملوك العرب في امورها وفي خواصّ امور الملك . وكانت لهُ من العرب وظيفة مُوظّفة في كل سنة مهران أشقران يجعلان لهُ هَلاماً والكمأة الرطبة في حينها واليابسة والأَقِط والأَدَم وسائر تجارات العرب . فكان زيد بن عديّ يلي ذلك لهُ وكان هذا عمل عدي . فلما وقع زيد بن عدي عند الملك هذا الموقع سألهُ كسرى عن النعمان . فأحسن الثناء عليه . ومكث على ذلك سنوات على الامر الذي كان ابوه

عليه . وأعجب به كسرى . فكان يُكثِر الدخولَ عليه والخدمة لهُ . وكانت لملوك العجم صفة من النساء مكتوبة عندهم فكانوا يبعثون في تلك الارضين بتلك الصفة فاذا وُجدت حُملت الى الملك . غير انهم لم يكونوا يطلبونها في ارض العرب ولا يظنُّونها عندهم . ثم انهُ بدا للملك في طلب تلك الصفة وامر فكتب بها الى النواحي . ودخل اليه زيد بن عدي وهو في ذلك القول فخاطبهُ فيما دخل اليهِ فيهِ ثم قال : اني رأيت الملك قد كتب في نسوة يُطلبنَ لهُ وقرأت الصفة . وقد كنت بآل المنذر عارفاً . وعند عبدك النعمان من بناتهِ واخواتهِ وبنات عمّهِ واهلهِ اكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة . قال : فاكتب فيهنَّ . قال : ايها الملك ان شرّ شيء في العرب وفي النعمان خاصةً انهم يتكرّمون زعموا في انفسهم عن العجم . فانا اكره ان يغيّبهُنَّ عمن تبعث اليهِ أو يعرضَ عليهِ غيرهنَّ . وان قدِمتُ انا عليهِ لم يقدر على ذلك . فابعثني وابعث معي رجلًا من ثقاتك يفهم بالعربية حتى أبلُغَ ما تُحبُّهُ . فبعث معهُ رجلًا جَلْدًا فهِماً . فخرج بهِ زيد فجعل يُكرم الرجل ويلطفهُ حتى بلغ الحيرة . فلما دخل عليهِ أعظم الملك وقال : انهُ قد احتاج الى نساء لنفسهِ وولدهِ وأهل بيتهِ واراد كرامتك بصهرهِ فبعث اليك . فقال : ما هؤلاء النسوة . فقال : هذه صفتهنَّ قد جئنا بها . فقرأ زيد الصفة على النعمان . فشقَّت عليهِ وقال لزيد والرسول يسمع : أما في مها السواد وعين فارس ما يبلغ بهِ كسرى حاجتهُ . فقال الرسول لزيد بالفارسية : ما المها والعين . فقال لهُ بالفارسية : كاوان أي البقر . فامسك الرسول . قال زيد للنعمان : انما اراد كرامتك ولو علم ان هذا يشقُّ عليك لم يكتب اليك به . فانزلهما يومين عنده . ثم كتب

الى كسرى . ان الذي طلب الملك ليس عندي . وقال لزيد : اعذرني عند الملك . فلما رجعا الى كسرى قال زيد للرسول الذي قدم معهُ : أُصدُق الملك عمَّا سمعت فاني سأُحدّثهُ بمثل حديثك ولا أُخالفك فيه . فلما دخلا على كسرى قال زيد : هذا كتابهُ اليك . فقرأه عليه . فقال لهُ كسرى : وأين الذي كنت خبرتني به . قال : قد كنت خبرتك بضنّتهم بنسائهم على غيرهم وان ذلك من شقائهم واختيارهم الجوع والعُري على الشبع والرياش وايثارهم السَّموم والرياح على طيب ارضك هذه حتى انهم ليسمُّونها السجن . فسلْ هذا الرسول الذي كان معي عمَّا قال فاني أُكرم الملك عن مشافهته بما قال واجاب به . قال للرسول : وما قال . فقال لهُ الرسول : ايها الملك انهُ قال : أما كان في بقر السواد وفارس ما يكفيه حتى يطلب ما عندنا . فعُرف الغضب في وجهه ووقع في قلبه منهُ ما وقع لكنهُ لم يزد على ان قال : ربَّ عبدٍ قد اراد ما هو اشدّ من هذا ثم صار امره الى التباب . وشاع هذا الكلام حتى بلغ النعمان . وسكت كسرى أشهرًا على ذلك . وجعل النعمان يستعدّ ويتوقّع حتى أتاه كتابهُ أن : أقبل فان للملك حاجةً اليك . فانطاق حين أتاه كتابهُ فحمل سلاحهُ وما قوي عليه ثم لحق بجبلَي طيْ . وكانت فَرْعة بنت سعد بن حارثة بن لام عنده وقد ولدت لهُ رجلًا وامرأة وكانت ايضاً عنده زينب بنت أوس بن حارثة . فأراد النعمان طيئاً على ان يُدخلوه الجبلين ويمنعوه . فأبوا ذلك عليه وقالوا لهُ : لولا صهرك لقاتلناك . فانهُ لا حاجة لنا الى معاداة كسرى ولا طاقة لنا به . وأقبل يطوف على قبائل العرب ليس احد منهم يقبلهُ غير ان بني رواحة بن قطيعة بن عبس قالوا : ان شئت

قاتلنا معك . لمَنَّةٍ كانت لهُ عندهم في امر مروان القَرَظ . قال : ما أُحبُّ ان أُهلككم فانهُ لا طاقة لكم بكسرى . فأقبل حتى نزل بذي قار في بني شيبان سرًّا . فلقي هانئ بن قبيصة وقيل بل هـانئ بن مسعود وكان سيدًا منيعاً والبيت يومئذٍ من ربيعة في آل ذي الجدَّين لقيس بن مسعود بن قيس بن خالد ذي الجدَّين . وكان كسرى قد أطعم قيس بن مسعود الأُبُلَّة . فكره النعمان ان يدفع اليه اهلهُ لذلك وعلم ان هانئاً يمنعهُ مما يمنع نفسهُ منهُ

وقال حماد الرواية في خبره : انهُ انما استجار بهانئ كما استجار بغيرهِ فأجارهُ وقال لهُ : قد لزمني ذِمامك وأنا مانعـك ممَّا امنع نفسي واهلي وولدي منهُ ما بقي من عشيرتي الادنَين رجل . وان ذلك غير نافعك لانهُ مُهلِكي ومُهلكك . وعندي رأي لك لست اشير بهِ عليك لادفعك عمَّا تُريدهُ من مجاورتي ولكنه الصواب . فقال : هاته . فقال : ان كلّ امر يحمل بالرجل ان يكون عليهِ الَّا ان يكون بعد الملك سُوقة . والموت نازل بكل احد . ولَأن تموتَ كريماً خير من أن تتجرَّع الذلّ أو تبقى سوقة بعد الملك . هذا ان بقيت . فامضِ الى صاحبك واحمل اليهِ هدايا ومالًا وألقِ نفسك بين يديه . فامَّا ان صفح عنك فعُدتَ ملكاً عزيزًا . واما ان أصابك فالموت خير من ان يتلعّب بك صعاليـك العرب ويتخطَّفك ذئابُها وتأكل مالك وتعيش فقيرًا مجاورًا او تُقتل مقهورًا . فقال : كيف بجرَمي . قال : هنَّ في ذمتي لا يخلُص اليهنَّ حتى يخلص الى بناتي . فقال : هذا وأبيك الرأي الصحيح ولن اجاوزهُ . ثم اختار خيلًا وحُللًا من عَصْب اليمن وجوهرًا وطُرَفًا كانت عندهُ ووجَّه بها الى

كسرى وكتب اليهِ يعتذر ويُعلِمهُ انهُ صائر اليهِ ووجَّه بها مع رسولهِ. فقبلها كسرى وامره بالقدوم. فعاد اليهِ الرسول فأخبرهُ بذلك وأنهُ لم يرَ لهُ عند كسرى سوءاً. فمضى اليه حتى اذا وصل الى المدائن لقيه زيد بن عدي على قنطرة ساباط فقال لهُ: انجُ نُعَيم ان استطعتَ النجاء. فقال لهُ: أفعلتها يا زيد أما والله لئن عشتُ لك لاقتلَنَّك قتلة لم يُقتَلها عربيّ قطّ ولألحقنَّك بأبيك. فقال لهُ زيد: امضِ لشأنك نعيم فقد والله آخيتُ لك آخيَّةً (١ لا يقطعها المهر الأَرِن (٢. فلما بلغ كسرى انهُ بالباب بعث اليهِ فقيَّدهُ وبعث بهِ الى سجن كان لهُ بخانقين. فلم يزل فيهِ حتى وقع الطاعون هناك فمات فيه. وقال حماد الرواية والكوفيون: بل مات بساباط في حبسه. وقال ابن الكلبي: ألقاهُ تحت أرجل الفيلة فوطئتهُ حتى مات. واحتجّوا بقول الاعشى:

فذاك وما أنجى من الموت ربَّه بساباط حتى مات وهو مُحزرَقُ(٣

وأنكر هذا من زعم انهُ مات بخانقين وقالوا: لم يزل محبوساً مدة طويلة وانهُ انما مات بعد ذلك بحين قُبيل الاسلام وغضبت لهُ العرب حينئذٍ. وكان قتلهُ سبب وقعة ذي قار

وقعة ذي قار (*

كان من حديث ذي قار ان كسرى ابرويز لما غضب على النعمان

---

١) الأَخيَّة والآخية حبل يدفن في الارض تبرز منه شبه حلقة تُربط بها الدابّة

٢) الأَرِن النشيط ٣) محزرق مضيَّق عليهِ *) ذو قار ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط. وحنو ذي قار على ليلة منه

ابن المنذر أتى النعمان هانئ بن مسعود فاستودعهُ مالهُ واهلهُ وولدهُ والف شكّة (١ ووضع ودائع عند احيـاء من العرب. ثم هرب وأتى طيئاً لصِهرهِ فيهم. كانت عنده فرعة بنت سعيد بن حارثة بن لام وزينب بنت أوس بنِ حارثة. فأبوا ان يدخلوه جبلهم. وأتته بنو رَوَاحة بن ربيعة بن عبس فقالوا لهُ: أبيتَ اللعن اقمْ عندنا فانّا مانعوكَ مما نمنع منهُ انفسنا. فقال: ما أُحبُّ ان تهلَكوا بسببي. وجزاهم خيرًا. ثم خرج حتى وضع يدهُ في يد كسرى فحبسهُ بساباط. (قالوا) فلما هلك النعمان جعلت بكر بن وائل تُغير في السواد (٢. فوفد قيس بن مسعود بن قيس ابن خالد بن ذي الجدَّين الى كسرى فسأله ان يجعل لهُ أُكلًا وطُعْمة على ان يضمن لهُ بكر بن وائل ان لا يَدخلوا السَّواد ولا يُفسدوا فيهِ. فأقطعهُ الأُبُلَّة (٣ وما والاها وقال: هي تكفيك وتكفي اعراب قومك. فكانت لهُ حُجرة (٤ فيها مائة من الابل للاضياف اذا نحرت ناقة أُقيدت أُخرى. واياه عنى الشماخ بقولهِ:

ارفع بألبانها عنكم كما رفعت عنهم لقاح بني قيس بن مسعودِ

---

١) الشكّة السلاح كلّه ٢) السواد ما حوالي القصبة من القُرى والرساتيق

٣) الأُبُلّة بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل الى مدينة البصرة وهي اقدم من البصرة لانَّ البصرة مُصّرت في ايام عمرو ابن الخطّاب وكانت الأبلّة حينئذٍ مدينة فيها مسالحُ من قبل كسرى وقائدٌ. كان خالد بن صفوان يقول: ما رأيت ارضاً مثل الابلة مسافة ولا اغذى نُطفة ولا اوطأ مطيّة ولا اربح لتاجر ولا احفى لعائد. وقال الاصمعي: جنان الدنيا ثلاث غوطة دمشق وضر بلـخ وضر الابلة. واما ضر الابلة الضارب الى البصرة فحفرهُ زياد (معجم البلدان) ٤) حجرة حظيرة الابل

(قال) فكان يأتيه من أتاه منهم فيعطيه جُلّة تمر وكِرْباسة (١ . حتى قدم الحرث بن وعلة بن المجالد والمكسّر بن حنظلة فأعطاهما جلتي تمر وكرباستين . فغضبا وأبيا ان يقبلا ذلك منهُ . فخرجا واستغويا ناساً من بكر بن وائل ثم أغارا على السواد . فاغار الحرث على اسافل رومستان وهي من جَرَد . واغار المكسّر على الأنبار . فلقيه رجل من العباد من اهل الحيرة قد نُتجت بعض نوقهم فحملوا الخُوار على ناقة وصَرُّوا (٢ الابل . فقال العبادي : لقد صبّح الانبار شرّ جمل يحمل جملًا وجمل بُرَتهُ (٣ عُود . فجعلوا يضحكون من جهلهِ بالابل . (قال) وأغار بُجير ابن عائذ بن سويد العِجليّ ومعهُ مفروق بن عمرو الشيباني على القادسيّة وطيزناباذ وما والاهما . وكلهم ملأ يديه غنيمة . فاما مفروق وأصحابهُ فوقع فيهم الطاعون فمات منهم خمسة نفر مع من مات من أصحابهم . فدُفنوا بالدُجيل وهو دوحة من العذيب يسيرة . فقال مفروق :

أتاني بأنباط السواد يسوقهم اليَّ وأودت رِجْلتي (٤ وفوارسي

فلمّا بلغ ذلك كسرى اشتدّ حنقهُ على بكر بن وائل . وبلغهُ ان حَلَقة (٥ النعمان وولده واهلهُ عندهم . فأرسل كسرى الى قيس بن مسعود وهو بالأُبلّة فقال : غررتني من قومك وزعمت انك تكفينيهم . وأمر بهِ فحُبس بساباط . وأخذ كسرى في تعبية الجيوش اليهم . فقال قيس بن مسعود

---

١) جُلّة وعاء من خوص يُكنَز فيه التمر . كرباسة ثوب من قطن

٢) صرُّوا الابل شدّوا ضروعها بالصِّرار لئلّا يرضعها اولادها

٣) البرة حلقة من فضّة او صُفر او شعر تجعل في انف الناقة

٤) رَجلة ورِجلة ورِجلة جمع راجل ٥) الحلقة السلاح والدروع

وهو محبوس :

ألا ابـلغ بني ذهلٍ رسـولًا ... فمن هذا يكون لكم مكاني
أيأكلـها ابن وعلة في ظليفٍ ... ويأمن هيثمٌ وابنا سنانِ
ويامن فيكم الذهليُّ بعدي ... وقد وسموكَ سِمةَ البيـانِ
ألا من مبلغٌ قومي ومَن ذا ... يُبلِّـغ عن اسـيرٍ في الاوانِ
تطـاولَ ليلـهُ واصابَ حزناً ... ولا يرجو الفِـكاكَ من المنانِ

وقال قيس ينذر قومهُ :

ألا ليتني ارشو سلاحي وبغلتي ... فيخبر قومي اليوم ما أنا قائلُ
فانّا ثوينـا في شعوب وانّهم ... غزتهم جنود جمة وقبـائلُ
وان جنود العجم بيني وبينكم ... فما فلجي يا قوم ان لم تقاتلوا

(قال) فلما وضح لكسرى واستبان ان مال النعمان وحلقتهُ وولده عند ابن مسعود بعث اليهِ كسرى رجلًا يخبرهُ انهُ قال لهُ : ان النعمان انما كان عاملي وقد استودعك مالهُ واهلهُ والحلقة فابعث بها اليَّ ولا تكلفني ان ابعث اليك ولا الى قومك بالجنود تقتل المقاتلة وتسبي الذرّيّة . فبعث اليهِ هانئ : ان الذي بلغك باطل . وما عندي قليل ولا كثير . وان يكن الامر كما قيل فانما انا احد رجلين إما رجل أُستُودع امانة فهو حقيق ان يردّها على من اودعهُ اياها ولن يسلّم الحرّ امانتهُ . او رجل مكذوب عليهِ فليس ينبغي ان تأخذهُ بقول عدوّ او حاسد . (قال) وكانت الاعاجم قوماً لهم حلم قد سمعوا ببعض علم العرب وعرفوا ان هذا الامر كائن فيهم . فلما ورد عليه كتاب هانئٌ حملتهُ الشفقة ان يكون ذلك قد اقترب فأقبل حتى قطع الفرات فنزل غَمْر بني مقاتل وقد احنقهُ

ما صنعت بكر بن وائل في السواد ومنع هانئ اياه ما منعهُ

(قال) ودعا كسرى اياس بن قبيصة الطائي وكان عاملهُ على عين التمر وما والاها الى الحيرة وكان كسرى قد اطعمهُ ثلاثين قرية على شاطئ الفرات . فأتاه في صنائعه من العرب الذين كانوا في الحيرة . فاستشارهُ في الغارة على بكر بن وائل وقال : ماذا ترى وكم ترى ان نُغزيهم من الناس . فقال لهُ اياس : ان الملك لا يصلح ان يعصيه احد من رعيته وان تُطِعني لم تُعلِم احدًا لايّ شيءٍ عبرتَ وقطعت الفرات فيروا ان شيئاً من العرب قد كربك ولكن ترجع وتضرب عنهم وتبعث عليهم العيون حتى ترى غِرَّة منهم ثم ترسل حَلْبة (١ من العجم فيها بعض القبائل التي تليهم فيُوقِعون بهم وقعة الدهر ويأتونك بطَلِبتك . فقال لهُ كسرى : انت رجل من العرب وبكر بن وائل اخوالك فأنت تتعصَّب لهم ولا تألوهم نصحاً . فقال اياس : رأي الملك افضل . فقام اليه عمرو بن عدي بن زيد العبادي وكان كاتبهُ وترجمانهُ بالعربية وفي امور العرب فقال لهُ : أقمْ ايها الملك وابعث اليهم بالجنود يكفوك . فقام اليه النعمان ابن زُرْعة من ولد السفَّاح التغلبي فقال : ايها الملك ان هذا الحيّ من بكر بن وائل اذا احاطوا بذي قار تهافتوا تهافت الجراد في النار . فعقد للنعمان بن زُرعة على تغلب والنمر . وعقد لخالد بن يزيد البهراني على قُضاعة واياد . وعقد لاياس بن قبيصة على جميع العرب ومعهُ كتيبتاه الشهباء والدَوْسر . فكانت العرب ثلاثة آلاف . وعقد للهامَرْز على الف من الاساورة . وعقد لحنابزين (٢ على الف . وبعث معهم باللطيمة وهي

١) الحلبة الدفعة من الخيل تجمع للسباق او للغارة ٢) ويروى : جلابزين

كانت تخرج من العراق فيها البزُّ والعطر والألطاف توصل الى باذان عاملهِ باليمن . وقال : اذا فرغتم من عدوّكم فسيروا بها الى اليمن . وأمر عمرو بن عدي ان يسير بها . وكانت العرب تحفرهم وتجيرهم حتى تبلغ اللطيمة اليمن . وعهد كسرى اليهم اذا شارفوا بلاد بكر بن وائل ودنوا منها ان يبعثوا النعمان بن زُرعة . فان أتوكم بالحلقة ومائة غلام منهم يكونون رهناً بما أحدث سفهاؤهم فاقبلوا منهم والّا فقاتلوهم . وكان كسرى قد أوقع قبل ذلك ببني تميم يوم الصفقة فالعرب وَجِلة خائفة منهُ . وكانت حُرَقة بنت حسان بن النعمان يومئذٍ في بني سنان . هكذا في هذه الرواية . وقال ابن الكلبيّ : حرقة بنت النعمان وهي هند . والحرقة لقب وهذا هو الصحيح . فقالت تنذرهم وتقول :

ألا أبلغ بني بكر رسولًا ... فقد جدَّ النفير بعنفقيرِ (١
فليت الجيش كلهمُ فداكم ... ونفسي والسريرَ وذا السريرِ
كأني حين جدَّ بهم اليكم ... مُعلّقةُ الذوائبِ بالعَبُورِ (٢
فلو اني اطقت لذاك دفعاً ... اذًا لدفعتهُ بدمي وزيري

فلما بلغ بكر بن وائل الخبر سار هانئ بن مسعود حتى انتهى الى ذي قار فنزل بهِ . وأقبل النعمان بن زرعة حتى نزل على ابن اختهِ مرّة بن عمرو فحمد الله النعمان وأثنى عليهِ ثم قال : انكم اخوالي واحد طرفيَّ وان الرائد لا يكذب اهلهُ . وقد اتاكم ما لا قِبَل لكم بهِ من أحرار فارس وفرسانُ العرب والكتيبتان الشهباء والدوسر . وانَّ في

---

١) العنفقير الداهية ٢) العَبور هي الشِّعرى العبور نجم مضيء يتلو الجوزاء

الشرّ خيارًا . ولأن يفتدي بعضكم بعضاً خير من ان تصطلموا (١ . انظروا هذه الحلقة فادفعوها وادفعوا رهناً من ابنائكم بما احدث سفهاؤكم . فقال لهُ القوم : ننظر في امرنا . وبعثوا الى من يليهم من بكر ابن وائل وبرزوا ببطحاء ذي قار بين الجَلْهَتَين (٢ . (قال) وكان مرداس السلميّ مجاورًا فيهم يومئذٍ . فلما رأى الجيوش قد اقبلت اليهم حمل عيالهُ فخرج عنهم وانشأ يقول يحرّضهم بقولهِ :

ابلغ سَراةَ بني بكر مغلغلةً ... اني اخاف عليهم سُربةَ الواري (٣
اني أرى الملـك الهامرز منصلتاً ... يُزجي جيادًا وركباً غيرَ اعيارِ (٤
لا تلقطُ البعرَ الحوليَّ نسوتُهم ... المجاثرينَ على اعطانِ (٥ ذي قارِ
فان ابيتم فاني رافع ظُعُني ... ومُنشِبٌ في جبال اللُوبِ (٦ اظفاري
وجاعلٌ بيننا وِردًا غواربُهُ ... ترمي اذا ما ربا (٧ الوادي بتيّارِ

وجعلت بكر بن وائل حين بعثوا الى مَن حولَهم مِن قبائل بكر لا ترفع لهم جماعة الّا قالوا : سيّدنا في هذه . فرفعت لهم جماعة فقالوا : سيدنا في هذه . فلما دنوا اذا هم بعبد عمرو بن بشر بن مرثد . فقالوا : لا . ثم رفعت لهم أخرى فقالوا : في هذه سيدنا . فاذا هو جبلة بن باعث بن صريم اليشكري . فقالوا : لا . فرفعت اخرى فقالوا : في هذه سيدنا . فاذا هو الحرث

---

١) تصطلموا تستأصلوا وتبيدوا

٢) جلهة الوادي مُقدَّمه وما استقبلك منه واتّسع لك

٣ سربة جماعة من العسكر يُغيرون . والواري المتلهّب من قولك ورى الزَّند ٤) المنصلت المسرع . واعيار جمع عَير وهو الحمار

٥) اعطان مَبارك الابل جمع عَطَن ٦) اللوب لغة في النوب وهم جبل من السودان ٧) ربا ارتفع . و« وردًا غواربه » اراد البحر

ابن وعلة بن المجالد الذهلي . فقالوا : لا . ثم رفعت لهم اخرى فقالوا : في هذه سيدنا . فاذا فيها الحرث بن ربيعة بن عثمان التيمي في تيم الله . فقالوا : لا . ثم رفعت لهم اخرى اكبر مما كان يجيء فقالوا : لقد جاء سيدنا . فاذا رجل اصلع الشعر عظيم البطن مُشرَب حمرةً . فاذا هو حنظلة بن ثعلبة بن سيَّار بن حي بن حاطبة بن الاسعد بن جذيمة بن سعد بن عجل . فقالوا : يا أَبا مَعْدان قد طال انتظارنا وقد كرهنا ان نقطع امرًا دونك وهذا ابن اختك النعمان بن زُرعة قد جاءنا والرائد لا يكذب اهلهُ . قال : فما الذي أَجمع عليهِ رأْيكم واتفق عليهِ مَلَؤُكم (١ . قالوا : ان اللخي (٢ اهون من الوهي وان في الشرّ خيارًا ولان يفتدي بعضكم بعضاً خير من ان تصطلموا جميعاً . قال حنظلة : فقبح الله هذا رأْياً لا تجرُّ احرار فارس ارجلها ببطحاء ذي قار وانا اسمع الصوت . ثم امر بقبَّتهِ فضُربت بوادي ذي قار . ثم نزل ونزل الناس فأطافوا بهِ . ثم قال لهانئ بن مسعود : يا ابا امامة ان ذمّتكم ذمّتنا عامَّة وانهُ لن يوصل اليك حتى تفنى ارواحنا . فأَخرِج هذه الحلقة ففرّقها بين قومك . فان تظفَر فستُرَدّ عليك وان تهلك فأَهون مفقود . فامر بها فأُخرجت ففرَّقها بينهم . ثم قال حنظلة للنعمان : لولا انك رسول لما أُبتَ الى قومك سالماً . فرجع النعمان الى اصحابهِ فاخبرهم بما ردَّ عليهِ القوم . فباتوا ليلتهم مستعدّين للقتال . وبكر بن وائل يتأَهّبون للحرب

فلما اصبحوا اقبلت الاعاجم نحوهم . وامر حنظلة بالظُّعن جميعاً

---

١) الملأ جماعة القوم

٢) اللخي اعطاء المال بريد ان فقد المال خير من الهلاك

فوقفها خلف الناس . ثم قال : يا معشر بكر بن وائل قاتلوا عن ظُعنكم او دَعُوا . فاقبلت الاعاجم يسيرون على تعبية . فلما رأتهم بنو قيس بن ثعلبة انصرفوا فلحقوا بالحيّ فاستخفَوا فيهِ . فسُمي حي بني قيس بن ثعلبة . (قال) وهو على موضع خفيّ . فلم يشهدوا ذلك اليوم . وكان ربيعة بن غزالة السكوني ثم التجيبي يومئذٍ هو وقومهُ نزولًا في بني شيبان . فقال : يا بني شيبان أما لو اني كنت منكم لأشرت عليكم برأي مثل عروة العلم (١ . فقالوا : فانت والله من اوسطنا فأشر علينا . فقال : لا تستهدفوا لهذه الاعاجم فتهلكوكم بنُشَّابها ولكن تكردسوا كراديس (٢ فيشدّ عليهم كردوس فاذا اقبلوا عليهِ شدَّ الآخر . فقالوا : فانك قد رأيت رأياً . ففعلوا . فلما التقى الزحفان وتقارب القوم قام حنظلة ابن ثعلبة فقال : يا معشر بكر بن وائل ان النشاب الذي مع الاعاجم يغرقكم فاذا ارسلوه لم يخطئكم . فعاجلوهم اللقاء وابدؤوهم بالشدَّة . ثم قام هانئ بن مسعود فقال : يا قوم مهلك مَقدُور . خير من نجاء مَعرُور (٣ . وان الحذَر لا يدفع القدَر . وان الصبر من اسباب الظفَر . المنية ولا الدنية . واستقبال الموت خير من استدبارهِ . والطعن في الثَّغْر . اكرم من الطعن في الدُّبر . يا قوم جُدّوا فما من الموت بُدّ . فتحٌ لو كان لهُ رجال . أَسمعُ صوتاً ولا ارى قوماً . ويا آل بكر شدّوا واستعدّوا والّا تشدُّوا تُرَدّوا . ثم قام شريك بن عمرو بن شراحيل بن مرّة بن همّام فقال : يا قوم انما تهابونهم أنكم ترونهم عند الحفاظ اكثر منكم

---

١) عروة العلم اي العلم الذي يوثق بهِ يريد رأياً سديدًا

٢) الكردوس قطعة من الخيل ٣) اي غير ثابت

وكذلك انتم في اعينهم . فعليكم بالصبر فان الأسنَّة تردي الأعنّة . يا آل بكر قُدْماً قُدْماً (١ . ثم قام عمرو بن جبلة بن باعث بن صريم اليشكري فقال :

يا قوم لا تغرركم هذي الخرقْ ولا وميضُ البيض في الشمس برقْ
من لم يقاتل منكمُ هذا العُنُقْ (٢ فجنّبوهُ الراحَ واسقوهُ المرَقْ

ثم قام حنظلة بن ثعلبة الى وَضين (٣ راحلة امرأتهِ فقطعهُ . ثم تتبَّع الظعنَ يقطع وُضُنهنَّ . فسمي يومئذٍ مُقطّع الوضين . (قالوا) وكانت بنو عجل في الميمنة بازاء خنابزين (٤ . وكانت بنو شيبان في الميسرة بازاء كتيبة الهامرز . وكانت افناء بكر بن وائل في القلب . فخرج أسوار من الاعاجم مسوَّر في اذنيه درَّتان من كتيبة الهامرز يتحرَّى الناس للبراز فنادى في بني شيبان . فلم يبرز اليه احد . حتى اذا دنا من بني يشكر برز لهُ يزيد بن حارثة أخو بني ثعلبة بن عمرو فشدَّ عليهِ بالرمح فطعنهُ فدقّ صلبهُ واخذ حليتهُ وسِلاحهُ . فذلك قول سويد بن ابي كاهل يفتخر :

ومنّا يزيد اذ تحرَّى (٥ حُموعكم فلم تَقرَبُوهُ المرزبانُ المُشهَّرُ
وبارزهُ منـا غلامٌ بصارمٍ حُسامٍ اذا الاقى الضريبة (٦ يبتُرُ

ثم ان القوم اقتتلوا صدرَ نهارهم أشدَّ قتال رآه الناس الى ان زالت

---

١) اي تقدّموا ٢) العنق الجماعة
٣) الوضين بطان الناقة . ويقال مقطع البُطُن والبطن حزُم الاقتاب
٤) ويروى : جلابزين ٥) تحرَّى وتحدَّى بمعنى اي تعمَّد ونازع الغلبة ٦) الضريبة ما ضربته بالسيف

الشمس . فشدَّ الحوفزان واسمهُ الحرث بن شريك على الهامرز فقتلهُ . وقتلت بنو عجل خنابزين . وضرب الله وجوه الفرس فانهزموا . وتبعتهم بكر بن وائل . فلحق مرثد بن الحرث النعمانَ بن زُرعة فاهوى لهُ طعناً . فسبقهُ النعمان بصدر فرسهِ فأفلتهُ فقال مرثد في ذلك :

وخيل تَبارَى للطعان شهدتُها ... فأغرقتُ فيها الرمحَ والجمعُ مُحجمُ
وافلتني النعمان فوتَ رماحنا ... وفوقَ قَطاةِ المُهرِ ازرقُ لهذمُ (١

(قال) ولحق اسود بن بجير بن عائذ بن شريك العجلي النعمانَ بن زُرعة فقال لهُ : يا نعمان هلمَّ اليَّ فانا خيرٌ لك من اسد انا خير لك من الكعبين . قال : ومن انت . قال : الاسود بن بجير . فوضع يدهُ في يدهِ . فجزَّ ناصيتهُ وخلَّى سبيلهُ وحملهُ الاسود على فرس لهُ وقال لهُ : انجُ على هذه فانها اجود من فرسك . وجاء اسود بن بجير العجليّ على فرس النعمان بن زرعة . وقُتل خالد بن يزيد البهراني قتلهُ الاسود بن شريك ابن عمرو . وقُتل يومئذٍ عمرو بن عدي بن زيد العِبادي الشاعر . فقالت امهُ ترثيهِ :

ويحَ عمرو بن عدي من رُجلْ ... خان يوماً بعد ما قيل كملْ
كان لا يعقل حتى ما اذا ... جاء يوم ياكل الناسَ عقلْ
أبهم دلَّاك عمرو للردى ... وقديماً حِينَ للمرءِ الاجلْ
ليت نعمان علينا ملكاً ... وبُنيَّ ليَ حيٌّ لم يزلْ
قد تنظَّرنا لغادٍ اوبةً ... كان لو يغني عن المرء الاملْ
بان معهُ عضدٌ مع ساعدٍ ... بؤسا للدهر وبؤسا للرُجلْ

١) اللهذم كل شيٍ من سنان او سيف قاطع . والقطاة موضع الردف من الدابة

(قال) وأفلت اياس بن قبيصة على فرس لهُ كانت عند رجل من بني تيم الله يُقال لهُ ابو ثور . فلما اراد اياس ان يغزوهم ارسل اليه ابو ثور بها . فنهاه اصحابهُ ان يفعل . فقال : والله ما في فرس اياس ما يُعزُّ رجلًا ولا يُذلّهُ وما كنت لأقطع رحمهُ فيها . فقال اياس :

غزاها ابو ثور فلما رأيتهـا دَخيسَ دِواء(١ الا اضيع غزاها
فأعددتها كفوًا لكل كريهةٍ اذا أقبلت بكرٍ تجرّ رِشاها

(قال) واتبعتهم بكر بن وائل يقتلونهم بقية يومهم وليلتهم حتى اصبحوا من الغد وقد شارفوا السواد ودخلوه . فذكروا ان مائة من بكر ابن وائل وسبعين من عجل وثلاثين من افناء بكر بن وائل أصبحوا وقد دخلوا السواد في طلب القوم . فلم يفلت منهم كبيرُ احدٍ . وأقبلت بكر ابن وائل على الغنائم فقسموها بينهم وقسموا تلك اللطائم بين نسائهم . فذلك قول الدهان بن جندل :

ان كنتِ ساقيةً يوماً على كرمٍ فاسقي فوارس من ذُهلِ بن شيبانا
واسقي فوارسَ حامَوا عن ديارهم واعلي مَفارقَهم مِسكاً وريحانا

(قال) فكان اول من انصرف الى كسرى بالهزيمة اياس بن قبيصة . وكان لا يأتيهِ أحد بهزيمة جيش الّا نزع كتفيهِ . فلما اتاه اياس سألهُ عن الخبر . فقال : هزمنا بكر بن وائل فأتيناك بنسائهم . فأعجب ذلك كسرى وأمر لهُ بكسوة . وان اياساً استأذنهُ عند ذلك فقال : ان اخي مريض بعين التمر فاردت ان آتيه . وانما أراد ان يتنحّى عنهُ . فأذن لهُ كسرى .

---

١) دخيس سمينة . والدِواء تصنيع الفرس وتسمينها ليشتدّ لحمها ويذهب رهلها

فترك فرسهُ الحمامة وهي التي كانت عند ابي ثور بالحيرة وركب نجيبتهُ فلحق باخيهِ. ثم اتى كسرى رجل من اهل الحيرة وهو بالخورنق. فسألهُ هل دخل على الملك احد. فقال: نعم اياس. فقال: ثكلت اياساً امُهُ. وظنَّ انهُ قد حدَّثهُ بالخبر. فدخل عليهِ فحدَّثهُ بهزيمة القوم وقتلهم. فأمر بهِ فنُزعت كتفاه. وقال ابو كلبة التيمي يفخر بيوم ذي قار:

لولا فوارس لا ميلٌ ولا عزلٌ من اللهازم ما نُطتم (١ بذي قارِ
ما زلت مفترساً اجساد افتيةٍ تُثير اعطافها منها بآثارِ
ان الفوارس من عِجلٍ هم أنفوا من ان يُخَلُّوا لكسرى عَرصةَ الدارِ
لاَقوا فوارس من عجل بشِكَّتها ليسوا اذا قلَّصت حربٌ بأغمارِ (٢
قد أحسنت ذُهلُ شيبانٍ وما عدلت في يوم ذي قارٍ فرسانُ ابنِ سيَّارِ
همُ الذين اتوهم عن شمائلهم كما تلبَّس ورَّادٌ بصُدَّارِ

فاجابهُ الاعشى فقال:

أبلغ ابا كلبةَ التيميَّ مألكةً فأنت من معشرٍ والله اشرارِ
شيبان تدفع عنك الحربَ آونةً وانت تنبحُ نبحَ الكلبِ في الغارِ

(قال) ولم يزل قيس بن مسعود في سجن كسرى بساباط حتى مات قيس

---

١) ميل جمع اميل وهو الذي لا يثبت على ظهور الخيل والاعزل الذي لا سلاح معه. واللهازم حلفاء بني عِجل. ويروى قِظتم اي اقمتم في القيظ

٢) اغمار جمع غُمر وهو الذي لم يجرّب الامور ولا تجربة له في الحرب

حرب داحس

كان من حديث داحس ان امّهُ فرس كانت لِقِرْواش بن عوف يقال لها جَلْوى وكان ابوهُ يسمّى ذا العقّال وكان لِحَوْط بن ابي جابر. فنتج قرواش فرسهُ مهرًا من ذي العقال فسماهُ داحساً وخرج كأنهُ ابوهُ ذو العقال. وفيهِ يقول جرير:

ان الجياد يَبِتنَ حولَ خبائنا من آل أعوَجَ(١ او لِذي العُقّالِ

فلما تحرّك المهر سام مع امهِ وهو فلُوٌّ يتبعها وبنو ثعلبة سائرون. فرآه حوط فاخذهُ. فقالت بنو ثعلبة: يا بني رياح الم تفعلوا فيهِ اوّل مرّة ما فعلتم (٢ ثم هذا الآن. فقالوا: هو فرسنا ولن نتركَكم او نقاتلكم عنهُ او تدفعوهُ الينا. فلما رأى ذلك بنو ثعلبة قالوا: اذًا لا نقاتلكم عنهُ انتم اعزّ علينا هو فِداؤكم ودفعوه اليهم. فلما رأى ذلك بنو رياح قالوا: والله لقد ظلمْنا اخوتَنا مرّتين ولقد حلُموا وكرُموا. فارسلوا بهِ اليهم مع لَقُوحَين. فمكث عند قرواش ما شاء الله وخرج اجودَ خيول العرب

ثم ان قيس بن زهير بن جذيمة العبسيّ أغار على بني يربوع فلم يُصِب احدًا غير ابنتي قرواش بن عوف ومائةٍ من الابـل لقرواش وأصاب الحيّ وهم خُلوف (٣ ولم يشهد من رجالهم غير غلامين من بني ازنم بن عُبَيد بن ثعلبة بن يربوع. فجالا في متن الفرس مرتدفَيهِ

---

١) اعوج فرس مشهور لبني هِلال ٢) تلميح الى قصّة لحوط لمّا ان حاول منع لقاح جلوى ٣) خلوف غُيَّب. وقيل اذا غاب الرجال واقام النساء

وهو مقيَّد بقيد من حديد . فأعجلهما القوم عن حلّ قيدهِ واتّبعهما القوم . فضبر بالغلامين ضبراً حتى نجوَا بهِ . ونادتهما احدى الجاريتين : ان مفتاح القيد مدفون في مذود الفرس . بمكان كذا وكذا اي بجنب مذود وهو مكان اي لا ينزلا الّا في ذلك المكان . فسبقا اليهِ حتى اطلقاه . ثم كرّا راجعين . فلما رأى ذلك قيس بن زهير رغِب في الفرس فقال لهما : لكما حكمكما وادفعا اليَّ الفرس . فقالا : او فاعلٌ انت . قال : نعم . فاستوثقا منهُ على ان يردّ ما أصاب من قليل وكثير ثم يرجع عوده على بدئهِ ويُطلق الفتاتين ويخلّي عن الابل وينصرف عنهم راجعاً . ففعل ذلك قيس . فدفعا اليهِ الفرس . فلما رأى ذلك اصحاب قيس قالوا : لا نصالحك ابدًا . أصبنا مائة من الابل وامرأتين فعمدت الى غنيمتنا فجعلتها في فرس لك تذهب بهِ دوننا . فعظُم في ذلك الشرّ حتى اشترى منهم غنيمتهم بمائة من الابل

فلما جاء قرواش قال للغلامين الازغبيَّين : اين فرسي . فأخبراه . فأبى ان يرضى الّا ان يُدفع اليهِ فرسُهُ . فعظم في ذلك الشرّ حتى تنافروا فيهِ . فقُضي بينهم أن تُردَّ الفتاتانِ والابلُ الى قيس بن زهير ويردّ عليهِ الفرس . فلما رأى ذلك قرواش رضي بعد شرّ . وانصرف قيس بن زهير ومعهُ داحس . فمكث ما شاء الله

وزعم بعضهم ان الرهان انما هاجهُ بين قيس ابن زهير وحُذَيفة بن بَدْر أنَّ قيساً دخل على بعض الملوك وعندهُ قينة لحُذَيفة بن بدر تغنّيهِ بقول امرئ القيس :

دارٌ لهندٍ والرَّبابِ وفَرْتَنا ولَيسَ قبل حوادث الايامِ

وهنَّ فيما يُذكَر نسوة من بني عبس . فغضب قيس بن زهير وشقَّ رداءها وشتمها . فغضب حذيفة . فبلغ ذلك قيساً فاتاه يسترضيه فوقف عليهِ فجعل يكلمهُ وهو لا يعرفهُ من الغضب وعنده افراس لهُ فعابها وقال : ما يرتبط مثلُك مثل هذه يا أبا مُسهِر . فقال حذيفة : أتعيبها . قال : نعم . فتجاريا حتى تراهنا

وقال بعض الرواة : ان الذي هاج الرِهان أنَّ رجلًا من بني عبد الله ابن غَطفان ثم احد بني جوشنٍ وهم اهل بيتِ شؤم أتاه الورد العبسيّ أبو عروة بن الورد وأتى حذيفةَ زائرًا فعرض عليهِ حذيفة خيلهُ . فقال : ما أرى فيها جوادًا مُبرِّزًا (١ فقال لهُ حذيفة : فعند من الجواد المبرّ . فقال : عند قيس بن زهير . فقال لهُ : هل لك ان تراهنني عنهُ . قال : نعم قد فعلتُ . فراهنهُ على ذَكَرٍ من خيله وانثى . ثم ان العبسي اتى قيس بن زهير وقال : اني قد راهنت حذيفة على فرسين من خيلك ذكرٍ وانثى واوجبتُ الرهان . فقال قيس : ما أُبالي من راهنت غير حذيفة . فقال : ما راهنت غيرهُ . فقال قيس : انك ما علمت (٢ لأنكدُ . ثم ركب قيس فأتى حذيفة حتى وقف عليهِ . فقال لهُ : ما غدا بك . قال غدوت لأُواضِعَك الرهان قال : بل غدوت لتُغلقهُ . قال : ما اردت ذلك . فأبى حذيفة الَّا الرهان . فقال قيس : أُخيّرك ثلاث خِلال فان بدأتَ فاخترتَ قبلي فلي خَلَّتانِ والك الاولى . وان بدأتُ فاخترتُ قبلك فلك خلتان ولي الاولى . قال حذيفة : فابدأ . قال قيس : الغاية من مائةِ غَلوةٍ (٣ . قال حذيفة : فالمِضمار أربعون ليلة والمَجرى من ذات الإصاد . ففعلا ووضعا السَبق على يدي غَلَّاق او

١) المبرّ الغالب ٢) ويروى : عملت ٣) الغلوة الرمية بالنشابة

ابن غلاق احد بني ثعلبة . فاما بنو عبس فزعموا انهُ اجرى الخطّار والحنفاء . وزعمت بنو فَزارة انهُ اجرى قُرْزُلًا والحنفاء . واجرى قيس داحساً والغبراء .

ويزعم بعضهم ان الذي هاج الرهان ان رجلًا من بني المعتمر بن قُطَيْعة بن عبس يُقال لهُ سُراقةُ راهن شابًّا من بني بدر وقيس غائب على اربع جزائرَ من خمسين غلوة . فلما جاء قيس كره ذلك وقال لهُ : لم ينتهِ رهان قط الّا الى شرّ . ثم أتى بني بدر فسألهم المُواضعة . فقالوا : لا حتى نعرف سبَقنا فان اخذنا فحقّنا وان تركنا فحقّنا . فغضب قيس ومَحِك وقال : اما اذا فعلتم فأعظِموا الخَطَر وأبعدوا الغاية . قالوا : فذلك لك . فجعلوا الغاية من واردات الى ذات الإصاد . وذلك مائة غلوة . والثنيَّة فيما بينهما . وجعلوا القصبة في يدي رجل من بني ثعلبة بن سعد يقال لهُ حصين وملأوا البِركة ماء وجعلوا السابق اوّل الخيل يكرَع فيها . ثم ان حذيفة بن بدر وقيس بن زهير أتيا المَدى الذي أُرسِلنَ منهُ ينظران الى الخيل كيف خروجها منهُ . فلما أُرسلت عارضاها . فقال حذيفة : خدعتك يا قيس . قال : تركَ الخِداعَ من اجرى من مائة . فارسلها مثلًا . ثم ركضا ساعة فجعلت خيل حذيفة تبرّ وخيل زهير تقصّر . فقال حذيفة : سبقتك يا قيس . فقال : جريُ المُذكيات غِلاب فأرسلها مثلًا . ثم ركضا ساعة . فقال حذيفة : انك لا تَركُضُ مَرْكَضاً . فارسلها مثلًا . وقال : سُبِقت خيلُك يا قيس . فقال قيس : رويدًا يعلونَ الجَدَد . فارسلها مثلًا . (قال) وقد جعلت بنو فزارة كميناً بالثنية . فاستقبلوا داحساً فعرفوه فامسكوه وهو السابق . ولم يعرفوا الغبراء وهي خلفهُ مُصلِية . حتى مضت الخيل واستهلّت من الثنية ثم ارسلوه

فتمطر(١ في آثارها فجعل يبدُرها فرساً فرساً حتى سبقها الى الغاية مصلّياً وقد طرح الخيلَ غيرَ الغبراء ولو تباعدت الغاية لسبقها . فاستقبلها بنو فزارة فلطموها ثم حلّاوها عن البِركة . ثم لطموا داحساً وقد جاءا متواليين . فجاء قيس وحذيفة في آخر الناس وقد دفعتهم بنو فزارة عن سبقهم ولطموا افراسهم ولم تُطقهم بنو عبس يقاتلونهم وانما كان مَن شهد ذلك من بني عبس ابياتاً غير كثيرة . فقال قيس بن زهير : يا قوم انهُ لا يأتي قوم الى قومهم شرًّا من الظلم فأعطونا حقَّنا . فأبت بنو فزارة ان يعطوهم شيئاً . وكان الخطر عشرين من الابل . فقالت بنو عبس : اعطونا بعض سبقنا . فأبوا . فقالوا : اعطونا جزورًا ننحرها نُطعِمها اهل الماء فانّا نكره القالة في العرب . فقال رجل من بني فزارة : مائة جزور وجزور واحدة سَواء . والله ما كنّا لِنُقِرَّ لكم بالسبق علينا ولم نُسبَق . فقام رجل من بني مازِن بن فزارة فقال : يا قوم ان قيساً كان كارهاً لاوّل هذا الرهان وقد احسن في آخرهِ وإنَّ الظلم لا ينتهي الّا الى الشرّ . فاعطوه جزورًا من نَعَمكم . فأبوا . فقام الى جزور من ابلهِ فعقلها ليعطيها قيساً ويرضيه . فقام ابنهُ فقال : انك لكثير الخطإ اتريد ان تخالف قومك وتُلحق بهم خزاية بما ليس عليهم . فأطلق الغلامُ عِقالها فلحقت بالنعم . فلما رأى ذلك قيس بن زهير احتمل عنهم هو ومن معهُ من بني عبس . فأتى على ذلك ما شاء الله . ثم ان قيساً اغار عليهم فلقي عوف بن بدر فقتلهُ واخذ ابلهُ . فبلغ ذلك بني فزارة فهمّوا بالقتال وغضبوا . فحمل الربيع بن زياد احد بني عَوْذ بن غالب بن قُطَيعة بن عبس ديةَ عوف بن بدر مائةَ عُشَراء

---

١) تمطر اسرع

مُتلية (١ . واصطلح الناس فمكثوا ما شاء الله . ثم ان مالك بن زهير أتى امرأتهُ باللُّقاطة قريباً مِن الحاجر فبلغ ذلك حذيفة بن بدر فدسَّ لهُ فرساناً على افراس من مَسانِّ خيلهِ وقال : لا تنتظروا مالكاً ان وجدتموه ان تقتلوه . والربيع بن زياد مجاورٌ حذيفةَ بن بدر . وكانت امرأة الربيع ابن زياد مُعاذة ابنة بدر . فانطلق القوم فلقوا مالكاً فقتلوه ثم انصرفوا عنهُ وجاؤوا عشيَّة وقد جَهَدوا افراسهم فوقفوا على حذيفة ومعهُ الربيع ابن زياد . فقال حذيفة : أقدرتم على حماركم . قالوا : نعم وعقرناه . فقال الربيع : ما رأيت كاليوم قطّ أهلكتَ افراسك من اجل حمار : فقال حذيفة لَمَّا اكثر عليهِ من المَلامة وهو يحسب ان الذي اصابوا حمار : انَّا لم نقتل حمارًا ولكنا قتلنا مالك بن زهير بعوف بن بدر . فقال الربيع : بئسَ لَعمرُ الله القتيلُ قتلتَ . اما والله اني لاظنهُ سيبلغ ما يُكرَه . فتراجعا شيئاً من كلام ثم تفرَّقا . فقام الربيع يطأ الارض وطئاً شديدًا . واخذ يومئذٍ حَمَلُ بن بدر ذا النون (٢ سيف مالكِ بن زهير

قال ابو عبيدة : فزعموا أنَّ حذيفة لما قام الربيع بن زياد ارسل اليهِ بمُولَّدة لهُ فقال لها : اذهبي الى مُعاذة (بنت بدر امرأة الربيع) فانظري ما ترين الربيعَ يصنع . فانطلقت الجارية حتى دخلت البيت فاندسَّت بين الكِفاء والنَّضَد (٣ . فجاء الربيع فنفذ البيت حتى أتى فرسهُ فقبض

---

١) العشراء التي اتى عليها من حملها عشرة اشهر من ملقحها . والمتالي التي نتج بعضها والباقي يتلوها في النتاج

٢) سُمّي ذا النون لصورة سمكة كانت عليهِ

٣) الكفاء شقّة في آخر البيت . والنضد متاع يجعل على حمار من خشب

بمَعْرَفَتِهِ ثم مسح متنه حتى قبض بعُكْوة ذنبهِ (١ ثم رجع الى البيت ورحمهُ مركوز بفِنائهِ فهزَّهُ هزًّا شديداً ثم ركزهُ كما كان. ثم قال لامرأتهِ: اطرحي لي شيئاً فطرحت لهُ شيئاً فاضطجع عليهِ وقال: قد حدث أمر. ثم تغنَّى وقال:

نام الخليّ وما أُغمّضُ حارِ ... من سيّئ النبإِ الجليل الساري
من مِثلهِ تُمسي النساء حواسرًا ... وتقوم مُعولةً مع الأسحارِ
من كان مسرورًا بمقتل مالكٍ ... فليأتِ نسوتنا بوجه نهارِ
يجد النساء حواسرًا يندبنهُ ... يبكينَ قبل تبلُّج الاسحارِ
قد كنَّ يخبأنَ الوجوهَ تستُّرًا ... فاليومَ حين بدونَ للنُظَّارِ
يخمِشنَ حُرَّاتِ الوجوه على امرءٍ ... سهلِ الخليقة طيّبِ الاخبارِ
أفبعدَ مقتل مالك بن زهيرٍ ... ترجو النساء عواقب الاطهارِ
ما ان ارى في قتلهِ لذوي الحِجى ... الّا المَطيَّ تُشَدُّ بالاكوارِ
وتُجنَّباتٍ ما يذقنَ عَذوفةً (٢ ... يَقذِفنَ بالمُهَرات والامهارِ
ومَساعرًا صَدأُ الحديد عليهمُ ... فكانما طُلي الوجوه بقارِ
يا ربَّ مسرورٍ بمقتل مالك ... ولسوف نصرفهُ بشرّ مَحارِ (٣

فرجعت المرأة فاخبرت حذيفة الخبر. فقال: هذا حين اجتمع امر اخوتكم. ووقعت الحرب. وقال الربيع لحذيفة وهو يومئذٍ جارهُ: سيّرني فاني جاركم مسيرة ثلاث ليالٍ. ومع الربيع فَضلة من خمر. فلمَّا سار الربيع دسَّ حذيفة في اثره فوارس فقال: اتّبعوه فاذا مضت ثلاث

---

١) العكوة اصل الذنب ٢) العذوف والعدوف ما اكلتهُ
٣) المحار المرجع

ليال فانَّ معهُ فَضلة خمر فان وجدتموه قد هراقها فهو جادّ وقد مضى فانصرفوا . وان لم تجدوه قد أراقها فاتبعوه فانكم تجدونَه قد مال لادنى منزلٍ فرتع وشرب فاقتلوه . فتبعوه فوجدوه قد مال لادنى منزل وشقَّ الزقَّ ومضى . فانصرفوا . فلما أتى الربيع قومهُ وقد كان بينهُ وبين قيس بن زهير شَحْناء وذلك أنَّ الربيع ساوم قيس بن زهير في دِرع كانت عندهُ . فلما نظر اليها وهو راكب وضعها بين يديه ثم ركض بها فلم يردّها على قيس . فعرض قيس لفاطمة ابنة الخُرشُب الأَنمارية من انمار بن بغيض وهي احدى مُنجِبات قيس وهي امُّ الربيع وهي تسير في ظعائنَ من عبس فاقتاد جملها يريد ان يرتهنها بالدرع حتى تُردّ عليه . فقالت : ما رأيت كاليوم فِعلَ رجلٍ . اي قيسُ ضلَّ حِلمك أترجو ان تصطلح انت وبنو زياد وقد اخذتَ امَّهم فذهبتَ بها يميناً وشِمالًا فقال الناس في ذلك ما شاءوا وحسبك من شرٍّ سماعُه . فارسلتها مثلًا . فعرف قيس بن زهير ما قالت لهُ فخلَّى سبيلها واطرد ابلًا لبني زياد فقدِم بها مكة فباعها من عبدالله بن جُدْعان القُرَشي . وقال في ذلك قيس بن زهير :

ألم يبلغكَ والانباء تَنمي ... بما لاقت لَبونُ بني زيادِ
وحبسِها على القرشيّ تُشرَى ... بادراعٍ واسيافٍ حِدادِ
كما لاقيتَ من حَمَل بن بدرٍ ... واخوته على ذات الإصادِ
همُ فخروا عليَّ بغيرِ فخرٍ ... وذادوا دون غايته جوادي
وكنتُ اذا مُنيتُ بخصمِ سوءٍ ... دلفتُ لهُ بداهيةٍ نآدِ (١

١) نآدٌ ونآدَى داهية

بداهيةٍ تدُقُّ الصُّلبَ منـهُ فتقصِم او تجوبُ على الفؤادِ
وكنت اذا اتاني الدهرَ رِبقٌ (١ بداهيةٍ شددتُ لها نجادي
ألم تعلم بنو الميقـاب اني كريم غير مُغتلِث الزنادِ (٢
اطوّف مـا اطوّف ثم آوي الى جارٍ كجار ابي دوادِ (٣
اليك ربيعةَ الخيرِ ابنَ قُرطٍ وَهُوباً للطريف وللتـلادِ
كفاني ما اخافُ ابو هلالٍ ربيعةُ فانتهت عني الاعادي
تظَلُّ جيادهُ يُحدَينَ حولي بذات الرِّمثِ كالحدإِ الغوادي
كأني اذ أنخت الى ابن قرط عقلتُ الى يَلَملَمَ او نَضَادِ (٤

(قال) فكانت تلك الشحناء بين بني زياد وبين بني زهير فكان قيس يخاف خِذلانهم اياه. فزعموا انَّ قيساً دسَّ غلاماً لهُ مُولَّداً فقال: انطلق كانك تطلب ابلاً فانهم سيسألونك فاذكر مقتل مالك ثم احفظ ما يقولون. فأتاهم العبد فسمع الربيع يتغنَّى بقولهِ: « افبعد مقتل مالك ابن زهيرٍ ». فلما رجع العبد الى قيس فأخبرهُ بما سمع من الربيع بن

---

١) الربق ما يتقلّده

٢) الوقب الاحمق والميقاب التي تلد الحمقى. ومغتلث الزناد اي غير صلد الزناد. يروى بالغين والعين. اعتلث زنـدًا اخذه من شجر لا يدري ايوري ام يصلِد

٣) جاره يعني ربيعة الخير بن قرط. وجار ابي دواد يقال الحرث ابن همام وكان ابو دواد في جواره فخرج صبيان الحيّ يلعبون في غدير فغمس الصبيان ابن ابي دواد فيهِ فقتلوه فخرج الحرث فقال: لا يبقى صبي في الحي الّا غُرِّق في الغدير او يرضى ابو دؤاد. فودي ابن ابي دواد عشر ديات فرضي.

٤) عقل لجأ. يلملم من كبار جبال تهامة على ليلتين من مكة ويقال أَلَمْلَم بالهمزة وهو الاصل والياء بدل من الهمزة. ونضاد جبل عظيم في الحجاز

زياد عرف قيس ان قد غضب . فاجتمعت بنو عبس على قتال بني فزارة فارسلوا اليهم ان : رُدّوا علينا ابلنا التي وَدَينا بها عوفاً أخا حذيفة بن بدر لامّه . فقال : لا اعطيكم دِية ابن امّي وانما قتل صاحبَكم حملُ ابن بدر وهو ابن الاسديَّة . وأنتم وهو أعلمُ . فزعم بعض الناس انهم كانوا ودَوا عوف بن بدر بمائة من الابل متلية اي قد دنا نتاجها وانهُ قد أتى على تلك الابل اربعُ سنين وانَّ حذيفة بن بدر أراد ان يردّها بأعيانها . فقال لهُ سِنان بن خارجة المرّي : أتريد ان تُلحِق بنا خَزايةً فنعطيهم اكثر مما اعطونا فتسبُّنا العرب بذلك . فأمسكها حذيفة . وأبى بنو عبس ان يقبلوا الّا ابلهم بعينها . فمكَث القوم ما شاء الله ان يمكثوا . ثم ان مالك بن بدر خرج يطلب ابلًا لهُ فمرَّ على بني رَواحة فرماهُ جنيدب احد بني رواحة بسهم فقتلهُ . فقالت ابنة مالك بن بدر في ذلك :

لله عينا من رأى مِثلَ مالكٍ عقيرةَ قومٍ أن جرى فَرَسانِ
فليتهما لم يشربا قطُّ قَطرةً وليتهما لم يُرسَلا لِرِهانِ
أحلّ بهِ امس الجنيدبُ نَذرَهُ فأيُّ قتيلٍ كان في غطفانِ
اذا سجعت بالرقتين حمامةٌ او الرسِّ فابكي فارس الكَتِفانِ(١

ثم ان الاسلع بن عبدالله مشى في الصلح ورهنَ بني ذبيان ثلاثةً من بنيهِ واربعة من بني اخيهِ حتى يصطلحوا جعلهم على يدَيْ سُبَيع بن عمرو فمات سبيع وهم عندهُ . فلما حضرتهُ الوفاة قال لابنهِ مالك بن سبيع : ان عندك مَكرُمةً لا تبيد ان انت احتفظت بهولاء الأُغيلِمة .

---

١) الكتفان اسم فرس مالك بن بدر . الكَتِفان (اللسان ١١ : ٣٠٢) الكُتُفان (نقائض ج وف ٩٣) الكَتَفان (ياقوت ٢ : ٧٧٩)

وكأني بك لو قد متُّ قد اتاك حذيفة خالك (وكانت امّ مالك هذا ابنةَ بدر) فعصر عينيهِ وقال: هلك سيدنا. ثم خدعك عنهم حتى تدفعهم اليهِ فيقتلهم. فلا شرَفَ بعدها. فان خفتَ ذلك فاذهب بهم الى قومهم. فلما ثَقُل جعل حذيفة يبكي ويقول: هلك سيّدُنا. فوقع ذلك لهُ في قلب مالك. فلما هلك سبيع اطاف بابنهِ مالك فأعظَمهُ. ثم قال لهُ: يا مالك اني خالك واني أسنّ منك فادفع اليَّ هؤلاء الصبيان ليكونوا عندي الى ان ننظر في أمرنا. ولم يزل بهِ حتى دفعهم الى حذيفة باليَعْمَريَّة (١ فلما دفع مالك الى حذيفة الرُّهُن جعل كل يوم يُبرِز غلاماً فينَصِبهُ غرَضاً ويرمي بالنبل. ثم يقول: نادِ أباك. فينادي اباهُ حتى يزقهُ النَّبل. ويقول لواقد بن جندب: نادِ اباك. فجعل ينادي: يا عماه. خِلافاً عليهم ويكره ان يأبس (٢ أباه بذلك. وقال لابن جنيدب بن عمرو بن الاسلع: نادِ جُنَيْبة. وكان جنيبة لقب ابيهِ. فجعل ينادي: يا عَمْراه باسم ابيه حتى قُتل. وقُتل عُتْبةُ بن شهاب بن قيس بن زهير. ثم ان بني فزارة اجتمعوا هم وبنو ثعلبة وبنو مرَّة فالتقوا هم وبنو عبس فقتلوا منهم مالك بن عمرو بن سبيع الثعلبي قتلهُ مروان بن زنباع العبسي وعبدَ العُزّى بن حُذار الثعلبي والحرث بن بدر الفزاري وهَرِم بن ضمضم المرّي قتلهُ وَرْد بن حابِس العبسي. ولم يشهد ذلك اليوم حذيفة بن بدر. فقالت ناجية اخت هرم بن ضمضم المرّي:

يا لهفَ نفسي لهفةَ المفجوعِ اذ لا ارى هرماً على مودوعِ (٣

---

١) اليعمرية ماء بوادٍ من بطن نخل من الشريّة ٢) الابس القهر والحمل على المكروه ٣) مودوع فرسه

من اجل سيدنا ومصرع جنبه عَلِق الفؤادُ بحنظـلٍ مجدوعِ

ثم ان حذيفة بن بدر جمع وتأهب . واجتمع معهُ بنو ذبيان بن بغيض . فبلغ بني عبس انهم قد ساروا اليهم فقال قيس : أطيعوني فوالله لئن لم تفعلوا لأتكئنَّ على سيفي حتى يخرج من ظهري . قالوا : فانّا نطيعك . فأمرهم فسرَّحوا السَّوامَ والضعاف بليلٍ وهم يريدون ان يظعنوا من منزلهم ذلك . ثم ارتحلوا في الصبح واظهروا على ظهر العقبة وقد مضى سوامهم وضعفاؤهم . فلما اصبحوا طلعت عليهم الخيل من الثنايا . فقال قيس : خذوا غير طريق المال فانهُ لا حاجة للقوم ان يقعوا في شوكتكم ولا يريدون بكم في انفسكم شرًّا من ذهاب اموالكم . فأخذوا غير طريق المال . فلما ادرك حذيفةُ الأثَرَ ورآه قال : أبعَدهم الله وما خيرُهم بعد ذهاب اموالهم . فاتَّبعَ المال . وسارت ظعُن بني عبس والمُقاتِلة من ورائهم . وتبع حذيفة وبنو ذبيان المال . فلما ادركوه ردّوا اوَّلهُ على آخرِهِ . ولم يُفلِت منهم شيءٌ . وجعل الرجل يطَّرد ما قدر عليهِ من الابل فيذهب بها . وتفرَّقوا واشتدَّ الحرّ . فقال قيس بن زهير : يا قوم ان القوم قد فرَّق بينهم المغنم فأعطِفوا الخيل في آثارهم . فلم تشعر بنو ذبيان الّا والخيل دوائِس . فلم يقاتلهم كبيرُ احدٍ . وجعل بنو ذبيان انما هِمَّة الرجل في غنيمتهِ ان يحوزها ويمضي بها . فوضعت بنو عبس فيهم السلاح حتى ناشدتهم بنو ذبيان البقية . ولم يكن لهم همٌّ غير حذيفة فارسلوا خيلهم مجتهدين في أثَرِه . وارسلوا خيلًا تقصّ الناس ويسألونهم حتى سقط خبرُ حذيفة من الجانب الايسر على شدّاد بن معاوية العبسي وعمرو ابن ذهل بن مرّة العبسي وعمرو بن الاسلع والحرث بن زهير وقِرواش

ابن هُنَيّ وجُنيدِب. وكان حذيفة قد استرخى حِزام فرسهِ. فنزل عنهُ فوضع رجلهُ على حجر مخافة ان يُقتَصّ أثَرُهُ ثم شدَّ الحزام. فوقع صدر قدمهِ على الارض فعرفوه وعرفوا حَنَف (١ فرسهِ فاتبعوه. ومضى حتى استغاث بجَفر الهباءة وقد اشتدّ الحرّ فرمى بنفسهِ ومعهُ حَمَلُ بن بدر وحَنَش بن عمرو وورقاء بن بِلال واخوه وهما من بني عدي بن فزارة وقد نزعوا سروجهم وطرحوا سلاحهم ووقعوا في الماء وتمكّكت دوابهم وقد بعثوا ربيئة. فجعل يطّلع فينظر فإذا لم يرَ شيئاً رجع. فنظر نظرةً فقال: اني قد رأيت شخصاً كالنعامة او كالطائر فوق القتادة من قِبَل مجيئنا. فقال حذيفة: هنا وهنا هذا شدّاد على جِروة

فبينما هم يتكلمون اذا هم بشدّاد بن معاوية واقفاً عليهم. فحال بينهم وبين الخيل. ثم جاء عمرو بن الاسلع ثم جاء قرواش حتى تتامّوا خمسة. فحمل جنيدب على خيلهم فاطردها. وحمل عمرو بن الاسلع فاقتحم هو وشداد عليهم في الجفر. فقال حذيفة: يا بني عبس فأين العقول والاحلام. فضربهُ اخوه حمل بن بدر بين كتفيهِ وقال: اتّقِ مأثور القول بعد اليوم. فأرسلها مثلًا. وقتل قرواش بن هني حذيفة وقتل الحرث بن زهير حمل بن بدر وأخذ منهُ ذا النون سيف مالك بن زهير وكان حمل اخذهُ من مالك بن زهير يومَ قتلهُ. فقال الحرث بن زهير في ذلك:

تركت على الهبـاءة غير فخرٍ حذيفـةَ حولهُ قِصَدُ العوالي

---

١) الحنف ان تقبل احدى اليدين على الاخرى وفي الناس ان تقبل احدى الرجلين على الاخرى وان يطأ الرجل وحشيها

سيخبر قومهُ حنش بن عمرو اذا لاقاهمُ وابنا بلالِ
ويخبرهم مكانَ النونِ مني وما أعطيتُهُ عرَقَ الخِلالِ(١

فأجابهُ حنش بن عمرو:

سيخبرك الحديثَ بهِ خبيرٌ يجاهرك العداوةَ غير آلي
بُداءتُها لقرواش وعمرٍو وأنت يجول جَوْبك في الشمالِ(٢

حروب الفِجار (٣ وحروب عكاظ

كانت هذه الحرب بين قريش وقيس عيلان في اربعة اعوام متواليات ولم يكن لقريش في اوَّلها مدخل ثم تحققت بها. فاما الفجار الاوَّل فكانت الحرب فيهِ ثلاثة ايام ولم تسمَّ باسم تُشهَر بها. وأما الفجار الثاني فكان أعظمَها لانهم استحلُّوا فيهِ الحرم وكانت ايامهُ يوم نخلة. وكان الرؤَساء فيهِ حرب بن أُمية في القلب وعبدالله بن جدعان وهشام بن المُغَيْرة في المجنبتَين. ثم يوم شمطة ثم يوم العَبْلاء. ثم يوم عُكاظ ثم يوم الحَرَّة

قال أبو عبيدة: كان أَمر الفجار ان بدر بن مَعْشَر الغفاري احد بني غِفار بن مالك كان رجلًا منيعاً مستطيلًا بمنعتهِ على من ورد عكاظ.

---

١) العَرَق المكافأة والخلال المودّة يقول لم يعطوني السيف عن مكافأة ومودّة ولكني اخذته منه غصباً بقتلي اياه

٢) الجوب الترس. يقول بداءة الامر لقرواش وعمرو وهما اقتحما الجفر وقتلا مَن قتلا. وانت ترسك في يدك يجول لم تغنِ شيئاً. يقال لك البداءة ولفلان العودة

٣) سمِّيت فجاراً لانها كانت في الاشهر الحرُم

فاتخذ مجلساً بسوق عكاظ وقعد فيهِ وجعل يبرح على الناس ويقول:

نحن بنو مُدركةَ بن خِندفِ من يطعنوا في عينهِ لا يَطرِفِ
ومن يكونوا قومهُ يُغطرِفِ كأنهم لجة بحرٍ مُسدفِ (١

وبدر بن معشر باسط رجليهِ يقول: أنا أعزّ العرب فمن زعم انهُ أعزّ مني فليضرب هامتي بالسيف فهو اعزّ مني. فوثب رجل من بني نصر بن معاوية يقال لهُ الاحمر بن مازن بن أوس فضربهُ بالسيف على ركبتهِ فاندرها (٢. ثم قال: خذها اليك ايها المخندف وهو ماسك سيفهُ. وقام ايضاً رجل من هوازن فقال:

انا ابن همدان ذو التغطرفِ بحرُ بحور زاخر لم يَنزَفِ
نحن ضربنا ركبة المخندفِ اذ مدَّها في اشهر المُعرَّفِ (٣

وفي هذه الضربة اشعار كثيرة لا معنى لذكرها

ثم كان اليوم الثاني من ايام الفجار الاوَّل وكان السبب في ذلك ان شباباً من قريش وبني كنانة هزأوا بامرأة من بني عامر بسوق عكاظ. فنادت: يا آل عامر: فثاروا وحملوا السلاح. وحملتهُ كنانة واقتتلوا قتالاً شديداً ووقعت بينهم دماء. فتوسَّط حَرْب بن أُميَّة واحتمل دماء القوم وأرضى بني عامر من مُثلة صاحبتهم

ثم كان اليوم الثالث من الفجار الاوَّل. وكان سببهُ انهُ كان لرجل من بني جُشَم بن بكر بن هوازن دين على رجل من بني كنانة. فلواه (٤ بهِ وطال اقتضاؤهُ اياه فلم يُعطهِ شيئاً. فلما اعياه وافاه الجشمي في سوق

---

١) مسدِف اي مظلم. وفي الاصل: مُسرف ٢) اندرها قطعها
٣) المعرَّف الموقف بعرفات ٤) لواه دينه مطلهُ بهِ

عكاظ بقرد ثم جعل ينادي: من يبيعني بمثل هذا الرُّبّاح (١ بمالي على فلان بن فلان الكنانيّ. من يعطيني مثل هذا بمالي على فلان بن فلان الكناني. رافعاً صوتهُ بذلك. فلما طال نداؤهُ بذلك وتعييره بهِ كنانة مرَّ رجل منهم فضرب القرد بسيفهِ فقتلهُ. فهتف بهِ الجشمي: يا آل هوازن. وهتف الكناني: يا آل كنانة. فتجمع الحيَّان حتى تحاجزوا ولم يكن بينهم قتلى. ثم كفّوا وقالوا: أفي رُبّاح تريقون دماءكم وتقتلون انفسكم. وحمل ابن جدعان ذلك في مالهِ بين الفريقين

(قال) ثم كان يوم الفجار الثاني وأوّل يوم حروبهِ يوم نخلة. قال أبو عبيدة: كان الذي هاج هذه الحرب يوم الفجار الآخر ان البرّاض بن قيس ابن رافع احد بني ضَمْرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة كان سكيراً فاسقاً خلعهُ قومهُ وتبرَّأوا منهُ. فشرب في بني الدِّيل فخلعوه. فأتى مكة واتى قُريشاً. فنزل على حرْب بن أُمية فحالفهُ فأحسن حرب جواره. وشرب بمكة حتى همَّ حرب ان يخلعهُ. فقال لحرب: انهُ لم يبقَ احد ممن يعرفني الّا خلعني سواك. وانك ان خلعتني لم ينظر اليّ احد بعدك. فدعني على حِلْفك وانا خارج عنك. فتركهُ وخرج فلحق بالنعمان بن المنذر بالحيرة. وكان النعمان يبعث الى سوق عكاظ في وقتها بلطيمة (٢ يجيزها لهُ سيّد مضر فتُباع وتشترى لهُ بثمنها الأَدَم والحرير والوِكاء (٣ والحذاء والبرود من العصب والوشي والمسيَّر (٤ والعدنيّ. وكانت سوق عكاظ

---

١) الرَّبَح والرُّبّاح القِرد ٢) اللطيمة نافجة المسك

٣) الوِكاء رباط القربة وكلّ ما شدّ رأسهُ من وعاء ونحوه

٤) المسيَّر ضربٌ من البرود فيها خطوط تعمل من القزّ كالسيور

في أوّل ذي القعدة فلا تزال قائمة يباع فيها ويشترى الى حضور الحجّ . وكان قيامها فيما بين النخلة والطائف عشرة اميال وبها نخل واموال لثقيف . فجهّز النعمان لطيمة لهُ وقال : من يُجيزها . فقال البرّاض : انا أُجيزها على بني كنانة (١ . فقال النعمان : انما أُريد رجلًا يجيزها على اهل نجد . فقال عُرْوة الرحّال وهو يومئذٍ رجل من هوازن : أنا أُجيزها أبيتَ اللعنَ . فقال لهُ البرّاض : من بني كنانة تجيزها يا عروة . قال : نعم وعلى الناس جميعاً . أفكلبٌ خليعٌ يجيزها . ثم شخص بها وشخص البرّاض وعروة يرى مكانهُ ولا يخشاه على ما صنع . حتى اذا كان بين ظهري غطفان الى جانب فَدَك بأرض يقال لها أُوارة قريب من الوادي الذي يقال لهُ تَيمَن نام عروة في ظلّ شجرة . ووجد البرّاض غفلتهُ فقتلهُ وهرب عضاريطُ (٢ الرِّكاب فاستاق الركاب . وقال البرّاض في ذلك :

وداهيةٍ يُهالُ الناسُ منها ... شددتُ لها بني بكر ضلوعي
هتكتُ بها بيوتَ بني كلاب ... وأرضعتُ الموالي بالرضوعِ
جمعت لها يديَّ بنصل سيفٍ ... أفلّ (٣ فخرَّ كالجذع الصريعِ

وقال ايضاً :

نقمتُ على المرء الكلابيّ فخرَهُ ... وكنتُ قديماً لا أُقرُّ فَخارا
علوتُ بحدّ السيف مَفرِقَ رأسهِ ... فأسمعَ اهلَ الواديَينِ خُوارا

فقال لبيد بن ربيعة يحضّ على الطلب بدمهِ

أبلغ إن عرضتَ بني نمير ... وأخوالَ القتيل بني هلالِ

---

١) اي على اهل الحجاز ٢) العضاريط الخدم القائمون على الابل
٣) سيف افلّ ذو فلول وهي كسور وثُلَم في حدّه لكثرة الضرب به

بأن الوافد الرحّال اضحى صريعاً عند تيمنَ ذي الطلالِ

قال أبو عمرو : لقي البرّاض بِشر بن ابي خازم فقال لهُ : هذه القلائص لك على ان تأتي حرب بن أميَّة وعبدالله بن جدعان وهِشاماً والوليد ابني المغيرة فتخبرهم ان البرّاض قتل عروة . فاني أخاف إن يسبقُ الخبر الى قيس أن يكتُموه حتى يقتلوا بهِ رجلًا من قومك عظيماً . فقال لهُ : وما يؤمِنك ان تكون انت ذلك القتيل . قال : ان هوازن لا ترضى ان تقتل بسيدها رجلًا خليعاً طريدًا من بني ضمرة . (قال) ومرَّ بهما الجليس بن يزيد أحد بني الحرث وهو يومئذٍ سيّد الاحابيش من بني كنانة والاحابيش من بني الحرث . فقال لهم الجليس : ما لي أراكم نجيًّا (١ . فأخبروه الخبر ثم ارتحلوا وكتموا الخبر على اتفاق منهم . (قال) وكانت العرب اذا قدمت عكاظ دفعت أسلحتها الى ابن جدعان حتى يفرَغوا من أسواقهم وحجّهم . ثم يردّها عليهم اذا ظعنوا . وكان سيدًا حكيماً مُثرياً من المال . فجاءهُ القوم فأخبروه خبر البرّاض وقتله عروة واخبروا حرب ابن أمية وهشاماً والوليد ابني المغيرة . فجاء حرب الى عبدالله بن جدعان فقال لهُ : احتبس قِبَلك سلاح هوازن . فقال لهُ ابن جدعان : أبالغدر تأمرني يا حرب . والله لو أعلمُ انهُ لا يبقى منها سيف الّا ضربتُ بهِ ولا رمحٌ الا طُعنتُ بهِ ما أمسكتُ منها شيئاً . ولكن لكم مائة درع ومائة رمح ومائة سيف في مالي تستعينون بها . ثم صاح ابن جدعان في الناس : من كان لهُ قِبَلي سلاح فليأتِ وليأخذهُ . فاخذ الناس اسلحتهم . وبعث ابن جدعان وحرب بن أمية وهشام والوليد الى ابي بَراء : انهُ قد

---

١) النجيّ مَن تفاوضه في السرّ

كان بعد خروجنا حرب وقد خفنا تفاقم الامر فلا تنكروا خروجنا . وساروا راجعين الى مكة . فلما كان آخر النهار بلغ ابا براء قتلُ البرّاض عروةَ فقال : خدعني حرب وابن جدعان . وركب فيمن حضر عكاظ من هوازن في اثر القوم فادركوهم بنخلة فاقتتلوا حتى دخلت قريش الحرَم وجنَّ عليهم الليلُ فكفُّوا . ونادى الادرَم بن شعيب احد بني عامر بن صعصعة : يا معشر قريش ميعاد ما بيننا هذه الليلة من العام المُقبل بعكاظ . وكان يومئذٍ رؤساء قريش حرب بن أُمية في القلب وابن جدعان في احدى المجنبتين وهشام بن المغيرة في الاخرى . وكان رؤساء قيسٍ عامرُ بن مالك مُلاعِب الاسنَّة على بني عامر . وكدام بن عمير على فهم . وعدوان ومسعود بن سهم على ثقيف . وسُبيع بن ربيعة النصريّ على بني نصر بن معاوية . والصِّمَّة بن الحرث وهو ابو دريد بن الصمة على بني جُشم . وكانت الراية مع حرب بن أُمية وهي راية قصيّ التي يُقال لها العُقاب . فقال في ذلك خداش بن زهير :

يا شدَّةً ما شددنا غير كاذبة ... على سَخينةَ (١ لولا الليل والحرمُ
اذ يتقينا هشام بالوليد ولو ... أنّا ثَقِفنا (٢ هشاماً شالتِ الخَدمُ
بين الاراك وبين المرج تبطحهم ... زُرقُ الاسنَّة في اطرافها السُّهمُ
فان سمعتم بجيشٍ سالكٍ شَرَفاً ... وبطن مَرٍّ فأخفُوا الحِرْس واكتتموا

(قال) وقدم البرّاض باللطيمة مكة وكان يأكلها . وكان عامر بن يزيد ابن الملوّح بن يعمر الكناني نازلًا في اخواله من بني نمير بن عامر وكان

---

١) كانت العرب تسمّي قريشاً سخينة لأكلها السخن . الخدم جمع خدَمة وهي الساق هنا
٢) ثقفه ظفر به

ناكحاً فيهم . فهمّت بنو كلاب بقتلهِ . فمنعتهُ بنو نمير . ثم شخصوا بهِ حتى نزل في قومهِ . واستعوت (١ كنانة بني اسد وبني نمير واستغاث بهم فلم تُغثهم . ولم يشهد الفجار احد من هذين الحيَّين

ثم كان اليوم الثاني من الفجار الثاني وهو يوم شمطة . فتجمعت قريش وكنانة بأسرها وبنو عبد مناة والاحابيش وأعطت قريش رؤوس القبائل اسلحة تامَّة وأداة وجمعت هوازن وخرجت فلم تخرج معهم كلاب ولا كعب ولا شهد هذان البطنان من ايام الفجار الّا يوم نخلة مع أبي براء عامر بن مالك . وكان القوم جميعاً متساندين على كل قبيلة سيّدهم

(قال) فسبقت هوازن قريشاً فنزلت شمطة من عكاظ وظنوا ان كنانة لم توافِهم . وأقبلت قريش فنزلت من دون المَسيل . وجعل حرب بني كنانة في بطن الوادي وقال لهم : لا تَبرَحوا مكانكم ولو أُبيحت قريش . فكانت هوازن من وراء المسيل . قال أبو عبيدة : فحدَّثني أبو عمرو ابن العلاء قال : كان ابن جدعان في احدى الجنبتين وفي الاخرى هشام ابن المغيرة وحرب في القلب . وكانت الدائرة في اوَّل النهار لكنانة . فلما كان آخر النهار تداعت هوازن وصبروا واستحرَّ القتل في قريش فلما رأى ذلك بنو الحرث بن كنانة وهم في بطن الوادي مالوا الى قريش وتركوا مكانهم . فلما استحرَّ القتل بهم قال ابو مساحق بلعاء بن قيس لقومهِ : الحقوا برَحَم وهو جبل . ففعلوا وانهزم الناس . ففي ذلك يقول خداش بن زهير في كلمة لهُ :

ألا أبلغْ ان عرضتَ بهِ هشاماً وعبدَ الله أبلغْ والوليدا

---

١) استعوت استغاثت

اولئك ان يكن في الناس خيرٌ ... فانَّ لديهم حسَباً وجودا
همُ خيرُ المعاشر من قريش ... وأوراها اذا قدحت زنودا
بانَّا يوم شمطة قد اقمنا ... عمودَ المجد انَّ لهُ عمودا
جلبنا الخيل ساهمةً اليهم ... عوابسَ يدّرعنَ النقعَ قُودا (١
فبتنا نعقد السيما (٢ وباتوا ... وقلنا صبحوا الانس الجديدا
فجاءوا عارضاً بَرِدًا (٣ وجئنا ... كما أضرمتَ في الغابِ الوَقودا
ونادوا يا لَعمرٍو لا تفرّوا ... فقلنا لا فرارَ ولا صُدودا (٤
فعاركنا الكماةَ وعاركونا ... عِراكَ النُّمرِ عاركتِ الأُسودا
فولَّوا نضربُ الهاماتِ منهم ... بما انتهكوا المحارمَ والحدودا
تركنا بطن شمطةَ من علاه ... كانَّ خِلالها معزًا صديدا (٥
ولم ارَ مثلهم هُزموا وفلُّوا ... ولا كذيادنا عنقاً مذودا

ثم كان اليوم الثالث من ايام الفجار وهو يوم العبلاء. فجمع القوم بعضهم لبعض والتقوا على قرن الحول بالعبلاء وهو موضع قريب من عكاظ. وروَساؤهم يومئذٍ على ما كانوا عليهِ يوم شمطة وكذلك من كان على المجنبتين. فاقتتلوا قتالاً شديداً. فانهزمت كنانة. فقال خداش بن زهير في ذلك:

ألم يبلغك بالعبلاء انَّا ... ضربنا خِندِفاً حتى استقادوا

---

١) قُود جمع اقود وهي الخيل السَّلسة القياد والنقع الغبار الساطع
٢) نعقد السيما اي العلامات ٣) العارض السحاب والبَرِد الممطر البرَد استعاره للجيش الممطر السهام ٤) لا صدود اي لا يصدُّهم احد عمَّا يريدون ٥) صديد يسيل منهُ الدم

نبنّي بالمنـازل عِزَّ قيسٍ ووددّوا لو تسيخُ بنا البلادُ

وقال ايضاً :

ألم يبلغك ما قالت قريش وحيّ بني كنانةَ اذ أُثيروا
دهمناهم بأرعنَ مكفهرٍّ فظلَّ لنا بعقوتهم زئيرُ(١
نقوّم مارنَ الخطّيّ فيهم يجيءُ على أسنّتنـا الخزيرُ

ثم كان اليوم الرابع من ايامهم يوم عكاظ فالتقوا في هذه المواضع على رأس الحول وقد جمع بعضهم لبعض واحتشدوا والرؤساء بحالهم . وحمل عبدالله بن جدعان يومئذٍ الف رجل من بني كنانة على ألف بعير وخشيت قريش أن يجري عليها ما جرى يوم العبلاء . فقيّد حرب وسفيان وأبو سفين بنو امية بن عبد شمس انفسهم وقالوا : لا نبرح حتى نموت مكاننا . وعلى أبي سفيان يومئذٍ درعان قد ظاهر بينهما . فسمي هؤلاء الثلاثة يومئذٍ العنابس وهي الاسُد . فاقتتل الناس يومئذٍ قتالاً شديداً وثبت الفريقان حتى همّت بنو بكر بن عبد مناة وسائر بطون كنانة بالهرب . وكانت بنو مخزوم تلي كنانة فحافظت حفاظاً شديداً . وكان اشدّهم يومئذٍ بنو المغيرة فانهم صبروا وأبلوا بلاء حسناً . فلما رأت ذلك بنو عبد مناة من كنانة تذامروا فرجعوا . وحمل بلعاء بن قيس يومئذٍ وهو يقول :

ان عكاظاً مأوانا فخلُّوهْ وذا المجاز بعدُ لَنْ تحلُّوهْ

وخرج الجليس بن يزيد أحد بني الحرث بن عبد مناة بن كنانة وهو رئيس الاحابيش يومئذٍ فدعا الى المبارزة . فبرز اليه الحدثان بن سعد

---

١) العقوة الساحة والمحلّة . الرَّعن الانف العظيم من الجبل . جيش ارعن له فضول كرعان الجبل والمكفهرّ السحاب الغليظ المسودّ الراكب بعضه بعضاً شبّه به الجيش

التصريّ فطعنهُ الحدثان فدقّ عَضُدَهُ . وتحاجزوا واقتتل القوم قتالًا شديدًا . وحملت قريش وكنانة على قيس من كل وجه . فانهزمت قيس كلها الّا بني نصر فانهم صبروا ثم هربت بنو نصر وثبت بنو دُهمان فلم يُغنُوا شيئاً فانهزموا وكان عليهم سُبَيع بن ابي ربيعة أحد بني دهمان فعقل نفسهُ ونادى : يا آل هوازن يا آل هوازن يا آل نصر . فلم يعرّج اليهِ احد وأجفلوا منهزمين فكرَّ بنو أُمية خاصّة في بني دهمان ومعهم الحنيسق وقشعة الجُشَميَّان فقاتلوا ولم يُغنوا شيئاً فانهزموا . وكان مسعود ابن معتب الثقفي قد ضرب على امرأتهِ سبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناة خباءً وقال لها : من دخلهُ من قريش فهو آمن . فجعلت توصل في خبائها ليتَّسع . فقال لها : لا يتجاوزني خباؤُك فاني لا أُمضي الّا من أحاط بهِ الخباء . فأحفظها . فقالت : أما والله اني لأَظنُّ انك ستودّ ان لو زدت في توسعتهِ . فلما انهزمت قيس دخلوا خباءها مستجيرين بها . فأجار لها حرب بن امية جيرانها وقال لها : يا عَمّة من تمسَّك باطناب خبائك او دار حولهُ فهو آمن . فنادت بذلك . فاستدارت قيس بخبائها حتى كثروا جدًّا فلم يبقَ احد لا نجاة عنده الّا دار بخبائها . فقيل لذلك الموضع مدار قيس وكان يُضرب بهِ المثل فتغضبُ قيس منهُ . وكان زوجها مسعود بن معتب قد أخرج معهُ يومئذٍ بنيه من سبيعة وهم عروة ولوحة ونويرة والاسود فكانوا يدورون وهم غلمان في قيس يأخذون بأيديهم الى خباء امهم ليُجيروهم فيسودوا . بذلك امرتهم أُمهم ان يفعلوا . (قال) وقال ضِرار ابن الخطاب الفهري قولهُ :

أَلم تسألِ الناسَ عن شأننا ولم يُثبتِ الامرَ كالخابرِ

غداة عكاظٍ اذ استكملت هوازن في كفها الحاضرِ
وجاءت سُلَيم تهزُّ القنا على كل سَلهبة ضامرِ
وجئنا اليهم على المضمرات بأرعنَ ذي لَجَبٍ(١ زاخرِ
فلما التقينا أذقناهمُ طعاناً بسُمر القنا العائرِ(٢
ففرَّت سُلَيم ولم يصبروا وطارت شَعاعاً(٣ بنو عامرِ
وفرَّت ثقيف الى لاتها(٤ بمنقلَبِ الخائبِ الخاسرِ
وقاتلت العنسُ(٥ شطرَ النها رِ ثم توأَت مع الصادرِ
على انَّ دهمانها حافظت أخيراً لدى دارة الدائرِ

وقال خداش بن زهير:

أتتنا قريش حافلين بجمعهم عليهم من الرحمان واقٍ وناصرُ
فلما دنونا للقباب وأهلها أُتيح لنا ريب مع الليل ناجرُ
أُتيحت لنا بكر وحولَ لوائها كتائبُ يخشاها العزيزُ المكاثرُ
جثت دونهم بكرٌ فلم تستطعهمُ كأنهمُ بالمشرفيَّة سامرُ
وما برحت خيلٌ تثور وتدَّعي ويلحقُ منهم اوَّلون وآخرُ
لدن غدوةٍ حتى أتى والجلى لنا عمايةُ يومٍ شرّهُ متظاهرُ
وما زال هذا الدأب حتى تخاذلت هوازن وارفضَّت سليم وعامرُ
وكانت قريش يَفلقُ الصخرَ جدُّها اذا أوهن الناسَ الجدودُ العواثرُ

ثم كان اليوم الخامس وهو يوم الحُرَيرة وهي حرَّة الى جانب عكاظ. والرؤساء بجالهم الّا بلعاء بن قيس فانَّهُ قد مات فصار اخوه مكانهُ على

---

١) اللجب الصياح ٢) العائر السهام الذي لا يُدرى من اين يأتي
٣) شعاعاً متفرقين ٤) اللات صنم ٥) عنس قبيلة

عشيرته. فاقتتلوا فانهزمت كنانة وقُتل يومئذٍ أبو سفيان بن أُمية وثمانية رهط من بني كنانة قتلهم عثمان بن اسد من بني عمرو بن عامر وخمسة نفر. وقال خداش بن زهير قولهُ:

لقد بلوكم فأبلوكم بلاءهمُ ... يوم الحُرَيرة ضرباً غير تكذيبِ
ان تُوعدوني فاني لابنُ عمكمُ ... وقد أصابوكم منهُ بشؤبوبِ (١
وانَّ ورقاء قد أردى أبا كنف ... وابني اياسٍ وعمرًا وابنَ ايوبِ
وان عثمان قد أردى ثمانيــة ... منكم وأنتم على خُبْرٍ وتجريبِ

ثم كان الرجل منهم بعد ذلك يلقى الرجل والرجلان يلقيان الرجلين فيقتل بعضهم بعضاً. فلقي ابن حميَّة بن عبدالله الدَيلي زهيرَ بن ربيعة أبا خداش. فقال زهير: اني حرام جئت مُعتمِرًا. فقال لهُ: ما تُلقَى طِوالَ الدهرِ الا قلتَ: انا معتمر. ثم قتلهُ. فقال الشويعر الليثي واسمهُ ربيعة ابن علس:

تركنا ثاوياً يزقو صداهُ ... زهيرًا بالعوالي والصفاحِ (٢
أُتيحَ لهُ ابنُ حمية ابنِ عبدٍ ... فأعجلهُ التسوّمَ بالبطاحِ

ثم تداعوا الى الصلح على ان يَدِيَ مَن عليهِ فضلٌ في القتل الفضلَ الى اهلهِ. فأبى ذلك وهب بن مُعَتِّب وخالف قومهُ واندسَّ الى هوازن حتى أغارت على بني كنانة. فكان منهم بنو عمرو عليهم سلمة بن سعد

---

١) الشؤبوب الدفعة من المطر فيه برد يريد الرمي بالسهام

٢) الصفاح جمع صفيحة وهي العريض من السيوف. زقا صوّت. اذا قتل قتيل فلم يُدرك بهِ الثأر خرج من راسهِ زعموا طائرٌ كالبومة يسمّونه الصدى فيصيح على قبره اسقوني اسقوني فان قُتل قاتلهُ كفَّ عن صياحهِ

البكائي وبنو هلال عليهم ربيعة بن أبي ظبيان الهلالي . وبنو نصر بن معاوية عليهم مالك بن عوف وهو يومئذٍ أمرد . فأغاروا على بني ليث بن بكر بصحراء الغميم . فكانت لبني ليث اوّل النهار فقتلوا عبيد بن عوف البكائي قتلهُ بنو مدلج وسبيع بن المؤمل الجسري حليف بني عامر . ثم كانت على بني ليث آخر النهار فانهزموا واستحرّ القتل في بني الملوّح بن يعمر بن ليث وأصابوا نَعَماً ونساء حينئذٍ . فكان من قُتل في حروب الفجار من قريش العوّام بن خويلد قتلهُ مرّة بن معتب وقُتل حزام بن خويلد وأُحيحة بن ابي احيحة ومعمر بن حبيب الجمحي . وجُرح حرب بن امية . وقُتل من قيس الضِمَّة أبو دريد بن الصمَّة قتلهُ جعفر بن الاحنف . ثم تراضوا بان يعدّوا القتلى فيَدُوا مَن فضلَ . فكان الفضل لقيس على قريش وكنانة . فاجتمعت القبائل على الصلح وتعاقدوا ان لا يعرض بعضهم لبعض . فرهن حرب بن امية ابنهُ أبا سفيان بن حرب . ورهن الحرث بن كلدة العبدي ابنهُ النضر . ورهن سفيان بن عوف احد بني الحرث بن عبد مناة ابنهُ الحرث حتى وُديت الفضول . ويقال ان عتبة بن ربيعة تقدّم يومئذٍ فقال : يا معشر قريش هلمُّوا الى صِلة الأرحام والصُّلح . قالوا : وما صلحكم هنا فانَّا موتورون . فقال : على ان نَدي قتلاكم ونتصدّق عليكم بقتلانا . فرضوا بذلك . وسار عتبة يومئذٍ على ان : أقبلُ . (قال) فلما رأت هوازن رهائن قريش بأيديهم رغبوا في العفو فأطلقوهم . (قال) وكان الفضل عشرين قتيلًا من هوازن فوداهم حرب بن أُمية فيما تروي قريش . وبنو كنانة تزعم ان القتلى الفاضلين قتلاهم وانهم هم ودَوهم . قال ابو عبيدة : ولما انهزمت قيس

خرج مسعود بن معتب لا يعرّج على شيء حتى أتى سبيعة بنت عبد شمس زوجتهُ وقال: أنا بالله وبك. فقالت: كلّا زعمت انك ستملأ بيتي من اسرى قومي اجلس فانت آمن. وقالت أُميمة بنت عبد شمس ترثي أخاها أبا سفيان بن امية ومَن قُتل من قومها:

أَبى ليلك لا يذهبْ ... ونيط الطرْفُ بالكَوكبْ
ونجمٌ دونهُ الاهوا ... لُ بين الدلو والعقربْ
وهذا الصبح لا يأتي ... ولا يدنو ولا يقربْ
بعقرِ عشيرةٍ منّا ... كِرام الخِيم والمنصِبْ
أَحالَ عليهمُ دهرٌ ... حديدُ النابِ والمخلَبْ
فحلَّ بهم وقد أَمِنوا ... ولم يُقصِر ولم يشطُبْ (١
وما عنهُ اذا ما حلّ م من منجىً ولا مهربْ
أَلا يا عينِ فابكيهم ... بدمعٍ منك مُستغربْ
فان ابكي فهم عزّي ... وهم ركني وهم مَنكِبْ
وهم أَصلي وهم فرعي ... وهم نسَبي اذا أُنسَبْ
وهم مجدي وهم شرَفي ... وهم حِصني اذا أَرهَبْ
وهم رمحي وهم تُرسي ... وهم سيفي اذا أَغضبْ
فكم من قائلٍ منهم ... اذا ما قال لم يكذبْ
وكم من ناطقٍ فيهم ... خطيب مِصقَعٍ مُعرِبْ
وكم من فارسٍ فيهم ... كميّ مُعلِمٍ مِحرَبْ
وكم من مِدرَهٍ فيهم ... أَريبٍ حُوَّلٍ قُلَّبْ (٢

١) لم يشطب لم يبعد ٢) المدره السيّد. حوّل ذو حِيَل. قلّب

وكم من جحفلٍ فيهم عظيم النار والمَوكِب
وكم من خِضرِم فيهم نجيبٍ ماجدٍ مُنجِب(١

مقتل ربيعة بن مُكدَّم في يوم الكَدِيد

ربيعة بن مكدَّم احد فرسان مضر المعدودين وشجعانهم المشهورين قتلهُ نُبَيْشة بن حبيب السلميّ في يوم الكديد. قال ابو عمرو بن العلاء: وقع نزاريٌّ بين نفر من بني سليم بن منصور وبين نفرٍ من بني فِراس بن مالك بن كنانة. فقتلت بنو فراس رجلين من بني سُليم بن منصور. ثم انهم ودّوهما. ثم ضرب الدهر ضَرْبهُ. فخرج نبيشة بن حبيب السلمي غازياً فلقي ظُعناً من بني كنانة بالكديد في ركب من قومهِ وظفر بهم نفر بن بني فراس بن مالك فيهم عبد الله ابن جِذل الطِعان بن فراس والحرث بن مكدَّم أبو الفُرَيْعة واخوه ربيعة بن مكدم. (قال) وهو محدود يومئذٍ يُحمل في محفَّة. فلما رآهم ابو الفريعة قال: هؤلاء بنو سليم يطلبون دماءهم. فقال اخوه ربيعة بن مكدم: أنا أذهب حتى اعلم عِلمَ القوم فآتيكم بخبرهم. فتوجه نحوهم. فلما ولّى قال بعض الظعن: هرب ربيعة. فقالت اختهُ عزَّة بنت مكدم: أين تنتهي ترة الفتى. فعطف وقد سمع النساء فقال:

لقد علمنَ انني غير فَرِقْ لأَطعننَّ طعنةً وأَعتنِقْ

---

١) الخضرم الجواد الكثير العطية مشبَّه بالبحر الخضرم وهو الكثير الماء. والمنجب الذي يأتي بأولاد كرماء يقلّب الامور اي بصير بالامور يحتال لها

أصبحهم صاحي بمحمّرّ الحدَقْ عضباً حُساماً وسناناً يأتلقْ

ثم انطلق يعدو بهِ فرسهُ . فحمل عليهِ بعض القوم فاستطرد لهُ في طريق الظعن وانفرد بهِ رجل من القوم فقتلهُ وتبعه ثم رماه نبيشة او طعنهُ . فلحق بالظعن يستدمي حتى انتهى الى امّهِ امّ سنان فقال : على يدي عِصابة . وهو يرتجز ويقول :

شدّي عليَّ العضب امَّ سيَّارْ فقد رُزيت فارساً كالدينارْ

يطعن بالرمح امام الادبارْ

فقالت امهُ :

انا بنو ثعلبــة بن مالكْ مرور اخبــارٍ لنا كذلكْ

من بين مقتول وبين هالكْ ولا يكون الرزْ الّا ذلكْ

قال أبو عبيدة : وشدَّت امُّهُ عليــهِ عصابة . فاستسقاها ماء . فقالت : ان شربت الماء متَّ فكُرَّ على القوم . فكرَّ راجعاً يشتدّ على القوم وينزفهُ الدم حتى أُثخِن فقال للظعن : أوضِعنَ ركابكنَّ حتى ينتهين الى أدنى البيوت من الحيّ فاني لما بي وسوف أقِف دونكنَّ لهم على العقبة فأعتمدُ على رمحي فلا يقدمون عليكن لمكاني . ففعلنَ ذلك فنجونَ الى مأمنهنَّ . قال أبو عمرو بن العلاء : ولا نعلم قتيلًا ولا ميتاً حمى الاظعان غيرهُ . (قال) وانهُ يومئذٍ لغلام لهُ ذؤابة . فاعتمد على رمحهِ وهو واقف لهنَّ على متن فرسهِ حتى بلغنَ مأمنهنَّ وما يقدم القوم عليهِ . فقال نبيشة بن حبيب : انهُ لمائل العنق وما اظنُّهُ الّا قد مات . فأمر رجلًا من خزاعة كان معهُ أن يرمي فرسهُ . فرماها فقمصت وزالت . فمال عنها ميتاً . (قال) ويقال بل الذي رمى فرسهُ نبيشة . (قال) فانصرفوا عنهُ وقد فاتهم

الظعن . ولحقوا يومئذٍ ابا الفريعة الحرثَ بن مكدم فقتلوه وألقوا على ربيعة احجارًا . فمرّ بهِ رجل من بني الحرث بن فهر فنفرت ناقتهُ من تلك الاحجار التي أُهيلت على ربيعة فقال يرثيهِ ويعتذر ان لا يكون عقر ناقتهُ على قبره وحضّ على قتلتهِ وعيّر من فرّ وأسلمهُ من قومهِ :

نفرت قلوصي من حِجارة حَرَّةٍ ... بُنيت على طَلَقِ اليدين وَهُوبِ
لا تنفُري يا ناقَ منهُ فانهُ ... سَبَّاء خمرٍ مِسعَرٌ لحروبِ
لولا السفار وبُعدُ خَرقٍ مَهمهٍ(١ ... لتركتها تحبو على العرقوبِ
فرّ الفوارس عن ربيعة بعد ما ... نجّاهمُ من غمرة المكروبِ
يدعو عليًّا حين أسلم ظهرهُ ... فلقد دعوتَ هناك غيرَ مُجيبِ
لا يبعدنَّ ربيعةُ بن مُكدّمٍ ... وسقى الغوادي قبرهُ بذَنوبِ

فبلغ شعرهُ بني كنانة فقالوا : والله لو عقرها لسُقنا اليهِ الف ناقة سود الحدَق

ربيعة بن مكدَّم ودريد بن الصِمَّة يوم الاخرم

حدَّث ابو عبيدة قال : خرج دريد بن الصمة في فوارس بني جشم حتى اذا كانوا بوادٍ لبني كنانة يقال لهُ الاخرم وهو يريد الغارة على بني كنانة رُفع لهُ رجل من ناحية الوادي معهُ ظعينة . فلما نظر اليه قال لفارسٍ من اصحابهِ : صِح بهِ أنْ : خلِّ عن الظعينة وانجُ بنفسك . وهو

---

١) الخرق الفلاة الواسعة تتخرّق فيها الرياح اي بشتدّ هبوبها . والمهمه المفازة المُقفرة . يقول : لولا سفر شاسع في فلاة واسعة لنحرتُ ناقتي

لا يعرفهُ . فانتهى اليهِ الرجل وألحَّ عليهِ . فلما أبى ألقى زِمام الراحلة وقال للظعينة :

سيري على رِسْلكِ (١ سيرَ الآمنِ سَيرَ رَداحٍ ذات جأش ساكنِ
انَّ انثنائي دون قرني شائني وآبلي بلائي واخبري وعايني

ثم حمل على الفارس فصرعهُ وأخذ فرسهُ فاعطاه الظعينةَ . فبعث دريد فارساً آخر لينظر ما صنع صاحبهُ . فرآهُ صريعاً . فصاح بهِ . فتصامَّ عنهُ . فظنَّ انهُ لم يسمع فغشيهُ . فألقى الزمام عليها ثم حمل على الفارس فصرعهُ وهو يقول :

خلِّ سبيل الحرَّة المنيعهْ انك لاقٍ دونها ربيعهْ
في كفِّهِ خطِّيَّة مَنيعهْ أو لا فخذها طعنةً سريعهْ
فالطعنُ مني في الوغى شريعهْ

فلما أبطأ على دريد بعث فارساً آخر لينظر ما صنعا . فانتهى اليهما فرآهما صريعَين . ونظر اليهِ يقود ظعينتهُ ويجرّ رمحهُ . فقال لهُ الفارس : خلِّ عن الظعينة . فقال لها ربيعة : اقصدي قصدَ البيوت . ثم أقبل عليهِ فقال :

ماذا تريد من شتيم (٢ عابسِ ألم ترَ الفارس بعد الفارسِ
ارداهما عاملُ رمحٍ يابسِ

ثم طعنهُ فصرعهُ . فانكسر رمحهُ . فارتاب دريد وظنَّ انهم قد أخذوا الظعينة وقتلوا الرجل . فلحق بهم فوجد ربيعة لا رمحَ معهُ وقد دنا من الحيِّ . ووجد القوم قد قُتلوا . فقال لهُ دريد : ايها الفارس ان مثلك لا يُقتَل وان الخيل ثائرة باصحابها ولا أرى معك رمحاً وأراك حديث

---

١) على رسلك على مَهلِك ٢) شتيم كريه الوجه يقال اسد شتيم عابس

السنّ . فدونك هذا الرمح فاني راجع الى اصحابي فمثبّط عنك . فأتى دريد اصحابهُ فقال : ان فارس الظعينة قد حماها وقتل فوارسكم وانتزع رمحي ولا طمع لكم فيهِ . فانصرف القوم . وقال دريد :

ما إن رأيتُ ولا سمعت بمثلهِ ... حامي الظعينة فارساً لم يقتلِ
أردى فوارس لم يكونوا نُهزةً (١ ... ثم استمرَّ كانهُ لم يفعلِ
متهلهلٌ تبدو أسرَّةُ وجههِ ... مثل الحسام جلتهُ أيدي الصيقلِ
يُزجي ظعينتهُ ويسحب رمحهُ ... متوجهاً يُمناهُ نحوَ المنزلِ
وترى الفوارسَ من مخافة رمحهِ ... مثل البُغاثِ خشينَ وقعَ الاجدلِ
يا ليت شِعري مَن ابوهُ وامهُ ... يا صاح من يكُ مثلهُ لم يُجهَلِ

فقال ربيعة :

ان كان ينفعكِ اليقين فسائلي ... عني الظعينة يوم وادي الاكرمِ
هل هي لاوّلِ من اتاها نُهزةٌ ... لولا طِعانُ ربيعةَ بنِ مكدّمِ
اذ قال مَن أدنى الفوارس سُبّة ... خلّ الظعينة طائعاً لا تندمِ
فصرفتُ راحلة الظعينة نحوهُ ... عمداً ليعلم بعض ما لم يعلمِ
وهتكتُ بالرمح الطويل إهابهُ ... فهوى صريعاً للميدين وللفمِ
ونضحتُ آخر بعدهُ جيّاشةً ... نجلاء فاغرةً كشِدقِ الاضجمِ (٢
ولقد شفعتهما بآخرَ ثالثٍ ... وأبى الفرارَ ليَ الغداةَ تكرّمي

(قال) فلم يلبث بنو مالك بن كنانة رهط ربيعة بن مكدّم ان أغاروا على بني جشم رهط دريد فقتلوا وأسروا وغنموا وأسروا دريد بن الصمة

---

١) النهزة الشيء الذي هو لك معرّض كالغنيمة تقول فلان نهزة المختلس اي هو صيد لكل احد ٢) جيّاشة اي طعنة يفور منها الدم والاضجم المعوجّ

فأخفى نسبهُ . فبينا هو عندهم اذ جاءَ نسوة يتهادَينَ اليهِ . فصرخت امرأة منهنّ فقالت : هلكتم وأهلكتم . ماذا جرّ علينا قومُنا . هذا والله الذي اعطى ربيعة رمحهُ يوم الظعينة . ثم ألقت عليهِ ثوبها وقالت : يا آل فراس انا جارة لهُ منكم هذا صاحبنا يوم الوادي . فسألوهُ من هو . فقال : انا دريد بن الصمة فما فعل ربيعة بن مكدّم . قالوا : قتلتهُ بنو سليم . قال : فمن الظعينة التي كانت معهُ . قالت المرأة : ريطة بنت جذل الطعان وأنا هي وأنا امرأتهُ . فحبسهُ القوم وآمروا أنفسهم وقالوا : لا ينبغي ان تُكفَر نعمة دريد عندنا . وقال بعضهم : والله لا يخرج من ايدينا الّا برضا المخارق الذي أسرهُ . وانبعثت المرأة في الليل فقالت :

سنجزي دريدًا عن ربيعةَ نعمة ... وكل فتًى يُجزى بما كان قدَّما
فان كان خيرًا كان خيرًا جزاؤهُ ... وان كان شرًّا كان شرًّا مذمَّما
سنجزيهِ نُعمى لم تكن بصغيرةٍ ... باعطائهِ الرمحَ السديد المقوّما
فقد ادركت كفّاهُ فينا جزاءهُ ... وأهلٌ بان يُجزى الذي كان أنعما
فلا تكفروهُ حيّ نعمانَ فيكمُ ... ولا تركبوا هُلكَ الذي ملأَ الفما
فان كان حيًّا لم يضق بثوابهِ ... ذِراعاً غنيًّا كان او كان مُعدِما (١
ففكُّوا دريدًا من إسار مخارقٍ ... ولا تجعلوا البؤسى الى الشرّ سُلّما

فأصبح القوم فتعاونوا بينهم فأطلقوه . وكستهُ ريطة وجهزتهُ . ولحق بقومهِ . ولم يزل كافًّا عن غزو بني فراس حتى هلك

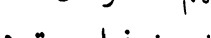

---

١) اي لا مال معه

شجاعة ربيعة بن مكدَّم

حدّث ربيعة بن مهور الصادري قال: سأل عمر بن الخطّاب رضي الله عنهُ عمرو بن معدي كرب الزُّبيدي: مَن أشجع مَن رأيت. فقال: والله يا امير المؤمنين لاخبرنّك عن أخيل الناس وعن أشجع الناس وعن اجبن الناس. فقال لهُ عمر: هاتِ. قال: خرجت كأحسن ما رأيت وكان لي فرس شمَقْمقة (١ طويلة سريعة الانقاذ تَطَقُّ بالعرق تطُّق الشيخ بالمرَق. فركبتها فلم ألبث لا ألقى أحدًا الّا قتلتهُ. فخرجت فاذا انا بفتًى بين عرصين فقلت لهُ: خذ حذرك فاني قاتلك. فقال: والله ما انصفتني يا أبا ثور أنا كما ترى أعزل اميل عوارة والعوارة التي لا ترى معه (٢. فأنظرني حتى آخذ نبلي. فقلت: وما غَناؤها عنك. قال: أمتنعُ بها. قلت: خذها. قال: لا والله او تعطيني من العهود ما يُثلجني انك لا تُريعني حتى آخذها. (قال) فأثلجتهُ. فقال: وإله قريش لا آخذها ابدًا. فسلِم والله مني. فهذا احيل الناس. فمضيت حتى اشتملَ عليَّ الليل. فوالله اني لأسير في قمر باهر كالنور الظاهر اذا بفتًى على فرس يقود ظعينة وهو يقول:

يا لدَيْنا يا لدينـا ليتنا يُعدى علينا

ثم يبلى ما لدينا

ثم يُخرج حنظلة من مخلاته ثم يرمي بها في السماء فلا تبلغ الارض حتى ينظمها بمشقص من نبلهِ. فصِحتُ بهِ: خذ حذرك ثكلتكَ اُمك

---

١) الشمقمق الطويل والشيط ٢) كذا في الاصل. ونظن الصواب « الذي لا ترس معه » من قولك اعور الفارس اذا بدا فيه موضع خلل للطعن

فاني قاتلك . فمال عن فرسهِ فاذا هو بالارض . فقلت : انَّ هذا الاستخفاف . فدنوت منهُ وصحت بهِ : ويلك ما أجهلك . فما تخلخل (١ ولا زال حتى شككت بالرمح في إبهامهِ . فاذا هو كانهُ قد مات منذ سنة . فمضيت وتركتهُ . فهذا أجبن الناس . ثم مضيت فأصبحت بين دكادك (٢ فنظرت الى أبيات فعدلت اليها فاذا فيها جوارٍ ثلاثة كأنهنّ نجوم الثريا . فبكين حين رأينني . فقلت : ما يُبكيكنّ . فقلن : لما ابتُلينا بهِ منك . ومن ورائنا اختٌ لنا اجمل منا . فأشرفتْ من مَرقدٍ فاذا بشخص لم أرَ شيئاً قط أجمل من وجههِ واذا بغلام يخصِف نعلهُ عليهِ ذوَّابة يسحبها . . فلما نظر اليّ وثب على الفرس مبادرًا ثم ركض فسبقني الى البيوت فوجدهنّ قد ارتَعْنَ . فسمعتهُ يقول لهنّ :

مهلًا نسيَّاتي اذًا لا ترتعَنْ ان مُنع النومَ نساءٌ تُمنعَنْ
أرخينَ اذيال المروط وارتمَنْ

(قال) فلما دنوت منهُ قال : أتطرد لي او اطرد لك . قلتُ : بل اطرد لي . فركض وركضت في إثرهِ حتى أمكنت السنان من لفتتهِ واتكأت عليهِ فاذا هو والله مع لبب فرسهِ . ثم استوى في سرجهِ . فقلت : أقلني . فقال : اطرد . حتى اذا ظننت ان السنان بين ناصيتهِ اعتمدتُ عليهِ . فاذا هو والله قائم على الارض والسنان زالجٌ (٣ . فاستوى على فرسهِ . فقلت : أقلني . قال : اطرد . فطردتهُ حتى اذا امكنت السنان من متنهِ اتكأت عليهِ وانا اظنُّ اني قد فرغت منهُ . فمال في سرجهِ حتى نظرت الى بدنهِ في

---

١) تخلخل تحرَّك ٢) الدكداكة الرمل المتلبّد وارضٌ فيها غلظ
٣) زالج اي لم يُصِب القصد

الارض ومضى السنان زالجاً . ثم استوى على فرسهِ وقال : أبعدَ ثلاث تريد ماذا لي ثكلتك امُك . فولّيت وانا مرعوب منهُ . فلما غشيني وجدت حسّ السنان فالتفت فاذا هو يطردني بالرمح بلا سنان . فكففَ عني واستنزلني فنزلت ونزل والله وجزَّ ناصيتي وقال : انطلق فاني أنفَسُ بك عن القتل . فكان ذلك والله يا امير المؤمنين عندي أشد من الموت . فذلك أشجع ما رأيت . وسألت عن الفتى فقيل ربيعة بن مكدَّم الفراسي من بني كنانة

وقد اخبرني احمد بن عبد العزيز الجوهري هذا الخبر وفيهِ خلاف الاوّل قال : حدَّث سكين بن محمد قال : دخل عمرو بن معدي كرب على عمر بن الخطاب رضي الله عنهُ . فقال لهُ : من اين اقبلت . قال : من عند سيد بني مخزوم وأعظمها قامةً . وأمدّها هامة . وأقلّها ملامة . وافضلها حِلماً واقدمها سِلماً مقدّماً . قال : ومن هو . قال : سيف الله وسيف رسولهِ . قال : واي شيءٍ صنعت عنده . قال : أتيتهُ زائراً فدعا لي بكعب وقوس وثور (١ . فقال عمر : وأبيك ان في هذا لَشِبعاً . قال : لي او لك يا امير المؤمنين . قال : لي ولك . قال . بمن . فوالله اني لآكل الجذَعة (٢ واشرب اللبن وصِرفاً فلِمَ تقول هذا يا امير المؤمنين . فقال لهُ عمر : ايُّ أحياء قومك خير . قال : مذحج وكلٌّ قد كان فيهِ خير أهل الرَّبا والرّباح . قال عمر : فأين سعد العشيرة . قال : هم اشدُّنا شريساً (٣ . واكثرنا خميساً .

---

١) الكعب قطعة من السمن تبقى في النّحي . القوس ما يبقى في الجُلّة من التمر . الثور قطعة عظيمة من الأقِط ٢) الجذعة الصغيرة السنّ من الابل والخيل والبقر والشاء ٣) الشريس الشراسة

واكرمنا رئيساً . هم الاوفياء البررة . المساعير الفجرة . قال عمر : يا أبا ثور ألك علم بالسلاح . قال : على الخبير سقطتَ . سل عمَّا بدا لك . قال : اخبرني عن النَّبل . قال : منايا تخطئ وتصيب . قال : فاخبرني عن الرمح . قال : اخوك وربما خانك . قال : أخبرني عن الترس . قال : ذاك مِجنّ وعليه تدور الدوائر . قال : اخبرني عن الدرع . قال : مَشغلة للفارس مَتعبة للراجل . قال : اخبرني عن السيف . قال : عنهُ قارعتك لأُمّك الهَبَل . فقال لهُ عمر : لا بل لامّك . قال لهُ عمرو : بل لامّك . فرفع عمر الدِرّة فضرب بها عمرًا وكان محتبياً فانحلّت حبوتهُ . فاستوى قائماً وانشأ يقول :

أتضربني كأنك ذو رُعَينٍ ... بخيرِ مَعيشةٍ او ذو نواسِ
فكم ملكٍ كريم قد رأينا ... وغرٍّ ظاهرِ الجَبَروت قاسي
فأضحى اهلهُ بادوا واضحى ... يُنقَّل من اناس في اناسِ

قال : صدقت يا أبا ثور وقد هدم ذلك كلَّهُ الاسلام اقسمتُ عليك الَّا جلستَ . فجلس . فقال لهُ عمر : هل كعَت (١ من فارس قط ممن لقيت . قال : اعلم يا امير المؤمنين اني لم استحلّ الكَذِب في الجاهلية فكيف استحلهُ في الاسلام ولقد قلت لجَبْهة (٢ من خيلي خيل بني زُبيد : أغيروا بنا على بني البكاء . فقالوا : اتُبعد علينا المغار . فقلت : فعلى بني مالك بن كنانة . (قال) فأتينا على قوم سَراة . فقال عمر : وما علمك بانهم سراة . قال : رأيت مذاود خيل كثيرة وقدورًا وقِباب أدَم فعرفت ان القوم سراة فكففت خيلي حَجْرة (٣ وجاست في موضع اسمع كلامهم . واذا بجارية بينهم قد خرجت من خيمتها فجلست بين صواحب لها . ثم دعت

---

١) كعت جبُنت ٢) الجبهة الجماعة ٣) حجرة ناحية

وليدة من ولائدها فقالت : ادعي فلاناً . فدعت لها رجلًا من الحيّ . فقالت لهُ : ان نفسي تحدّثني ان خيلًا تُغير على الحيّ فكيف انت ان زوّجتك نفسي . فقال : أفعل وأصنع . فجعل يصف فيُفرط . فقالت لهُ : انصرف حتى أرى رأيي . واقبلت على صواحباتها فقالت : ما عنده خير . ادعي لي فلاناً . فدعت آخر . فخاطبتهُ فأجابها بمثل جوابهِ . فقالت لهُ : انصرف حتى أرى رأيي . وقالت لصواحباتها : وما عند هذا خير ايضاً . ثم قالت للوليدة : ادعي لي ربيعة بن مكدم . فدعتهُ . فقالت لهُ مثل قولها للرجلين . فقال لها : انّ أعجزَ العَجزِ وصفُ الرجل نفسهُ ولكني ان لقيت أعذرتُ وحسبُ المرء غَناء ان يُعذِر . فقالت لهُ : قد زوّجتك نفسي فاحضُر غداً مجلسَ الحيّ ليعلموا ذلك . فانصرف من عندها . فانتظرتُ حتى ذهب الليل ولاح الفجر فخرجتُ من مكمني فركبت فرسي وقلت لخيلي : أغيري . فأغارت . فتركتها وقصدتُ قصد النسوة ومجلسهنّ فكشفت عن خيمة المرأة فاذا بامرأة تامّة الحسن . فلما ملأت عينَها مني اهوت الى دِرعها فشقتهُ وقالت : وا ثُكلاه والله ما ابكي على مال ولا على تِلاد ولكن على اخت لي من وراء هذا الغور (واهوتْ الى غور رمل الى جانبهم) تبقى بعدي في مثل هذا الحائط (١ فتهلِك ضَيعةً . فقلت : هذه غنيمة من وراء غنيمة . فدفعت فرسي حتى اوفيت على النَّقا (٢ . فاذا أنا برجل جَلْد أهلب (٣ يَخصِف نعله والى جانبهِ فرسه وسلاحه . فلما رآني رمى بنعلهِ ثم استوى على فرسهِ واخذ رمحهُ ومضى لا يحفل بي

---

١) الحائط البستان من النخيل اذا كان عليهِ حائط اي جدار

٢) النقا القطعة من الرمل ٣) اهلب كثير شعر الراس والجسد

فطفقت اشجُرهُ بالرمح خفقاً (١ واقول لهُ يا هذا استأسر . فمضى لا يحفل بي حتى اشرف على الوادي . فلما رأى الخيل تجري بفمهِ استعبر باكياً وانشأ يقول :

قد علمتْ اذ منحتني فاها أني سأجري اليوم من مجراها
يا ليت شعري اليومَ مَن دهاها

فقلت :

عمرٌو على طول الوجى دهاها بالخيل يحميها على وجاها
حتى اذا حلّ بها احتواها

فحمل عليّ وهو يقول :

أهزُ نضر العيش في دار قدمْ أُفيض دمعاً كلما فاض انسجمْ
أنا ابن عبد الله محمود الشِيمْ مؤتمن الغيب وموفٍ بالذممْ
اكرمُ مَن يمشي بساقٍ وقدَمْ كالليث ان همّ بتقضامٍ قضَمْ

فحملت عليهِ وأنا اقول :

أنا ابن ذي التقليد في الشهر الاصمْ انا ابن ذي الاكال قتّال البهمْ
من يلقَني يُودِ كما اودت إرمْ اتركهُ لحماً على ظهرِ وَضَمْ (٢

فحمل عليّ وهو يقول :

هذا حمىً قد غاب عنهُ ذائدُهْ الموتُ وِردٌ والأنامُ واردُهْ

وحمل عليّ فضربني . فرُغتُ . واخطأني فوقع سيفهُ في قَرَبوص السرج

---

١) اشجره اطعنه . كل ضرب بشيء عريض خفق وخفقهُ بالسيف والسوط والدرّة ضربهُ ضرباً خفيفاً ٢) الوضم كل شيّ يوضع عليهِ اللحم . تركهُ لحماً على وضم اوقع بهِ فذلّلهُ واوجعه

فقطعهُ وما تحتَهُ حتى هجم على مِسْح الفرس. ثم ثنّى بضربة أخرى. فرغت. واخطأني فوقع سيفهُ على مؤخر السرج فقطعهُ حتى وصل الى فخذ الفرس. وصرت راجلًا فقلت لهُ: ويحك من انت. فوالله ما ظننت احدًا من العرب يقدم عليّ الّا ثلاثة الحرث بن ظالم للعُجْب والخُيَلاء. وعامر بن الطُّفيل للسنّ والتجربة وربيعة بن مكدّم للحَداثة والصَّرامة. فمن انت ويلك. قال: بل الويل لك فمن انت ويلك. قلت: عمرو بن معدي كرب. قال: وانا ربيعة بن مكدم. قلت: يا هذا اني قد صِرتُ راجلًا فاختر مني احدى ثلاث ان شئت اجتلدنا بسيفينا حتى يموت الاعجز منّا. وان شئت اصطرعنا فايُّنا صرع صاحبهُ حكم فيه. وان شئت سالمتك. قال: الصلح اذًا ان كان لقومك فيك حاجة وما بي ايضاً على قومي هوانٌ. قلت: فذلك لك. وأخذت بيده حتى أتيت اصحابي وقد حازوا نَعَمهُ. فقلت: هل تعلمون اني كِعْت عن فارس من الابطال قط اذا لقيتهُ. قالوا: نُعيذك من ذلك. قلت: فانظروا هذا النعَم الذي حزتموه فخذوه مني غدًا في بني زبيد فانهُ نعَمُ هذا الفتى وانهُ لا يوصل مني اليهِ شيْ وأنا حيّ. فقالوا: لحاك الله من فارسِ قومٍ أنسأتنا حتى اذا هجمنا على الغنيمة الباردة فتلتَنا عنها. فقلت: لا بدَّ لكم من ذلكم وان تهبوها لي ولربيعة بن مكدَّم. فقالوا: وانهُ لهو. فقلت: نعم. ورددتها وسالمتهُ. فأَمِن حربي وأمنت حربه حتى هلك

دُرَيد بن الصِّمَّة

هو دريد بن الصِّمَّة واسمهُ معاوية بن الحرث بن بكر بن علقة

وقيل علقمة . ودريد بن الصمّة فارس شجاع شاعر فحل وجعلهُ محمد بن سلام اوّل شعراء الفرسان وقد كان اطول الفرسان الشعراء غزوًا وابعدهم اثرًا واكثرهم ظفرًا واينهم نقيبةً (١ عند العرب واشعرهم دريد بن الصمة . وقال ابو عبيدة : كان دريد بن الصمة سيّدَ بني جشم وفارسَهم وقائدهم وكان مظفَّرًا ميمون النقيبة . وغزا نحو مائة غزاة ما اخفق في واحدة منها . وأدرك الاسلام فلم يُسلِم . وخرج مع قومهِ يوم حنين مُظاهرًا (٢ للمشركين ولا فضل فيهِ للحرب وانما اخرجوه تيمُّناً وليقتبسوا من رأيهِ . فمنعهم مالك بن عوف من قبول مشورتهِ وخالفهُ لئلّا يكون لهُ ذِكر . فقُتل دريد يومئذٍ على شِركهِ . وخبرهُ يأتي بعد هذا . وكان لدريد اخوة وهم عبدالله الذي قتلتهُ غطفان . وعبد يغوث قتلهُ بنو مرّة . وقيس قتلهُ بنو ابي بكر بن كلاب . وخالد قتلهُ بنو الحرث بن كعب . امهم جميعاً رَيحانة بنت معدي كرب الزُّبيدي اخت عمرو بن معدي كرب كان الصمّة سباها ثم تزوّجها فاولدها بنيهِ واياها يعني اخوها عمرو بقولهِ في شعره :

أمن رَيحانةَ الداعي السميعُ يؤرّقني واصحابي هُجوعُ
اذا لم تستطع شيئاً فدعهُ وجاوزهُ الى ما تستطيعُ

وكان لدريد ابن يقال لهُ سلَمة وكان شاعرًا وهو الذي رمى ابا عامر الاشعري بسهم فاصاب ركبته فقتلهُ وارتجز فقال :

ان تسألوا عني فاني سَلَمهْ ابن سمادير (٣ لمن تَوسَّمهْ
اضربُ بالسيف رؤوس المسلمهْ

---

١) اي أحمدهم مختبرًا ٢) مظاهرًا معاونًا ٣) السمادير ما يتراءى

وكانت لدريد ايضاً بنت يقال لها عمرة شاعرة ولها فيهِ مراثٍ كثيرة.
قال ابو عبيدة: سمعت ابا عمرو بن العلاء يقول: احسن شعر قيل في الصبر على النوائب قول دريد بن الصمة:

لمقتل عبد الله والهالكِ الذي ... على الشرف الاعلى قتيل ابي بكرِ
وعبد يغوث او خليليَ خالدٍ ... وعزَّ مصاباً حثوُ قبرٍ على قبرِ (١
أبى القتل الَّا آل صمَّةَ انهم ... أَبوا غيرَه والقَدرُ يجري الى القدرِ
فإمَّا ترَينا ما تزال دِماؤُنا ... لدى واترٍ يسعى بها آخرَ الدهرِ
فانَّا لَلحمُ السيفِ غيرَ نكيرةٍ ... ونُلحمهُ حيناً وليس بذي نُكرِ (٢
يُغار علينا واترين فيُشتفَى ... بنا ان أُصبنا او نُغير على وَترِ
بذاك قسمنا الدهرَ شطرين قسمةً ... فما ينقضي الَّا ونحنُ على شطرِ

اخبر بخبر ابتداء هذه الحروب محمد بن العباس اليزيدي قال: قرأت على احمد بن يحيى عن ابن الاعرابي قال: اغارت بنو عامر بن صعصعة وبنو جشم بن معاوية على اسد وغطفان. وكان دريد بن الصمة وعمرو بن سفيان بن ذي اللحية متساندَين فدريد على بني جشم بن معاوية وعمرو بن سُفيان على بني عامر. فقال عبد الله بن الصمة لاخيهِ: اني غير مُعطيك الرئاسة ولكنَّ لي في هذا اليوم شأناً. ثم اشترك عبدالله وشراحيل بن سفيان. فلما اغار القوم اخذ عبدالله من نَعم بني اسد ستين واصاب القوم ما شاءوا وادرك رجل من بني جذيمة عبدالله بن الصمة. فقال لهُ عبدالله

للانسان من ضعف بصره عند السكر من الشراب وغشي النعاس والدُّوار

١) اي موت الواحد في اثر الآخر

٢) يقول نخاطر بانفسنا فنَقتُل ونُقتَل وليس ذلك فينا ومنَّا بمنكر

ابن الصمة . ارجع فاني كنت شاركت شراحيل بن سفيان . فان استطاع دريد فليأتهِ وليأخذ مالي منهُ . واقام دريد في اواخر الحيّ . فقال لهُ عمرو : ارتحل بالناس قبل ان يأتيك الصرخاء . فقال : اني انتظر اخي عبد الله . حتى اذا طال عليهِ قال لهُ : ان اخاك قد ادرك فوارسَ من الحليفين يسوقون بظعنهم فقتلوه . فانطلقوا حتى اذا كانوا بحيث يفترقون قال دريد لشراحيل : ان عبدالله انبأني ولم يكذبني قط انَّ لهُ شركة مع شراحيل فأدّوا الينا شركتهُ . فقالوا لهُ : ما شاركناه قط . فقال دريد : ما انا بتاركيكم حتى استحلفكم عند ذي الخَلَصة (١ . فاجابوه الى ذلك وحلفوا لهُ . ثم جاء عبدالله بغنيمة عظيمة . فجاءوه ينشدونه الشِرْك . فقال لهم دريد : ألم أحلفكم حين ظننتم ان عبدالله قد قُتل . فقالوا : ما حلفنا . وجعلوا يناشدون عبدالله ان يعطيهم . ففال : لا حتى يرضى دريد . فأبى ان يرضى . فتوعدوه ان يسرقوا ابلهُ . فقال دريد في ذلك :

اوعدتمُ إبلي كلًّا سيمنعها بنو غَزيَّة (٢ لا ميلٌ ولا عورُ

مقتل عبد الله بن الصِّمَّة

انَّ السبب في مقتلهِ انهُ كان غزا غطفان ومعهُ بنو جشم وبنو نصر ابناء معاوية فظفِر بهم وساق اموالهم في يوم يقال لهُ يوم اللوى ومضى بها

---

١) الخلصة وثن من اوثانهم ٢) اراد بغزيَّة رهطه . قال ابو تمام في مختار اشعار القبائل غزيّة جدّ دريد

ولما كان منهم غير بعيد قال : انزلوا بنا . فقال اخوهُ دريد : يا ابا فرعان(١ نشدتك الله لا تنزل فان غطفان ليست بغافلة عن اموالها . فأقسم لا يَريم حتى يأخذ مرباعهُ (٢ وينقع نقيعهُ فياكل ويطعم ويقسم البقيَّة بين اصحابهِ . فبينا هم في ذلك وقد سطعت الدواخن اذا بغبار قد ارتفع اشدّ من دخانهم واذا عبس وفزارة واشجع قد اقبلت . فقالوا لربيئتهم : انظر ماذا ترى . فقال : ارى قوماً جعادًا كان سرابيلهم قد غُمست في الجاديّ(٣ . قال : تلك اشجع ليست بشيء . ثم نظر فقال : أرى قوماً كانهم الصبيان أسنّتهم عند آذان خيلهم . قال : تلك فَزارة . ثم نظر فقال : ارى قوماً أُدْماناً (٤ كأنما يحملون الجبل بسوادهم يخدّون الارض باقدامهم خدًّا ويجرّون رماحهم جرًّا . قال : تلك عبس والموت معهم . فتلاحقوا بالمنعرج في رميلة اللوى فاقتتلوا فقُتل رجلٌ من بني قارب وهم من بني عبس عبدَ الله بن الصمة . فتنادَوا قُتل ابو دفافة . فعطف دريد فذبَّ عنهُ فلم يُغنِ شيئاً . وجُرح دريد فسقط . فكفّوا عنهُ وهم يرون انهُ قُتل . واستنقذوا المال ونجا مَن هرب . فرّ الزهدمانِ (٥ وهما من بني عبس وهما زهدم وقيس ابنا حزن بن وهب بن رواحة . قال دريد : فسمعت زهدماً العبسيّ يقول لكردم الفزاري : اني لأحسب دريدًا حيًّا

---

١) كانت لعبد الله ثلاث كنًى ابو فرعان وابو دفافة وابو أوفى

٢) المرباع الابل التي تلد في اول النتاج والمرباع التي ولدها معها . نقع نحر من ابل النهب ٣) الجاديّ الزعفران منسوب الى قرية بالشام تنبت الزعفران اسمها جادية ٤) ادمان جمع آدم وهو الاسمر ٥) قيل لهما الزهدمان تغليباً لاشهر الاسمين كما قيل العُمَران لأبي بكر وعمر والقمرانِ للشمس والقمر

فأنزل فأجهز عليهِ. قال: قد مات. قال: انزل فانظر الى سَبَّتِهِ (١ هل ترمز. قال دريد: فسددتُ من حَتارها (٢. (قال) فنظر فقال: هيهات. اي قد مات. فولّى عنّي. (قال)ومال بالزجّ في شرْج دريد فطعنهُ فيهِ فسال دم كان احتقن في جوفهِ. قال دريد: فعرفت الخِفَّة حينئذٍ. فامهلتُ حتى اذا كان الليل مشيت وانا ضعيف قد نزفني الدم حتى ما اكاد أُبصر. فجُزت بجماعة تسير فدخلت فيهم فوقعت بين عُرقوبي بعير ظعينة. فنفر البعير. فنادت: نعوذ بالله منك. فانتسبتُ لها فأعلَمتِ الحيّ بمكاني. فغُسل عنيِ الدم وزُوّدت زادًا وسِقاء فنجوتُ. (قال) ثم حجّ كردم بعد ذلك في نفر من بني عبس. فلما قاربوا ديار دريد تنكَّروا خوفاً. ومرَّ بهم دريد فانكرهم فجعل يمشي فيهم ويسألهم من هم. فقال لهُ كردم: عمن تسأل. فدفعهُ دريد وقال: اما عنك وعمن معك فلا اسأل ابدًا. وعانقهُ وأهدى اليهِ فرساً وسلاحاً وقال لهُ: هذا بما فعلتَ بي يوم اللِوى. وقال دريد يرثي اخاهُ عبدالله:

أَمرتهمُ امري بمنعرج اللوى ... فلم يستبينوا الرُّشدَ الّا ضُحى الغدِ
فلما عصَوني كنت منهم وقد ارى ... غوايتهم او انني غير مهتدِ
وهل انا الّا من غَزيَّة ان غوَت ... غوَيت وان ترشُد غزيةُ أرشُدِ
دعاني اخي والخيل بيني وبينهُ ... فلما دعاني لم يجدني بقُعدُدِ (٣
تنادَوا فقالوا اردتِ الخيلُ فارساً ... فقلتُ أعبدُ الله ذلكمُ الردي (٤
فان يكُ عبد الله خلَّى مكانهُ ... فلم يك وقّافاً (٥ ولا طائش اليدِ

---

١) السبّة الاست ٢) اي من شرْجها ٣) القعدد الجبان الضعيف المتأخر ٤) الردي الهالك ٥) وقاف هيابة يقف ولا يُقدِم

ولا بَرَماً اذا الرياحُ تناوحت برَطْبِ العِضاهِ والهشيمِ المُعَضَّدِ (١
نظرت اليهِ والرماحُ تنوشهُ كوقع الصياصي في النسيج الممدَّدِ (٢
فطاعنتُ عنهُ الخيلَ حتى تبدَّدت وحتى علاني اشقرُ اللونِ مُزبدِ (٣
فما رِمت حتى خرَّقتني رماحُهم وغودرتُ اكبو في القنا المتقصّدِ (٤
قِتال امرئٍ واسى اخاهُ بنفسهِ وايقن ان المرء غير مُخلَّدِ
صبورٌ على وقع المصائب حافظٌ من اليوم أعقابَ الاحاديث في غدِ

يوم الغَدير

اخبر ابو عبيدة قال: أَغار دريد بن الصِمَّة بعد مقتل اخيهِ عبد الله على غطفان يطالبهم بدمهِ. فاستقراهم (٥ حيًّا حيًّا وقتل من بني عبس ساعدة بن مرّ وأَسر ذؤَاب بن اسماء اسرهُ مُرَّة بن عوف الجُشَميّ. فقالت بنو جشم: لو فاديناه. فأَبى ذلك دريد عليهم وقتلهُ باخيهِ عبدالله. وقتل من بني فزارة رجلًا يقال لهُ جذام واخوة لهُ واصاب جماعة من بني مرّة وبني ثعلبة بن سعد ومن احياء غطفان وذلك في يوم الغدير. وفي هذا اليوم ومَن قُتل فيهِ منهم يقول:

---

١) البرم اللئيم وهو في الاصل الذي لا يدخل مع القوم في المَيسر ولا يُخرج معهم فيه شيئًا. الهشيم اليابس المتكسّر. المعضَّد ما قُطع من الشجر يضربونه ليسقط ورقه فيتخذونه علفًا لابلهم ٢) تنوشه تتناوله. الصيصة شوكة يُسمّرها الحائك على الثوب حين ينسجه ٣) جُرَّ «مزبد» لمجاورة المجرور ٤) المتقصّد المتكسّر ٥) استقراهم تتبّعهم

تأبّد من اهلهِ معشرُ (١ فحزمُ سُويقةَ فالأصفرُ
فجزعُ الحُلَيفِ الى واسطٍ فذلكَ مَبدًى وذا مَحضَرُ (٢
فأبلغ سُليمى وألافهـا (٣ وقد يعطف النسَب الاكبرُ
بأني ثأرت باخـوانكم وكنت كأنني بهم مخفرُ
صبحنا فزارةَ سُمرَ القنـا فهـلّا فزارةُ لا تضجروا
وأبلغ لديك بني مازنٍ فكيف الوعيد ولم تقدِروا
فان تقتلوا فئةً أفردوا اصابهم الحَين او تظفَروا
فانّ حراماً لدى معركٍ واخوتـه حولـهُ أنسُرُ
ويوم يزيد بني ناشبٍ وقبلُ يزيدكمُ الاكبرُ
اثرنا صريخ بني ناشبٍ ورهط لقيط فلا تفخروا
تجرّ الضبـاعُ باوصالهم ويلقحنَ فيهم ولم يُقبَروا

ويقول في ذلك ايضاً دريد بن الصمة في قصيدة لهُ اخرى :

جزَينا بني عبس جزاء مُوفَّرًا بقتـلِ عبد الله يومَ الذنائبِ
ولولا سوادُ الليل ادركَ ركضُنا بذي الرّمثِ والأرطى عياضَ بن ناشبِ
قتلنـا بعبد الله خيرَ لِداتـهِ ذؤابَ بن اسماء بن زيد بن قاربِ

وقال دريد ايضاً في هذه الوقعة :

قتلنـا بعـبد الله خير لداتـهِ وخير شباب الناس لو صُمّ (٤ اجمعا

---

١) تابّد توحّش تابّد المنزل اقفر وألفته الاوابد اي الوحش . معشر في ديار بني جشم رهط دريد بن الصمّة

٢) المبدى المذهب في طلب الكلإ والمحضر المرجع الى أعداد المياه

٣) ألفاف جمع لفّ وهم القوم يجتمعون من قبائل شتّى

٤) صُمّ ضُرب ضربًا شديدًا

ذؤَاب بن اسماء بن زيد بن قارب مَنيَتهُ أجرى اليها وأوضعا
فتًى مثل نصل السيف يهتزُّ للندى كعاليةِ الرمح الرديني اروعا (١

وقال ابن الكلبي : قالت ريحانة بنت معدي كرب لدريد بن الصمة بعد حول من مقتل اخيهِ : يا بنيّ ان كنتَ عجزت عن طلب الثأر باخيك فاستعن بخالك وعشيرته من زبيد . فأنف من ذلك وحلف لا يكتحل ولا يدّهن ولا يمسّ طيباً ولا يأكل لحماً ولا يشرب خمرًا حتى يُدرِكَ ثأرهُ . وغزا هذه الغزاة وجاءها بذؤاب بن اسماء فقتلهُ بفنائها وقال : هل بلغتُ ما في نفسكِ . قالت : نعم مُتِّعتُ بك

مقتل قيس بن الصِمَّة

قتلهُ بنو بكر بن كلاب . وكان السبب في ذلك فيما أخبرني به هاشم ابن محمد انهُ غزا في قومهِ بني خُزاعة من بني جشم . فأغاروا على ابل لبني كعب بن ابي بكر بن كلاب فانطلقوا بها . وخرج بنو ابي بكر بن كلاب في طلبها حتى اذا دنوا منها قال عمرو بن سفيان الكلابي وكان حازماً عاقلًا : امكثوا . ومضى هو متنكرًا حتى اتى رجلًا من بني خزاعة فسلّم عليهِ واستسقاه . فسقاه . وانتسب لهُ هلاليًا . فسألهُ عن قومه واين مرعى ابلهم واعلمه انهُ جاءَ زائرًا لقومه يريد مجاورتهم . فخبره الرجل بكل ما اراد . ورجع الى قومه وقد عرف بُغيته . فصبَّح القومَ فظفرت بهم بنو كلاب وقتلوا قيس بن الصمة وذهبوا بإبل بني خزاعة وارتجعوا

---

١) اروع جميل يعجبك حسنهُ

اموالهم . وكان يقال لعمرو بن سفيان ذو السيفينِ لانهُ كان يلقى الحرب ومعهُ سيفانِ خوفاً من ان يخونه احـدهما . واياه عنى دريد بن الصمة بقوله :

ان امرًا بات عمرٌو بين صِرمته(١ عمرو بن سفيان ذو السيفين مغرورُ
يا آل سفيان ما بالي وبالكمُ هـل تنتهون وباقي القول مـأثورُ
يا آل سفيان ما بالي وبالكمُ انتم كبيرٌ وفي الاحلام عُصفورُ
هلّا نهيتم اخاكم عن سفـاهته اذ تشربون وغاوي الخمر مدحورُ(٢
لا اعرفنْ لِمةً سوداء داجيةً (٣ تدعو كلاباً وفيها الرمحُ مكسورُ
ان تسبقوني ولو امهلتكم شرَفاً عقبى اذا أبطأ الفُججُ (٤ المخاصيرُ

مقتل خالد بن الصمة

ان خالد بن الصمة قُتل في غارة اغارتها بنو الحرث بن كعب على بني نصر بن معاوية في يوم يقال لهُ يوم ثيل فأصابوا اناساً من بني نصر . وبلغ الخبر بني جشم فلحقوهم ورئيس بني جشم يومئذٍ مالك بن حزن فاستنقذوا ما كان في ايديهم من غنائم بني نصر . فأصابوا ذا القرن الحارثي اسيرًا وفقأوا عينَ شهاب بن ابان الحارثي بسهم . وقُتل يومئذٍ خالد بن الصمة وكان مع مالك بن حزن . واصابت بنو جشم منهم

---

١) الصرمة القطعة من الابل ٢) الدحر الدفع بعنف على سبيل الاهانة والاذلال ٣) داجية اي سابغة وافرة ٤) جمع افجج وهو الذي يفرّج بين رجليه

ناساً . وكان رئيس بني الحرث بن كعب يومئذٍ شهاب ابن ابان . ولم يشهد دريد بن الصمة ذلك اليوم . فلما رجعوا قتلوا ذا القرن بخالد بن الصمة . ولما قُدّم لتضرَب عنقهُ صاح بأَوس بن الصمة وكان لهُ صديقاً . ولم يكن أَوس حاضرًا فلم ينفعه ذلك وقتل . فلما قَدِم اوس غضب وقال : أَقتلتم رجلًا استجار باسمي . فقال عوف بن معاوية في ذلك :

نُبئت أوساً بكى ذا القرن اذ شربا ... على عكاظ بكاء غالَ مجهودي
اني حلفتُ بما جمَّعتُ من نشَبٍ ... وما ذبحتُ على انصابك السودِ
لتبكينَّ قتيلًا منك مُقترِباً ... اني رأيتك تبكي الأَباعيدِ

مفاخرة بين حاتم وسعد بن حارثة

قال ابن الاعرابي ويعقوب بن السكيت وسائر مَن ذكرنا من الرواة : خرج الحكَم بن ابي العاصي ومعهُ عِطر يريد الحيرة . وكان بالحيرة سوق يجتمع اليه الناس كل سنة . وكان النعمان بن المنذر قد جعل لبني لام بن عمرو ربع الطريق طُعمة لهم وذلك لان بنت سعد بن حارثة بن لام كانت عند النعمان وكانوا اصهاره . فمرَّ الحكم بن ابي العاصي بحاتم بن عبدالله فسألهُ الجوار في ارض طيٍّ حتى يصير الى الحيرة . فأجاره . ثم امر حاتم بجَزُور فنُحرت وطبخت اعضاء فاكلوا ومع حاتم مِلحان بن حارثة بن سعد بن الحشرج وهو ابن عمه . فلما فرغوا من الطعام طيَّبهم الحكم من طيبه ذلك . فمرَّ حاتم بسعد بن حارثة بن لام وليس مع حاتم من بني ابيه غير ملحان وحاتم على راحلته وفرسُه تُقاد . فاتاه بنو لام

فوضع حاتم سُفرته وقال: إطعموا حيّاكم الله. فقالوا: من هؤلاء معك يا حاتم. قال: هؤلاء جيراني. قال لهُ سعد: فأنت تُجير علينا في بلادنا. قال لهُ: انا ابن عمكم واحقُّ من لم تخفِروا ذِمّته. فقالوا: لست بهذاك. وارادوا ان يفضحوه كما فُضح عامر بن جُوَين قبله. فوثبوا اليه فتناول سعد بن حارثة بن لام حاتماً. فاهوى لهُ حاتم بالسيف فاطار أرنبة أنفه ووقع الشرّ حتى تحاجزوا. فقال حاتم في ذلك:

وددتُ وبيتِ الله لو أنَّ انفه هواء فما متّ(١ المخاط عن العظمِ

ولكنما لاقاه سيف ابن عمه فآب ومرَّ السيف منهُ على الخطمِ

فقالوا لحاتم: بيننا وبينك سوق الحيرة فناجدك ونضع الرهن. ففعلوا ووضعوا تسعة أفراس رهناً على يد رجل من كلب يقال لهُ امرؤ القيس ابن عدي ووضع حاتم فرسه. ثم خرجوا حتى انتهوا الى الحيرة. وسمع ذلك اياس بن قبيصة الطائي فخاف ان يعينهم النعمان بن المنذر ويقوّيهم بماله وسلطانه للصِّهر الذي بينهم وبينه فجمع رهطه من بني حيَّة وقال: يا بني حية ان هؤلاء القوم قد ارادوا ان يفضحوا ابن عمكم في مجاده(٢. فقال رجل من بني حية: عندي مائة ناقة سوداء ومائة ناقة حمراء أدماء. وقام آخر فقال: عندي عشرة حصن على كل حصان منها فارس مدجّج لا يُرى منهُ الّا عيناه. وقال حسّان بن جبلة الخير: قد علمتم ان ابي قد مات وترك كلاً كثيرًا فعليَّ كل خمر أو لحم او طعام ما اقاموا في سوق الحيرة. ثم قام اياس فقال: عليَّ مثل جميع ما اعطيتم كلُّكم. (قال) وحاتم لا يعلم بشيءٍ مما فعلوا. وذهب حاتم الى مالك بن جبار

---

١) هواء خلاء. متّ نزع ٢) مجاده اي مماجدته وهي المغالبة في المجد

ابن عمٍّ لهُ بالحيرة كان كثير المال فقال: يا ابنَ عمٍّ اغنِّي على مخايلتي (١ . ثم انشد:

يامالِ احدى خطوب الدهر قد طرقت يا مالِ ما انتمُ عنها بزحزاحِ (٢
يا مالِ جاءت حياض الموت واردةً من بين غمرٍ فخُضناه وضَحضاحِ (٣

فقال لهُ مالك: ما كنتُ لأحرُب نفسي ولا عيالي وأُعطيك مالي. فانصرف عنهُ وقال مالك في ذلك قوله:

انّا بني عمكم ما ان نباعلكم ولا نجاوركم الّا على ناحِ
وقد بلوتك اذ نلتَ الثراء فلم ألفِك بالمالِ الّا غيرَ مرتاحِ

ثم اتى حاتم ابنَ عم لهُ يقال لهُ وَهم بن عمرو وكان حاتم يومئذٍ مُصارماً لهُ لا يكلّمه. فقالت لهُ امرأته: أيُ وهمٍ هذا والله ابو سفّانة حاتم قد طلع. فقال: ما لنا ولحاتم أثبتي النظرَ. فقالت: ها هو. قال: ويحكِ هو لا يكلّمني فما جاءَ بهِ اليَّ. فنزل حتى سلّم عليهِ. فردَّ سلامه وحيّاه ثم قال لهُ: ما جاء بك يا حاتم. قال: خاطرت على حسَبك وحسبي. قال: في الرَّحب والسعة هذا مالي. (قال) وعدَّتهُ يومئذٍ تسعمائة بعير. فخذها مائة مائة حتى تذهب الابل او تُصيب ما تريد. فقالت امرأته: يا حاتم انت تُخرجنا عن مالنا وتفضح صاحبنا تعني زوجها. فقال: اذهبي عنّي فوالله ما كان الذي غمّك ليردَّني عما قِبَلي. وقال حاتم:

الا أبلغا وهمَ بن عمرو رسالةً فانك انت المرء بالخير اجدرُ
رأيتك ادنى الناس منا قرابة وغيرَك منهم كنتُ احبو وانصرُ

---

١) المخايلة المفاخرة ٢) الزحزاح التباعد والتنحي
٣) الضحضاح الماء اليسير الذي لا غرق فيهِ ولا غمر له. مال ترخيم مالك

اذا مـا اتى يومٌ يُفرّق بيننا بموتٍ فكن يا وهمُ ذو يتأخرُ(١

(قالوا) ثم قال اياس بن قبيصة : احملوني الى الملك . وكان بهِ نِقرِس . فحُمل حتى أُدخل عليهِ . فقال : أنعم صباحاً أبيتَ اللعنَ . فقال النعمان : وحيّاك الٰهك . فقال اياس : أتمدُّ أختانك بالمال والخيل وجعلت بني ثعل في قعر الكنانـة . أظنَّ اختانُك ان يصنعوا بجاتم كما صنعوا بعامر ابن جوين ولم يشعروا انَّ بني حيَّة بالبلد . فان شئت والله ناجزناك حتى يسفح الوادي دماً . فليحضروا مِجادَهم غداً بمجمع العرب . فعرف نعمان الغضب في وجههِ وكلامه فقال لهُ النعمان : يا أحلمَنا لا تغضب فاني سأكفيك . وأرسل النعمان الى سعد بن حارثة والى اصحابه : انظروا ابن عمكم حاتماً فأرضوه فوالله ما انا بالذي اعطيكم مالي تبذُرونه وما أُطيق بني حية . فخرج بنو لام الى حاتم فقالوا لهُ : أعرض عن هذا المِجاد ندع أرشَ انفِ ابن عمنا . قال : لا والله لا أفعل حتى تتركوا افراسكم ويُغلَب مِجادكم . . فتركوا ارش انف صاحبهم وافراسهم وقالوا : قبحها الله وابعدها فانما هي مَقارف (٢ . فعمد اليها حاتم فعقرها وأطعمها الناس وسقاهم الخمر . وقال حاتم في ذلك :

ابلـغ بني لامٍ بـانَّ خيولهم عَقرَى وان مجـادهم لم يَمجُـدِ
ها انمـا مطرَتْ سماؤكم دماً ورفعتَ رأسك مثلَ رأس الاصيدِ
ليكونَ جيراني أكالًا بينكم بخـلًا لكنديٍّ وسبيٍ مُزبـدِ
وابن النجود اذا غـدا مُتباطناً وابن العذورِ (٣ ذي العِجان الأبردِ

---

١) « ذو » في لغة طيء « الذي » ٢) مقارف جمع مُقرِف وهو الهجين من الخيل ٣) النجود من حمُر الوحش التي لا تحمل . ويروى في الاصل

ولثابتٍ عيني جذٍ متماوتٍ وللغطِ (١ أوسي عوى لمقلّدِ
ابلغ بني ثُعَل بأني لم اكن ابدًا لأفعلَها طَوالَ المُسنَدِ (٢
لا جئتهم فلًا وأترك صحبتي نَهباً ولم تَغدِر بقائمةٍ (٣ يدي

زيد الخيل

كان زيد الخيل فارساً مِغوارًا مظفَّرًا شُجاعاً بعيد الصوت في الجاهلية وادرك الاسلام ووفد الى النبي (صلعم) ولقيهُ وسُرَّ بهِ وقرَّظه وسمَّاه زيد الخير. وهو شاعر مُقِلّ مُخضرَم معدود في الشعراء الفُرسان. وانما كان يقول الشعر في غاراتهِ ومفاخراته ومَغازيه. وايادیه عند من مرّ عليه واحسن في قراه اليه. وانما سمي زيد الخيل لكثرة خيله. وانهُ لم يكن لاحد من قومه ولا لكثير من العرب الا الفرس والفرسانِ. وكانت لهُ خيل كثيرة منها المسمّاة المعروفة التي ذكرها في شعره وهي ستة وهي الهطّال والكميت والوَرْد وكامل ودَوْول ولاحق. وفي الهطال يقول:

اقرّب مربطَ الهطّالِ إنّي ارى حرباً ستلقح عن حيالِ

وفي الورد يقول:

أبت عادةٌ للورد ان يكره القنا وحاجة نفسي في نُميرٍ وعامرِ

وفي دؤول يقول:

فأُقسمُ لا يفارقني دؤول اجول به اذا كثر الضِرابُ

« متلاطماً » هوض متباطئاً. والعذوَر الحمار الواسع الجوف والرجل السيّء الخُلق

١) اللَّغط واللغَط الاصوات المبهَمة المختلطة ويروى : وللعمظ اوس

٢) طوال المسند اي مدى الدهر ٣) قائم السيف وقائمته مقبضه

هذا ما حضرني من تسمية خيله في شعره وقد ذكرها . وكان لزيد الخيل ثلثة بنين كلهم يقول الشعر وهم عروة وحريث ومهلهل . ومن الناس من ينكر ان يكون لهُ من الولد الّا عروة وحريث . وهذا الشعر الذي فيهِ الغناء يقولهُ في فرس من خيله ظلع في بعض غزواتهِ بني اسد فلم يتبع الخيل ووقف فاخذتهُ بنو الصيداء فصلُح عندهم واستقلّ (١ . وقيل بل اغزى عليهِ بعضَ بني نبهان فنكس عنهُ وأُخذ . وقيل انه خلّفه في بعض احياء العرب ظالعاً ليستقلّ فاغارت عليهم بنو اسد فاخذوا الفرس فيما استاقوه لهم . فقال في ذلك زيد الخيل :

يا بني الصيداء رُدّوا فرسي ... انما يُفعَـل هذا بالذليلْ
لا تُذيلوهُ فاني لم اكن ... يا بني الصيدا لمهري بالمُذيلْ
عوّدوه كالذي عودتهُ ... دَلَج (٢ الليل وايطاءَ القتيل
أَحملُ الزِقَّ على مِنسَجـه ... فيظلُّ الضيفُ نَشواناً يَميلْ

قال ابو عمرو الشيباني : وكان زيد الخيل مُلِحًّا على بني اسد بغاراتهِ ثم على بني الصيداء منهم . ففيهم يقول :

ضجت بنو الصيداء من حربنا ... والحرب من يحلُلْ بها يضجرِ
بِتنا نُزَجّي نحوهم ضُمَّـرًا ... معروفة الانسـاب من منسرِ
حتى صبحناهم بهـا غدوةً ... نقتـلهم قسرًا على ضمَّـرِ
يدعون بالويـل وقد مسَّهم ... متا غداةَ الشِعب ذي الهيشرِ (٣
ضربٌ يزيل الهام ذو مَصدَقٍ (٤ ... يعـلو على البيضـة والمِغفَـرِ

---

١) استقلّ نهض من علّتهِ
٢) الدلج سير الليل
٣) الهيشر شجر كثير الشوك تأكله الابل
٤) ذو مصدق اي صادق الحملة

اخبر حماد الرواية عن ابن ابي ليلى قال : انشدتني ليلى بنت عروة بن زيد الخيل الطائي شعر ابيها في يوم مِحْجَن :

بني عامرٍ هل تعرفون اذا غدا ابو مُكنِف(١ قد شدَّ عقد الدوائرِ
بجيش تضلّ الباقُ في حجراتهِ ترى الأُكم فيهِ سُجَّداً للحوافرِ
وجمعٍ كمثل الليل مُرتجز الوغى كثيرٍ حواشيه سريع البوادرِ

قالت ليلى فقلت لابي : يا ابه اشهدت ذلك اليوم مع ابيك . قال : اي والله يا بنية لقد شهدتهُ . قلت : كم كانت خيل ابيك هذه التي وصفت . قال : ثلثة افراس

نسخت من كتاب عمرو بن ابي عمرو الشيباني بخطهِ عن ابيهِ انَّ زيد الخيل بن مهلهل جمع طيئاً واخلاطاً لهم وجموعاً من شُذّاذ العرب فغزا بهم بني عامر ومَن جاورهم من قبائل العرب من قيس وسار اليهم فصبحهم مع طلوع الشمس . فنَذِروا بهِ وفزِعوا الى الخيل وركِبوها . وكان اوَّل من نَذِر بهم فلقي جمعَهم غنيّ بن اعصر واخوتهم الحرث وهم الطُّفاوة واسمهُ مالك بن سعد بن قيس بن عيلان . فاقتتلوا قتالاً شديداً ثم انهزمت بنو عامر فاستحرَّ القتل بغنيّ وفيهم فرسان وشعراء فملأَت ايديها طيٌ من غنائم تميم وأَسر زيدُ الخيل يومئذٍ الحطيئةَ الشاعر فجزَّ ناصيتهُ واطلقهُ . ثم ان غنيًّا تجمعت بعد ذلك مع لَفّ من بني عامر فغزوا طيئاً في ارضهم فغنِموا وقتلوا وادركوا ثأرهم منهم . وقد كان زيد الخيل قال في وقعتهِ لبني عامر قصيدتهُ التي يقول فيها :

وخيبةُ من يخيب على غنيّ وباهلةَ بنِ اعصرَ والركابِ

---

١) ابو مكنف كنية زيد الخيل

فلما ادركوا ثأرهم اجابهُ طفيل الغنوي فقال:

سمونا بالجيـاد الى أعادٍ مُغاورةً بجدٍّ واعتصابِ
نؤمُّهمُ على رُعب وشحط بقُودٍ يطَّلعنَ من النِقابِ

وهي طويلة يقول فيها:

اخذنا بالمُخطَّم مَن اتاهم مِن السود المزنَّمة الرعابِ
وقتَّلنـا سراتهم جهارًا وجئنـا بالسبايا والنهابِ
سبايا طيٍّ أُبرزنَ قسرًا وأُبدلنَ القصورَ من الشعابِ
سبايا طيٍّ من كل حيٍّ بمن في الفرع منها والنصابِ(١
وما كانت بناتهم سبيًـا ولا رَغباً يُعَدُّ من الرغابِ
ولا كانت دماؤهم وفاءً لنا فيما يُعَدُّ من العِقـابِ

اخبرني الحسن بن يحيى قال: حدَّثنا حماد بن اسحق عن ابيهِ قال: كان لزيد الخيل ابن يقال لهُ عروة وكان فارساً شاعرًا. فشهد القادسيَّة فحُسن فيها بلاؤهُ وقال في ذلك يذكر حسن بلائه:

برزت لاهل القادسيَّة مُعلِمـاً وما كل من يغشى الكريهة يُعلِمُ
ويوماً باكناف النُّخَيلةِ قبلهـا شهدت فلم ابرح أُدمّي وأَكلِمُ
وأقعصتُ منهم فارساً بعد فارس وما كل من يلقى الفوارس يَسلَمُ
ونجّـانيَ اللهُ الاجلُ وجُرأتي وسيفٌ لأَطراف المرازب مِخذَمُ(٢
وايقنت يوم الديلميّـين انني متى ينصرفْ وجهي عن القوم يُهزَموا
فما رِمتُ حتى مزَّقوا برماحهم ثيـابي وحتى بلَّ أَخمصيَ الدمُ
محافظةً اني امرؤٌ ذو حفيظـة اذا لم اجدْ مُستـأَخَرًا اتقدَّمُ

---

١) النصاب الاصل والمرجع ٢) المخذم القاطع

(قال) وشهد مع عليّ بن ابي طالب رضي الله عنهُ صفّينَ وعاش الى إمارة معاوية . فأرادهُ على البراءة من عليّ عليه السلام فامتنع عليهِ وقال :

يحاولني معاوية بن حربٍ ... وليس الى الذي يهوى سبيلُ
على جحدي ابا حسنٍ عليًّا ... وحظي من ابي حسن جليلُ

(قال) ولهُ اشعار كثيرة

قال مؤرّج : خرج رجل من طيّ يقال لهُ ذؤاب بن عبدالله الى صهر لهُ من هوازن . فأُصيب الرجل وكان شريفاً ذا رئاسة في حيّهِ . فبلغ ذلك زيداً فركب في نبهان ومن تبعهُ من ولد الغوث واغار على بني عامر وجعل كلما اخذ اسيراً قال لهُ : أَلك علم بالطائي المقتول . فان قال نعم قتلهُ وان قال لا خلّى سبيلهُ ومنّ عليهِ . وكان رجل من اصحاب بني الوحيد والضباب وبني نفيل ثم رجع زيد الى قومهِ فقالوا : ما صنعت . فقال : ما اصبت بثأر ذؤاب ولا يبوء بهِ الّا عامر بن مالك ملاعب الاسنّة فامّا ابن الطفيل فلا يبوء بهِ وانشأ زيد يقول :

لا ارى انَّ بالقتيل قتيلًا ... عامرياً يفي بقتل ذؤابِ
ليس مَن لاعبَ الاسنّةَ في النَّقْع م وسُمّي ملاعباً بأَرابِ
عامر ليس عامر بن طُفَيلٍ ... لكنِ العمر رأس حيّ كلابِ
ذاك إن أَلقَهُ أَنالُ بهِ الوترَ م وقرَّت بهِ عيونُ الصحابِ
او يفُتْني فقد سبقتُ بوترٍ ... مذحجيّ وجدّ قومي كثابِ
قد تقنَّصتُ للضِباب رجالًا ... وتكرمتُ عن دماء الضِبابِ
وأَصبنا مِن الوحيد رجالًا ... ونفيلٍ فما اساغوا شرابي

فبلغ عامر بن الطفيل قول زيد الخيل وشعره فاغضبهُ وقال مجيباً لهُ :

قل لزيد قد كنت توثَر بالحِلم م اذا سَفِهت حلوم الرجالِ
ليس هذا القتيل من سلَف الحيّ م كلاعٍ ويحصبٍ وكُلالِ
او بني آكلِ المُرار ولا صِيدٍ م بني جفنةَ الملوكِ الطِّوالِ
وابنِ ماء السماء قد علم النا س ولا خيرَ في مقالة غالِ
انّ في قتل عامر بن طُفَيل لَبَواءً لطيّء الاجبالِ
انني والذي يحجُّ لهُ النا سُ قليلٌ في عامرٍ امثالي (١
يومَ لا مالَ للمُحارب في الحر ب سِوى نصلِ اسمر عسّال
ولجامٍ في رأس اجردَ كالجِذ ع طُوالٍ وابيض قصّالِ (٢
ودِلاصٍ (٣ كالنهيِ ذاتِ فُضولٍ ذاكَ في حَلبةِ الحوادث مالي
ولعمّي فضلُ الرئاسة والسنّ م وجَدٍّ على هوازنَ عالِ
غيرَ أني أُولي هوازنَ في الحر ب بضرب المتوَّج المختالِ
وبطعنِ الكتيّ في حَمس النقع م على متنِ هيكلٍ جوّالِ

قال ابو عمرو الشيباني : لما بلغ زيد الخيل ما كان من الحرث بن ظالم وعمرو بن الاطنابة الخزرجي وهجائهِ اياه غضب زيد لذلك فأغار على بني مرّة بن غطفان فأسر الحرث بن ظالم وامرأتهُ في غارتهِ ثم منّ عليهما . وقال يذكر ذلك :

ألا هل اتى غوثاً ورومان اننا صبحنا بني ذبيان احدى العظائم
وسُقنا نساءَ الحيّ مُرّةَ بالقنا وبالخيل تردي قد حوينا ابن ظالمِ

---

١) في الاصل : في عامر الامثال ٢) قصّال قطّاع
٣) دلاص درع

جنيباً لأعضاد النواجي يقُدنهُ ... على تعبٍ بين النواجي الرواسم(١
يقول اقبلوا منّي الفداءَ وأنعِموا ... عليَّ وجزّوني مكانَ القوادمِ
وسائلْ بنا جارَ ابن عوفٍ فقد رأى ... حايلتَهُ جالت عليها مَقاسمي
تُلاعبُ وحدانَ العضاريطِ بعد ما ... جلاها بسهميهِ لقيطُ بن حازمِ
اغرّكَ أن قيلَ ابن عوف ولا ارى ... عَزيتكَ الّا واهياً في العَزائمِ
غداة سبينا من خَفاجةَ (٢ سبيَها ... ومرَّت لهم منّا نحوسُ الاشائمِ
فمَن مُبلغٌ عني الخزارجَ غارةً ... على حيّ عوفٍ موجفاً (٣ غير نائمِ

وقال ابو عمرو : أغار زيد على بني فزارة وبني عبدالله بن غطفان ورئيسهم يومئذٍ ابو ضبّ ومع زيد الخيل من بني نبهان بطنان يقال لهما بنو نصر وبنو مالك . فأصاب وغنم وساقوا الغنيمة وانتهوا الى العلم فاقتسموا النهاب . فقال لهم زيد : اعطوني حقّ الرئاسة . فأعطاه بنو نصر وأبى بنو مالك . فغضب زيد وانحدر الى بني نصر . فبينما بنو مالك يقتسمون اذ غشيتهم فزارة وغطفان وهم حلفاء فاستنقذوا ما بايديهم . فلما رأى زيد ذلك شدّ على القوم فقتل رئيسهم أبا ضبّ وأخذ ما في ايديهم فدفعهُ الى بني مالك وكانوا نادوه يومئذٍ : يا زيداه أغثنا . فكرَّ على القوم حتى استنقذ ما في ايديهم وردَّهُ . وقال يذكر ذلك :

كررتُ على أبطال سعدٍ ومالكٍ ... ومَن يَدعُ الداعي اذا هو ندَّدا(٤
فلأياً كررتُ الوَرْد حتى رأيتهم ... يُكِبّون في الصحراء مثنى وموحدا

---

١) الرواسم الابل التي سيرها سريع يؤثر في الارض
٢) خفاجة حي من بني عامر
٣) الايجاف سرعة السير . راكب البعير يُوضِع وراكب الفرس يُوجِف
٤) ندَّد بالغ في النداء

وحتى نبذتم بالصعيد رماحكم ... وقد ظهرتْ دعوى زنيم واسعدا
فما زلتُ ارميهم بغُرَّة وجههِ ... وبالسيفِ حتى كلَّ تحتي وبلَّدا
اذا شكَّ اطرافُ العوالي لَبَانَهُ ... أُقدِّمُـهُ حتى يرى الموتَ اسودا
علالتُها بالامس مـا قد علمتمُ ... وعلَّ الجواري بيننـا ان تُسهَّدا
لقد علمت نَبهانُ أنّي حميتُهـا ... واني منعت السبيَ ان يتبدَّدا
عشيةَ غادرتُ ابن ضبٍ كانما ... هوى عن عقاب من شماريخ صِندِدا (١
بذي شُطبٍ أغشى الكتيبةَ سَلهبٍ ... أقبَّ كسِرحان الظلام معوَّدا

قال ابو عمرو: وخرج زيد الخيل يطلب نَعَماً له من بني بدر وأغار عامر ابن الطفيل على بني فزارة فأخذ امرأة يقال لها هند واستاق نعماً لهم. فقالت بنو بدر لزيد: ما كنّا قط الى نعمك احوَجَ منّا اليومَ. فتبعهُ زيد الخيل وقد مضى وعامر يقول: يا هند ما ظنُّكِ بالقوم. فقالت: ظني بهم انهم سيطلبونك وليسوا نياماً عنك. (قال) فأدركهُ زيد الخيل. فنظر الى عامر فانكرهُ لعظمهِ وجمالهِ. وغشيَهُ زيد فبرز لهُ عامر. فقال: يا عامر خلّ سبيل الظعينة والنعم. فقال عامر: من انت. قال: فزاري انا. قال عامر: والله ما انت من القُلح (٢ افواهاً. فقال زيد: خلّ عنها. قال: لا أو تخبرني من انت. قال: اسديّ. قال: لا والله ما انت من المتكوّرين على ظهور الخيل. قال: خلّ سبيلها. قال: لا والله او تخبرني فاصدقني. قال: أنا زيد الخيل. قال: صدقت فما تريد من قتالي فوالله لئن قتلتني لتطلبنَّك بنو عامر ولتذهبنَّ بنو فزارة بالذكر. فقال لهُ زيد: خلّ عنها.

---

١) شماريخ رؤوس الجبال. صندد جبل بتهامة
٢) القَلَح صفرة في الاسنان ووسخ يركبها

قال : تُخلّي عني وأدعك والظعينة والنعم . قال : فاستأسر . قال : أفعلُ . فجزَّ ناصيتهُ وأخذ رحلهُ وأخذ هندًا والنعم فردَّها الى بني بدر . وقال في ذلك :

أنَا لَنُكرِثِر في قيسٍ وقائعنا ... وفي تميم وهذا الحيِّ من اسدِ
وعامر بن طفيلٍ قد نحوت لهُ ... صدر القناة بماضي الحدّ مُطَّردِ (١
لما أحس بانَّ الوَردَ مُدرِكُهُ ... وصارماً وربيطَ الجأش ذا لِبَدِ(٢
نادى اليَّ بسِلْم بعد ما أخذت ... منهُ المنيةُ بالحيزوم واللُّغُدِ (٣
ولو تصبّر لي حتى أُخالطهُ ... أسعرتُهُ طعنةً كالنار بالزَندِ

(قال) فانطلق عامر الى قومهِ مجزوزًا وأخبرهم الخبر . فغضبوا لذلك وقالوا : لا ترأسنا ابدًا . وتجهزوا ليغيروا على طيٍّ ورأسوا عليهم علقمة بن عُلاثة . فخرجوا ومعهم الحطيئة وكعب بن زُهير . فبعث عامر الى زيد الخيل دسيساً ينذرهُ . فجمع زيد قومهُ فلقيهم بالمَضِيق فقاتلهم فأسر الحطيئة وكعب بن زهير وقوماً منهم فحبسهم . فلما طال عليهم الأسر قالوا : يا زيد فادِنا . قال : الامر الى عامر بن الطفيل . فأبوا ذلك عليهِ . فوهبهم لعامر الّا الحطيئة وكعباً . فاعطاه كعب فرسهُ الكميت . وشكا الحطيئة الحاجة فمنَّ عليهِ . فقال زيد :

أقول لعبدي جَرْولٍ(٤ اذ اسرتهُ ... أثبني ولا يغرُرْك انك شاعرُ
أنا الفارس الحامي الحقيقة والذي ... لهُ المكرُمات واللُّهى (٥ والمآثرُ

---

١) مطرد مستقيم ٢) ذا لبد اي كالاسد الذي له لبدة اي زُبرة
٣) اللغد اللحمة التي بين الحنك وصفحة العنق
٤) جرول اسم الحطيئة ٥) اللهى افضل العطايا واجزلها

وقومي رؤوس الناس والرأس قائد ... اذا الحرب شبَّتها الاكفُّ المساعرُ
فلستُ اذا ما الموت حُوذر وِردُه ... وأُترِعَ حوضاهُ وحمَّجَ (١ ناظرُ
بوقَّافةٍ يخشى الحتوفَ تهيُّباً ... يُباعدني عنها من القبِ ضامرُ
ولكنني أغشى الحتوف بصعدتي ... مجاهرةً انَّ الكريم يجاهرُ
وأُروي سناني من دماء عزيزةٍ ... على اهلها اذ لا تُرجَّى الاواصرُ

فقال الحطيئة لزيد :

ان لم يكن مالي بآتٍ فانني ... سيأتي ثنائي زيدًا ابنَ مُهَلْهِل
فأُعطيتَ منا الودَّ يوم لقيتنا ... ومن آل بدرٍ شدَّة لم تهلل
فما نِلتنا غدرًا ولكن صبحتنا ... غداة التقينا في المضيق بأُخيلِ (٢
تفادى حماةُ الخيل من وقع رمحهِ ... تفادِيَ ضِعاف الطير من وقع اجدلِ

وقال فيهِ الحطيئة ايضاً :

وقعتَ بعبس ثم انعمتَ فيهم ... ومن آل بدرٍ قد اصبتَ الاخايرا
فان يشكروا فالشكرُ ادنى الى التقى ... وان يكفروا لا أُلفَ يا زيد كافرا
تركتَ المياهَ من تميم بلاقعاً ... بما قد ترى منهم حلولاً كراكرا (٣
وحيّ سليم قد أبدتَ (٤ شريدهم ... ولا تنسَ ما قتَّلتَ يا زيدُ عامرا

فرضي عنهُ زيد ومنَّ عليهِ لما قال هذا فيهِ وعدَّ ذلك ثواباً من الحطيئة وقبلَهُ . فلما رجع الحطيئة الى قومهِ قام فيهم حامدًا لزيد شاكرًا لنعمتهِ حتى اسرت طيٌ بني بدر فطلبت فزارة وافناء قيس الى شعراء العرب

---

١) حمَّج حدَّق النظر ٢) في الاصل : باحبل . واخيُل جماعة خيل ويروى بأخيَل اي الخُيلاء
٣) كراكر اي جماعات ٤) في الاصل : أثرتَ

ان يهجوا بني لامٍ وزيدًا. فتحامتهم شعراء العرب وامتنعت من هجائهم. فصاروا الى الحطيئة. فأبى عليهم وقال: اطلبوا غيري فقد حقن دمي واطلقني بغير فداء فلست بكافر نعمته ابدًا. قالوا: فانّا نعطيك مائة ناقة. قال: والله لو جعلتموها الفًا ما فعلت ذلك. وقال الحطيئة:

كيف الهجاء وما تنفكُّ صالحةٌ من آل لامٍ بظهر الغيب تأتينا

المنعمين اقامَ العزُّ وسطَهمُ بيض الوجوه وفي الهيجا مَطاعينا

وقد اخبرنا ابو خليفة عن محمد بن سلام قال: خرج بجير بن زهير والحطيئة ورجل من فزارة يتقنّصون الوحش. فلقيهم زيد الخيل فأسرهم فافتدى بجير نفسهُ بفرس كان لكعب اخيهِ وكعب يومئذٍ مجاورٌ في بني مِلقَطٍ من طيءٍ وشكا اليهِ الحطيئة الفاقة فاطلقهُ. وقال ابو عمرو: غزت بنو نبهان فزارة وهم متساندون ومعهم زيد الخيل فاقتتلوا قتالًا شديدًا ثم انهزمت فزارة وساقت بنو نبهان الغنائم من النساء والصبيان. ثم ان فزارة حشدت واستعانت باحياء من قيس وفيهم رجل من سليم شديد البأس سيّد يقال لهُ عباس بن انس الرّعليّ كانت بنو سليم قد ارادوا عقد التاج على رأسهِ في الجاهلية. فحسدهُ ابن عمّ لهُ فلطم عينهُ. فخرج عباس من اعمال بني سليم في عدَّة من اهل بيتهِ وقومهِ فنزل في بني فزارة وكان معهم يومئذٍ ولم يكن لزيد المِرباع (١ حينئذٍ. وأدركت فزارة بني نبهان فاقتتلوا قتالًا شديدًا. فلما رأى زيد ما لقيت بنو نبهان نادى: يا بني نبهان أأحمل ولي المرباع. فقالوا: نعم. فشدَّ على بني سليم فهزمهم واخذ امَّ الاسود امرأة عباس بن انس ثم شدَّ على فزارة والاخلاط

---

١) المرباع ما ياخذه الرئيس وهو ربع الغنيمة

فهزمهم وقال في ذلك:

ألا ودَّعتْ جيرانَها امُّ اسودا ... وضنَّت على ذي حاجة ان يزوَّدا
وابغضُ اخلاق النساء اشدُّها ... اليَّ فلا تُولِنَّ اهلي تشدُّدا
وسائل بني نبهان عنّا وعندَهم ... بلاءٌ كحدِّ السيف اذ قطَّع اليدا
دعوا مالكاً ثم اتصلنا بمالك ... وكلٌّ ذكا مصباحُهُ فتوقَّدا
وبشر بن عمرو قد تركنا مجندلًا ... ينوء بخطَّار (١ هناك ومعبدا
تمطَّت بهِ قَوْداء ذاتُ عُلالةٍ ... اذا الصَّلدم الخِنذيذ (٢ اعيا وبلَّدا
لقيناهم تستنقذ الخيل كالقنا ... ويستسبلون السمهريّ المقصَّدا (٣
فيا ربَّ قِدرٍ قد كفأنا وجَفنةٍ ... بذي الرَّمثِ اذ يدعون مثنًى وموحدا
على انني أُثوي سناني وصعدتي ... بساقين زيدًا ان يبوء ومعبدا

وقال ابو عمرو: وقعت حرب بين اخلاط طيئ. فنهاهم زيد عن ذلك وكرههُ فلم ينتهوا. فاعتزل وجاور بني تميم ونزل على قيس بن عاصم. فغزت بنو تميم بكر بن وائل وعليهم قيس وزيد معهُ فاقتتلوا قتالًا شديدًا وزيد كافّ. فلما رأى ما لقيت تميم ركب فرسهُ وحمل على القوم وجعل يدعو: يا لتميم. يتكنّى بكنية قيس اذا قتل رجلًا او اذراه عن فرسهِ أو هزم ناحيةً. حتى هُزمت بكر وظفرت تميم فصارت فخرًا لهم في العرب. وافتخر بها قيس. فلما قدموا قال لهُ زيد: اقسم لي يا قيس نصيبي. فقال. وايُّ نصيب فوالله ما ولي القتال غيري وغير اصحابي.

---

١) خطار رمح ذو اهتزاز شديد ٢) علالة بقيّة من الجري. صلدم شديد الحافر. الخنذيذ كل ضخم من الخيل وغيره ٣) السمهريّ الرمح الصليب العود. المقصَّد المكسَّر

فقال زيد :

ألا هل اتاها والاحاديثُ جَمَّةٌ ... مغلغلةٌ انباءُ جيشِ اللهازمِ
فلست بوقّافٍ اذا الخيل احجمت ... ولست بكذّاب كقيس بن عاصمِ
تُخبّرُ من لاقيتَ أن قد هزمتهم ... ولم تدرِ ما سيماهمُ والعمائم
بل الفارس الطائيُّ فضَّ جموعَهم ... ومكةَ والبيتِ الذي عند هاشمِ
اذا ما دعوا عِجْلًا عجلنا عليهم ... بأثورةٍ(١ تشفي صُداعَ الجماجمِ

فبلغ المكشر بن حنظلة العِجليّ أحد بني سنان قول زيد فخرج في ناس من عِجل حتى أغار على بني نبهان فأخذ من نَعَمهم ما شاء. وبلغ ذلك زيد الخيل فخرج على فرسهِ في فوارس من نبهان حتى اعترض القوم فقال : ما لي ولك يا مكشر . فقال : قولك : « اذا ما دعوا عجلًا عجلنا عليهم » . فقاتلهم زيد حتى استنقذ بعض ما كان في ايديهم . ورجع المكشر ببقية ما أصاب . فأغار زيد على بني تيم الله بن ثعلبة . فغنم وسبى . وقال في ذلك :

اذا عركت عِجلٌ بنا ذنبَ غيرنا ... عركنا بتيم اللات ذنبَ بني عجلِ

وقال ابو عمرو : كان حُريث بن زيد الخيل شاعرًا فبعث عمر بن الخطاب رجلًا من قريش يقال لهُ ابو سُفيان يستقرئ اهل البادية فمن لم يقرأ شيئاً من القرآن عاقبهُ . فأقبل حتى نزل بحلّة بني نبهان فاستقرأ ابن عمّ لزيد الخيل يقال لهُ أوس بن خالد بن زيد بن مهيب . فلم يقرأ شيئاً . فضربهُ فمات . فاقامت بنتهُ ام اوس تندبهُ . واقبل حريث بن زيد الخيل فأخبرتهُ . فأخذ الرمحَ فشدَّ على ابي سفيان فطعنهُ فقتلهُ وقتل ناساً من

---

١) اي بوقعةٍ تذكر في التاريخ كمأثرةٍ لهم

اصحابهِ ثم هرب الى الشام: وقال في ذلك:

الا بكرَ الناعي بأَوْسِ بن خالدٍ ... اخي الشتوة الغبراء والزمن المحلِ (١
فلا تجزعي يا امَّ اوسٍ فانهُ ... يلاقي المنايا كل حافٍ وذي نعلِ
فان يقتلوا اوساً عزيزًا فانني ... تركت ابا سفيان ملتزمَ الرحلِ (٢
ولولا الأسى ما عشت في الناس بعده ... ولكن اذا ما شئت جاوبني مثلي
أَصبنا بهِ من خيرة القوم سبعةً ... كراماً ولم ناكل بهِ حَشَفَ النخلِ (٣

السُّلَيْك بن السُّلَكَة

هو السُّليك بن عمرو وقيل بن عمير بن يَثْرِبيّ أحد بني مُقاعِس وهو الحرث بن عمرو بن كعب بن سعد مَناة بن تميم. والسُّلَكة أُمهُ وهي أَمة سوداء. وهو احد صعاليك العرب العدَّائين الذين كانوا لا يُلحَقون ولا تعلق بهم الخيل اذا عدوا وهم السليك بن السلكة والشنفرَى وتأَبَّط شرًّا وعمرو بن برَّاق ونفيل بن براقة

حدَّث المنتجع بن نبهان قال: كان السليك بن عمير السعدي اذا كان الشتاء استودع ببيضِ النعام ماءَ السماء ثم دفنهُ. فاذا كان الصيف وانقطعت إغارة الخيل أَغار وكان أَدلَّ من قطاة يجيء حتى يقِف على البيضة وكان لا يُغير على مُضر وانما يغير على اليمن فاذا لم يمكنهُ ذلك أَغار على ربيعة. وقال المفضَّل في روايتهِ: وكان السليك من اشدّ رجال

---

١) تكون الشتوة غبراء لقلَّة الامطار والخضرة ٢) اي مقتولاً على الرحل ملازماً له ٣) الحشَف اردأ التمر اي لم نقبل الدية تمرًا

العرب وانكرهم واشعرهم وكانت العرب تدعوه سليك المقانب(١ وكان ادلَّ الناس بالارض واعلمهم بمسالكها واشدَّهم عدوًا على رجليهِ لا تعلق بهِ الخيل وكان يقول: اللهمَّ انك تهيِّء ما شئت لما شئت اذا شئت. اللهمَّ اني لو كنت ضعيفاً كنت عبدًا ولو كنت امرأة كنت أمة. اللهمَّ اني اعوذ بك من الخيبة فامَّا الهيبة فلا هيبة. فذكروا انهُ أملق(٢ حتى لم يبقَ لهُ شيءٌ فخرج على رجليه رجاء ان يصيب غِرَّة من بعض مَن يمرُّ بهِ فيذهب بابلهِ حتى امسى في ليلة من ليالي الشتاء باردة مُقمِرة فاشتمل الصماء (٣ ثم نام. فبينا هو نائم اذ جثم عليهِ رجل فقعد على جنبهِ فقال: استأسر. فرفع السليك اليهِ رأسهُ وقال: الليل طويل وانت مُقمِر فارسلها مثلًا. فجعل الرجل يَلهزهُ (٤ ويقول: يا خبيث استأسر. فلما اذاه بذلك اخرج السليك يدهُ فضمَّ الرجل اليهِ ضمة صرخ منها وهو فوقه ثم قال: من انت. فقال: انا رجل افتقرت فقلت: لاخرجنَّ فلا ارجع الى اهلي حتى استغني فآتيهم وانا غني. قال: انطلق معي. فانطلقا فوجدا رجلًا قصتهُ مثل قصتهما فاصطحبوا جميعاً حتى اتوا الجوف جَوف مُراد. فلما اشرفوا عليهِ اذا فيهِ نعم قد ملأَ كل شيءٍ من كثرته فهابوا ان يغيروا فيطردوا بعضها فيلحقهم الطلب. فقال لهما سليك: كونا قريباً مني حتى آتي الرِّعاء فأعلم لكما عِلمَ الحيِّ أقريب ام بعيد فان كانوا قريباً رجعت اليكما وان كانوا بعيدًا قلت لكما قولًا أُوحي اليكما بهِ فأغيرا. فانطلق حتى اتى الرعاء فلم يزل يتسقَّطهم حتى اخبروه بمكان

---

١) المقنب جماعة الخيل والفرسان ٢) املق افتقر ٣) اشتمال الصمّاء ان يردّ فضلة ثوبه على عضدهِ اليمنى ثم ينام عليها ٤) لهزهُ لكزهُ

الحي . فاذا هم بعيد إن طُلبوا لم يُدرَكوا . فقال السليك للرعاء : ألا اغنيكم . فقالوا : بلى غنِنا . فرفع صوتهُ وغنى :

يا صاحبيَّ ألا لا حيَّ بالوادي سوى عبيدٍ وآمٍ بينَ اذوادِ
انتظرانِ قريباً ريث غفلتهم ام تغدوان فانَّ الربح للغادي

فلما سمعا ذلك اتيا السليك فاطردوا الابل فذهبوا بها . ولم يبلغ الصريخ الحيَّ حتى فاتوهم بالابل . قال المفضل : وزعموا ان سليكاً خرج ومعهُ رجلان من بني الحرث بن امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم يقال لهما عمرٌو وعاصم وهو يريد الغارة . فمرّ على حيّ بني شيبان في ربيع والناس مخصبون في عشية فيها ضباب ومطر . فاذا هو ببيت قد انفرد من البيوت وقد امسى . فقال لاصحابه : كونوا بمكان كذا حتى آتي اهل هذا البيت فعلي ان اصيب لكم خيراً او آتيكم بطعام . قالوا : افعل . فانطلق وقد امسى وجَنّ عليه الليلُ . فاذا البيت بيت رُؤيم وهو جدّ حَوْشب بن يزيد بن رؤيم واذا الشيخ وامرأته بفِناء البيت . فاتى السليك البيت من مؤخرهِ فدخلهُ . فلم يلبث ان راح ابنهُ بابله فلما اراحها غضب الشيخ وقال لابنه : هلّا عشيتها ساعةً من الليل . فقال لهُ ابنهُ : انها أبت العَشاء . فقال : العاشيةُ تَهيجُ الآبيةَ (١ فارسلها مثلًا . ثم غضب الشيخ ونفض ثوبهُ في وجهها فرجعت الى مَراتعها ومعها الشيخ حتى مالت بأدنى روضة فرتعت وجلس الشيخ عندها لتتعشى وغطى وجههُ بثوبه من البرد . وتبعهُ سليك . فلما وجد الشيخ مُفتِرّاً (٢ استلَّهُ من

---

١) المعنى : ان الابل التي تأبى الرعي اذا رأت التي تتعشى هاجها ذلك للرعي فرعت معها

٢) أفتر ضعفت جفونه فانكسر طرفه من النعاس

ردائه فضربهُ فاطار رأسهُ وصاح بالابل فطردها . فلم يشعر صاحباه وقد ساء ظنهما وتخوَّفا عليه حتى اذا هما بالسُّليك يطردها فطرداها معهُ . وقال سليك في ذلك :

وعاشيةٍ راحت بِطاناً ذعرتها ... بسوط قتيل وسطها يتسيَّفُ
كأن عليه لون برد محبَّرٍ ... اذا ما اتاهُ صارم يتلهفُ
فبات لهُ اهلٌ خَلاء فناؤهم ... ومَرَّت بهم طيرٌ فلم يتعيفوا
وباتوا يظنّون الظنونَ وصحبتي ... اذا ما علَوا نشزًا اهلُّوا وأوجفوا
وما نلتُها حتى تصعلكتُ حِقبةً ... وكدتُ لأَسباب المنية أعرفُ
وحتى رأيت الجوع بالصيف ضرَّني ... اذا قمت تغشاني ظِلالٌ فأُسدِفُ (١

وقال الاثرم في روايته عن ابي عبيدة : خرج سليك في الشهر الحرام حتى اتى عكاظ . فلما اجتمع الناس القى ثيابهُ ثم خرج متفضّلًا (٢ مترجّلًا فجعل يطوف بين الناس ويقول : من يصف لي منازل قومهِ وأصف لهُ منازل قومي . فلقيهُ قيس بن مكشوح المرادي فقال : انا اصف لك منازل قومي وصف لي منازل قومك . فتواقفا وتعاهدا ان لا يتكاذبا . فقال قيس بن المكشوح : خُذ بين مهبّ الجَنوب والصَّبا ثم سرْ حتى لا تدري اين ظِلُّ الشجرة . فاذا انقطعت المياه فسرْ اربعاً حتى تبدو لك رملة وقفَ بينها الطريق فانك ترِد على قومي مراد وخثعم . فقال السليك : خذ بين مطلع سُهيل ويد الجوزاء اليُسرى العاقد لها من افق السماء . فثَمَّ منازل قومي بني سعد بن زيد مناة . فانطلق قيس الى قومهِ فاخبرهم الخبر . فقال ابوهُ المكشوح : ثكلتك أُمك هل تدري من لقيت . قال : لقيت

---

١) اسدف اظلمت عيناه ٢) متفضلًا اي في ثوب واحد

رجلًا فُضُلًا كأنما خرج من اهلهِ . فقال : هو والله سليك بن سعد . فاستعلق السليك قومهُ فخرج احماس(١ بين بني سعد وبني عبد سميع . وكان في الربيع يعمِد الى بيض النعام فيملؤهُ من الماء ويدفنهُ في طريق اليمن في المفاوز . فاذا غزا في الصيف مرَّ بهِ فاستأثرهُ . فمرَّ باصحابهِ حتى اذا انقطعت عنهم المياه قالوا : يا سليك اهلكتَنا ويحك . قال : قد بلغتم الماء ما اقربكم منهُ . حتى اذا انتهى الى قريب من المكان الذي خبأ الماء فيهِ طلبهُ فلم يجدهُ . وجعل يتردَّد في طلبهِ . فقال بعض اصحابهِ لبعض : اين يقودكم هذا العبد قد والله هلكتم . وسمع ذلك ثم اصاب بعد ما ساءَ ظنُّهم فهمَّ السليك بقتل بعضهم ثم أمسك . فانصرفت عنهم بنو عبد شمس في طوائف من بني سعد . (قال) ومضى السليك في بني مقاعس ومعهُ رجل من بني حرام يقال لهُ صرد . فلما رأى اصحابهُ قد انصرفوا بكى . ومضى بهِ السليك حتى اذا دنوا من بلاد خثعم ضلَّت ناقة صرد في جوف الليل . فخرج في طلبها . فأصابهُ أُناس حين اصبح فاذا هم مراد وخثعم فأسروه . ولحقوا السليك فاقتتلوا قتالًا شديدًا . وكان اوَّل من لقيهُ قيس بن مكشوح . فأسرهُ السليك بعد ان ضربهُ ضربة اشرفت على نفسه . واصاب من نعمهم ما عجز عنهُ هو واصحابهُ . واصاب امّ حرف بنت عوف بن يربوع الخثعمية يومئذٍ . واستنقذ صردًا من ايدي خثعم . ثم انصرف مسرعاً فلحق باصحابهِ الذين انصرفوا عنهُ قبل ان يصلوا الى الحيّ وهم اكثر من الذين شهدوا معهُ . فقسمها بينهم على سِهام الذين شهدوا . وقال السليك في ذلك :

---

١) احماس شجعان

بكى صُرَدٌ لما رأى الحيَّ اعرضت ... مَهامِهُ رملٍ دونهم وسُهوبُ
وخوَّفهُ ريبَ الزمان وفقرَه ... بلادُ عدوٍّ حاضرٌ وجدوبُ
ونأيٌ بعيدٌ عن بلاد مقاعسٍ ... وانّ مخاريقَ الامور تريبُ
فقلت لهُ لا تبكِ عينك انها ... قضيّةُ ما يقضى لها فتؤوبُ
سيكفيك فقدَ الحيّ لحمٌ مُغرَّضٌ (١ ... وماءٌ قدورٍ في الجفان مَشوبُ
ألم ترَ انَّ الدهر لونانِ لونهُ ... وطوْرٌ بشرٌّ مرَّةً وكذوبُ
فيا خير من لا يرتجي خير اوبة ... ويخشى عليهِ مِرّيةٌ وحروبُ
رددتُ عليهِ نفسهُ فكأنما ... تلاقى عليه مِنسرٌ وسروبُ (٢
فما ذرَّ قرنُ الشمس حتى رأيتهُ ... مصادَ المنايا والغبار يثوبُ
وضاربت عنهُ القوم حتى كأنما ... يصعّد في آثارهم ويَصوبُ
وقلت لهُ خذ هَجْمةً جبريّة (٣ ... واهلًا ولا يبعد عليك شروبُ
وليلة جابان كررت عليهم ... على ساحة فيها الاياب حبيبُ
عشية كرَّت بالحراميّ ناقة ... بجيَّهلًا (٤ تُدعى به فتجيبُ
فضاربت اولى الخيل حتى كأنما ... أُميلَ عليها ايدعٌ وصبيبُ (٥

قال ابو عبيدة: وبلغني ان السليك بن السلكة رأتهُ طلائع جيش لبكر ابن وائل وكانوا جازوا منحدرين ليغيروا على بني تميم ولا يعلم بهم احد فقالوا: ان علِم السليك بنا انذر قومهُ. فبعثوا اليه فارسين على جوادين.

---

١) مغرّض غريض اي طريّ ٢) منسَر قطعة من الجيش والسُّروب جماعات من الخيل ٣) جبريّة تجبر الفاقة وتُغنيك ٤) حيَّهَلْ وحيَّهَلًا وحيَّهَلا منوّنًا وغير منوّن كلمة يُستحثّ بها وهي مركّبة من حيّ وهَلا
٥) الايدع دمُ الاخوين وهو العندم نوع من الصبغ. والصبيب الحنّاء

فلما هايجاه خرج يحَص (١ كانهُ ظبي وطارداه سحابةَ يومهِ ثم قالا : اذا كان الليل اعيا ثم سقط او قصَّر عن العدو فنأخذهُ . فلما اصبحا وجدا اثره قد عثر بأَصل شجرة فتبرّأ عنها وندرت (٢ قوسه فانحطمت فوجدا قِصْدة (٣ منها قد ارتزَّت بالارض فقالا : ما لهُ اخزاهُ الله ما اشدَّهُ . وهمَّا بالرجوع . ثم قالا : لعلَّ كان هذا من اوَّل الليل ثم فتر . فتبعاه فاذا اثرهُ متفاجًا قد بال في الارض وجدّ . فقالا : ما لهُ قاتلهُ الله ما اشدّ متنهُ والله لا نتبعهُ ابدًا . فانصرفا وتمّ الى قومه وأنذرهم فكذبوهُ لبعد الغاية . فانشأَ يقول :

يكذّبني العَمْران عمرو بن جُندَب ... وعمرو بن سعد والمُكذّبُ اكذبُ
ثَكِلتُكُما ان لم اكن قد رأَيتها ... كراديسَ يَهديها الى الحيّ موكبُ
كراديسَ فيها الحوفزان وقومهُ ... فوارسُ هَمّامٍ متى يدعُ يركبوا

(قال) وجاء الجيش فأغاروا على جمعهم .

وقال ابو عبيدة : اغار السليك على بني عوارا بطن من بني مالك ابن ضبيعة فلم يظفر منهم بفائدة . وارادوا مساورته (٤ . فقال شيخ منهم : انهُ اذا عدا لم يتعلّق بهِ شيءٌ فدعوه حتى يردَ الماءَ فاذا شرب وثقل لم يستطع العدوَ وظفِرتم بهِ . فأَمهلوه حتى ورد الماء وشرب ثم بادروه . فلما علم انهُ مأخوذ جاملهم وقصد لادنى بيوتهم حتى ولج على امرأة منهم يقال لها فكيهة فاستجار بها . فمنعتهُ وجعلتهُ تحت دِرعها واخترطت السيف وقامت دونهُ . فكاثروها فكشفت خمارها عن شعرها وصاحت

---

١) يحص يعدو ٢) تبرّأ عنها تنحّى . ندرت سقطت
٣) قصدة كسرة ٤) ساورهُ واثبهُ

باخوتها . فجاؤوها ودفعوا عنهُ حتى نجا من القتل . فقال السليك في ذلك :

لعمرُ ابيك والانماء تُنمى ... لنعم الجارُ اختُ بني عوارا
مِن الخفِراتِ لم تفضح اباها ... ولم ترفع لاخوتها شَنارا (١
وما عجزت فكيهة يوم قامت ... بنصل السيف واستلبوا الخمارا

ثم قدم بعد ذلك على بني كنانة وهو شيخ كبير وهم بناء لهم يقال لهُ قُباقِب خلفَ البِشر . فاتاه نعمان بابنيهِ الحكم وعثمان وهما سيّدا بني كنانة ونائلة ابنته فقال : هذان وهذه لك وما املك غيرهم . فقالوا : صدق . فقال : قد شكرت لك وقد رددتهم عليك . فجمعت لهُ بنو كنانة ابلًا عظيمة فدفعوها اليهِ ثم قالوا لهُ : ان رأيتَ ان تُرينا بعض ما بقي من إحضارك . قال : نعم وأبغوني اربعين شابًا وأبغوني درعاً ثقيلة . فأتوه بذلك . فلبس الدرع وقال للشبان : الحقوا بي ان شئتم . وعدا فلاث العَدْوَ لوثاً . وعدَوا جَنْبَتَهُ فلم يلحقوه الّا قليلًا . ثم غاب عنهم وكرَّ حتى عاد

---

١) اخبر اليزيدي عن عمهِ قال : كان ابرهيم بن سعدان يؤدّب ولد علي ابن هشام وكان يغني بالعود تأدّبًا ولعبًا . (قال) فوجّه اليّ يوماً عليُّ بن هشام يدعوني . فدخلت فاذا بين يديهِ امرأة مكشوفة الراس تلاعبهُ بالنرد . فرجعت عجلًا . فصاح بي : ادخل . فدخلت فاذا بين ايديهما نبيذ يشربان منهُ . فقال : خذ عودًا وغنّ لنا . ففعلتُ ثم غنيت في وسط غنائي :

من الخفِرات لم تفضح اباها ... ولم ترفع لاخوتها شنارا

فوثبتْ من بين يديهِ وغطت راسها وقالت : اني اشهد الله اني تائبة اليهِ ولا افضح ابي ولا ارفع لاخوتي شنارًا . ففتر علي بن هشام ولم ينطق وخرجتْ من حضرتهِ . فقال لي : ويلك من اين صبَّك الله عليَّ . هذه مغنيّة بغداد وانا في طلبها منذ سنة لم اقدر عليها الّا اليوم فجئتني بهذا الصوت حتى هربتْ . فقلت : والله ما اعتمدت مساءتك ولكنه شيء خطر على غير تعمُّد

الى الحيّ وهو وحدهُ يحضر والدرع في عنقهِ تضرب كانها خرقة من شدَّة إحضاره

تأبَّط شرًّا

هو ثابت بن جابر بن سُفيان وتأبَّط شرًّا لقب لُقّب بهِ . ذكر الرواة ان امَّهُ قالت لهُ : كلُّ اخوتك يأتيني بشيْ اذا راح غيرَك . فقال لها : سآتيك الليلة بشيْ . ومضى فصاد افاعي كثيرة من اكبر ما قدر عليهِ . فلما راح اتى بهنَّ في جراب متأبطاً بهِ فألقاه بين يديها . ففتحتهُ فتساعينَ في بيتها . فوثبت وخرجت . فقال لها نساء الحيّ : ماذا اتاك بهِ ثابت . فقالت : اتاني بافاعي في جراب . وقلنَ : وكيف حملها قالت : تأبطها . قلن : لقد تأبَّط شرًّا . فلزمهُ تأبَّط شرًّا

اخبرني عمّي عن الحزنبل عن عمرو بن ابي عمرو الشيباني قال : نزلتُ على حيّ من فَهْم اخوة عَدْوان من قيس فسألتُهم عن خبر تأبَّط شرًّا . فقال لي بعضهم : وما سؤالك عنهُ أتريد ان تكون لصًّا . قلت : لا ولكن اريد ان اعرف اخبار هؤلاء العدَّائين فأتحدَّث بها . فقالوا : نحدّثك بخبره . انَّ تأبط شرًّا كان اعدى ذي رجلين وذي ساقين وذي عينين . وكان اذا جاع لم تقم لهُ قائمة فكان ينظر الى الظباء فينتقي على نظره اسمنها ثم يجري خلفهُ فلا يفوتهُ حتى يأخذهُ فيذبحهُ بسيفهِ ثم يشويه فيأكلهُ . وانما سمي تأبط شرًّا لانهُ فيما حُكي لنا لقي الغول في ليلة ظلماء في موضع يقال لهُ رَحى بِطان في بلاد هُذيل فأخذت عليهِ الطريق فلم يزل بها حتى قتلها وبات عليها . فلما اصبح حملها تحت ابطهِ وجاء بها الى

اصحابهِ . فقالوا لهُ : لقد تأبط شرًّا . فقال في ذلك :

تأبَّط شرًّا ثم راح اوِ اغتدى ... يوائم غنماً او يسيف على ذحل

وقال ايضاً في ذلك :

ألا مَن مبلغٌ فتيانَ فهمٍ ... بما لاقيت عند رَحى بِطانِ

واني قد لقيت الغول تهوي ... بسهْبٍ كالصحيفة صحصحانِ

فقلت لها كلانا نِضوُ أينٍ (١ ... اخو سفَرٍ فخلّي لي مكاني

فشدَّت شدَّةً نحوي فأهوى ... لها كفّي بمصقولٍ يماني

فأضرِبُها بلا دهشٍ فخرَّت ... صريعاً لليدينِ وللجرانِ

فقالت عُدْ فقلت لها رويدًا (٢ ... مكانَكِ انني ثَبْتُ الجنانِ

فلم انفكّ متكئاً عليها ... لأنظرَ مُصبحاً ماذا أتاني

اذا عينانِ في رأس قبيحٍ ... كرأس الهِرّ مشقوق اللسانِ

وساقا مُخدَجٍ وشَواة كلبٍ ... وثوبٌ من عباء او شِنانِ (٣

(قال) حمزة ولقي تأبط شرًّا ذات يوم رجلًا من ثقيف يقال لهُ ابو وهب كان جباناً اهوج وعليهِ حُلّة جيدة . فقال ابو وهب لتأبَّط شرًّا : بمَ تغلب الرجال يا ثابت وانت كما ارى دميم ضئيل . قال : باسمي . انما اقول ساعة ما ألقَى الرجل : انا تأبَّط شرًّا فينخلع قلبهُ حتى انال منهُ ما اردت . فقال لهُ الثقفي : أقطْ (٤ . قال : قط . قال : فهل لك ان تبيعني

---

١) النضو البعير المهزول . والأين التعب ٢) يزعم العرب ان الغول اذا ضُربت ضربة واحدة ماتت بها فان ضُربت ضربة اخرى عاشت وذلك قوله : فقالت عُدْ فقلت لها رويدًا ٣) مخدج ناقص الخلق . والشواة جلدة الرأس . والشنان جمع شنّ وشنّة وهي القربة الخلق ٤) أقط اي أحسبُ

اسمك . قال : نعم . قال : فبمَ تبتاعهُ . قال : بهذه الحُلّة وبكنيتي . قال لهُ : افعل . ففعل . وقال لهُ تأبَّط شرًّا : لك اسمي ولي كنيتك . واخذ حلّتهُ واعطاه طِمْرَيهِ . ثم انصرف . وقال في ذلك يخاطب زوجة الثقفيّ :

ألا هل اتى الحسناء انَّ حليلها تأبَّط شرًّا واكتنيتُ ابا وهبِ
فهبهُ تسمَّى اسمي وسُمّيت باسمهِ فاين لهُ صبري على مُعظَم الخطبِ
وأين لهُ بأسٌ كبأسي وسَورتي واين لهُ في كل فادحة قلبي

اخبر ابو بركة الاشجعي قال : اغار تأبَّط شرًّا ومعهُ ابن برّاق الفهميّ على بَجيلة . فاطردا لهم نَعَماً . ونَذِرت بهما بجيلة فخرجت في آثارهما . ومضيا هاربَينِ في جبال السراة وركبا الحزن . وعارضتهما بجيلة في السهل فسبقوهما الى الوهط وهو ماء لعمرو بن العاص بالطائف فدخلوا لهما في قصبة العين . وجاءا وقد بلغ العطش منهما الى العين . فلما وقفا عليها قال تأبَّط شرًّا لابن برّاق : أقِلّ من الشرب فانها ليلة طرد . قال : وما يُدريك : قال : والذي اعدو بطيرهِ اني لأسمع وجيب قلوب الرجال تحت قدمي . وكان من اسمع العرب واكيدهم . فقال لهُ ابن برّاق : ذلك وجيب قلبك . فقال لهُ تأبَّط شرًّا : والله ما وجب قط ولا كان وَجاباً . وضرب بيده عليهِ واصاخ نحو الارض يستمع فقال : والذي اعدو بطيرهِ اني لأسمعُ وجيب قلوب الرجال . فقال لهُ ابن برّاق : فانا انزل قبلك . فنزل فبرك وشرب وكان آكد القوم عند بجيلة شوكةً . فتركوه وهم في الظلمة . ونزل ثابت . فلما توسط الماء وثبوا عليهِ فاخذوه واخرجوه من العين مكتوفاً وابن برّاق قريب منهم لا يطمعون فيهِ لما يعلمون من عدوهِ . فقال لهم ثابت : انهُ من اصلف الناس واشدّهم

عُجْباً بعدوه وسأقول لهُ استأسر معي فسيدعوه عُجبهُ بعدوه الى ان يعدو من بين ايديكم . ولهُ ثلاثة اطلاق اوّلها كالريح الهابّة والثاني كالفرس الجواد والثالث يكبو فيهِ ويعثر فاذا رأيتم منهُ ذلك فخذوه فاني أُحبُّ ان يصير في ايديكم كما صرتُ اذ خالفني . قالوا : فافعل . فصاح بهِ تأبَّط شرًّا : انت اخي في الشِدَّة والرَّخاء وقد وعدني القوم ان يمثُّوا عليك وعليَّ فاستأسر وواسِني بنفسك في الشدَّة كما كنتَ اخي في الرخاء . فضحك ابن برَّاق وعلم انهُ قد كادهم وقال : مهلًا يا ثابت أيستأسر من عندهُ هذا العدو . ثم عدا . فعدا اوَّل طَلَق مثل الريح كما وصف لهم والثاني كالفرس الجواد والثالث جعل يكبو ويعثر ويقع على وجههِ . فقال ثابت : خذوه . فعدَوا باجمعهم . فلما ان نفَّسوا عنهُ شيئاً عدا تأبَّط شرًّا في كتافه . وعارضهُ ابن برَّاق فقطع كتافهُ وأفلتا جميعاً . فقال تأبَّط شرًّا :

يا عيدُ ما لكَ من شوق وايراقِ ومرِّ طيفٍ على الاهوال طرّاقِ(١
يسري على الاينِ والحياتِ مُحتفياً نفسي فداؤك من سار على ساقِ(٢

واما المفضل الضبي فذكر ان تأبَّط شرًّا وعمرَو بن برَّاق والشنفرى غزَوْا بجيلة فلم يظفروا منهم بغِرَّة . وثاروا اليهم فأسروا عمرًا وكتفوه . وافلتهم الآخران عدوًا . فلم يقدروا عليهما . فلما علما ان ابن برَّاق قد أُسر قال تأبط شرًّا لصاحبه : امضِ فكن قريباً من عمرو فاني ساتراءى لهم وأُطمِعهم في نفسي حتى يتباعدوا عنهُ . فاذا فعلوا ذلك فحُلّ كتافه

---

١) العيد ما اعتادهُ الانسان من همّ او شوق او مرض او ذكر . والايراق مصدر آرقهُ وطرّاق يطرق اي يأتي في الليل ٢) الأين والأيم ضرب من الحيات والاين ايضاً الاعياء . ومحتفٍ حافٍ

وانجُوا . ففعل ما امرهُ به . وأقبل تأبط شرًّا حتى تراءى لبجيلة . فلما رأوه طَمِعوا فيه فطلبوه وجعل يُطمعهم في نفسه ويعدو عدوًا خفيفاً يقرُب فيه ويسألهم تخفيف الفِدية وإعطاءه الأمان حتى يستأسر لهم وهم يُجيبونه الى ذلك ويطلبونهُ وهو يحضر إحضارًا خفيفاً ولا يتباعد . حتى علا قلعة اشرف منها على صاحبيه فاذا هما قد نجَوا . ففطِنت لهما بجيلة فأدركتهما طلباً . ففاتاهم . فقال : يا معشر بجيلة أأعجبكم عدوُ ابن براق اليوم والله لاعدونَّ لكم عدوًا أُنسِيكم به عدوَه . ثم عدا عدوًا شديداً ومضى . وذلك قولهُ : « يا عيدُ ما لك من شوقٍ وايراقِ »

(قالوا) وكان من حديثه انهُ خرج غازياً يريد بجيلة هو ورجل معهُ وهو يريد ان يغترَّهم فيصيب حاجتهُ . فاتى ناحية منهم فقتل رجلًا ثم استاق غنماً كثيرة . فنذِروا به فتبعه بعضهم على خيل وبعضهم رجَّالة وهم كثير . فلما رآهم وكان من أبصر الناس عرف وجوههم . فقال لصاحبه : هؤلاء قوم قد عرفتهم ولن يفارقونا اليوم حتى يقاتلونا ويظفَروا بحاجتهم . فجعل صاحبه ينظر فيقول : ما أتبيَّن احدًا . حتى اذا دهموهما قال لصاحبه : اشتدَّ فاني سأمنعك ما دام في يدي سهم . فاشتدّ الرجل ولقيهم تأبط شرًّا وجعل يرميهم حتى نفِدت نَبْله . ثم انهُ اشتدّ فرَّ بصاحبه . فلم يُطِق شدَّه . فقُتل صاحبه وهو ابن عمّ لزوجته . فلما رجع تأبط شرًّا وليس صاحبه معهُ عرفوا انهُ قد قُتل . فقالت لهُ امرأته : تركتَ صاحبك وجئت متباطئاً . فقال تأبط شرًّا في ذلك :

الا تلكما عرسي منيعة ضمّنت ... من الله اثماً مستسرًّا وعالنا
تقول تركتَ صاحباً لك ضائعاً ... وجئتَ الينا فارقاً متباطئا

اذا ما تركتُ صاحبي لثـلاثة او اثنين مثلَينا فلا أُبتُ آمنا
وما كنت أبّاءً على الخِلّ اذ دعا ولا المرءُ يدعوني ممرًّا مُداهنا

قال الاثرم: قال ابو عمرو في هذه الرواية: وخرج تابط شرًا يريد ان يغزو هُذَيلًا في رهط. فنزل على الاجلِ بن فنضل رجل من بَجيلة وكان بينهما حِلف. فانزلهم ورحّب بهم. ثم انهُ ابتغى لهم الذراريح (١ ليسقيهم فيستريح منهم. ففطن لهُ تابط شرًا فقام الى اصحابه فقال: اني احب ان لا يعلم انّا قد فطِنّا لهُ. سأُبوه حتى نحلف ان لا ناكل من طعامه ثم أغترُّه فأقتله لانه ان علم حذِرَني. وقد كان مالأَ ابن فنضل رجل منهم يقال لهُ لكيز فثلب فيهم اخاه فاعتلّ عليه وعلى اصحابه فسبُّوهُ وحلفوا ان لا يذوقوا من طعامه ولا من شرابه. ثم خرج في وجهه وأَخذ في بطن واد فيه النمور وهي لا يكاد يسلم منها احد. والعرب تسمي النِمر ذا اللونين وبعضهم يسميها السَّبَنْتى. فنزل في بطنه وقال لاصحابه: انطلقوا جميعاً فتصيَّدوا فهذا الوادي كثير الأَروى. فخرجوا وصادوا وتركوه في بطن الوادي فجاءوا فوجدوه قد قتل نمرًا وحده وغزا هذيلًا فغنِم واصاب. فقال تابط شرًا في ذلك:

اقسمتُ لا انسى وان طال عيشنا صنيعَ لكيزٍ والاجلّ بن فنضلِ
نزلنا بهِ يوماً فساء صباحنا فانك عمري قد ترى ايّ منزلِ
بكى اذ رآنا نازلين ببابهِ وكيف بكاء ذي القليل المعيّلِ

وقال ايضاً في هذه الرواية: كان تابط شرًا يشتار عسلًا في غار من بلاد هُذَيل يأتيهِ كل عام وان هذيلًا ذكرتهُ فرصدوهُ لأبان ذاك حتى اذا

١) الذراريح نوع من الذُّباب هو سمّ قاتل

جاء هو واصحابه تدلّى فدخل الغار وقد أغاروا عليهم فأنفروهم فسبقوهم ووقفوا على الغار فحرّكوا الحبل فاطلع تابط شرًّا راسهُ . فقالوا : اصعد . فقال : ألا اراكم . قالوا : بلى . قد رأيتنا . فقال : فعلامَ اصعد أعلى الطَّلاقة ام الفِداء . قالوا : لا شرط لك . قال : فاراكم قاتليّ وآكلي جَناي . لا والله لا افعل . (قال) وكان قبل ذلك نقب في الغار نقباً اعدَّهُ للهرب . (قال) فجعل يُسيل العسل من الغار ويُهريقهُ . ثم عمد الى الزقّ فشدَّه الى صدره ثم لصق بالعسل فلم يبرح يتزلّق عليهِ حتى خرج سليماً وفاتهم وبين موضعه الذي وقع فيهِ وبين القوم مسيرة ثلاث . فقال تابط شرًّا في ذلك :

اقول للحيانِ وقد صفِرت لهم ... وطابي ويومي ضيّق الحجر مُعورُ(١
لكم خَصلة إما فِداء ومِنَّة ... واما دمٌ والقتلُ بالحرّ اجدرُ
وأُخرى اصادي (٢ النفس عنها وانها ... لَموردُ حزمٍ ان ظفِرت ومصدرُ
فرَشْتُ لها صدري فزلَّ عن الصَّفا ... بهِ جؤجؤ صُلبٌ ومتن مخصَّرُ(٣
فخالط سهل الارض لم يكدَح الصَّفا ... بهِ كدحةً والموتُ خزيانُ ينظرُ
فأُبتُ الى فهمٍ (٤ وما كنت آئباً ... وكم مثلها فارقتها وهي تصفرُ
اذا المرءُ لم يحتَلْ وقد جدَّ جدُّهُ ... أضاع وقاسى امرهُ وهو مدبرُ
ولكن اخو الحزم الذي ليس نازلًا ... بهِ الامر الّا وهو للحزم مُبصرُ

---

١) لحيان بطن من هذيل . والحجر الناحية . ومعور اي بدت عورته وهي موضع المخافة ٢) المصاداة ادارة الرأي في تدبير الشيء

٣) الجؤجؤ الصدر . مخصّر دقيق ٤) فهم قبيلة تابّط شرًّا

فذاكَ قَريعُ الدهرِ ما كانَ حُوَّلٌ اذا سُدَّ منهُ مِنخرٌ جاشَ منخرُ (١
فانكَ لو قايستَ بالصبرِ حيلتي بلاحيانَ لم يقصر بيَ الدهرُ مقصرُ

وقال ايضاً في حديث تابط شرًّا انهُ خرج في عدَّة من فهم فيهم عامر ابن الاخنس والشنفرى والمسيَّب وعمرو بن برَّاق ومرَّة بن خليف حتى بيَّتوا العوص وهم حيٌّ من بجيلة فقتلوا منهم نفرًا واخذوا لهم ابلًا فساقوها حتى كانوا من بلادهم على يوم وليلة فاعترضت لهم خثعم وفيهم ابن حاجز وهو رئيس القوم وهم يومئذٍ نحو من اربعين رجلًا. فلما نظرت اليهم صعاليكُ فهمٍ قالوا لعامر بن الاخنس: ماذا ترى. قال: لا ارى لكم الَّا صدق الضراب فان قتلتم كنتم قد اخذتم ثأركم. قال تابط شرًّا: بأَبي انت وامي فنعم رئيس القوم انت اذا جدَّ الجدُّ واذا كان قد اجمع رأيكم على هذا فاني ارى لكم ان تحملوا على القوم حملة واحدة فانكم قليل والقوم كثير ومتى افترقتم كثركم القومُ. فحملوا عليهم فقتلوا في حملتهم. فحملوا ثانية فانهزمت خثعم وتفرَّقت. واقبل ابن حاجز فأَسند في الجبل (٢ فاعجز. فقال تابط شرًّا في ذلك:

جزى الله فتياناً على العوص امطرت سماؤهم تحت العجاجة بالدمِ
وقد لاح ضوءُ الفجر عرضاً كانهُ بلمحتهِ أقرابُ أبلقَ أدهمِ
فانَّ شفاءَ الداء إدراكُ ذحلهِ صياحٌ على آثار حَوْمٍ عرمرمِ
وضاربتهم بالسفح اذ عارَضتْهمُ قبائل من ابناء قسرٍ وخثعمِ

---

١) قريع الدهر الذي قرَّعهُ الدهر بنوائبه حتى جرَّب وتدبَّر. حوَّل بصير بتحويل الامور. جاش تحرك واضطرب. هذا مثل للمكروب المضيَّق عليه والمعنى لا يؤخذ عليه طريق الَّا نفذ من طريق اخرى ٢) اسند في الجبل رَقي

ضراباً عدا منهُ ابن حاجزَ هارباً ذرا الصخر في جدر الوجين المرمَّم (١

وقال الشنفرى في ذلك:

دعيني وقولي بعد ما شئت انني سيُغدَى بنعشي مرَّةً فأُغيَّبُ
خرجنا فلم نعهد وقلَّت وصاتنا ثمانية ما بعدها متعتبُ
سراحين (٢ فتيان كأنَّ وجوههم مصابيح او لونٌ من الماء مُذهَبُ
نمرّ برهو الماء صفحاً وقد طوت ثمانيا والزادُ ظنٌّ مُغيَّبُ
ثلاثاً على الاقدام حتى سما بنا على العوص شعشاع من القوم محربُ
فثاروا الينا في السواد فهجهجوا وصوّت فينا بالصباح المثوّبُ
فشنَّ عليهم هزَّة السيف ثابتٌ وصمَّم فيهم بالحسام المسيَّبُ
وظِلتُ بفتيانٍ معي أتقيهمُ بهنَّ قليلاً ساعةً ثم خيّبوا
وقد خرَّ منهم راجلان وفارسٌ كميٌّ صرعناه وحَوم (٣ مسلَّبُ
يشنُّ اليه كل ريعٍ وقلعة ثمانية والقوم رَحل ومقنبُ
فلما رآنا قومنا قيل أفلحوا فقلنا اسألوا عن قائل لا يُكذَّبُ

مقتل عمرو ذي الكلب

هو عمرو بن العجلان. قال ابن الاعرابي: انهُ سُمّي ذا الكلب لانهُ كان لهُ كلب لا يفارقه. وعن الاثرم عن ابي عبيدة انهُ قال: لم يكن

---

١) عدا ذُرى الصخر اي تجاوز ذروة الجبل . والجدر والجدار واحد . والوجين الارض الغليظة الصلبة . ورمَّم بالمكان اقام بهِ . يشير الى صنيع ابن حاجز اذ اسندَ في الجبل

٢) سراحين جمع سرحان وهو الذئب والاسد

٣) في الاصل « الحوم » بالخاء المعجمة . الحوم الابل الكثيرة

لهُ كلب لا يفارقه . انما خرج غازياً ومعهُ كلب يصطاد بهِ . فقال لهُ اصحابه : يا ذا الكلب . فثبتت عليهِ . (قال) ومن الناس من يقول لهُ عمرو الكلب ولا يقول فيهِ ذو . (قال) وكان يغزو بني فهم غزواً متصلاً . فنام ليلة في بعض غزواتهِ فوثب عليهِ نمرانِ فأكلاه . فادَّعت فهم قتلهُ . هكذا في هذه الرواية . واخبر كثير من الرواة قالوا : كان من حديث عمرو ذي الكلب الهُذَلي وكان من رجالهم ان اناساً كانوا قد وجدوا عليهِ وطلبوا دمه الى ان جاءهم عاماً من ذلك فنَذِروا بهِ فخرجوا في اثره . وخرج هارباً منهم . فتبعوه يومهم ذلك وهم على اثره حتى امسى وهاجت عليهِ ريح شديدة في ليلة ظلماء . فبينما هو يسير على ظهر الطريق اذ رأى ناراً عن يمينه فقال : أخطأتُ والله الطريقَ وان النار لعلى الطريق . فحار وشكَّ وقصد للنار حتى اتاها وقد كان يصيح . فاذا رجل قد أوقد ناراً ليس معهُ احد . فقال لهُ عمرو ذو الكلب : من أنت . قال : انا رجل من عدوان . قال : فما اسم هذا المكان . قال : السدّ . فعلم انهُ قد هلك وأخطأ . والسدّ شيءٌ لا يُجاوَز . قال : ويلكَ فلمَ أوقدت فوالله ما تشرب ولا تصطلي . وما أوقدتَ الَّا لمنيَّة عمرو الشقي . هل عندك شيءٌ تُطعِمني . قال : نعم . فأخرج لهُ تمرات قد نقَّاها في يده . فلما رآها قال : تمرات تتبعها عبرات من نساء خَفِرات . ثم قال : اسقني . قال : ماذا ألبناً . قال : لا ولكن اسقني ماء قَراحاً . فاني مقتول صباحاً . ثم انطلق فأسند في السدّ . ورأى القومُ الذين جاءوا في طلبه اثرَهُ حيث اخطأ . فاتبعوه حتى وجدوه فدخل غاراً في السدّ . فلما ظهروا للسدّ علموا انهُ في الغار . فنادوه فقالوا : يا عمرو . قال : ما تشاءون . قالوا : اخرُج . قال :

فلمّ دخلتُ اذن . قالوا : بلى فاخرُج . قال : لا اخرج . قالوا . فانشدنا قولك :

ومَقعَدِ كُربةٍ قد كنتُ فيها مكانَ الاصبعينِ من القبالِ(١

قال : ها هي ذه انا فيها . (قالَ) وعنَّ لهُ رجل من القوم فرماه عمرو فقتلهُ . فقالوا : أقتلتهُ يا عدوّ الله . فقال : أجل ولقد بقيت معي اربعة اسهم كانها انياب امّ جليحة (٢ لا تصلون اليَّ او أقتل بكلّ سهم منها رجلًا منكم . فقالوا لعبدهم : يا ابا نجاد ادخل عليه وأنت حرّ . فتهيأ للدخول ابو نجاد . فقال لهُ عمرو : ويلك يا ابا نجاد ما ينفعك ان تكون حرًّا اذا قتلتك . فنكصوا عنهُ . فلما رأوا ذلك صعدوا فنقبوا عليهِ ثم رموه حتى قتلوه واخذوا سلَبه فرجعوا بهِ الى امّ جليحة وهي تشوَّفُ (٣ . فلما رأوها قالوا لها : يا امَّ جليحة ما رأيكِ في عمرو . قالت : رأيي والله انكم طلبتموه سريعاً . ووجدتموهُ تبيعاً . ووضعتموهُ صريعاً . فقالوا : والله لقد قتلناه . فقالت : والله ما اراكم قد فعلتم ولئن كنتم فعلتم لربَّ ثديي منكم قد افترشه . وضبٍّ قد احترشه (٤ فطرحوا اليها ثيابه فاخذتها فقالت : ريح عطر وثوب عمرو . اما والله ما وجدتموه ذا حجزةٍ جافية . ولا ضالّة كافية . وقالت ريطة اخت عمرو ذي الكلب ترثيه :

كل امرئٍ لِمحال الدهر (٥ مكذوبُ وكلُّ مَن غالبَ الايامَ مغلوبُ

---

١) القبال زمام النعل ٢) امّ حُليحة امرأة كان ينسب بها

٣) تشوَّفُ تتزيَّن ٤) احترشه اصطاده والاحتراش في الاصل أن يحرّك الصيّاد يده على حجر الضب ليظنّه حيّة فيخرج ذنبَه ليضربها فيأخذه

٥) محال الدهر كيده

وكل حيّ وان عزّوا وان سلموا يوماً طريقهمُ في الشرّ دُعبوبُ(١
أبلغْ هُذيلًا وابلغ من يُبلّغها عني رسولًا وبعضُ الغيّ تكذيبُ
بانّ ذا الكلب عمرًا خيرَهم نسَباً ببطنِ شِريانَ يعوي حولهُ الذيبُ
الطاعنُ الطعنةَ النجلاءَ يتبعها مُثعنجِرٌ من نجيع الجوف أسكوبُ(٢
والتاركُ القِرنَ مُصفرًّا انامِلهُ كانهُ من رجيع الجوف مخضوبُ
تمشي النسورُ اليهِ وهي لاهيةٌ(٣ مَشيَ العذارى عليهنّ الجلابيبُ
والمُخرِجُ العاتقَ العذراءَ مُذعِنةً في السبي ينفحُ من أردانها الطيبُ

الخنساء وهند بنت عُتْبَة

حدث عبد الرحمن بن ابي الزناد قال : لمّا كانت وقعة بدر قُتل فيها عُتْبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة . فأقبلت هند بنت عتبة ترثيهم . وبلغها تسويم الخنساء هَودجها في المَوسِم ومعاظمتها العرب بمصيبتها بأبيها عمرو بن الشريد واخويها صخر ومعاوية وانها جعلت تشهد الموسم وتبكيهم وقد سوّمت هودجها براية وانها تقول : انا اعظم العرب مصيبةً . وان العرب قد عرفت لها بعض ذلك . فلما أُصيبت هند بما اصيبت وبلغها ذلك قالت : انا اعظم من الخنساء مصيبة . وأمرت بهودجها فسُوّم براية وشهدت الموسم بعكاظ وكانت سوقاً يجتمع فيها العرب فقالت : اقرنوا جملي بجمل الخنساء . ففعلوا . فلما أن دنت منها قالت لها الخنساء : من أنتِ يا أُخيّة . قالت : انا هند بنت عتبة اعظم العرب

---

١) دعبوب طريق مذلّل موطوء واضح يسلكه الناس ٢) مثعنجر يسيل يتبع بعضه بعضاً . اسكوب دائم الهطلان جارٍ ساكب ٣) لاهية لاتها آمنة منه

مصيبة . وقد بلغني انكِ تعاظمين العرب بمصيبتكِ فبمَ تعاظمينهم . فقالت الخنساء : بعمرو بن الشريد وصخر ومعاوية ابني عمرو . وبمَ تعاظمينهم انتِ . قالت : بأبي عتبة بن ابي ربيعة وعمّي شيبة بن ربيعة واخي الوليد . قالت الخنساء : او سواء هم عندك . ثم انشدت تقول :

ابكي أبي عمرًا بعينٍ غزيرةٍ ... قليلٌ اذا نامَ الخليُّ هُجودُها
وصِنْوَيَّ لا انسى معاوية الذي ... لهُ من سَراة الحَرّتين وُفودُها
وصخرًا ومَن ذا مثلُ صخرٍ اذا غدا ... بسلهبةِ الابطالِ قبًّا يقودُها
فذلك يا هندُ الرزيّةُ فاعلمي ... ونيرانُ حربٍ حين شُبَّ وَقودُها

فقالت هند تجيبها :

أبكي عميدَ الابطحينِ كليهما ... وحاميها من كل باغٍ يريدها
أبي عتبةُ الخيراتِ ويحكِ فاعلمي ... وشيبةُ والحامي الذمار وليدها
اولئك آل المجد من آل غالبٍ ... وفي العِزّ منها حين يُنمى عديدها

وقالت لها ايضاً يومئذٍ :

من حسّ لي الاخوين م كالغصنين او من راهما
قَرْمان لا يتظالما نِ ولا يُرام حِماهما
ويلي على ابويَّ والقبر م الذي واراهما
لا مثل كهلي في الكهو لِ ولا فتًى كفتاهما
أَسدانِ لا يتذلّلا نِ ولا يرام حماهما
رمحينِ خطّيينِ في كبد السماء تراهما
ما خلّفا اذ ودّعا في سؤددٍ شَرْواهما
سادا بغير تكلّفٍ عفوًا يَفيضُ نَداهما

حسان بن ثابت وعمرو بن الحرث

قال ابو عمرو الشيباني: قال حسان بن ثابت: قدمتُ على عمرو بن الحرث فاعتاص الوصول عليّ اليهِ فقلت للحاجب بعد مدة: ان أذِنت لي عليه والّا هجوت اليمن كلها ثم انقلبتُ عنكم. فأذن لي. فدخلتُ عليهِ فوجدت عنده النابغة وهو جالس عن يمينه وعَلقَمَة بن عَبَدة وهو جالس عن يساره. فقال لي: يا بن الفُرَيْعة قد عرفت عِيصك (١ ونسَبك في غسّان فارجع فاني باعث اليك بصلة سنية ولا احتاج الى الشعر فاني اخاف عليك هذين السبعين النابغة وعلقمة ان يفضحاك وفضيحتك فضيحتي وانت والله لا تُحسِن ان تقول:

رِقاق النعالِ طيّبٌ حُجزاتهم يُحيَّون بالريحانِ يومَ السباسبِ

فأبيتُ وقلت: لا بدّ منهُ. فقال: ذاك الى عمّيك. فقلت لهما: بحقّ الملك الّا قدّمتماني عليكما. فقالا: قد فعلنا. فقال عمرو بن الحرث: هاتِ يا ابن الفُريعة. فانشأت:

أسألتَ رسمَ الدار ام لم تسألِ بين الجوابي فالبضيع فحَوْمَلِ
للهِ دَرُّ عِصابةٍ نادمتها يوماً بجلّقَ (٢ في الزمان الاوّلِ
اولادُ جَفنةَ عند قبر ابيهم قبر ابنِ مارية (٣ الكريم المفضلِ
يَسقونَ مَن وردَ البريصَ عليهم كأساً (٤ يُصفَّق بالرّحيق السَّلسَلِ

---

١) العيص الاصل ٢) جلّق اسم مدينة دمشق ٣) مارية بنت ظالم الكندية امّ الحرث الاعرج. وهي ذات القرطين اللذين يضرب بهما المثل فيقال لما يغلى بهِ الثمن بقرطي مارية. واختها هند الهنود امرأة حجر آكل المرار

٤) يروى « بردى » عوض « كأساً » يريد ماء نهر بردى. والبريص

يُغشَون حتى ما تهرّ كلابهم لا يسألون عن السواد المُقبِـل
بيض الوجوه كريمةٌ احسابهم شُمُّ الانوف من الطّراز الاول

(فقال) فلم يزل عمرو بن الحرث يزحل عن موضعه سروراً حتى شاطر البيت . وهو يقول : هذا وأبيكَ الشعرُ لا ما يعلّلاني بهِ منذ اليوم . هذه والله البتّاتة التي قد بترت المدائح . احسنت يا ابن الفريعة . هات لهُ يا غلام الف دينار مرجوحة (١ . فأُعطيتُ ذلك . ثم قال : لك عليَّ في كل سنة مثلها . ثم أقبل على النابغة فقال : قم يا زياد فهات الثناء المسجوع . فقام النابغة فقال : الا أنعَم صباحاً ايها الملك المبارك . السماء غطاؤك . والارض وَطاؤك . ووالداي فداؤك . والعرب وَقاؤك . والعجم حماؤك . والحكماء جُلساؤك . والمَدارِه سُمّارك . والمَقاوِل إخوانك . والعقل شِعارك . والحِلم دِثارك . والسكينة مِهادك . والوَقار غِشاؤك . والبِرّ وِسادك . والصدق رِداؤك . واليُمن حِذاؤك . والسَّخـاء ظِهارتك . والحمية بِطانتك . والعَلاء غايتك . واكرم الأحياء أحياؤك . وأشرف الأجداد اجدادك . وخير الآباء آباؤك . وأفضل الاعمام اعمامك . واسرى الاخوال اخوالك . وأعفُّ النساء حلائلك . وأفخر الشُّبّان أبناؤك . وأطهر الامّهات امّهاتك . وأعلى البُنيان بنيانك . وأعذب المياه امواهك . وافيح الدارات داراتك . وانزه الحدائق حدائقك . وأرفع اللِّباس لباسك . قد حالف الإضريج (٢ عاتقَك . ولاءَم المِسك مَسكك . وجاور العنبر ترائبك . وصاحبَ النعيمُ جسدك . العسجد آنيتك . واللُّجَين صِحافك . والعَصْب

اسم غوطة دمشق ١) مرجوحة هي التي في كل دينار عشرة دنانير
٢) الاضريج الخزّ

مَناديلك . والحوّارى طعامك . والشهد إدامك . والخرطوم شرابك . والاشراف مَناصِفك (١ . والخير بفِنائك . والشرّ بساحة اعدائك . والنصر مَنُوط بلِوائك . والخِذلان مع ألوية حُسّادك . والبِرّ فِعلك . قد طحطح عدوَّك غضبُك . وهزم مقانبهم مشهدك . وسار في الناس عدلك . وشسع بالنصر ذِكرك . وسكّن قوارعُ الاعداء ظفَرُك . الذهب عطاؤك . والدواة رمزك . والاوراق لحظك . والغنى إطراقك . والف دينار مرجوحة ايماؤك . أيفاخرك المنذر اللخمي . فوالله لَقفاك خيرٌ من وجهِهِ ولَشِمالك خير من يمينه . ولأَخمُصُك خير من رأسه . ولَخطأُك خير من صوابه . ولَصمتك خير من كلامه . ولأُمك خير من ابيه . ولخدمك خير من قومه . فهب لي أسارى قومي واستَرْهن بذلك شكري . فانك من اشراف قحطان . وانا من سروات عَدنان . فرفع عمرو رأسهُ الى جارية كانت قائمة على رأسه وقال : بمثل هذا فليُثنَ على الملوك ومثل ابن الفريعة فليمدحهم . وأطلق لهُ اسرى قومه . وذكر ابن الكلبي هذه القصة نحو هذا وقال : فقال لهُ عمرو : اجعل المفاضلة بيني وبين المنذر شعرًا فانهُ أَسيَر . فقال :

ونُبئت انَّ ابا منـذرٍ يُساميك للحدَث الاكبرِ
فَذالك احسنُ من وجههِ وأُمك خـير من المنذرِ
ويُسراك اجود من كفهِ م اليمين فقُولا لهُ أَخّرِ

حسّان بن ثابت والنّابغة عند النعمان

قال حسان بن ثابت : قدمت على النعمان بن المنذر وقد امتدحتهُ .

---

١) جمع مِنصَف اي الخادم

فأتيت حاجبهُ عِصام بن شهبرة فجلست اليهِ . فقال : اني لأَرى عربياً أَفمن الحجاز انت . قلت : نعم . قال : فكن قحطانيًّا . قلت : فانا قحطاني . قال . فكن يَثْرِبيًّا . قلت : فانا يثربي . قال : فكن خزرجيًّا . قلت : فانا خزرجي . قال : فكن حسان بن ثابت . قلت : فانا هو . قال : أَجئت بمِدحة الملك . قلت : نعم . قال : فاني ارشدك اذا دخلت عليهِ فانهُ يسألك عن جَبَلَة بن الايهم ويسبُّهُ فاياك ان تساعدهُ على ذلك ولكن أَمِرّ ذكرَه إمرارًا لا توافق فيه ولا تخالف وقل : ما دُخول مثلي ايها الملك بينك وبين جبلة وهو منك وانت منهُ . وان دعاك الى الطعام فلا تؤَاكلهُ فان اقسم عليك فأَصب منهُ اليسير إصابةَ بارٍّ قسمَهُ مستشرف بمؤَاكلته لا اكلَ جائعٍ سَغِب . ولا تُطِل محادثتهُ ولا تبدأْهُ باخبار عن شيْ حتى يكون هو السائل لك . ولا تُطِل الاقامة في مجلسهِ . فقلت : أَحسن الله رِفدك قد اوصيت واعياً . ودخل . ثم خرج اليَّ فقال لي : ادخُل . فدخلت فسلمت وحيَّيت تحية الملوك . فجاراني من امر جبلة ما قالهُ عصام كانَّهُ كان حاضرًا وأَجبت بما امرني . ثم استأذنتهُ في الانشاد فأَذن لي فانشدتهُ . ثم دعا بالطعام ففعلت ما امرني عصام به وبالشراب ففعلت مثل ذلك . فأَمر لي بجائزة سنية وخرجت . فقال لي عصام : بقيتْ عليَّ واحدة لم أُوصِك بها . قد بلغني ان النابغة الذبياني قدم عليه واذا قدم فليس لأَحد منه حظّ سواه فاستأذن حينئذٍ وانصرف مكرَّماً خير من ان تنصرف مَجفوًّا . فأَقمت ببابه شهرًا . ثم قدم عليه الغزاريان وكان بينهما دُخلُل (١ وكان معهما النابغة قد استجار بهما وسألهما مسألة النعمان أَن يرضى عنه .

---

١) دخلل اي خاصّة

فضرب عليها قبة من أدم ولم يشعر بانّ النابغة معها

وقال ابو زيد عمر بن شبة في خبره : لما صار معهما الى النعمان كان يرسل اليهما بطيب وألطاف مع قينة من إمائه . فكانا يأمرانها ان تبدأ بالنابغة قبلهما . فذكرت ذلك للنعمان فعلم انهُ النابغة . ثم ألقى عليها شعرهُ « يا دارَ ميَّةَ بالعَلياء فالسنَدِ » وسألها ان تغنّيهُ به اذا اخذت فيه الخمر . ففعلت . فاطربتهُ . فقال : هذا شعر علويّ هذا شعر النابغة . (قال) ثم خرج في غِبّ سماء (١ . فعارضهُ الفزاريّان والنابغة بينهما قد خُضِب بحنّاء . فأقنأ خضابه . فلما رآه النعمان قال . هي بدم كانت أحرى ان تُخضب . فقال الفزاريان : أبيتَ اللعن لا تثريب قد اجرناه والعفو أجمل . فأمّنهُ واستنشدهُ أشعاره . فعند ذلك قال حسان بن ثابت : فحسدتهُ على ثلاث لا ادري على أيّتهنّ كنت لهُ اشدَّ حسدًا على إدناء النعمان لهُ بعد المباعدة ومسامرته لهُ وإصغائه اليه أم على جودة شعره ام على مائة بعير من عصافيره امر لهُ بها

قال أبو عبيدة : قيل لأبي عمرو : أفَمِن مخافته امتدحهُ وأتاه بعدَ هربهِ منه أم لغير ذلك . فقال : لا لعمرُ الله ما لمخافته فعل إن كان لآمناً من ان يوجّه النعمان لهُ جيشاً وما كانت عشيرته لتُسلمهُ لاوّل وهلة . ولكنه رغب في عطاياه وعصافيره . وكان النابغة ياكل ويشرب في آنية الفضة والذهب من عطايا النعمان وأبيه وجدّه لا يستعمل غير ذلك . وقيل ان السبب في رجوعه الى النعمان بعد هربه منه انهُ بلغهُ انهُ عليل لا يُرجى فأقلقهُ ذلك ولم يملك الصبرَ على البعد عنهُ مع علّته وما خافهُ

---

١) غبّ سماء اي بعد ان امطرت السماء

عليه وأشفق من حدوثه به . فصار اليه وألفاه محموماً على سريره يُنقَّل ما بين الغَمر وقصور الحيرة . فقال لعِصام بن شَهبرة حاجبه فيما اخبرنا به اليزيديّ :

أَلم أقسم عليــك لتخبرنّي ... أَمحمول على النعش الهمامُ (١
فاني لا الومك في دخولي (٢ ... ولكن ما وراءك يا عصامُ
فان يَهْلَكْ ابو قابوس يهلك ... ربيعُ الناس والشهر الحرامُ (٣
ويُمسَك بعــده بذِناب عيشٍ ... اجبَّ (٤ الظهرِ ليس لهُ سَنامُ

حسَّان بن ثابت وقيس بن الخَطِيم

حدّث عبدالله بن الحرث قال : شرب حسان بن ثابت يوماً مع سلام بن مشكم وكان له نديماً معهم كعب بن اسد وعبد الله بن أُبيّ وقيس بن الخطيم . فاسرع الشراب فيهم وكانوا في موادعة وقد وضعت الحربُ أوزارها بينهم . فقال قيس بن الخطيم لحسَّان : تعالَ أُشاربك . فتشاربا في اناء عظيم فأبقى من الاناء شيئاً . فقال له قيس : اشرب به . فقال حسان وعرف الشرَّ في وجهه : او خيرًا من ذلك اجعل لك الغلبة . قال :

---

١) قال ابو عبيدة : كانت ملوك العرب اذا مرض احدهم حملتهُ الرجال على اكتافها يتعاقبونهُ فيكون كذلك على اكتاف الرجال لانهُ عندهم اوطأ من الارض

٢) اي لا الومك في ترك الاذن لي في الدخول ولكن اخبرني بكنه امره

٣) يريد انهُ كالربيع في الخصب لمجتديهِ وكالشهر الحرام لجاره لا يوصل الى من اجاره كما لا يوصل في الشهر الحرام الى احد

٤) اجبّ مقطوع السنام

لا الّا ان تشربه . فأبى حسان . وقال لهُ سلام بن مشكم : يا ابا يزيد لا تُكرههُ على ما لا يشتهي . انما دعوته لاكرامه ولم تدعُهُ لتستخفّ به و تُسيئ مجالسته . فقال لهُ قيس : أفتدعوني انت على ان تسيئ مجالستي . فقال له سلام : ما في هذا سوءُ مجالسة وما حملت عليك الّا لانك مني واني حليفك وليست عليك غَضاضة في هذا وهذا رجل من الخزرج قد اكرمته وادخلته منزلي فيجب ان تُكرِم لي من اكرمته . ولعمري ان في الصحو لما تكتفون به من حروبكم . فافترقوا وآلى سلام بن مشكم على نفسه ان لا يشرب سنة وقد بلغ هذا من نديمه وكان كريماً

حُجر آكل المُرار وزياد بن الهَبُولة

هو حجر بن عمرو بن معاوية . اخبر الشرقي بن القطاميّ قال : اقبل تبّع ايامَ سار الى العراق فنزل بأرض معدّ فاستعمل عليهم حجر بن عمرو وهو آكل المرار . فلم يزل ملكاً حتى خرُف . وله من الولد عمرو ومعاوية وهو الجون . ثم ان زياد بن الهَبولة اغار عليه وهو ملك في ربيعة ابن نزار ومنزلهُ بغمر ذي كندة . وكان قد غزا بربيعة البحرين فبلغ زيادًا غزاته فاقبل حتى اغار في مملكة حجر فاخذ مالًا كثيرًا وسبى امرأة حجر وهي هند ابنة ظالم واخذ نسوة من نساء بكر بن وائل . فلما بلغ حجرًا وبكر بن وائل مَغارهُ وما اخذ اقبلوا معه ومعه يومئذٍ اشراف بكر بن وائل . فتعجّل عمرو بن معاوية وعوف بن محلّم وقالا لحجر : انا متعجلان الى الرجل لعلّنا نأخذ منه بعض ما اصاب منّا . فلقياه

دون عين أُباغ فكلمهُ عوف بن محلم وقال : يا خير الفتيان اردُد عليَّ ما اخذته مني . فاعطاه اياه . وكلَّمه عمرو بن معاوية في فحل ابلهِ . فقال : خذهُ . فاخذهُ عمرو . وكان قويًّا فجعل الفحل ينزع الى الابل فاعتقلهُ عمرو فصرعه . فقال له ابن الهبولة : اما والله يا بني شيبان لو كنتم تعتقلون الرجال كما تعتقلون الابل لكنتم انتم انتم . فقال عمرو : اما والله لقد وهبتَ قليلًا وشتمتَ جليلًا ولقد جررتَ على نفسك شرًّا ولَتجدُني عند ما ساءَك . ثم ركض حتى صار الى حجر فاخبرهُ الخبر . فاقبل حجر في اصحابه حتى اذا كان بمكان يقال له الحفير بالبرّ وهو دون عين أُباغ بعث سدوساً وصليعاً يتجسَّسان لهُ الخبر ويَعلَمان له عِلمَ العسكر . فخرجا حتى هجما على عسكره وقد اوقد نارًا ونادى منادٍ له : من جاء بحزمة من حطب فله قِدرة من تمر (١) . وكان ابن الهبولة قد اصاب في عسكر حجر تمرًا كثيرًا . فضرب قِبابه واجَّج ناره ونثر التمر بين يديه فمن جاء بحطب اعطاهُ تمرًا . فاحتطب سدوس وصليع ثم اتيا بهِ ابن الهبولة فطرحاه بين يديه . فناولهما من التمر . وجلسا قريباً من القبَّة . فاما صليع فقال : هذه آية وعَلِم ما يريد فانصرف الى حجر فاعلمه بعسكره واراه التمر . واما سدوس فقال : لا ابرح حتى آتيه بأمر جليّ . فلما ذهب هَزيع من الليل اقبل ناس من اصحابه يحرسونه وقد تفرَّق اهل العسكر في كل ناحية . فضرب سدوس بيدهِ الى جليس له فقال لهُ : من انت . مخافة ان يستنكر . فقال : انا فلان بن فلان . قال : نعم . ودنا سدوس من القبة فكان حيث يسمع الكلام . فسمع ابن الهبولة يقول لهند فيما

---

١) قدرة من تمر اي كعب من تمر

يقول : ما ظنُّكِ الآن بحجر . قالت : ظنّي به والله انه لن يدع طلبك حتى يطالع القصور الحمر وكأني انظر اليه في فوارس من بني شيبان يذُمرهم ويذمرونه . وهو شديد الكلَب سريع الطلَب يُزبد شِدقاه كانه بعير آكل مرار (١ . فسمّي حجرًا آكلَ المرار يومئذٍ (٢ (قال) فرفع يدهُ فلطمها ثم قال : ما قلتِ هذا الّا من عجبكِ به وحبّك له . فقالت : والله ما ابغضت ذا نسمة قط بغضي له ولا رأيت رجلًا قط احزم منه نائمًا ومستيقظاً . إن كان لَتنامُ عيناه وبعضُ اعضائه حيّ لا ينام . وكان اذا اراد النوم امرني ان اجعل عندهُ عُسًّا (٣ مملوًّا لبناً . فبينا هو ذات ليلة نائم وانا قريبة منه انظر اليه اذ اقبل اسود سالخ (٤ الى رأسه . فتنحّى رأسه . فمال الى يديه واحداهما مقبوضة والاخرى مبسوطة فاهوى اليها فقبضها . فمال الى رجليه وقد قبض واحدة وبسط الاخرى فاهوى اليها فقبضها . فمال الى العسّ شربهُ ثم مجّهُ . فقلت : يستيقظ فيشرب فيموت فاستريح منه . فانتبه من نومه فقال : عليَّ بالاناء . فناولته . فشمّه

---

١) المرار شجر مُرّ اذا اكلته الابل قلّصت عنه مشافرها

٢) وقد رُوي ان حجرًا ليس بآكل المرار وانما ابوهُ الحرث آكل المرار . وروي ايضاً انهُ انما سمي آكل المرار لان سدوساً لما اتاهُ بخبر ابن الهبولة وحدّثهُ بقول هند وقوله فحمل يسمع ذلك وهو يعث بالمرار وهو نبت شديد المرارة وكان جالساً في موضع فيهِ منهُ شيء كثير فجعل يأكل من ذلك المرار غضباً وهو يسمع من سدوس ولا يعلم انهُ ياكلهُ من شدة الغضب حتى انتهى سدوس الى آخر الحديث فعلم حينئذٍ بذلك ووجد طعمه فسمي يومئذٍ آكل المرار

٣) عسّ إناء كبير

٤) اسود سالخ الشديد السواد من الحيات ويقال سالخ لانه يسلخ جلده كل عام

فاضطربت يداه حتى سقط الاناء فأُهريق . وذلك كله بأذن سدوس .
فلما نامت الاحراس خرج يسري ليلته حتى صبَّح حجرًا فقال :

اتاكَ المُرجفونَ برجم (١ غيبٍ على دهَش وجنتك باليقينِ
فمن يكُ قد اتاك بأمر لبسٍ فقد آتي بأمرٍ مُستبينِ

ثم قصَّ عليهِ جميع ما سمع . فأسف ونادى في الناس الرحيل . فساروا حتى انتهوا الى عسكر ابن الهبولة فاقتتلوا قتالًا شديدًا . فانهزم اصحاب ابن الهبولة . وعرفهُ سدوس فحمل عليهِ فاعتنقهُ وصرعهُ فقتلهُ . وبصُر بهِ عمرو بن معاوية فشدَّ عليهِ فأخذ رأسهُ منهُ . واخذ سدوس سلَبه . وأخذ حجر هندًا فربطها بين فرسين ثم ركضا بها حتى قطَّعاها قِطعاً

وقال ابو عبيدة في خبر ابن الهبولة ان سدوساً اسرهُ وانَّ عمرو بن معاوية لما رآهُ معهُ حسدهُ فطعنهُ فقتلهُ . فغضب سدوس لذلك وقال : قتلتَ أسيري ودِيتُهُ ديةُ الملوك . وتحاكما الى حجر . فحكم لسدوس على عمرو وقومهِ بدية ملك وأعانهم في ذلك بمالهِ . وقال سدوس في ذلك يعاتب بني شيبان :

ما بعدكم عيش ولا معكم عيش لذي أَنف ولا حسَبِ
لولا بنو ذهلٍ وجمعُ بني قيسٍ وما جمّعتُ من نشَبِ
ما سُمتموني خُطةً غَبَناً وعلى ضريَّةَ رُمتمُ غَلَبي

وقال حجر في هند :

لمن النـارُ أُوقِدت بجفـيرٍ لم ينم عند مُصطلٍ مقرورِ

---

١) المرجفون الذين يولّدون الاخبار الكاذبة والرجم التكلّم بالظنّ

اوقدتها احدى الهنود وقالت انت ذا مُوثَقٌ وِثاقَ الاسيرِ
انَّ من غرَّهُ النســاءُ بشيءٍ بعــدَ هندٍ لجاهلٌ مغرورُ
حلوةُ القولِ واللســانِ ومرٌّ كل شيءٍ اجنّ منهــا الضميرُ
كلُّ انثى وان بدا لك منهــا آيةُ الحبِّ حبُّها خَيتَعُورُ (١

المنذر بن ماء السماء وعَبيد بن الابرص

كان من حديث عبيد بن الابرص وقتلهِ ان المنذر بن ماء السماء بنى الغريَّين . فقيل لهُ : ما تُريد اليهما . وكان بناهما على قبري رجلين من بني اسد كانا نديميهِ احدهما خالد بن المضلَّل الفَقعَسي والآخر عمرو بن مسعود . فقال : ما انا بملك ان خالف الناس امري لا يَمرَّنَّ احد من وفود العرب الَّا بينهما . وكان لهُ يومان يوم يسمّيهِ يوم النعيم ويوم يسمّيهِ يوم البؤس . فاذا كان في يوم نعيمه اتى باوَّل من يطلُع عليهِ فحباه وكساه ونادمهُ يومَهُ وحملهُ . فاذا كان يوم بؤسهِ أتى باوَّل من يطلع عليهِ فاعطاه رأس ظَربان (٢ أسود ثم امر بهِ فذُبح وغُرِّي بدمهِ الغريَّان . فبينا هو جالس في يوم بؤسهِ اذ أشرف عليهِ عَبيد . فقال لرجل كان معهُ : من كان هذا الشقي . فقال لهُ : هذا عَبيد بن الابرص الاسدي الشاعر . فأُتي بهِ . فقال لهُ الرجل الذي كان معهُ : اتركهُ ابيتَ اللعن اظنُّ انَّ عندهُ من حسن القريض افضلَ مما تدرك في قتلهِ فأسمع منهُ فان سمعت حسناً

١) خيتعور كلّ شيء يتلوّن ولا يدوم على حال
٢) ظربان دويبة كالهرَّة مُنتنة

استزدتَهُ وان لم يعجبك فما اقدرك على قتلهِ فاذا نزلت فادعُ بهِ . (قال) فنزل وطعم وشرب وبينهُ وبين الناس حجاب ستر يراهم منهُ ولا يرونهُ . فدعا بعبيد من وراء الستر فقال لهُ رَديفه : هلّا كان الذبح لغيرك يا عبيد . فقال : أتتك بحائنٍ رجلاه . فارسلها مثلًا . فقال : ما ترى يا عبيد . فقال : ارى الحوايا (١ عليها المنايا . فقال : فهل قلتَ شيئاً . فقال : حال الجريض (٢ دون القريض . فقال : انشدني « أقفر من اهل ملحوب » . فقال :

أقفر من اهلهِ عبيدُ اصبح يُبدي ولا يعيدُ
عنَّت لهُ خطَّةٌ نكودُ وحان منها لهُ ورودُ

فقال : أنشدنا :

هي الخمر تكنى بامّ الطلا كما الذئب يدعى ابا جعده

وأبى ان ينشدهم شيئاً مما ارادوا . فأمر بهِ فقُتل

ومما يغنّى بهِ من شعر عبيد :

طافَ الخيالُ علينا ليلة الوادي من امّ عمرو ولم يُلمِم لميعادِ
أنّى اهتديتِ لركبٍ طال سيرهمُ في سبسب بين دكداكٍ وأعقادِ (٣
اذهب اليك فاني من بني اسد اهل القباب واهل الجُرْد والنادي

وفي هذه القصيدة يقول يخاطب حجر بن الحرث أبا امرئ القيس . وكان حجر يتوعَّدهُ في شيءٍ بلغهُ عنهُ ثم استصلحهُ . فقال يخاطبهُ :

---

١) الحويّة كساء محشوّ حول سنام البعير . والمعنى انّ المنية قد تأتي الشجاع وهو على سرجه ٢) الجَريض الغصص

٣) السبسب ما استوى من الارض . والدكداك السهولة . والاعقاد رمال متراكمة

ابلغ أَبا كربٍ عني واخوتهُ قولاً سيذهب غَوْرًا بعد إنجادِ (١
لأَعرفنَّك بعد الموت تندُبني وفي حياتيَ ما زوّدتَني زادي
إنَّ أَمامك يوماً انت مُدركه لا حاضرٌ مُفلتٌ منهُ ولا بادي
فانظر الى ظلّ مُلك انت تاركهُ هل تُرسَيَنَّ اواخيهِ بأَوتادِ
الخير يبقى وان طال الزمان بهِ والشرّ اخبث ما اوعيتَ من زاد

جَبَلَة وعُمَر بن الخطّاب

قال ابو عمرو الشيباني: لما اسلم جبلة بن الأَيْهَم الغساني وكان من ملوك آل جفنة كتب الى عمر رضي الله عنهُ يستأْذنه في القدوم عليهِ فأَذن لهُ عمر. فخرج اليهِ في خمسمائة من اهل بيتهِ من عكّ وغسّان حتى اذا كان على مرحلتين كتب الى عمر يُعلمه بقدومه. فسُرّ عمر رضوان الله عليهِ وأَمر الناس باستقباله وبعث اليهِ بأَنزال. وأَمر جبلة مائتي رجل من اصحابه فلبسوا السلاح والحرير وركبوا الخيول معقودة اذنابها وألبسوها قلائد الذهب والفضة. ولبس جبلة تاجه وفيهِ قرطا مارية وهي جدّتهُ ودخل المدينة. فلم يبقَ بها بِكر ولا عانس الّا تبرّجت وخرجت تنظر اليهِ والى زيّه. فلما انتهى الى عمر رحّب بهِ وألطفه وادنى مجلسه. ثم اراد عمر الحج فخرج معهُ جبلة. فبينا هو يطوف بالبيت وكان مشهورًا بالموسم اذ وطئ ازاره رجل من بني فزارة فانحلّ. فرفع جبلة يده فهشم انف الفزاري. فاستعدى عليه عمرَ رضوان الله عليهِ. فبعث الى جبلة

(١) والمعنى ان القول سيُنشر في غور تهامة وفي نجد

فاتاه . فقال : ما هذا . قال : نعم يا امير المؤمنين انهُ تعمَّد حلَّ ازاري ولولا حرمة الكعبة لضربت بين عينيهِ بالسيف . فقال لهُ عمر : قد أقررت فإمَّا أن تُرضي الرجل واما ان أُقيده منك . قال جبلة : ماذا تصنع بي . قال : آمر بهشم انفك كما فعلت . قال : وكيف ذاك يا امير المؤمنين وهو سوقة وانا ملك . قال : انَّ الاسلام جمعك واياه فليس تفضله بشيء الَّا بالتقى والعافية . قال جبلة : قد ظننت يا امير المؤمنين اني اكون في الاسلام اعزّ مني في الجاهلية . قال عمر : دع عنك هذا فانك ان لم تُرضِ الرجل أقدتهُ منك . قال : اذًا اتنصَّر . قال : ان تنصَّرت ضربت عنقك لانك قد اسلمت فان ارتددت قتلتك . فلما رأى جبلة الصدق من عمر قال : انا ناظر في هذا ليلتي هذه . وقد اجتمع بباب عمر من حيّ هذا وحيّ هذا خلق كثير حتى كادت تكون بينهم فتنة . فلما أمسوا أذن لهُ عمر في الانصراف حتى اذا نام الناس وهدأوا حمل جبلة بخيله ورواحله الى الشام فاصبحت مكة وهي منهم بلاقع . فلما انتهى الى الشام تحمل في خمسمائة رجل من قومه حتى اتى القسطنطينية فدخل الى هرقل فتنصر هو وقومه . فسُرَّ هرقل بذلك جدًّا وظنَّ انهُ فتحٌ من الفتوح عظيم . وأقطعه حيث شاء وأجرى عليهِ من النزل ما شاء وجعلهُ من محدّثيهِ وسمَّاره . ثم ان عمر رضي الله عنهُ بدا لهُ ان يكتب الى هرقل يدعوهُ الى الله جلَّ وعزَّ والى الاسلام ووجَّه اليهِ رجلًا من اصحابه وهو جثامة بن مساحق الكنانيّ . فلما انتهى اليهِ الرجل بكتاب عمر اجاب الى كل شيء سوى الاسلام . فلما اراد الرسول الانصراف قال لهُ هرقل : هل رأيت ابن عمك هذا الذي جاءنا راغباً في ديننا . قال : لا . قال : فالقهُ (قال الرجل) فتوجهتُ

اليهِ فلمّا انتهيت الى بابهِ رأيت من البهجة والحسن والسرور ما لم أرَ بباب هرقل مثلهُ . فلما أُدخلت عليهِ اذا هو في بهو عظيم وفيهِ من التصاوير ما لا أُحسن وصفهُ . واذا هو جالس على سرير من قوارير (١ قوائمهُ أربعة أُسُد من ذهب . واذا هو رجل اصهب ذو سِبال وعُثنون وقد أمر بمجلسهِ فاستقبل بهِ وجهَ الشمس فما بين يديه من آنية الذهب والفضة يلوح فما رأيت احسن منهُ . فلما سلمت ردَّ السلام ورحّب بي وألطفني ولامني على تركي النزول عنده . ثم أقعدني على شيء لم أُثبتهُ فاذا هو كرسي من ذهب فانحدرت عنهُ . فقال : ما لك . فقلت : ان رسول الله (صلعم) نهى عن هذا . فقال جبلة ايضاً مثل قولي في النبي (صلعم) حين ذكرتهُ وصلّى عليهِ . ثم قال : انك يا هذا اذا طهّرتَ قلبك لم يضرّك ما لبستهُ ولا ما جلستَ عليهِ . ثم سألني عن الناس وألحف في السؤال عن عمر . ثم جعل يفكر حتى رأيت الحزن في وجههِ . فقلت : ما يمنعك من الرجوع الى قومك والاسلام . قال : أبعدَ الذي قد كان . قلت : قد ارتدّ الاشعث بن قيس ومنعهم الزكاة وضربهم بالسيف ثم رجع الى الاسلام . فتحدثنا مليا . ثم أومأ الى غلام على رأسهِ . فولّى يحضر . فما كان الّا هُنيهة حتى اقبلت الأَخورنة يحملها الرجال فوُضعت . وجيء بخِوان من ذهب فوُضع أمامي . فاستعفيت منهُ . فوُضع امامي خوان خليج (٢ وجامات قوارير . واديرت الخمر فاستعفيت منها فلما فرغنا دعا بكأس من ذهب فشرب منهُ خمساً عددًا . ثم اومأ الى غلام . فولّى يحضر . فما شعرت الّا بعشر جوارٍ يتكسّرن في الحلي . فقعد خمس عن يمينهِ وخمس عن شمالهِ . ثم سمعت

١) القوارير شجر يشبه الدلب تعمل منه الرحال والموائد ٢) الخليج الجفنة

وسوسة من ورائي . فاذا انا بعشر افضل من الأُول عليهنَّ الوشي والحلي . فقعد خمس عن يمينهِ وخمس عن شمالهِ . واقبلت جارية على رأسها طائر ابيض كأنهُ لؤلؤة مؤدَّب وفي يدها اليمنى جام فيهِ مسك وعنبر قد خُلطا وأُنعم سحقهما وفي اليسرى جام فيهِ ماء ورد . فألقت الطائر في ماء الورد فتمعَّك بين جناحيه وظهره وبطنه . ثم اخرجتهُ فالقتهُ في جام المسك والعنبر فتمعَّك فيها حتى لم يدع فيها شيئاً . ثم نفَرتهُ فطار فسقط على تاج جبلة ثم رفرف ونفض ريشهُ فما بقي عليهِ شيء الَّا سقط على رأس جبلة . ثم قال للجواري : أطربنني . فخفقن بعيدانهنَّ يغنّين :

لله دَرُّ عِصابة نادمتهم يوماً بجلّقَ في الزمان الاوَّلِ
بيض الوجوه كريمة احسابهم شمّ الانوف من الطِراز الاوَّلِ
يُغشَون حتى ما تهرّ كلابهم لا يسألون عن السواد المُقبِلِ

فاستهلَّ واستبشر وطرب . ثم قال : زدنني . فاندفعن يغنينَ :

لمن الدار اقفرت بمعانِ بين شاطي اليرموك فالخمَّانِ
فحمى جاسمٍ فاودية الصُفَّر م مغنَى قبائلٍ وهجانِ
فالقُريَّات من بَلاسَ فداريَّا م فسكَّاء فالقصورِ الدواني
ذاك مغنًى لآل جفنة في الدهر م وحقٌّ تعقُّبُ الازمانِ
قد دنا الفِصحُ فالولائدُ ينظِمنَ م سِراعاً أكِلَّةَ المَرجانِ
لم يُعلَّلنَ بالمغافير والصمغ م ولا نَقْفِ حَنظلِ الشَرْيانِ
قد أراني هناك حقًّا مكيناً عند ذي التاج مقعدي ومكاني

فقال : أتعرف هذه المنازل . قلت : لا . قال : هذه منازلنا في ملكنا باكناف دمشق . وهذا شعر ابن القُرَيعة حسّان بن ثابت شاعر رسول الله

(صلعم) . قلت : أما انهُ مضرور البصر كبير السنّ . قال : يا جارية هاتِ . فأتتهُ بخمسمائة دينار وخمسة اثواب من الديباج . فقال : ادفع هذا الى حسّان واقرأه مني السلام . ثم راوَدَني على مثلها . فأبيت . فبكى وبكيت معهُ حتى رأيت دموعهُ تجول على لحيتهِ كأنها اللؤلؤ . ثم سلّمتُ عليهِ وانصرفت . فلما قدمت على عمر سألني عن هرقل وجبَلة . فقصصت عليهِ القصّة من اوّلها الى آخرها . فقال : أو رأيتَ جبلة يشرب الخمر . قلت : نعم . قال : ابعده الله تعجّل فانية اشتراها بباقية فما ربحت تجارتهُ . فهل سرّح معك شيئاً . قلت : سرّح الى حسان خمسمائة دينار وخمسة اثواب ديباج . فقال : هاتِها . وبعث الى حسّان فأقبل يقوده قائدهُ حتى دنا فسلّم وقال : يا امير المؤمنين اني لأجد ارواح آل جفنة . فقال عمر رضي الله عنه : قد نزع الله تبارك وتعالى لك منهُ على رغم انفهِ وأتاك بعونة . فانصرف عنهُ وهو يقول :

انَّ ابن جفنة من بقية معشرٍ ... لم يَغذُهم آباؤهم بالـلُّومِ
لم ينسَني بالشام اذ هو ربُّها ... كلّا ولا متنصّراً بالرومِ
يُعطي الجزيل ولا يراه عنده ... الّا كبعض عطيَّة المذمومِ
وأتيتـهُ يوماً فقرَّب مجلسي ... وسقى فروَّاني من الخرطومِ

فقال لهُ رجل : أتذكر قوماً كانوا ملوكاً فأبادهم الله وأفناهم . فقال : ممن الرجل . قال : مُزَنيّ . قال : اما والله لولا سوابق قومك مع رسول الله (صلعم) لطوَّقتك طوق الحمامة . وقال : ما كان خليلي ليخلّ بي . فما قال لك . قال : قال ان وجدتهُ حيّاً فادفعها اليهِ وان وجدتهُ ميتاً فاطرح الثياب على قبرهِ وابتع بهذه الدنانير بُدناً فانحرها على قبره . فقال حسان :

ليتك وجدتني ميتاً ففعلت ذلك بي

وذكر الزبير بن بكار ان معاوية لما ولي بعث الى جبلة فدعاه الى الرجوع الى الاسلام ووعده اقطاع الغوطة بأسرها فأبى ولم يقبل

الحُطَيْئَة

الحطيئة لقبٌ لُقّب بهِ واسمهُ جَرْول بن أوس . وهو من فحول الشعراء ومتقدميهم وفصحائهم متصرّف في جميع فنون الشعر من المديح والهجاء والفخر والنسيب مُجيد في ذلك أجمع . وكان ذا شرّ وسفَهٍ . ونَسبُهُ مُتدافَع بين قبائل العرب وكان ينتمي الى كل واحدة منها اذا غضب على الآخرين . وهو مُخضرَم أدرك الجاهلية والاسلام فأسلم ثم ارتدّ وقال في ذلك :

اطعنا رسول الله اذ كان بيننا ... فيا لعباد الله ما لأبي بكرِ

أيورثُها بكر اذا مات بعدهُ ... وتلك لعمرُ الله قاصمة الظهرِ

ويكنى الحطيئة أبا مُلَيكة . وقيل ان الحطيئة غلب عليهِ ولُقّب بهِ لقصرهِ وقربه من الارض

قال الاصمعي : كان الحطيئة جشِعاً سَؤولًا مُلحِفاً دنيء النفس كثير الشرّ قليل الخير بخيلًا قبيح المنظر رثّ الهيئة مغموز النسب فاسد الدين وما تشاء ان تقول في شعر شاعر من عيب الّا وجدتهُ وقلما تجد ذلك في شعره . قال ابو عبيدة : بخلاء العرب اربعة الحطيئة وحُمَيد الأرقط وأبو الاسود الدؤلي وخالد بن صفوان . وكان الحطيئة بذيًّا هجّاء

فالتمس ذات يوم انساناً يهجوه فلم يجده وضاق عليهِ ذلك فانشأ يقول :

أبتْ شفتاي اليوم الّا تكلُّماً بشرٍّ فما أدري لمن أنا قائلُهْ

وجعل يدهور هذا البيت في أشداقهِ ولا يرى انساناً اذ اطّلع في ركيّ أو حوض فرأى وجههُ فقال :

أرى لي وجهاً شوَّه الله خَلقهُ فقُبّح من وجهٍ وقُبّح حاملُهْ

وقدم الحطيئة المدينة وقد ارصدت لهُ قريش العطايا والناس في سنة مجدبة وسَخْطة من خليفة . فمشى أشراف أهل المدينة بعضهم الى بعض فقالوا : قد قدم علينا هذا الرجل وهو شاعر والشاعر يظنُّ فيحقّق وهو يأتي الرجل من أشرافكم يسألهُ فان أعطاه جهدَ نفسهِ بهرَها وان حرمهُ هجاه . فأجمع رأيهم على ان يجعلوا لهُ شيئاً مُعدًّا يجمعونهُ بينهم لهُ . فكان أهل البيت من قريش والانصار يجمعون لهُ العشرة والعشرين والثلاثين ديناراً حتى جمعوا لهُ اربعمائة دينار وظنّوا أنهم قد أغنوه فأتوه فقالوا لهُ : هذه صلة آل فلان وهذه صلة آل فلان وهذه صلة آل فلان . فأخذها . فظنّوا انهم قد كفَوه عن المسئلة . فاذا هو يوم الجمعة قد استقبل الامام ماثلًا ينادي : من يحملني على بغلين وقاه الله كَبَّة جهنم (١

قال حماد : سمعت أبي يقول وقد أنشد قول الحطيئة :

وفتيان صدق من عديّ عليهمُ صفائح بُصرى عُلّقت بالعواتقِ

اذا ما دُعوا لم يسألوا من دعاهم ولم يمسكوا فوق القلوب الخوافقِ

وطاروا الى الجرد العتاق فأجلموا وشدّوا على أوساطهم بالمناطق

---

١) كبّة جهنم شدّتها

اولئك آباء الغريب وغاثة م الصريخ ومأوى المُرملين الدَّرادقِ(١
أحلُّوا حياض المجد فوق جباههم مكان النواصي من وجوه السوابقِ

ثم قال: أما اني ما أزعم أنّ احدًا بعد زهير أشعر من الحطيئة. قال عبد الرحمن بن أبي بكرة: لقيت الحطيئة بذات عِرْق فقلت له: يا أبا مليكة من أشعر الناس. فأخرج لسانه كأنه لسان الحيَّة ثم قال: هذا اذا طمِع

قال أبو عدنان: لما حضرت عبيدالله بن شدَّاد الوفاة دعا ابنه محمدًا فأوصاه وقال له: يا بنيَّ أرى داعي الموت لا يقلع. ويحقّ ان من مضى لا يرجع. ومن بقي فاليه ينزع. يابنيَّ ليكن اولى الامور بك تقوى الله في السرّ والعلانية والشكر لله وصدق الحديث والنية فان للشكر مَزيدًا والتقوى خير زاد كما قال الحطيئة:

ولست أرى السعادة جمع مال ولكن التقيّ هو السعيدُ
وتقوى الله خير الزاد ذخرًا وعند الله للاتقى مَزيدُ
وما لا بدَّ ان ياتي قريب ولكنَّ الذي يمضي بعيدُ

قال المدائني: مرَّ ابن الحمامة بالحطيئة وهو جالس بفِناء بيته فقال: السلام عليكم. فقال: قلت ما لا ينكر. قال: اني خرجت من عند اهلي بغير زاد. فقال: ما ضمِنتُ لاهلك قِراك. قال: أفتأذن لي ان آتي ظِلَّ بيتك فاتفيأ بهِ. قال: دونك الجبل يُفيءُ عليك. قال: أنا ابن الحمامة. قال: انصرف وكن ابن أيّ طائر شئت

ولما حضرت الحطيئة الوفاة اجتمع اليه قومه فقالوا: يا أبا مليكة

---

١) ارملَ القوم نَفِد زادهم. والدرادق جمع دردق وهو الصغير من كل شيء

أوصِ . فقال : ويل للشعر من الرُّواة السوء . قالوا : أوصِ رحمك الله يا حطيئة . قال : من الذي يقول :

اذا أَنبضَ الرامون عنها ترنَّمت ترنُّمَ ثكلى اوجعتها الجنائزُ

قالوا . الشماخ . قال : ابلغوا غطفان انه أَشعر العرب . قالوا : ويحك أَهذه وصية أوصِ بما ينفعك . قال : أبلغوا أهل ضابئ انهُ شاعر حيث يقول :

لكلِّ جديدٍ لَذَّة غير انني رأَيت جديدَ الموتِ غيرَ لذيذِ

قالوا : أوص ويحك بغير ذا . قال : أَبلغوا أَهل امرئ القيس انهُ أَشعر العرب حيث يقول :

فيا لكَ من ليلٍ كأَنَّ نجومَهُ بكلِّ مغارِ الفتلِ شُدَّت بيذبلِ

قالوا : اتَّقِ الله ودع عنك هذا . قال : أَبلغوا الانصار انَّ صاحبهم أَشعر العرب حيث يقول :

يُغشَون حتى ما تَهِرّ كلابُهم لا يسأَلون عن السواد المقبلِ

قالوا : هذا لا يغني عنك شيئاً فقل غير ما أَنت فيه . فقال :

الشعر صعبٌ وطويل سُلَّمهْ اذا ارتقى فيه الذي لا يعلمُهْ
زلَّت بهِ الى الحضيض قدمُهْ يريد ان يُعربُهُ فيُعجمُهْ

قالوا : هذا مثل الذي كنت فيه . فقال :

قد كنت احياناً شديد المعتمدْ وكنت ذا غرب على الخصم أَلدّ
فوردت نفسي وما كادت تردْ

قالوا : يا أَبا مليكة أَلك حاجة . قال : لا والله ولكن اجزع على المدح الجيّد يُمدح بهِ مَن ليس لهُ اهلاً . قالوا : فمن اشعر الناس . فأَومأَ بيده الى فيه وقال : هذا الجُحَير اذا طمع في خير . يعني فمه . واستعبر

باكياً . فقالوا لهُ قل : لا اله الَّا الله . فقال :

قالت وفيها حَيْدة وذُعرُ عَوْذي بربّي منكمُ وحُجْرُ (١

فقيل لهُ : ما تقول في عبيدك وإمائك . فقال : هم عبيد قِنّ (٢ ما عاقب الليل النهار . قالوا : فأوص للفقراء بشيء . قال : أُوصيهم بالالحاح في المسئلة فانَّها تجارة لا تَبور . قالوا : فما تقول في مالك . قال : للانثى من ولدي مِثلا حظّ الذكر . قالوا : ليس هكذا قضى الله عزَّ وجلّ لهنّ . قال : لكني هكذا قضيت . قالوا : فما توصي لليتامى . قال : كلوا اموالهم . قالوا : فهل شيء تعهد فيهِ غير هذا . قال : نعم تحملونني على أتان وتتركونني راكبها حتى أموت فانَّ الكريم لا يموت على فراشهِ والاتان مركب لم يمت عليهِ كريم قط . فحملوه على اتان وجعلوا يذهبون بهِ ويجيئون عليها حتى مات وهو يقول :

لا أحد ألأَم من حطيئهْ هجا بنيهِ وهجا المُريَّهْ
من لؤمهِ مات على فُرَيَّهْ (٣

الحُطيئة والزِّبرقان

قدم الزبرقان على عمر في سنة مجدبة ليؤدّي صدقات قومهِ فلقيَه

---

١) العرب تقول عند الامر تنكره حُجرًا له اي دفعًا وهو استعارة من الامر

٢) القِنّ العبد الذي كان ابوه مملوكًا لمواليه فاذا لم يكن كذلك فهو عبد مملكة . وهو مأخوذ من القِنية وهي المِلك . يقال عبدٌ قنٌّ وعبدانِ قنٌّ وعبيدٌ قنٌّ . والانثى بغير هاء . وحكي عبيدُ قنٍّ بالاضافة

٣) مُريّة تصغير المرأة . والفريّة الاتان تصغير الفراء

الحطيئة بقرقرى ومعهُ ابناه أَوس وسوادة وبناته وامرأته . فقال لهُ الزبرقان وقد عرفهُ ولم يعرفهُ الحطيئة : اين تريد . قال : العِرْق فقد حطمتنا هذه السنة . قال : وتصنع ماذا . قال : وددت ان اصادف بها رجلًا يكفيني مؤنة عيالي وأُصفيهِ مدحي ابدًا . فقال لهُ الزبرقان : قد اصبتَهُ . فهل لك فيهِ يُوسعك لبناً وتمرًا ويُجاورك احسن جِوار واكرمهُ . فقال الحطيئة : هذا وأَبيك العيش وما كنت ارجو هذا كلهُ . قال : فقد أصبتهُ . قال : عند مَن . قال : عندي . قال : ومن انت . قال : الزبرقان بن بدر . قال : وأين محلُّك . قال : اركب هذه الابل واستقبل مطلع الشمس وسلْ عن القمر حتى تاتي منزلي . (وقال ابو عبيدة في خبره) فقال لهُ : سِرْ الى امّ حزرة وهي امّ الزبرقان وهي ايضاً عمّة الفرزدق . وكتب اليها ان : أحسِني اليهِ واكثري لهُ من التمر واللبن . وقال آخرون بل وكلهُ الى زوجته هُنيدة وذلك في عام صعب مُجدِب . فاكرمتهُ المرأة واحسنت اليهِ . فبلغ ذلك بَغيض بن عامر بن شماس بن لأي بن جعفر وهو انف الناقة(١ ابن قُرَيع وبلغ اخوتهُ وبني عمّهِ فاغتنموها (وفي خبر اليزيدي عن عمهِ) : قال ابن حبيب عن ابن الاعرابي : وكانوا يغضبون من انف الناقة وكانوا ينازعون الزبرقان الشرف يعني بَغيضاً واخوتهُ وأَهلهُ وكانوا

---

١) انما سمي جعفر انف الناقة لان اباه قريعاً نحر ناقة فقسمها بين نسائهِ . فبعثت جعفرًا هذا امُّهُ وهي الشموس من وائل ثم من سعد هذيم . فاتى اباه ولم يبقَ من الناقة الّا رأسها وعنقها . فقال : شأنك بهذا . فادخل يده في انفها وجرّ ما اعطاه . فسمي انف الناقة . وكان ذلك كاللقب لهم حتى مدحهم الحطيئة فقال :

قوم هم الانف والاذناب غيرهم ومن يسوّي بانف الناقة الذنبا

فصار بعد ذلك فخرًا لهم ومدحاً

اشرف من الزبرقان الّا انهُ قد كان استعلاهم بنفسهِ

وقال ابو عبيدة في خبرهِ : كان الحطيئة دميماً سيّء الخلق لا تأخذهُ العين ومعهُ عيال كذلك . فلما رأت ام حزرة حالهُ هان عليها وقصّرت بهِ . ونظر بغيض وبنو انف الناقة الى ما تصنع به امّ حزرة فأرسلوا اليهِ أنْ : ائتنا . فأبى عليهم وقال : انَّ من شأن النساء التقصير والغفلة ولست بالذي احمل على صاحبها ذَنْبَها . فلما ألحّ عليهِ بنو انف الناقة وكان رسولهم اليهِ شماس بن لأي وعلقمة بن هوذة وبغيض بن شماس والمخبّل الشاعر قال لهم : لست بحامل على الرجل ذنب غيره فان تُركت وجُفيت تحوّلت اليكم . فأطمعوه ووعدوه وعدًا عظيماً . وقال ابن سلام في خبره : فلما لم يجبهم دسّوا الى هنيدة زوجة الزبرقان انّ الزبرقان انما يريد ان يتزوّج ابنتهُ مُليكة وكانت جميلة كاملة . فظهرت من المرأة للحطيئة جفوة وهي في ذاك تداريه . ثم ارادوا النُّجعة . قال ابو عبيدة : فقالت لهُ امُّ حزرة (وقال ابن سلام فقالت لهُ هنيدة) : قد حضرت النجعة فاركب انت واهلُك هذا الظهر الى مكان كذا وكذا ثم اردُدْهُ الينا حتى نلحقك فانهُ لا يسعنا جميعاً . فأرسل اليها : بل تقدمي انت فأنت احقُّ بذلك . ففعلت وتثاقلت عن ردّها اليهِ وتركتهُ يومين أو ثلاثة . وألحّ بنو انف الناقة عليهِ وقالوا لهُ : قد تُركت بَضِيعة (١ . وكان اشدّهم في ذلك قولًا بغيض بن شمّاس وعلقمة بن هوذة . وكان الزبرقان قد قال في علقمة :

لِيَ ابن عمّ لا يزا لُ يعيبني ويعيب عائبْ

---

١) تُرك بضَيْعة ومَضِيعة ومَضْيَعة اي مُطَّرَح غير مُفتقَد

وأُعينهُ في النائبا تِ ولا يعين على النوائبْ
تسري عقاربهُ اليَّ م ولا تدبُّ لهُ عقاربْ
لاهِ ابنُ عمك (١ لا يخا ف المحزنات من العواقبْ

(قال) فكان علقمة ممتلئاً غيظاً عليهِ . فلما أَلحوا على الحطيئة اجابهم فقال : اما الآن فنعم انا صائر معكم . فتحمَّل معهم فضربوا لهُ قبَّة وربطوا بكل طنب من اطنابها حلَّة هجرية واراحوا عليهِ ابلهم واكثروا لهُ من التمر واللبن وأعطوهُ لقاحاً وكسوه . (قال) فلما قدم الزبرقان سأَل عنهُ فأُخبر بقصتهِ . فنادى في بني بهدلة بن عوف . فركب الزبرقان فرسهُ واخذ رمحهُ وسار حتى وقف على نادي بني شماس القريعيّين فقال : ردُّوا عليَّ جاري . فقالوا : ما هو لك بجار وقد اطَّرحتهُ وضيَّعتهُ . فألمّ ان يكون (٢ بين الحيَّين حرب . فحضر اهل الحِجَى من قومهم فلاموا بغيضاً وقالوا : اردد على الرجل جاره . فقال : لست مخرجهُ وقد آويتهُ وهو رجل حرّ مالك لأَمره فخيّروه فان اختارني لم أُخرجهُ وان اختارهُ لم أُكرههُ . فخيَّروا الحطيئة فاختار بغيضاً ورهطه . فجاءَ الزبرقان ووقف عليهِ وقال لهُ : أَبا مليكة افارقت جواري عن سخط وذمّ . قال : لا . فانصرف وتركهُ . هذه رواية ابن سلام . وأَما ابو عبيدة فانهُ ذكر انهُ كان بين الزبرقان ومن معهُ من القريعيّين تلاحٍ وتشاحّ (٣ . وزعم غيرهما ان الزبرقان استعدى عمر بن الخطاب على بغيض . فحكم عمر بان يُخرَج الحطيئة حتى يُقام في موضع خال بين الحيَّين وحدهُ ويخلَّى سبيلهُ

---

١) لاهِ ابن عمك اي لله ابن عمّك
٢) ألمّ ان يكون اي اوشك ٣) تلاحٍ تشاتم . تشاحّ مماحكة

ويكون جار ايّهما اختار . ففُعل ذلك بهِ فاختار القريعيّين . (قال) وجعل الحطيئة يمدحهم من غير ان يهجو الزبرقان وهم يحضُّونهُ على ذلك ويحرّضونهُ فيأبى ويقول : لا ذنبَ للرجل عندي . حتى ارسل الزبرقان الى رجل من النمر بن قاسط يقال له دِثار بن شيبان فهجا بغيضاً فقال :

أرى إبلي بجوف الماء حلّت ... واعوزَها بهِ الماء الرواء (١
وقد وردت ميـاه بني قُرَيع ... فما وصلوا القرابةَ مذ اساءوا
تُحلَّأ يومَ وِردِ النـاس إبلي ... وتَصدُر وهي مُحنِقة (٢ ظِماء
ألم اكُ جارَ شمّاسِ بن لأيٍ ... فأسلمني وقد نزل البَلاء
فقلت تحوّلي يا امّ بكرٍ ... الى حيثُ المكارمُ والعلاء
وجدنا بيت بهدلةَ بن عوفٍ ... تعالى سَمكهُ ودحا الفناء
وما اضحى لشمّاس بن لأيٍ ... قديمٌ في الفعـال ولا رَباء
سوى انَّ الحطيئة قال قولًا ... فهـذا من مقالتـه جزاء

فحينئذٍ قال الحطيئة يهجو الزبرقان ويناضل عن بغيض قصيدتهُ التي يقول فيها :

والله ١٠ معشر لاموا امرءا جُنُباً (٣ ... في آل لأي بن شمّاس باكياسِ
ما كان ذنب بغيض لا أبا لكمُ ... في بائسٍ جاءَ يحدو آخر الناسِ
لقد مريتكمُ لو انَّ دِرَّتكم ... يوماً يجيءُ بها مسحي وابساسي (٤
وقد مدحتكم عمداً لارشدكم ... كيما يكون لكُم متحي وامراسي (٥

---

١) الرواء الماء الكثير المُروي ... ٢) المحنِق الضامر
٣) الجنب الغريب ... ٤) الابساس تسكين الناقة عند الحلب
والمعنى : مدحتكم لتدرّوا عليَّ بخيرٍ فأبيتم ... ٥) الماتح المستقى الذي

لما بدا لي منكم عيبُ انفسكم ... ولم يكن لجراحي فيكمُ آسي
أزمعتُ يأساً مُبيناً من نوالكمُ ... ولن ترى طارداً للحُرّ كالياسِ
جارٌ لقومٍ اطالوا هُونَ منزله ... وغادروه مقيماً بين أرماسِ
ملّوا قِراهُ وهرّتهُ كلابهمُ ... وجرّحوهُ بأنيابٍ وأضراسِ
دَعِ المكارمَ لا تَرحل لبغيتها ... واقعدْ فانّك انت الطاعم الكاسي
من يفعل الخير لا يعدم جوازيَهُ ... لا يذهب العُرفُ بين الله والناسِ
ما كان ذنبيَ أن فلّت معاولَكم ... من آل لأيٍ صفاةٌ اصلُها راسي
قد ناضلوك فسلّوا من كنانتهم ... مجداً تليداً ونبلاً غير انكاسِ

فاستعدى عليهِ الزبرقانُ عمرَ بن الخطاب فرفعهُ عمر اليه واستنشدهُ. فانشدهُ. فقال عمر لحسان: اتراه هجاه. قال: نعم وسلح عليهِ. فحبسهُ عمر. فقال وهو اوّل ما قالهُ في الحبس:

اعوذُ بجدّك اني امرؤٌ ... سقتني الاعادي اليك السجالا
فانك خيرٌ من الزبرقانِ ... اشدُّ نكالاً وأرجى نَوالا
تحنّن عليَّ هَداكَ المليكُ ... فانَّ لكلّ مَقامٍ مَقالا
ولا تأخذني بقول الوشاة ... فانَّ لكل زمان رِجالا
فان كان ما زعموا صادقاً ... فسيقت اليك نسائي رجالا
حواسرَ لا يشتكينَ الوجا ... يخفّضن آلاً ويرفعن آلا (١)

فلم يلتفت عمر اليهِ حتى قال ابياته التي اوّلها:

يجذب الحبل من فوق. والامراس ان يقع الحبل في جانب البكرة فيخرجه. والمعنى: اردتُ ان يكون لكم مدحي لتخليصكم اياي فأبيتم

(١) اراد يرفعهنّ الآلُ اي السراب ويخفضهنّ فقلبَ

ماذا تقول لأفراخٍ بذي مَرَخٍ (١ زُغبِ الحواصل لا ماءٌ ولا شجرُ
ألقيتَ كاسِبَهم في قعر مُظلِمةٍ فاغفِرْ عليك سلامُ الله يا عمرُ
انت الامام الذي مِن بعدِ صاحبِهِ ألقى اليك مقاليدَ النُّهى البشرُ
لم يؤثروك بها اذ قدَّموك لها لكن لانفسهم كانت بك الإثرُ
فامنن على صبية بالرمل مسكنهم بين الاباطح تغشاهم بها القِررُ
اهلي فداؤك كم بيني وبينهم من عَرْض داويَّةٍ تَعمَى بها الخبرُ

(قال) فبكى حين قال «ماذا تقول لافراخ بذي مرخ» . فقال عمرو بن العاص : ما اظلّت الخضراء ولا اقلّت الغبراء أعدل من رجل يبكي على تركهِ الحطيئة . فقال عمر : عليَّ بالكرسي . فأُتي بهِ . فجلس عليهِ ثم قال : اشيروا عليَّ في الشاعر فانهُ يقول الهجو وينسِب بالحرم ويمدح الناس ويذمّهم بغير ما فيهم . ما أراني الّا قاطعاً لسانهُ . ثم قال : عليَّ بطَسْت . فأُتي بها . ثم قال : عليَّ بالمِخصَف (٢ عليَّ بالسكين لا بل عليَّ بالموسى فهو اوحى (٣ . فقالوا : لا يعود يا امير المؤمنين . فاشاروا اليهِ أنْ : قُلْ لا اعود . فقال : لا اعود يا امير المؤمنين . فقال : لهُ النجاء . (قال) فلما ولّى قال لهُ عمر : يا حطيئة كأني بك عند فتًى من قريش قد بسط الك غِرقة وكسر لك اخرى وقال غنّنا يا حطيئة فطفقت تغنيهِ بأعراض الناس . قال ابن اسلم : فما انقضت الدنيا حتى رأيت الحطيئة عند عبيد الله بن عمر قد بسط لهُ غرقة وكسر لهُ اخرى وقال : غنّنا يا حطيئة . فجعل يغنيهِ . فقلت لهُ : يا حطيئة اتذكر قول عمر . ففزع وقال : يرحم الله ذلك المرء

---

١) ذو مرخ وادٍ قرب فدَك خَضِرٌ نَضِر كثير الشجر
٢) المخصف مِثقب الاسكاف ٣) اوحى اي اسرع

اما انهُ لو كان حيًّا ما فعلت . ورُوي عن عبد الله بن المبارك ان عمر رضي الله عنه لما اطلق الحطيئة اراد ان يؤكد عليهِ الحُجّة فاشترى منهُ أعراض المسلمين جميعاً بثلاثة آلاف درهم . فقال الحطيئة في ذلك :

واخذتَ اطرافَ الكلام فلم تدَعْ شتماً يضُرُّ ولا مديحاً ينفعُ
وحميتني عِرضَ اللئيم فلم يخف ذمّي واصبح آمناً لا يفزعُ

شُرَيح بن ضُبَيعة الحُطَم في حرب الرِّدَّة

هو شريح بن ضبيعة وامُّهُ هند بنت حسان بن عمرو بن مَرْثَد . قال ابو عبيدة : كان شريح بن ضبيعة غزا اليمن في جموع جمعها من ربيعة فغنم وسبى بعد حرب كانت بينهُ وبين كِندة أسر فيها فُرعان بن مهدي بن معدي كرب عمّ الاشعث بن قيس . وأخذ على طريق مفازة فضلّ بهم دليلهم . ثم هرب منهم . ومات فرعان في ايديهم عطشاً . وهلك منهم ناس كثير بالعطش . وجعل الحطم يسوق باصحابهِ سوقاً عنيفاً حتى نجَوا ووردوا الماء . فقال فيهِ رُشيد :

هذا اوان الشدّ فاشتدي زِيَمْ (١ لست براعي ابلٍ ولا غنمْ
ولا بجزّار على ظهرِ وَضَمْ (٢ نام الحُداة وابن هند لم ينمْ
باتت يقاسيها غلام كالزَّلَمْ خَدَلّج (٣ الساقين خفّاف القدمْ
قد لفّها الليل بسوّاق حُطَمْ (٤

---

١) زيم اسم فرس ٢) الوضم كل شيء يوضع عليه اللحم
٣) الزلم القدح لا ريش عليه . خدلّج ضخم ٤) سوّاق حطم اي شديد السوق . يريد انه داهية متصرّف

فلقب يومئذٍ الحطم لقول رشيد هذا فيهِ . وادرك الحطم الاسلام فاسلم ثم ارتدَّ

حدَّث محمد بن جرير قال : لما مات رسول الله (صلعم) خرج الحطم ابن ضبيعة في بني قيس بن ثعلبة ومن اتبعهُ من بكر بن وائل على الرِّدَّة ومن تأشب (١ من غير المرتدّين ممن لم يزل كافرًا حتى نزل القَطِيف وهَجَر واستغوى من كان بهما من الزُّطّ والسابجة (٢ . وبعث بعثاً الى دارِين فأقالهُ (٣ ليجعل عبد القيس بينهم وبينهُ وكانوا مخالفين لهُ يمدّون المسلمين . وارسل الى الغَرور بن سويد بن المنذر بن اخي النعمان بن المنذر فقال لهُ : اثبت فاني ان ظفرت ملَّكتك البحرين حتى تكون كالنعمان بالحيرة . وبعث الى جُوَاثى فحاصرهم والحَّ عليهم فاشتدَّ الحصار على المحصورين من المسلمين وفيهم رجل من صالحي المسلمين يقال لهُ عبد الله بن حَذَف احد بني ابي بكر بن كِلاب فاشتدَّ عليهِ وعليهم الجوع حتى كادوا يهلكون . فقال عبد الله بن حذف :

ألا أبلغ ابا بكر رسولًا ... وفتيانَ المدينة اجمعينا
فهل لكمُ الى قوم كرامٍ ... قُعود في جوَاثى مُحصَرينا
كأنَّ دماءَهم في كل فجٍّ ... شُعاعُ الشمس يغشَى الناظرينا
توكلنا على الرحمن انا ... وجدنا النصرَ للمتوكلينا

قال مِنجاب بن راشد : بعث ابو بكر العَلاء بن الحَضرَميّ على قتال

---

١) تأشّب اي انضمّ اليه والتفّ عليه ٢) الزّط قوم سود من السند وكذلك السابجة ٣) دارين فرضة بالبحرين . وعوض « فاقاله » يروى « فاقاموا له » ويروى « فاقاموا بهِ »

اهل الردّة بالبحرين . فتلاحق بهِ من لم يرتدّ من المسلمين . فسرنا حتى نزلنا هَجَر . فأرسل العلاء الى الجارود ورجل آخر أن : انضمّا في عبد القيس حتى تنزلا على الحطم مما يليكما . وخرج هو فيمن معهُ وفيمن قدر عليهِ حتى ينزل مما يلي هجر . وتجمّع المسلمون كلهم الى العلاء بن الحضرميّ . ثم خندق المسلمون والمشركون فكانوا يتراوحون القتال ويرجعون الى خَندقهم فكانوا كذلك شهراً . فبينا الناس ليلةً كذلك اذ سمع المسلمون في عسكر المشركين ضوضاء شديدة فكأنها ضوضاء هزيمة . فقال العلاء : من يأتينا بخبر القوم . فقال عبد الله بن حَذَف : انا آتيكم بخبر القوم . وكانت امهُ عِجلية . فخرج حتى اذا دنا من خندقهم اخذوه فقالوا لهُ : من انت . فانتسب لهم وجعل ينادي : يا أَبجَراه . فجاء ابجر بن بُجَير فعرفهُ فقال : ما شأنك . فقال : لا اضيعنَّ الليلةَ بين اللهازم . علامَ اقتل وحولي عساكر من عجل وتَيم اللات وعَنَزة وقيس . ايتلاعب بي الحطم ونُزَّاع القبائل وانتم شهود . فتخلّصهُ وقال : والله اني لأَظنُّك بئس ابن الاخت لأَخوالك الليلة . قال : دعني من هذا وأَطعِمني فقد متُّ جوعاً . فقرّب اليهِ طعاماً . فأكل ثم قال : زوّدني واحملني وجوّزني انطلق الى طِيّتي . ويقول ذلك لرجل قد غلب عليهِ الشراب . ففعل وحملهُ على بعير وزوّدهُ وجوّزهُ . وخرج عبد الله حتى دخل عسكر المسلمين فاخبرهم ان القوم سُكارى . فخرج القوم عليهم حتى اقتحموا عسكرهم فوضعوا فيهم السيوف حيث شاءوا واقتحموا الخندق هُرّاباً فمتردٍّ وناجٍ ودهش ومقتول ومأسور . واستولى المسلمون على ما في العسكر ولم يُفلِت رجل الّا بما عليه . فأما ابجر فافلت . واما الحطم فانهُ بعِل ودهش وطار

فوَّادهُ . فقام الى فرسه والمسلمون خِلالَهم يجوسونهم (١ ليركبهُ فلما وضع رجلهُ في الركاب انقطع . فمرَّ به عفيف بن المنذر احد بني عمرو بن تميم والحطم يستغيث ويقول : ألا رجل من بني قيس بن ثعلبة يعقِلني . فرفع صوتهُ فعرفهُ عفيف فقال : ابن ضبيعة . قال : نعم . قال : اعطِني رجلك اعقلك . فاعطاهُ رجلهُ يعقلها فنفحها فأطنَّها(٢ من الفخذ وتركهُ . فقال : أجهز عليَّ . فقال : اني لَأُحِبُّ ان لا تموت حتى امضَّك . وكان مع عفيف عدَّة من ولد ابيه فأُصيبوا ليلتئذٍ . وجعل الحطم يقول ذلك لمن لا يعرفهُ حتى مرَّ به قيس بن عاصم . فقال لهُ ذلك . فعرفهُ فصلَتَ عليه فقتلهُ . فلما رأى فخذهُ نادرًا قال : واسوءتاهُ لو عرفتُ الذي به لم احرِّكهُ . وخرج المسلمون بعد ما احرزوا الخندق على القوم يطلبونهم فاتبعوهم . فلحق قيس بن عاصم المجرَ وكان فرس المجر اقوى من فرس قيس . فلما خشي ان يفوتهُ طعنهُ في العرقوب فقطع العصَب وسلِم النسا . فقال عفيف بن المنذر في ذلك :

فان يرقِ العرقوبُ لا يرقِ النَّسا وما كل من تلقى بذلك عالمُ
ألم ترَ انَّا قد فللنا حُماتَهم بأُسرةِ عمرو والربابُ الاكارمُ

وأسر عفيف بن المنذر الغَرورَ ابن اخي النعمان بن المنذر . فكلمتهُ الرباب فيهِ وكان ابن اختهم وسألوهُ ان يُجيرهُ . فجاءَ بهِ الى العلاء وقال : اني اجرتهُ . قال : ومن هو . قال : الغرور . قال العلاء : انت غررت هؤلاء . قال : ايها الملك اني لست بالغرور ولكني المغرور . قال : أسلِمْ .

---

١) اي ترددوا وطافوا خلالهم ينظرون هل بقي احد لم يُقتَل
٢) اي ضربها فقطعها

فأسلم وبقي بهجر . وكان الغرور اسمهُ ليس بلقب . وكان العفيف بن المنذر بن سويد اخا الغرور لامّهِ وكان لهُ يومئذٍ بلاءٌ عظيم . فاصبح العلاء يقسم الانفال ونفّل رجالًا من اهل البلاء ثياباً فيها خميصة ذات اعلام وكان الحطم يباهي فيها . وباع الباقي

مقتل حُجر بن عديّ

ان المُغيرة بن شُعبة لما ولي الكوفة كان يقوم على المنبر فيذمّ عليَّ ابن ابي طالب وشيعته وينال منهم ويلعن قتَلة عثمان ويستغفر لعثمان ويزكّيهِ . فيقوم حجر بن عديّ فيقول : يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقِسْط شُهداء لله ولو على انفسكم . واني اشهد ان من تذمّون أحق بالفضل ممن تُطرُون (١ . ومن تزكُّون أحقّ بالذم ممن تعيبون . فيقول لهُ المغيرة : يا حجر ويحك اكفف من هذا واتقِ غَضْبة السلطان وسطوته فانها كثيراً ما تقتل مثلك . ثم يكفّ عنهُ . فلم يزل كذلك حتى كان المغيرة يوماً في آخر ايامه يخطب على المنبر فنال من عليّ بن ابي طالب عليهِ السلام ولعنهُ ولعن شيعتهُ . فوثب حجر فنعر نعْرة اسمعت كل من كان في المسجد وخارجهُ فقال لهُ : انك لا تدري ايها الانسان بمن تولَّعُ او هَرِمتَ . مُر لنا بأعطياتنا وأرزاقنا فانك قد حبستها عنا ولم يكن ذلك لك ولا لمن كان قبلك وقد اصبحتَ مُولَعاً بذمّ امير المؤمنين وتقريظ المُجرمين . فقام معهُ اكثر من ثلاثين رجلًا يقولون : صدق والله حُجر مُر لنا بأعطياتنا فانّا لا ننتفع بقولك هذا ولا يُجدي علينا .

---

١) أطراهُ اذا مدحه بما ليس فيهِ

واكثروا في ذلك . فنزل المغيرة ودخل القصر . فاستأذن عليه قومه ودخلوا ولاموه في احتماله حجرًا . فقال لهم : اني قد قتلته . قالوا : وكيف ذلك . قال : انهُ سيأتي امير بعدي فيحسبهُ مثلي فيصنع بهِ شبيهاً بما ترونه . فيأخذه عند اوَّل وَهْلة فيقتله شرَّ قتلة . انهُ قد اقترب اَجلي وضعف عملي وما أُحبُّ ان أَبتدئ اهلَ هذا المصر بقتل خيارهم وسفك دمائهم فيَسعَدوا بذلك وأشقى ويعزّ معاوية في الدنيا ويذلّ المغيرة في الآخرة . سيذكرونني لو قد جرَّبوا العمَّال . قال الحسن بن عقبة : فسمعت شيخاً من الحي يقول : قد والله جرَّبناهم فوجدناه خيرَهم

(قال) ثم هلك المغيرة سنة خمسين فجمعت الكوفة والبصرة لزياد فدخلها ووجَّه الى حجر فجاءهُ وكان لهُ قبل ذلك صديقاً . فقال لهُ : قد بلغني ما كنت تفعلهُ بالمغيرة فيحتملهُ منك . واني والله لا احتملك على مثل ذلك ابدًا . ارأيت ما كنتَ تعرفني به من حبّ عليّ وودّه فان الله قد سلخهُ من صدري فصيَّرهُ بغضاً وعداوة . وما كنتَ تعرفني به من بغض معاوية وعداوته فان الله قد سلخهُ من صدري وحوَّلهُ حبًّا ومودَّة . واني اخوك الذي تَعهدُ . اذا اتيتني وانا جالس للناس فاجلس معي على مجلسي . واذا اتيت ولم اجلس للناس فاجلس حتى أخرج اليك . والك عندي في كل يوم حاجتان حاجة غدوةً وحاجة عشيةً . انك ان تَستقمْ تسلَمْ لك دنياك ودينك وان تأخذ يميناً وشمالًا تُهلِكْ نفسك وتُشِطْ عندي دمك(١ اني لا احبُّ التنكيل قبل التقدمة ولا آخذ بغير حجة .

---

١) تشيط دمك اي عملتَ في هلاكك وعرَّضت ذاتك للقتل . واصل الاشاطة الإحراق

اللهمَّ أشهدْ . فقال حجر : لن يرى الامير مني الَّا ما يُحبّ وقد نصح وانا قابل نصيحتهُ . ثم خرج من عنده . فكان يتَّقيه ويهابهُ

وكان زياد يُدنيهُ ويُكرمهُ ويفضّله . والشيعة تختلف الى حجر وتسمع منهُ . وكان زياد يشتو بالبصرة ويَصيف بالكوفة ويستخلف على البصرة سَمُرة بن جُندَب وعلى الكوفة عمرو بن حُرَيث . فقال لهُ عمارة ابن عقبة : انَّ الشيعة تختلف الى حجر وتسمع منهُ ولا اراه عند خروجك الَّا ثائرًا . فدعاهُ زياد فحذَّره ووعظه وخرج الى البصرة . واستعمل عمرو ابن حُريث . فجعل الشيعة تختلف الى حجر . ويجيء حتى يجلس في المسجد فتجتمع اليهِ الشيعة حتى يأخذوا ثلث المسجد او نصفهُ وتُطيف بهم النظَّارة ثم يمتلئ المسجد . ثم كثُروا وكثر لغَطهم وارتفعت اصواتهم بذمّ معاوية وشتمه ونقص زياد . وبلغ ذلك عمرو بن حريث فصعد المنبر واجتمع اليهِ اشراف اهل المِصر . فحثَّهم على الطاعة والجماعة وحذَّرهم الخِلاف . فوثب اليهِ عُنُق من اصحاب حجر يكبّرون ويشتمون حتى دنوا منهُ فحصبوه وشتموه حتى نزل ودخل القصر وأغلق عليهِ بابه وكتب الى زياد بالخبر . فلما اتاه انشد يتمثل بقول كعب بن مالك :

فلما غدوا بالعرض قال سَراتنا علامَ اذا لم نمنع العرض نزرعُ

ما انا بشيء ان لم امنع الكوفة من حجر وادعه نكالًا لمن بعده . ويل امّك حجر لقد سقط بك العِشاء على سِرحان . ثم اقبل حتى اتى الكوفة فدخل القصر . ثم خرج وعليهِ قباء سندس ومِطرف خزّ أخضر . وحجر جالس في المسجد وحولهُ اصحابهُ ما كانوا . فصعد المنبر فخطب وحذَّر الناس ثم قال لشدَّاد بن الهيثم الهلاليّ امير الشرط : اذهب فائتني بحجر .

فذهب اليه فدعاه . فقال اصحابه : لا يأتيه ولا كرامة فسبُّوا الشرط . فرجعوا الى زياد فاخبروه . فقال . يا اشراف أهل الكوفة أتشجُّون بيد وتأسون بأُخرى . ابدانكم عندي وأهواؤكم مع هـذا الهَجَّاجة المذبوب (١ . انتم معي واخوتكم وابناؤكم وعشيرتكم مع حجر . فوثبوا الى زياد فقالوا : معاذ الله ان يكون لنا فيما ههنا رأي الّا طاعتك وطاعة امير المؤمنين . وكل ما ظننت ان يكون فيهِ رضاك فمُرنا به . قال : ليقم كل امرئٍ منكم الى هذه الجماعة التي حول حجر فليدعُ الرجل اخاه وابنه وذا قرابته ومن يطيعه من عشيرته حتى تقيموا عنهُ كل من استطعتم . ففعلوا وجعلوا يقيمون عنهُ اصحابه . حتى تفرَّق اكثرهم وبقي اقلّهم . فلما رأى زياد خفة اصحابه قال لصاحب شرطته : اذهب فائتني بحجر . فان تبعك والّا فمر من معك ان ينتزعوا عُمُد السُّوق (٢ ثم يشدُّوا عليهِ حتى يأتوا بهِ ويضربوا مَن حال دونهُ . فلما اتاه شدّاد قال لهُ : أجبِ الامير . فقال اصحاب حجر : لا والله ولا نِعمةَ عينٍ لا يجيبه . فقال لأصحابه : عليَّ بعمد السُّوق . فاشتدُّوا اليها فأقبلوا بها . فقال عمير بن يزيد الكلبي ابو العَمَرَّطة : انهُ ليس معك رجل معهُ سيف غيري فما يغني سيفي . قال : فما ترى . قال : قم من هذا المكان فالحق باهلك يَمنعْك قومُك . فقام وزياد ينظر على المنبر اليهم . فغشَّوا حجرًا بالعمد . فضرب رجل من الحمراء يقال لهُ بكر بن عبيد رأسَ عمرو بن الحَمِق بعَمُود فوقع . واتاه ابو سفيان بن العُوَيمر والعجلان بن ربيعة وهما

---

١) رجل هجاجة وهجهاجة احمق لا عقل له ولا رأي . مذبوب اصابه الذُّباب

٢) في الاصل « السيوف »

رجلان من الازد فحملاه فأتيا بهِ دارَ رجلٍ من الازد يقال لهُ عبيد الله ابن موعد. فلم يزل بها متوارياً حتى خرج منها (١

(قال) فقال زياد وهو على المنبر: لتقم همدان وتميم وهوازن وابناء بغيض ومذحج واسد وغطفان فليأتوا جَبَّانة كندة وليمضوا من ثمَّ الى حجر فليأتوني بهِ. ثم كره ان تسير مضر مع اليمن فيقع شغب واختلاف أو تنشَب الحمية فيما بينهم فقال: لتقم تميم وهوازن وابناء بغيض واسد وغطفان. ولتمضِ مذحج وهمدان الى جبانة كندة ثم ليمضوا الى حجر فليأتوني بهِ. وليسرِ اهل اليمن حتى ينزلوا جبّانة الصيداويّين وليمضوا الى صاحبهم فليأتوني بهِ. فخرجت الازد وبَجيلة وخَثعَم والانصار

---

١) قال ابو مخنف: فحدثني يوسف بن زياد عن عبيد الله بن عون قال: لما انصرفنا عن غزوة باجُمَيْرا قبل قتل عبد الملك مصعبًا بعام فاذا انا بالاحمري الذي ضرب عمرو بن الحمق يسايرني ولا والله ما رأيتهُ منذ ذلك اليوم وما كنت أُرَى لو رأيتهُ ان اعرفهُ. فلما رأيتهُ ظننتهُ هو هو وذلك حين نظرنا الى ابيات الكوفة. فكرهت أن أسألهُ: أنت ضارب عمرو بن الحمق فيكابرني. فقلت لهُ: ما رأيتك منذ اليوم الذي ضربتَ فيهِ رأس عمرو بن الحمق بالعمود في المسجد فصرعتهُ حتى يومي. ولقد عرفتك الآن حين رأيتك. فقال لي: لا تُعدَم بصرَك ما أثبتَ نظرَك. كان ذلك أمر الشيطان. أما والله لقد بلغني انهُ قد كان امرءًا صالحًا ولقد ندمت على تلك الضربة فأستغفر الله. فقلت لهُ: الآن ترى. لا والله لا افترق انا وانت حتى اضربك في رأسك مثل الضربة التي ضربتها عمرو بن الحمق أو أموت أو تموت. (قال) فناشدني وسألني بالله. فابيت عليهِ ودعوت غلامًا يدعى بشيرًا من سبي اصبهان معهُ قناة له صُلبة. فأخذتها منهُ ثم أحمل عليهِ. فنزل عن دابته. فألحقته حين استوت قدماه على الارض فأصفقُ بها هامته. فخرّ لوجهه وتركتهُ فمضيت. فبرأ بعد ذلك فلقيته مرتين من دهري كل ذلك يقول لي: الله بيني وبينك. فأقول لهُ: الله بينك وبين عمرو بن الحمق

وقُضاعة وخُزاعة فنزلوا جبانة الصيداويّين . ولم تخرج حضرموت مع اليمن لمكانهم من كندة

قال ابو مخنف : فحدثني سعيد بن يحيى بن مخنف عن محمد بن مخنف قال: فاني لمع اهل اليمن وهم يتشاورون في امر حجر . فقال لهم عبد الرحمن بن مخنف : انا مشير عليكم برأيي فان قبلتموه رجوت ان تسلموا من اللائمة والاثم أن تلبثوا قليلًا حتى تكفيكم عجلة في شباب مذحج وهمدان ما تكرهون أن يكون من مساءة قومكم في صاحبكم . فأجمع رأيهم على ذلك . فلا والله ما كان الّا كلا ولا (١ حتى اتينا فقيل لنا : ان شباب مذحج وهمدان قد دخلوا فاخذوا كل ما وجدوا في بني بجيلة . (قال) فمرَّ اهل اليمن على نواحي دور كندة مُعذِرين . فبلغ ذلك زيادًا فاثنى على مذحج وهمدان وذمَّ اهل اليمن . فلما انتهى حجر الى داره ورأى قلّة من معهُ قال لاصحابه : انصرفوا فوالله ما لكم طاقة بمن اجتمع عليكم من قومكم وما أحبّ ان أُعرّضكم للهلاك . فذهبوا لينصرفوا فلحقتهم أوائل خيل مذحج وهمدان . فعطف عليهم عمير بن يزيد وقيس بن يزيد وعبيدة بن عمرو وجماعة فتقاتلوا معهم . فقاتلوا عنهُ ساعة فجرحوا وأُسر قيس بن يزيد وأفلت سائر القوم . فقال لهم حجر : لا ابا لكم تفرَّقوا لا تُقتَلوا فاني آخذ في بعض هذه الطرق . ثم اخذ نحو طريق بني حرب من كندة حتى اتى دار رجل منهم يقال لهُ سليمان بن يزيد فدخل داره . وجاء القوم في طلبه . ثم انتهوا الى تلك الدار فأخذ سليمان بن يزيد سيفه ثم ذهب

١) اي بسرعة قولك لا لا

ليخرج اليهم . فبكت بناتهُ . فقال لهُ حجر : ما تريد لا أبا لك . فقال لهُ : اريد والله ان ينصرفوا عنك فان فعلوا والّا ضاربتهم بسيفي هذا ما ثبت قائمهُ في يدي دونك . فقال لهُ حجر : بئسَ والله إذنْ ما دخلتُ به على بناتك . أما في دارك هذه حائط أقتحمهُ او خوخة أخرُجُ منها عسى الله ان يسلّمني منهم ويسلّمك فانَّ القوم ان لم يقدِروا عليَّ في دارك لم يضرَّك امرهم . قال : بلى هذه خوخة تُخرجك الى دور بني العنبر من كندة . فخرج معهُ فتية من الحيّ يقصُّون لهُ الطريقَ ويسلكون بهِ الأزِقّة حتى افضى الى النَّخَع (١ . فقال عند ذلك : انصرفوا يَرحمكم الله . فانصرفوا عنهُ . وأقبل الى دار عبد الله بن الحرث اخي الاشتر فدخلها . فانهُ لكذلك قد أُلقي لهُ عبد الله الفُرُش وبسط لهُ البُسُط وتلقّاه ببَسْطِ الوجه وحُسْن البِشر اذ أُتي فقيل لهُ : ان الشُرَط تسأل عنك في النخع . وذلك انَّ أمة سوداء يقال لها ادماء لقيتهم فقالت لهم : من تطلبون . قالوا : نطلب حجرًا . فقالت : هوذا قد رأيتهُ في النَّخَع . فانصرفوا نحو النخع . فخرج متنكّرًا . وركب معهُ عبد الله ليلًا حتى اتى دار ربيعة بن ناجذ الازديّ فنزل بها . فمكث يوماً وليلة

فلما اعجزهم ان يقدروا عليهِ دعا زيادٌ محمدَ بن الاشعث فقال : أما والله لتأتيني بحجر او لا أَدَعُ لك نخلة الّا قطعتُها ولا دارًا الّا هدمتُها . ثم لا تسلم مني بذلك حتى أُقطِّعك إرْباً إرْباً (٢ . فقال لهُ : امهلني اطلبه . قال : قد امهلتك ثلاثاً فان جئتَ بهِ والّا فاعدُد نفسك من الهالكى .

---

١) النخع قبيلة من اليمن وهم من مدحج

٢) اي عُضوًا عُضوًا

وأخرج محمد نحو السجن وهو منتقع اللون يَتُلُّ تلًّا (١ عنيفاً . فقال حجر ابن يزيد الكندي من بني مرّة لزياد : ضمّنيهِ وخلِّ سبيله ليطلب صاحبه فانهُ مخلّى سَرْبه (٢ احرى ان يقدر عليهِ منهُ اذا كان محبوساً . قال : أتضمنهُ لي . قال : نعم . قال : أما والله لئن حاص (٣ عنك لاوردنّك شَعُوبَ (٤ وان كنتَ الآن عليَّ كريماً . قال : انهُ لا يفعل . فخلّى سبيله

ثم ان حجر بن يزيد كلّمه في قيس بن يزيد وقد أُتي بهِ اسيراً . فقال : ما عليهِ من بأس قد عرفنا رأيه في عثمان رضي الله عنهُ وبلاءه مع امير المؤمنين بصِفّين . ثم أرسل اليهِ فأُتي بهِ فقال : قد علمتُ انك لم تقاتل مع حجر أنك ترى رأيهُ ولكن قاتلتَ معهُ حميّةً وقد غفرنا لك لما نعلمه من حسن رأيك . ولكن لا ادَعك حتى تأتيني بأخيك عمير . قال : آتيك بهِ ان شاء الله . قال : هات من يضمنه معك . قال : هذا حجر ابن يزيد . قال حجر : نعم على ان تؤمنه على ماله ودمه . قال : ذلك لك . فانطلقا فأتيا بهِ . فأمر بهِ فأُوقر حديداً ثم اخذتهُ الرجال ترفعهُ حتى اذا بلغ سُرَرَها ألقوه فوقع على الارض : ثم رفعوهُ فألقوه . ففُعل به ذلك مراراً . فقام اليهِ حجر بن يزيد فقال : او لم تؤمنه . قال : بلى لست أُهريق لهُ دماً ولا آخذ لهُ مالًا . فقال : هذا يُشفي بهِ على الموت (٥ . وقام كل من كان عنده من اهل اليمن فكلّموه فيهِ . فقال : أتضمنونه لي بنفسه متى احدث حدثاً اتيتموني بهِ . قالوا : نعم . فخلّى سبيله

---

١) تلَّ تصرّع وسقط ٢) اي مخلى سبيله ٣) حاص حاد وهرب ٤) شعوب المنيّة وهو غير منصرف ٥) اشفى بهِ اشرف . ولا يكاد يقال اشفى الّا في الشرّ : مرض مرضاً اشفى به على الموت

ومكث حجر في منزل ربيعة بن ناجذ يوماً وليلة . ثم بعث الى ابن الاشعث غلاماً يدعى رشيداً من سبي اصبهان فقال لهُ : انهُ قد بلغني ما استقبلك بهِ هذا الجبّار العَنيد فلا يهولنَّك شيءٌ من امره فاني خارج اليك فأجمعْ نفرًا من قومك وادخلْ عليهِ واسئله ان يؤمنني حتى يبعثني الى معاوية فيرى فيَّ رأيه . فخرج محمد الى حجر بن يزيد وجرير بن عبد الله وعبدِ الله اخي الاشتر . فدخلوا الى زياد فطلبوا اليهِ فيما سألهُ حجر . فاجاب . فبعثوا اليهِ رسولًا يُعلمونه بذلك . فاقبل حتى دخل على زياد . فقال لهُ : مرحباً يا ابا عبد الرحمن حرب في ايام الحرب او حرب وقد سالم الناس . على نفسها تجني براقش (١ . فقال لهُ : ما خلعتُ يدًا عن طاعةٍ ولا فارقتُ جماعة وانّي لعلَى بيعتي . فقال : هيهات يا حجر أتشجُّ بيدٍ وتأسو باخرى وتريد اذا امكنّا الله منك ان نرضى . هيهات والله . فقال : ألم تؤمّني حتى آتي معاوية فيرى فيَّ رأيه . قال : بلى انطلقوا بهِ الى السجن . فلما مُضي بهِ قال : أما والله لولا امانه ما برح حتى يلقط عصبه (٢ . فأُخرج وعليهِ برنس في غداة باردة فحبس عشر ليالٍ . وزياد ما له عمل غير الطلب لرؤوس اصحاب حجر

فخرج عمرو بن الحَمِق ورِفاعة بن شدّاد حتى نزلا المدائن ثم ارتحلا حتى أتيا الموصل فاتيا جبلًا . فكَمِنا فيهِ . وبلغ عاملَ ذلك الرستاق وهو رجل من هَمْدَان يقال لهُ عبيد الله بن ابي بَلتَعة خبرُهما فسار اليهما في الخيل ومعهُ اهل البلد . فلما انتهى اليهما خرجا . فامّا عمرو فكان بطنهُ

---

١) براقش اسم كلبة دلّت العدوّ بنباحها على اهلها فجلبت عليهم الشرّ

٢) ويروى : ما برح او بلفظ مهجتهُ

قد استسقى فلم يكن عنده امتناع . واما رفاعة فكان شاباً قوياً فوثب على فرس لهُ جواد وقال لعمرو : أقاتل عنك . قال : وما ينفعني ان تُقتل . انجُ بنفسك . فحمل عليهم فأفرجوا لهُ حتى أخرَجه فرسُه . وخرجت الخيل في طلبه . وكان رامياً فلم يلحقه فارس الّا رماه فجرحه او عقرَهُ . فانصرفوا عنهُ . وأُخذ عمرو بن الحِمق فسألوه : من انت . فقال : مَن إن تركتموه كان أسلم لكم وان قتلتموه كان أضرّ عليكم . فسألوه فأبى ان يخبرهم . فبعثوا به الى عبد الرحمن بن عثمان وهو ابن امّ الحكم الثقفيّ . فلما رأى عَمرًا عرفهُ فكتب الى معاوية يخبره . فكتب اليهِ معاوية : انهُ زعم انهُ طعن عثمان تسع طعنات وانهُ لا يتعدّى عليهِ فأطعنهُ تسع طعنات كما طعن عثمان . فأُخرج فطُعن تسع طعنات فمات في الاولى منهنّ او في الثانية . وبُعث برأسهِ الى معاوية فكان راسهُ اول راس حُمل في الاسلام

وجدّ زياد في طلب اصحاب حجر وهم يهربون منهُ ويأخذ مَن قدرَ عليهِ منهم . فجاء قيس بن عُباد الشيباني الى زياد فقال لهُ : ان امرءا منا يقال لهُ صَيفي بن فسيل من رؤوس اصحاب حجر وهو اشدُّ الناس عليك . فبعث اليهِ فأُتي بهِ . فقال لهُ زياد : يا عدوَّ الله ما تقول في ابي تُرابٍ . فقال : ما أعرف أبا تراب . قال : ما أعرَفك بهِ اما تعرف عليّ بن ابي طالب . قال : بلى . قال : فذاك ابو تراب . قال : كلّا ذاك ابو الحسن والحسين . فقال لهُ صاحب الشرطة : أيقول لك الامير هو ابو تراب وتقول انت لا . قال : أفإن كذب الامير أردتَ أن اكذبَ واشهد لهُ بالباطل كما شهد . قال لهُ زياد : وهذا ايضاً مع ذنبك . عليّ بالعصيّ .

فأُتي بها . فقال : ما قولك في عليّ . قال : احسنُ قول انا قائله في عبدٍ من عبيد الله اقوله في امير المؤمنين . قال : اضربوا عاتقه بالعصيّ حتى يلصق بالارض . فضُرب حتى لصق بالارض . ثم قال : اقلعوا عنهُ . ما قولك فيهِ . قال : والله لو شرّحتني بالمُدَى والمَواسي ما زلتُ عمّا سمعتَ . قال : لتلعننَّهُ أو لأضربنَّ عنقك . قال : اذًا والله تضربها قبل ذلك فأسعدُ وتشقى ان شاء الله . قال : أوقروه حديدًا واطرحوه في السجن

وجمع زياد من اصحاب حجر بن عدي اثني عشر رجلًا في السجن وبعث الى رؤوس الارباع فاشخصهم فحضروا . وقال : اشهدوا على حجر بما رأيتموه . فشهدوا ان حجرًا جمع اليه الجموع وأظهر شتم الخليفة وعيَّب زيادًا واظهر عذر ابي تراب والترحُّم عليهِ والبراءة من عدوّه واهل حربه وان هؤلاء الذين معهُ رؤوس اصحابه وعلى مثل رأيه . فنظر زياد في الشهادة فقال : ما أظنُّ هذه شهادة قاطعة وأُحبُّ ان يكون الشهودُ اكثرَ من اربعة . فكتب ابو بُرْدة بن ابي موسى : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما شهد عليهِ ابو بردة بن ابي موسى لله ربّ العالمين . شهد ان حجر بن عدي خلع الطاعة وفارق الجماعة ولعن الخليفة ودعا الى الحرب والفتنة وجمع اليهِ الجموع يدعوهم الى نَكْث البيعة وخلع امير المؤمنين معاوية وكفر بالله كفرةً صلعاء (١) . فقال زياد : على مثل هذه الشهادة فاشهدوا . والله لأجهدنَّ في قطع عنق الخائن الاحمق . فشهد رؤوس الارباع الثلاثة الآخرون على مثل ذلك . ثم دعا الناس فقال : اشهدوا على مثل ما شهد عليهِ رؤوس الارباع . فقام عثمان بن شرحبيل

(١) الصلعاء في كلام العرب الداهية والامر الشديد

التيميّ اوّل الناس فقال : اكتبوا اسمي . فقال زياد : ابدأوا بقريش ثم اكتبوا اسم من نعرفه ويعرفه امير المؤمنين بالصحة والاستقامة . فشهد اسحق وموسى واسمعيل بنو طلحة بن عُبيد الله وغيرهم . ودعا المختار ابن ابي عُبيد وعُروة بن المُغيرة بن شُعبة الى الشهادة . فراغا . وشهد سبعون رجلًا . ودفع ذلك الى وائل بن حجر وكَثير بن شِهاب وبعثهما عليهم وأَمرهما ان يُخرجوهم . وكتب في الشهود شُريح بن الحرث وشُريح بن هانئ . فاما شريح بن الحرث فقال : سألني عنهُ فقلت : أَما إنهُ كان صوّاماً قوّاماً . واما شريح بن هانئ فقال : بلغني ان شهادتي كُتبت فاكذبتهُ ولُمتهُ

وجاء وائل بن حجر وكثير بن شهاب فأَخرجا القوم عشيةً وسار معهم اصحاب الشُرَط حتى اخرجوهم فلما انتهوا الى جَبّانة عَرْزَم نظر قَبيصة بن ضُبيعة العبسي الى داره في جبانة عرزم فاذا بناتهُ مُشرفات . فقال لوائل وكثير : أَدنياني أَوص اهلي . فأَدنياه . فلما دنا منهنّ بكينَ فسكت عنهنّ ساعةً . ثم قال : أُسكُتنَ فسكتنَ . فقال : اتّقينَ الله واصبرنَ فاني ارجو من ربّي في وجهي هذا خيرًا احدى الحُسنَيَين إمّا الشّهادة فنعم السّعادة واما الانصراف اليكنّ في عافية . فان الذي كان يرزُقكنّ ويكفيني مَؤُونتكنّ هو الله تبارك وتعالى وهو حيّ لا يموت وارجو ان لا يُضيعكنّ وان يحفظني فيكنّ . ثم انصرف . فجعل قومه يدعون لهُ بالعافية . وجاء شريح بن هانئ بكتاب فقال : بلّغوا هذا عني امير المؤمنين . فتحمّلهُ وائل بن حجر . ومضوا بهم حتى انتهوا الى مرج عذراء فحُبسوا به وهم على امیال من دمشق . وهم حجر بن عدي

الكندي والارقم بن عبدالله الكندي وشريك بن شدّاد الحضرمي وصيفيّ بن فسيل الشيباني وقبيصة بن ضبيعة العبسي وكريم بن عفيف الخثعمي وعاصم بن عوف البَجَلي وورقاء بن سُمَيّ البجلي وكدام بن حيان وعبد الرحمن بن حسان العَنَزِيّان ومحرز بن شهاب المِنقَري وعبدالله ابن جوية التميمي. واتبعهم زياد برجلين وهما عتبة بن الاخنس السعدي وسعيد بن نمران الهَمْداني الناعطي. فكانوا اربعة عشر. فبعث معاوية الى وائل بن حجر وكثير فأدخلهما وفضّ كتابهما وقرأه على اهل الشام: بسم الله الرحمن الرحيم. لعبد الله معاوية بن ابي سفيان امير المؤمنين من زياد بن ابي سفيان. اما بعد فانّ الله قد احسن عند امير المؤمنين البلاء فأداله (١ من عدوّه وكفاه مؤونة من بغى عليه. انّ طواغيت الترابية السّبائية (٢ رأسُهم حجر بن عدي خلعوا امير المؤمنين وفارقوا جماعة المسلمين ونصبوا لنا حرباً فأطفأها الله عليهم وامكننا منهم. وقد دعوتُ خِيارَ اهل المِصْر واشرافَهم وذوي النُّهَى والدِّين فشهِدوا عليهم بما رأوا وعلموا وقد بعثتُ بهم الى امير المؤمنين وكتبتُ شهادة صُلَحاء اهل المصر وخِيارهم في اسفل كتابي هذا. فلما قرأ الكتاب. قال: ما ترون في هؤلاء. فقال يزيد بن اسد البجلي: ارى ان تفرّقهم في قرى الشام فتكفيكهم طواغيتها. ودفع وائل كتاب شُريح اليه. فقرأه وهو: بسم الله الرحمن الرحيم. لعبد الله معاوية امير المؤمنين من شُريح بن هانئ

---

١) اداله من عدوّه نصرهُ عليه ٢) الترابية في ايّام بني امية مَن يميل الى امير المؤمنين علي بن ابي طالب وكنيته ابو تُراب والسبائية الغلاة نسبة الى عبدالله بن سبإ

اما بعد فقد بلغني ان زيادًا كتب اليك بشهادتي على حجر . انهُ ممن يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويأمر بالمعروف وينهي عن المُنكَر حرام المال والدم(١ فان شئت فاقتله . وان شئت فدعهُ . فقرأ كتابه على وائل وقال : ما ارى هذا الّا قد اخرج نفسهُ من شهادتكم . فحبس القوم بعد هذا . وكتب الى زياد : فهمتُ ما اقتصصت من امر حجر واصحابه والشهادة عليهم . فأحياناً ارى ان قتلهم افضل واحياناً ارى ان العفو افضل من قتلهم . فكتب زياد اليهِ مع يزيد بن حُجَيَّة التيمي : قد عجبت لاشتباه الامر عليك فيهم مع شهادة اهل مصرهم عليهم وهم اعلم بهم . فان كانت لك حاجة في هذا المصر فلا تَرُدَّنَّ حجرًا واصحابه اليهِ . فمرَّ يزيد بحجر واصحابه فاخبرهم بما كتب بهِ زياد . فقال لهُ حجر : ابلغ امير المؤمنين انّا على بيعتهِ لا نُقيلها ولا نستقيلها وانما شهد علينا الاعداء والاظنّاء . فقدِم يزيد بن حجية على معاوية بالكتاب واخبره بقول حجر . فقال معاوية : زياد أصدق عندنا من حجر

وكتب جرير بن عبدالله في أمر الرجلين اللذين من بجيلة . فوهبهما لهُ وليزيد بن اسد . وطلب وائل بن حجر في الارقم الكندي فتركه . وطلب ابو الاعور في عُتبة بن الاخنس فوهبه لهُ . وطلب حمزة بن مالك الهمداني في سعيد بن نمران فوهبه لهُ . وطلب حَبيب بن مَسلمة في ابن عبدالله بن جوية التميمي فخلّى سبيله . فقام مالك بن هُبيرة فسألهُ في حجر فلم يشفّعهُ . فغضب وجلس في بيتهِ . وبعث معاوية هُدبةَ بن فياض القضاعيّ والحُصين بن عبدالله الكلابي وآخر معهما يقال لهُ ابو صريف البدري

---

١) حرامُ المال والدم اي لا يستحـلّ سفك الدم واخذ المال ظلماً

فاتوهم عند المساء . فقال الخثعمي حين رأى الاعور : يُقتل نصفُنا وينجو نصفنا . فقال سعيد بن نمران : اللهمَّ اجعلني ممن ينجو وأنت عني راضٍ . فقال عبد الرحمن بن حسان العنزيّ : اللهمَّ اجعلني ممن تكرم بهوانهم وانت عني راضٍ فطالما عرَّضت نفسي للقتل . فأبى الله الَّا ما أراد . فجاء رسول معاوية اليهم . فانهُ لَمعهُم اذ جاء رسول بتخلية ستَّة منهم . وبقي ثمانية . فقال لهم رُسُل معاوية : انَّا قد أُمرنا أن نعرض عليكم البراءة من عليّ واللعن لهُ فان فعلتم هذا تركناكم وان أبيتم قتلناكم . وامير المؤمنين يزعم ان دماءكم قد حلَّت بشهادة اهل مصركم عليكم . غير انهُ قد عفا عن ذلك . فابرأُوا من هذا الرجل يخلّ سبيلكم . قالوا : لسنا فاعلين . فأمروا بقيودهم فحلَّت . وأُتي با كفانهم فقاموا الليل كلهُ يصلُّون . فلما اصبحوا قال اصحاب معاوية : يا هؤلاء قد رأيناكم البارحة اطلتم الصلاة واحسنتم الدعاء فأخبرونا ما قولكم في عثمان . قالوا : هو اول مَن جارَ في الحكم وعمل بغير الحقّ . فقالوا : امير المؤمنين كان أعرف بكم . ثم قاموا اليهم وقالوا : تبرأُون من هذا الرجل . قالوا : بل نتولَّاه . فأخذ كل رجل منهم رجلًا يقتلهُ . فوقع قبيصة في يدي ابي صريف البدري . فقال لهُ قبيصة : ان الشرّ بين قومي وقومك أَمن اي آمن فليقتلني غيرك . فقال : برَّتك رَحِمٌ . فاخذهُ الحضرمي فقتله . وقتل القُضاعي صاحبه . ثم قال لهم حجر : دعوني اصلّي ركعتين فاني والله ما توضأت قط الَّا صليت . فقالوا لهُ : صلِّ . فصلَّى ثم انصرف فقال : والله ما صلَّيت صلاة قط أقصر منها ولولا ان يروا أنَّ ما بي جَزَعٌ من الموت لأحببت ان استكثر منها . ثم قال : اللهمَّ انَّا نستعديك على امَّتنا فانَّ اهل الكوفة قد شهدوا علينا

وان اهل الشام يقتلوننا . اما والله لئن قتلتمونا فاني اوّل فارس من المسلمين سلك(١ في واديها واول رجل من المسلمين نبحتهُ كلابها . فمشى اليه هدبة بن الفياض الاعور بالسيف . فأُرعدت فصائله . فقال : كلّا زعمتَ انك لا تجزع من الموت . فانّا ندَعُك فابرأ من صاحبك . فقال : ما لي لا اجزع وانا ارى قبرًا محفورًا وكفنًا منشورًا وسيفًا مشهورًا . واني والله ان جزعت لا اقول ما يُسخِط الرب . فقتلهُ . واقبلوا يقتلونهم واحدًا واحدًا حتى قتلوا ستة نفر . فقال عبد الرحمن بن حسّان وكريم ابن عفيف : ابعثوا بنا الى امير المؤمنين فنحن نقول في هذا الرجل مثل مقالته . فبعثوا الى معاوية فاخبروه . فبعث : ائتوني بهما . فالتفتا الى حجر فقال لهُ العَنزي : لا تبعد يا حجر ولا يبعد مَثواك فنعم اخو الاسلام كنت . وقال الحثعمي نحو ذلك . ثم مُضي بهما . فقال العنزيّ متمثلًا :

كفى بشفاةِ القبرِ بُعدًا لهالكٍ وبالموت قطّاعاً لحبل القرائنِ

فلما دخل عليه الحثعميّ قال لهُ : الله الله يا معاوية انك منقول من هذه الدار الزائلة الى الدار الآخرة الدائمة ومسؤول عمّ اردت بقتلنا وفيمَ سفكت دماءنا . فقال : ما تقول في عليّ . قال : اقول فيهِ قولك . أَتتبرّأُ من دين عليّ الذي كان يدين الله بهِ . وقام شِمر بن عبدالله الحثعمي فاستوهبهُ . فقال : هو لك غير اني حابسهُ شهرًا . فحبسهُ ثم اطلقهُ على ان لا يدخل الكوفة ما دام لهُ سلطان . فنزل الموصل فكان ينتظر موت معاوية ليعود الى الكوفة فمات قبل معاوية بشهر . واقبل على عبد الرحمن بن حسّان فقال لهُ : يا اخا ربيعة ما تقول في عليّ . قال : اشهد انهُ

---

١) روى الطبري « هلك »

من الذاكرين الله كثيرًا والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكَر والعافين عن الناس . قال : فما تقول في عثمان . قال : هو اوَّل من فتح ابواب الظلم وأَرتجَ ابواب الحقّ . قال : قتلتَ نفسك . قال : بل اياكَ قتلتُ . لا ربيعة بالوادي يعني انهُ ليس ثَمَّ احد من قومهِ فيتكلَّم فيهِ . فبعث بهِ معاوية الى زياد وكتب اليهِ : ان هذا شرّ مَن بعثتَ بهِ فعاقبهُ بالعقوبة التي هو اهلها واقتلهُ شرّ قتلة . فلما قُدم بهِ على زياد بعث بهِ الى قيس الناطف فدفنهُ حيًّا . قال ابو مخنف عن رجالهِ : فكان من قُتل منهم سبعة نفر . وبعث معاوية الى مالك بن هُبَيرة لما غضب بسبب حجر مائة الف درهم فرضي . قال ابو مخنف : فحدَّثني ابن ابي زائدة عن ابي اسحق قال : ادركتُ الناس يقولون اوَّل ذُلٍّ دخل الكوفة قتلُ حجر بن عدي ودعوةُ زياد(١ وقتلُ الحسين . وحدَّثني عبد الملك بن نوفل : ان عائشة بعثت عبد الرحمن بن الحرث بن هشام الى معاوية في حجر واصحابه . فقدم عليهِ وقد قتلهم فقال لهُ : اين غاب عنك حِلمُ ابي سفيان . فقال : حين غاب عني مثلك من حلماء قومي وحملني ابن سُمية(٢ فاحتملت . وقالت امرأَة من كندة ترثي حجرًا :

ترفَّع ايها القمرُ المنيرُ ... لعلَّك ان ترى حُجرًا يسيرُ
يسير الى معاويةَ بن حربٍ ... ليقتلهُ كما زعم الامـيرُ
ألا يا ليت حجرًا مات موتاً ... ولم يُنحَر كما نُحِرَ البعيرُ
تربَّعتِ الجبابرُ بعد حجرٍ ... وطاب لها الخورنق والسَّديرُ

---

١) دعوة زياد اي ادّعاء معاوية انَّ زيادًا اخوه وإلحاقهُ بولد ابي سُفيان
٢) ابن سمية زياد

واصبحتِ البلاد لهُ مُحولًا كأَنْ لم يُحيها مُزنٌ مَطيرُ
ألا يا حجرُ حجرَ بني عديٍّ تلقتكَ السلامة والسرورُ
اخاف عليكَ سطوة آل حربٍ وشيخاً في دمشقَ لهُ زئيرُ
يرى قتلَ الخيار عليهِ حقًّا لهُ من شرّ أُمَّتـهِ وزيرُ
فان تهلك فكلُّ زعيم قومٍ الى هُلكٍ من الدنيـا يصيرُ

اهل الكوفة وسعيد بن العاص

كانت ولاية ابي موسى الكوفة بعد ان أَخرج أَهلُها سعيد بن العاص عنها وتحالفوا ان لا يولُّوا عليها الَّا من يريدون. أخبر بالسبب في ذلك احمد بن العزيز الجوهري قال :

كان قوم من وجوه اهل الكوفة من القرَّاء يختلفون الى سعيد بن العاص ويسألونه. فتذاكروا يوماً السهل والجبل فقال حسان بن محدوج: سهلُنا خير من جبلنا. اكثر بُرًّا وشعيرًا. فيهِ أَنهار مطَّردة ونخل باسقات. وقلَّت فاكهة يُنبتها الجبل الَّا والسهل يُنبت مثلها. فقال لهُ عبد الرحمن ابن حبيش: صدقتم. وددتُ انها للامير وانَّ لكما افضل منهُ. فقال الاشتر: تمنَّ للامير افضل ولا تتقرَّب اليهِ بأَموالنا. فقال: ما ضرَّك ذلك والله لو يشاء ان يكون لهُ لكان. قال: لقد كذبت. والله لو أراد ذلك ما قدر عليهِ. فقال سعيد: والله ما السواد الَّا بستان لقريش ما شئنا اخذنا منهُ وما شئنا تركنا. فقال لهُ الاشتر: وانت تقول هذا اصلحك الله وهذا من مركز رماحنا وفيئنا. ثم ضربوا عبد الرحمن بن

حبيش حتى سقط . قال المدائني : فحدّثني عليّ بن مجاهد قال : بينا القرّاء عند سعيد بن العاص وهم يأكلون تمرًا وزُبدًا اذ قال سعيد : السواد بستان قريش فما شئنا اخذنا منهُ وما شئنا تركنا . فقال لهُ عبد الرحمن بن حبيش وكان على شُرطة سعيد : صدق الامير . فوثب عليهِ القرّاء فضربوه وقالوا لهُ : يا عدوّ الله يقول الباطل وتُصدّقهُ . فقال سعيد : أُخرُجوا من داري . فخرجوا . فلما اصبحوا أتوا المسجد فداروا على الخلق فقالوا : انّ اميركم زعم ان السواد بستان لهُ ولقومهِ وهو فيئنا ومركز رماحنا . فوالله ما على هذا بايعنا ولا عليهِ أسلمنا . فكتب سعيد الى عثمان رضي الله عنهُ : ان قِبَلي قوماً يُدعَون القرّاء وهم السفهاء وثبوا على صاحب شرطتي فضربوه واستخفُّوا بي . منهم عمرو بن زُرارة وكُميل بن المكفف وزيد وصعصعة ابنا صُوحان وجُندَب بن عبدالله . فكتب اليهم عثمان رضي الله عنه يأمرهم ان يخرجوا الى الشأم ويغزوا مغازيهم . وكتب الى سعيد : قد كفيتك الذي اردت فاقرأهم كتابي فاني لا اراهم يخالفون ان شاءَ الله واتّقِ الله جلّ وعزّ وأحسن السيرة . فأقرأهم الكتاب فخرجوا الى دمشق فاكرمهم معاوية وقال : انكم قدمتم بلدًا لا يعرف اهلهُ الّا الطاعة فلا تجادلوهم فتُدخِلوا الشكّ قلوبهم . فقال لهُ الاشتر : ان الله جلّ وعزّ قد أخذ على العلماءِ في علمهم ميثاقًا ان يبيّنوه للناس ولا يكتموه . فان سألنا سائل عن شيءٍ نَعلَمهُ لم نكتُمه . فقال : قد خفت ان تكونوا مُرصِدين(١ للفتنة فاتقوا الله ولا تكونوا كالذين تفرّقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البيّنات . فقال عمرو بن زرارة : نحن

١) الإرصاد الانتظار والتهيّؤ والاستعداد

مفرّغ اخاه عبّادًا شقّ عليه . فلما سار اخوه عباد شيّعهُ وشيّعهُ الناس معه وجعلوا يودّعونهُ ويودّع الخارجون مع عباد عبيد الله بن زياد . فلما أراد عبيد الله ان يودّع اخاه دعا ابن مفرّغ فقال لهُ : انك سألت عبادًا ان تصحبه وأجابك الى ذلك وقد شقّ عليّ . فقال لهُ ابن مفرّغ : ولمَ أصلحك الله . قال : لان الشاعر لا يقنعهُ من الناس ما يقنع بعضهم من بعض لانهُ يظنّ فيجعل الظنّ يقيناً ولا يَعذِر في موضع وانّ عبادًا يقدُم على ارض حرب فيشتغل بحروبهِ وخراجهِ عنك فلا تعذِرهُ انت وتُكسِبنا شرًّا وعارًا . فقال لهُ : لستُ كما ظنّ الامير وانّ لمعروفهِ عندي لَشكرًا كثيرًا وانّ عندي إن أغفل امري عُذرًا ممهّدًا . قال : لا ولكن تضمن لي ان ابطأ عنك ما تحبّه ان لا تعجل عليه حتى تكتب اليّ . قال : نعم . قال : امضِ اذًا على الطائر الميمون . (قال) فقدم عباد خراسان واشتغل بحربهِ وخراجهِ فاستبطأهُ ابن مفرّغ ولم يكتب الى عبيد الله بن زياد يشكوه كما ضمن لهُ ولكنهُ بسط لسانه فذمّه وهجاه . وكان عباد عظيم اللحية كأنها جُرالق . فسار يزيد بن مفرّغ مع عباد فدخلت الريح فنفشتها فضحك ابن مفرّغ وقال لرجل من لخم كان الى جنبهِ قوله :

الا ليت اللّحى كانت حشيشاً فنَعلِفَها خيولَ المسلمينا

فسعى بهِ اللخمي الى عباد فغضب من ذلك غضباً شديدًا وقال : لا يجمل بي عقوبتهُ في هذه السرعة مع الصحبة لي وما اؤخّرها الّا لأشفي نفسي منهُ لانهُ كان يقوم فيشتم أبي في عدّة مواطن . وبلغ الخبر ابن مفرّغ فقال : اني لأجد ريحَ الموت من عباد . ثم دخل عليهِ فقال لهُ : ايها الامير اني كنت مع سعيد بن عثمان وقد بلغك رأيهُ فيّ وجميل

اثره عليَّ واني اخترتك عليه فلم أَحْلَ منك بطائل وأُريد أَن تأذن لي في الرجوع فلا حاجة لي في صحبتك. فقال لهُ: امَّا اختيارك اياي فاني اخترتُك كما اخترتني واستصحبتك حين سألتني وقد اعجلتني عن بلوغ محبتي فيك. وطلبتَ الآن لترجع الى قومك فتفضحني فيهم. وانت على الاذن قادر بعد ان أقضي حقك. وبلغ عبادًا انهُ يسبّه ويذكره وينال من عرضهِ. وأجرى عباد الخيلَ فجاءَ سابقاً. فقال ابن مفرّغ: سبق عباد وصلُحت لحيتهُ. وطلب عليه العللَ ودسَّ الى قومٍ كان لهم عليهِ دَينٌ فأمرهم ان يقدّموه اليهِ. ففعلوا. فحبسهُ وأضرَّ بهِ فبعث اليهِ أَنْ: بعني الاراكة وبُردًا. وكانت الاراكة قينة لابن مفرّغ وبرد غلامه ربَّاهما وكان شديد الضَنّ بهما. فبعث اليهِ ابن مفرّغ مع الرسول: أيبيع المرء نفسهُ او ولدهُ. فأضرّ بهِ عباد حتى اخذهما منهُ. هذه رواية مسلمة. واما لقيط وعمر بن شبَّة فانهما ذكرا انهُ باعهما عليهِ فاشتراهما رجل من اهل خراسان. قال لقيط: فلما دخلا منزلهُ قال لهُ برد وكان داهية اديباً: أتدري ما اشتريتَ. قال: اشتريتك وهذه الجارية. قال: لا والله ما اشتريتَ الَّا العارَ والدَّمارَ والفضيحةَ ابدًا ما حييتَ. فجزع الرجل وقال لهُ: كيف ذلك ويلك. قال: نحن ليزيد بن ربيعة بن مفرّغ. والله ما أَصارَهُ الى هذه الحال الّا لسانه وشرّه. أفتراه يهجو ابن زياد وهو امير خراسان وأخوه امير العراقين وعمُّهُ الخليفة في ان استبطأَهُ ويُمسِك عنك وقد ابتعتني وابتعتَ هذه الجارية وهي نفسهُ التي بين جنبَيه. والله ما ارى احدًا أَدخلَ الى بيتهِ أَشأَم على نفسهِ واهلهِ ممَّا ادخلتَهُ منزلك. فقال: فاشهد انك واياها لهُ فان شئتما ان تمضيا اليهِ فامضيا. على أَني

اخاف على نفسي ان بلغ ذلك ابن زياد . وان شئتما ان تكونا عندي فافعلا . قال : فاكتب اليهِ بذلك . فكتب الرجل الى ابن مفرّغ في الحبس بما فعلهُ . فكتب اليهِ يشكر فعله وسألهُ ان يكونا عنده حتى يفرّج الله عنهُ . (قال) وقال عباد لحاجبه : ما ارى هذا يعني ابن مفرّغ يبالي بالمقام في الحبس . فبع فرسهُ وسلاحه واثاثه واقسم ثمنها بين غُرمائهِ ففعل ذلك وقسم الثمن بينهم وبقيت عليهِ بقيَّة حبسه بها

(قالوا) وعلم ابن مفرّغ انهُ ان اقام على ذمّ عباد وهجائهِ وهو في محبسه زاد نفسهُ شرًّا . فكان يقول للناس اذا سألوه عن حبسهِ ما سببه : رجل ادَّبهُ اميرهُ ليقوّم من أَوَدهِ او يكُفّ من غَرْبه (١ . وهذا لعمري خيرٌ من جَرّ الامير ذيلَه على مُداهنة صاحبه . فلما بلغ ذلك عبادًا من قوله رقَّ لهُ وأَخرجهُ من السجن . فهرب حتى اتى البصرة . ثم خرج منها الى الشأم وجعل ينتقل في مدنها هارباً ويهجو زيادًا وولده . وقال المدائني في خبره : لما بلغ عباد بن زياد انَّ ابن المفرّغ قال « سبق عبادٌ وصلحت لحيتهُ » دعا ابنهُ والمجلس حافل فقال لهُ : انشدني هجاءَ ابيك الذي هُجي بهِ . فقال : ايها الامير ما كُلّف احد قط ما كلّفتني . فأمر غلاماً لهُ اعجميًّا وقال لهُ : قم على رأسهِ فان انشد ما أمرته بهِ والّا فصبَّ السوطَ على رأسهِ ابدًا او ينشدهُ . فانشدهُ ابياتاً هُجي بها ابوه اوَّلها :

قَبَحَ الالهُ ولا يقبّحُ غيرهُ وجهَ الحمارِ ربيعةَ بن مفرّغِ

وجعل عباد يتضاحك بهِ . فخرج ابن ابن مفرّغ من عنده وهو يقول : والله لا يذهب شتم شيخي باطلًا . وقال يهجوه بقوله :

---

١) الأود الاعوجاج . والغرب الحدّة

اصرمتَ حبلك من امامهْ من بعـد ايام برامـهْ
فالريح تبكي شجوَهـا والبرقُ يضحك في الغمامهْ (١
لهفي على الامر الذي كانت عواقبهُ ندامهْ
تركي سعيدًا ذا النَّدى والبيت ترفعه الدعامهْ
فُتحت سمرقندٌ لـهُ وبنى بعرصتها خيامهْ
وتبعت عبـد بني علاج م تلك اشراط القيامـهْ
جاءت بـهِ حبشيـة شكَّاء تحسبها نعامهْ
وشريت بردًا ليتـني من بعد برد كنت هامهْ
فهامـة تدعو صدًى بين المشقَّر واليمامـهْ
فالهول يركبـهُ الفتى حذر المخازي والسآمهْ
والعبـد يُقرَع بالعصـا والحرّ تكفيهِ الملامـهْ

(قال) ثم لج في هجاء بني زياد حتى تغنَّى اهل البصرة في اشعاره . فطلبهُ عبيد الله طلباً شديدًا حتى كاد يؤخذ فلحق بالشأم

(قالوا) فلم يزل ينتقل في قرى الشام ونواحيها ويهجو بني زياد واشعارهُ فيهم ترد البصرة وتنتشر وتبلغهم . فكتب عبيد الله بن زياد الى يزيد يقول لهُ : ان ابن مفرّغ هجا زيادًا وبني زياد بما هتكهُ في قبرهِ وفضح بنيهِ طول الدهر وتعدَّى ذلك الى ابي سفيان فقذفه بالزنا وسبَّ ولده فهرب من خراسان الى البصرة وطلبتُهُ حتى لفظتهُ الارض فلجأ الى الشأم يتمضَّغ لحومنا بها ويهتك اعراضنا وقد بعثت اليك بما هجانا بهِ لتنتصف لنا منهُ . ثم بعث بجميع ما قالهُ ابن مفرّغ فيهم . فأمر يزيد بطلبهِ .

---

١) كتب في الاصل « المضامه »

فجعل ينتقل من بلدٍ الى بلد. فاذا شاع خبرهُ انتقل حتى لفظتهُ الشأم فأتى البصرة ونزل على الاحنف بن قيس فالتجأ بهِ واستجار. فقال لهُ الاحنف: اني لا أُجير على ابن سميَّة فأُعزَل. وانما يجير الرجل على عشيرتهِ فاما على سلطانه فلا. فان شئت اجرتك من بني سعد وشعرائهم فلا يريبك منهم ريب. فقال لهُ ابن مفرّغ: بأستاهِ بني سعد وما عساهم ان يقولوا فيَّ هذا ما لا حاجة لي فيهِ. ثم أتى خالد بن عبد الله بن خالد بن أَسيد فاستجار بهِ. فأبى ان يجيره. فأتى عمر بن عبيد الله بن معمر. فوعده. وأتى طلحة الطلحات. فوعده. وأتى المنذر بن الجارود العبدي. فأجاره. وكانت بحرية بنت المنذر تحت عبيد الله. وكان المنذر من اكرم الناس عليه فاغترّ بذلك وادلَّ بموضعه منه. وطلبهُ عبيد الله وقد بلغهُ ورودهُ البصرة. فقيل لهُ: اجارهُ المنذر بن الجارود. فبعث عبيد الله الى المنذر فأتاه. فلما دخل عليهِ بعث عبيد الله بالشرط فكبسوا داره وأتوه بابن مفرّغ. فلم يشعر المنذر الَّا بابن مفرّغ قد أُقيم على رأسهِ. فقام المنذر الى عبيد الله فكلَّمهُ فيهِ فقال: اذكرك الله ايها الامير ان لا تُخفِر (١ جواري فاني قد اجرتهُ. فقال عبيد الله: يا منذر ليمدحنَّ اباك وليمدحنَّك وقد هجاني وهجا ابي ثم تجيرهُ عليَّ. لا ها اللهِ لا يكون ذلك ابدًا ولا أَغفرها لهُ. فغضب المنذر. فقال لهُ: لعلك تُدلُّ بكريمتك عندي ان شئت والله لأُبينُها بتطليق (٢ البتة. فخرج المنذر من عنده. وأقبل عبيدالله على ابن مفرّغ فقال لهُ: بئسما صحبتَ بهِ عبادًا. قال: بئسما صحبني بهِ عباد

---

١) خفر الرجلَ اجارهُ ومنعهُ وامَّنه. وأَخفر الجوار انتهكهُ والهمزة لازالة اي ازلت خفارته

٢) اي لأَفصلها عنّي بطلاق

اخترتهُ على سعيد وأنفقتُ على صحبتهِ كل ما أفدتُهُ وكل ما أملكهُ ثم قاباني بكل قبيح وتناولني بكل مكروه من حبس وغُرم وشتم وضرب فكنت كمَن شامَ بَرقاً خُلَّباً في سحاب جَهام (١ فأراق ماءهُ طمعاً فيهِ فمات عطشاً . وما هربت من اخيك الّا لما خفت من ان يجري فيَّ الى ما يندم عليهِ . وقد صرتُ الآن في يدك فشأنك فاصنع بي ما أحببتَ . فأمر بحبسهِ . وكتب الى يزيد بن معاوية يسألهُ ان يأذن لهُ في قتلهِ . فكتب اليهِ : اياك وقتلهُ ولكن عاقبهُ بما ينكّلهُ ويشدّ سلطانك ولا تبلغ نفسهُ . فانَّ لهُ عشيرة هي جندي وبطانتي ولا ترضى بقتله مني ولا تقنع الّا بالقَوَد منك فاحذر ذلك واعلم انهُ الجدّ منهم ومني وانك مُرتهَنٌ بنفسه ولك في دون تلَفها مندوحةٌ تشفي من الغيظ . فورد الكتاب على عبيد الله بن زياد فامر بابن مفرّغ فسُقي نبيذًا حلوًا قد خلط معهُ الشُّبرُم (٢ فأسهلَ بطنه وطيف بهِ وهو في تلك الحال . وقُرن بهرّة وخنزيرة والصبيان يتبعونهُ . وجعل كلّما يجرّ الخنزيرة ضَغَت . فجعل يقول :

ضجّت سُميَّةُ (٣ لما لزّها قرَني لا تجزعي انَّ شرَّ الشيمةِ الجزعُ

فجعل يُطاف بهِ في اسواق البصرة والصبيان خلفهُ يصيحون بهِ . وألحَّ عليهِ ما يخرج منهُ حتى اضعفهُ فسقط . فعرف ابن زياد ذلك فقيل : انهُ لما بهِ لا نأمَنُ ان يموت . فأمر بهِ ان يُغسَل . ففعلوا ذلك بهِ . فلما اغتسل قال :

يَغسِلُ الماءُ ما فعلتُ وقولي راسخٌ منك في العظام البوالي

---

١) الجهام السحاب لا مآء فيه قد هراق ماءهُ

٢) الشبرم نبت ٣) سمية اسم امّ زياد فخصّ هذا الاسم بالخنزيرة

فردَّهُ عبيد الله الى الحبس وامر بان يسلَّم لِحجّاماً . وقدَّموا لهُ عُلوجاً وأُمر بان يحجمهم وقامت الشُرَط على رأسهِ تصبّ عليهِ السِياطَ ويقولون لهُ : احجمهم . فكان يأخذ المشارط فيقطع بها رقابهم فيتوارون منهُ . فتُرك وردَّهُ الى محبسهِ . فقال :

وما كنتُ حجّاماً ولكن أحلَّني بمنزلة الحجّام نأيي عن الاهلِ

وقال ايضاً يذكر ما فعل بهِ ابن زياد :

دارَ سلمى بالخَبْت ذي الأَطلالِ كيف نومُ الاسير في الاغلالِ
اين مني السلامُ من بعد نأيٍ فارجعي لي تحيَّتي وسؤالي
اين مني نجائبي وجيادي وغزالي سقى الالهُ غزالي
اينَ لا أين جُنَّتي وسِلاحي ومطايا سيَّرتُها لارتحالي
هدمَ الدهرُ عرشنا فتداعى فبلينا اذ كلُّ عيشٍ بالِ
اذ دعانا زوالهُ فاجبنا كلُّ دنيا ونعمةٍ لزوالِ
أم قضينا حاجاتنا فالى المو تِ مصيرُ الملوك والاقيالِ
لا وصَومي لربّنا وزكاتي وصلاتي ادعو بها وابتهالي
ما أتيت الغداةَ امرًا دنيئاً ولدى الله كابرُ الاعمالِ
ايها المالك المرهّب بالقتل م بلغتَ النكال كلَّ النكالِ
فاخشَ ناراً تشوي الوجوه ويوماً يقذفُ الناسَ بالدواهي الثقالِ
قد تعدَّيتَ في القصاص وادركت م ذُحولًا لمعشرٍ اقتال (١
وكسرتَ السنَّ الصحيحةَ منّي لا تُذلني (٢ فمنكرٌ إذلالي
وقرنتم مع الخنازير هِرًّا ويميني مغلولةٌ وشمالي

١) الاقتال جمع قِتْل وهو العدوّ وهم الأقران ٢) اذاله أهانهُ

وكِلابًا ينهشنني من ورائي ... عجبَ الناسُ ما لهنَّ ومالي
وأطلتم مع العقوبة سِجناً ... فكمِ السجنُ او متى إرسالي
يغسل الماء ما صنعتُ وقولي ... راسخ منك في العظام البوالي
لو قبلتَ الفداءَ او رُمتَ مالي ... قلتُ خذهُ فداءَ نفسيَ مالي
لو بغيري من معشرٍ لعبَ الدهرُ م ... لما ذمَّ نُصرتي واحتيالي
كم بكاني من صاحبٍ وخليلٍ ... حافظِ الغيبِ حامدٍ للخصالِ
ليت اني كنتُ الحليفَ للخمِ ... وجُذامٍ او طيِّئٍ الأَجمالِ
بدَلًا من عِصابةٍ من قريش ... أسلموني للخصم عند النِضالِ
البهاليل من بني عبد شمس ... فضلوا الناسَ بالعُلا والفَعالِ
وبني التيم تيمِ مُرَّةَ لما ... لمعَ الموتُ في ظلالِ العوالي
مَنعوا البيتَ بيت مكة ذا الحَجر م ... اذ الطيرُ عُكَّفٌ في الظلالِ
والبهاليل خالد وسعيد ... شمس دجن ووضّح كالهلالِ
في الأُرومات والذُّرَى من بني العِيص م ... قروم اذا تُعَدُّ المَعالي
كنتُ منهم ما حرَّموا فحرامٌ ... لم يُراموا وحِلّهم من حلالِ
وذوو المجد من خُزاعةَ كانوا ... أهلَ ودّي في الخصب والامحالِ
خذلوني وهم لذاك دعَوني ... ليس حامي الذِمارِ بالخذّالِ
لا تدَعْني فداك اهلي ومالي ... انَّ حبلَيك من متين الحبالِ
حَسْرتا اذ أطعتُ أمرَ غُواتي ... وعصيتُ النصيحَ ضلَّ ضلالي

وقال يهجو عبّادَ بن زياد ويذكر سعيد بن عثمان :

ايها الشاتمُ جهلًا سعيدًا ... وَسعيدٌ في الحوادث نابُ
ما أبوكم مُشبهاً لأبيهِ ... فاسألوا الناس بذاكم تجابوا

ساد عبّـادٌ ومالاً جيشـاً سبّحت من ذاكَ صُمٌّ صِلابُ
انَّ عاماً صرتَ فيـهِ اميرًا تملكُ الناسَ لَعـامٌ عُجابُ

(قال) واتصل هجاؤُهُ زيادًا وولدهُ وهو في الحبس فردَّهُ عبيد الله الى اخيهِ عباد بسجستان ووكل بهِ رجالاً ووجههم معهُ . وكان لما هرب من عباد يهجوه ويكتب كل ما هجاه بهِ على حيطان الخانات . وأمر عبيدُ الله الموكّلين بهِ ان يأخذوه بمحوِ ما كتبهُ على الحيطان باظافيرهِ . وامرهم ان لا يتركوه يصلّي الّا الى قبلة النصارى الى المشرق . فكانوا اذا دخلوا بعض الخانات التي نزلها فرأوا فيها شيئاً ممّا كتبهُ من الهجاء اخذوه بان يمحوَهُ بأظافره . فكان يفعل ذلك ويحكّهُ حتى ذهبت اظافره فكان يمحوه بعظام اصابعه ودمه . حتى سلّموه الى عباد فحبسهُ وضيّق عليهِ . وقال ابن مفرّغ :

اصاب عَراتي اللونُ فاللون شاحبُ كما الرأسُ من هول المنية اشيبُ
قُرنتُ بخنزير وهرٍّ وكلبـة زماناً وشانَ الجلدَ ضربٌ مُشذّبُ(١
وجُرّعتهـا صهباءَ من غـير لذّةٍ تُصعّـدُ في الجثمان ثمَّ تصوّبُ
وأُطعمت ما لا ان يحلُّ لآكلٍ وصلّيت شرقاً بيتُ مكّةَ مُغربُ
من الطَّفّ(٢ مجلوباً الى ارض كابُلٍ فملّوا ومـا ملّ الاسـير المعذّبُ
فلو انَّ لحمي اذ هوى لعبت بـهِ كرام الملوك او أسودٌ وأذؤُبُ
لهوّن وجدي او لزادت بصـيرتي ولكنما أودت بلحميَ أكلبُ

---

١) شذب الشجر قطع ما عليه من الاغصان استعاره لاعضاء الجسد

٢) الطفّ لغةً ساحل البحر وجانب البرّ . وهو هنا اسم موضع بنـاحية الكوفة سمّي بالطفّ لانه طرف البرّ مما يلي الفرات

أَعبَادُ مـا لَلَّومِ عنـكَ مُحوَّلٌ ولا لكَ امٌّ في قُرَيشٍ ولا أَبُ
سينصرُني مَن ليس تنفـع عندهُ رُقاكَ وقَرمٌ من أُميَّـة مُصعَبُ

فلما طال مقام ابن مفرّغ في السجن استأجر رسولًا الى دمشق وقال لهُ: اذا كان يوم الجمعة فقِفْ على درج جامع دمشق ثم اقرأ هذين البيتين بأرفع ما يمكنك من صوتك. وكتبهما في رقعة وهما:

أَضحى دعيُّ زياد قَعْ قُرقرةٍ (١ يا للعجائب يلهو بابن ذي يزنِ
والحِميريُّ طريحٌ وسطَ مزبلةٍ هذا لعمركُ غَبْنٌ من الغَبَنِ

قال محمد بن خلف في روايتهِ عن لقيط: ان ابن مفرّغ لما طال حبسهُ وبلاؤُهُ ركب طلحة الطلحات الى الحجاز ولقي قريشاً. وكان ابن مفرّغ حليفاً لبني امية. فقال لهم طلحة: يا معشر قريش ان اخاكم وحليفكم ابن مفرّغ قد ابتُلي بهذه الاعبُد من بني زياد وهو عديدكم وحليفكم ورجل منكم ووالله لا احبُّ ان يُجري الله عافيتهُ على يدي دونكم ولا افوز بالمكرُمة في امرهِ وتخلُوا منها. فانهضوا معي بجماعتكم الى يزيد ابن معاوية فان اهل اليمن قد تحرَّكوا بالشأم. فركب خالد بن عبدالله ابن خالد بن اسيد وامية بن عبدالله اخوه وعمر بن عبيد الله بن معمر في وجوه خُزاعة وكِنانة وخرجوا الى يزيد. فبينا هم يسمُرون ذات ليلة اذ سمعوا راكباً يتغنَّى في سواد الليل بقول ابن مفرّغ ويقول:

انَّ تركي ندى سعيد بن عثمان م بن عفَّان ناصري وعديـدي
واتّباعي اخا الضَّراعة واللؤم م لنقصٌ وفوتُ شأوٍ بعيـدِ

---

١) القعع نبت يطلع من الارض وهو ابيض وهو رديء يشبَّه به الرجل الذليل لان الدواب تنجله بارجلها فيقال قعع قرقرٍ وقعع قرقرةٍ. وخبر اضحى «يلهو»

قلتُ والليـلُ مُطبقٌ بعراهُ ليتني متُّ قبلَ تركِ سعيـدِ
ليتني متُّ قبل تركي اخا النجدة م والحزم والفَعالِ الشديدِ
عبشميٌّ ابوهُ عبـدُ مَنـافٍ فاز منهـا بتاجهـا المعقودِ
ثم جودٌ لو قيـل فيـهِ مَزيدٌ قلتُ للسائلين مـا من مزيدِ
قلْ لقومي لدَى الاباطح من آل م لؤَيِّ بن غالبٍ ذي الجـود
سامني بعدَكم دعيٌّ زيادٍ خُطَّـةَ الغادر اللئيم الزهيـدِ
كان ما كان في الاراكة واجتبَّ م ببُردٍ (١ سَنامَ عَيشي وجيدي
اوغلَ العبدُ في العقوبة والشتم م وأودى بطارفي وتليـدي
فارحلوا في حليفكم واخيكم نحو غوث المستصرخين يزيدِ
فاطلبوا النصفَ من دعيِّ زيادٍ وسَلُوني بما ادَّعيتُ شُهودي

(قال) فدعا القوم بالراكب فقالوا لهُ : ما هذا الذي سمعناه منك تغنّي بهِ . فقال : هذا قول رجل والله انَّ امرهُ لعجبٌ . رجل ضائع بين قريش واليمن وهو رجلُ الناسِ . قالوا : ومن هو . قال : ابن مفرّغ . قالوا : والله ما رحلنا الّا فيهِ . وانتسبوا لهُ . فضحك وقال : أفلا أُسمعكم من قولهِ ايضاً . قالوا : بلى . فانشدهم قولهُ :

لعمريَ لو كان الاسيرُ ابنَ معمرٍ وصاحبهُ او شكلهُ ابن اسيـد
ولو انهـم نالوا اميَّـة أرقلت (٢ براكبها الوجنـاء نحو يزيدِ
فأبلغتُ عُذرًا في لؤيِّ بن غالبٍ وأُتلفَ فيهـم طارفي وتليدي
فان لم يغيّرهـا الامام بحقّهـا عدلتُ الى شمٍّ شوامخَ صِيدِ
فناديتُ فيهـم دعوةً يمنيَّـةً كما كان آبائي دَعَوا وجُدودي

---

١) الاراكة قينة ابن مفرّغ وبُرد غلامه ٢) ارقلت اسرعت

ودافعتُ حتى أَبلُغَ الجهدَ عنهمُ ... دِفاعَ امرئٍ في الخير غير زهيدِ
فان لم تكونوا عند ظني بنصركم ... فليس لها غيرَ الاغرّ سعيدِ
بنفسي وأهلي ذاك حيًّا وميتًا ... نضارٌ وعودُ المرءِ اكرم عودِ
فكم من مقام في قريش كفيتهُ ... ويومٍ يُشيبُ الكاعباتِ شديدِ
وخصمٍ تحاماهُ لؤيُّ بن غالب ... شَبَبْتُ لهُ ناري فهاب وقودي
وخيرٍ كثيرٍ قد افأتُ عليكمُ ... وانتم رُقودٌ او شبيهُ رُقودِ

(قال) فاسترجع القوم لقولهِ وقالوا : والله لا نغسل رؤوسنا في العرب ان لم نغسلها بفكّهِ . فاغذَّ القومُ السيرَ (١ حتى قدموا الشأم وبعث اليها ابن مفرّغ رجلًا من بني الحرث بن كعب . فقام على سور حمص فنادى باعلى صوتهِ الحصين بن نمير وكان والي حمص بهذه الابيات وكان عظيم الجبهة :

امسى دعيُّ زيادٍ فقعُ قرقرةٍ ... يا للعجائب يلهو بابن ذي يزنِ
والحِميريُّ طريحٌ وسطَ مزبلةٍ ... هذا لعمركَ عبنٌ من الغبنِ
قوموا فقولوا اميرَ المؤمنين لنا ... حقٌّ عليكَ ومَنٌّ ليس كالمننِ
فاكففْ دعيَّ زيادٍ عن اكارمنا ... ماذا تريدُ الى الأحقادِ والإِحَنِ

فاجتمعت اليمانية الى حصين فعيّروه بما قالهُ ابن مفرّغ . فقال الحصين : ليس لي رأي دون يزيد بن اسد ومخرمة بن شرحبيل . فأرسلَ اليهما فاجتمعوا في منزل الحصين . فقال لهما حصين : اسمعا ما اهدى اليّ شاعركم وقالهُ لكم في اخيكم يعني نفسهُ وأنشدهم . فقال لهُ يزيد بن اسد : قد جئتكم باعظم من هذا وهو قولهُ :

---

١) اغذَّ السيرَ اسرع

وما كنت حجّاماً ولكن احامي بمنزلة الحجّام نأبي عن الاصل فقال الحصين : والله لقد اساء الينا امير المؤمنين في صاحبنا مرتين احداهما هرب اليهِ فلم يُجرْهُ . والأُخرى انهُ امر بعذابهِ غيرَ مُراقِبٍ لنا فيهِ . وقال يزيد بن اسد : اني لأظنُّ انَّ طاعتنا ستفسد ويمحوها ما فُعِلَ بابن مفرّغ ولقد تطلّع من نفسي شيء للموت (١ احبّ اليَّ منهُ . وقال مخرمة ابن شرحبيل : ايها الرجلان اعقلا فانهُ لا معاوية لكما واعرفا ان صاحبكما لا تقدح فيهِ الغِلظة فاقصدا التضرُّع . فركب القوم الى دمشق وقَدِموا على يزيد بن معاوية وقد سبقهم الرجل فنادى بذلك الشعر على درج دمشق . فثارت اليمانية وتكلموا ومشى بعضهم الى بعض . وقدِمَ وفدُ القرشيّين في امره مع طلحة الطلحات . فسبقوا القرشيّين ودخلوا على يزيد بن معاوية . فتكلم الحصين بن نمير فذكر بلاءَهُ وبلاءَ قومهِ وطاعتهم وقال : يا امير المؤمنين انَّ الذي اتاه ابن زياد الى صاحبنا لا قرارَ عليهِ وقد سامنا عبيدُ الله وعباد خطة خسف وقلّدانا قِلادة عار . فأنصِفْ كريمنا من صاحبه . فوالله لئن قدرنا لنعفونَّ ولئن ظُلمنا لننتصرنَّ . وقال يزيد ابن اسد : يا امير المؤمنين انَّا لو رضينا بُمثلة (٢ ابن زياد بصاحبنا وعظيم ما انتهك منهُ لم يرضَ الله عزَّ ذكرهُ بذلك . ولئن تقرّبنا اليك بما يُسخِط الله ليباعدنّنا الله منك . وان يمانيتك قد نفرت لصاحبها نفرةً طارَ غرابُها وما ادري متى يقع . وكل نائرة (٣ تقدح في الملك وان

---

١) المعنى : الموت احبُّ اليَّ من ان أرى ما يُعمل بابن مفرّغ

٢) مثّل بالرجل ومثّل نكّلَ وهي المَثلة والمُثْلة

٣) النائرة انتشار الفتنة

صغرت لم يؤمن أن تكبر وإطفاؤها خير من إضرامها. لاسيما اذا كانت في أنفٍ لا يُجدَع ويدٍ لا تُقطع. فأنصفنا من ابنَي زياد. وقال مخرمة بن شرحبيل وكان متألهاً (١ عظيم الطاعة في اهل اليمن: انهُ لا يد تحجزك عن هَواكَ دون الله. ولو مَثلتَ بأخينا وتولّيت ذلك منهُ بنفسك لم يقم فيهِ قائم ولم يعاتبك فيهِ مُعاتب. ولكنَّ ابني زياد استخفّانا بما يثقُل عليك من حقّنا وتَهاونا بما تُكرِمهُ منّا. وانت بيننا وبين الله فأنصفنا من صاحبيك ولينفعنا بلاؤُنا عندك. فقال يزيد: انَّ صاحبكم اتى عظيماً نفى زياداً من ابي سفيان ونفى عباداً وعبيد الله بن زياد وقلّدهم طوقَ الحمامةِ وما شجّعهُ على ذلك الّا نسبهُ فيكم وحِلفهُ في قريش. فاما اذ بلغ الامر ما أرى وأشفى بكم على ما أشفى فهو لكم وعليَّ رضاكم. (قال) وانتهى القرشيّون الى الحاجب فاستأذن لهم وقال للهمدانيّين: قد أتتكم بُرَى الذهب من اهل العراق. فدخلوا وسلّموا والغضبُ يتبيَّنُ في وجوههم. فظنَّ يزيد الظُّنونَ وقال لهم: ما لكم أنفتقَ فتقٌ أو حدثٌ حدث فيكم. قالوا: لا. فسكن. فقال طلحة الطلحات: يا امير المؤمنين أما كفى العرب ما لقيت من زياد حتى استعملتَ عليها ولدهُ يستكثرون لك أحقادَها ويبغِّضونك اليها. انَّ عبيد الله وأخاه اتيا الى ابن مفرّغ ما قد بلغك فأنصفنا منهما إنصافاً تعلمُ العربُ انَّ لنا منك خلَفاً من أبيك. فوالله لقد خبأ لك فعلُهما خَبأً عند أهل اليمن لا نحمَدهُ لك ولا تحمَدهُ لنفسك. وتكلّم خالد بن عبدالله بن خالد بن اسيد فقال: يا امير المؤمنين انَّ زياداً ربي في شرّ

١) متأله متنسّك متعبّد

حُجر ونشأ في أخبث نَشْءٍ فأثبتم نِصابهُ في قريش وحملتموه على رقاب الناس فوثب ابناه على أخينا وحليفنا وحليفك ففعلا بهِ الافاعيل التي بلغتك وقد غضبت لهُ قريشُ الحجازِ ويمنُ الشأمِ ممن لا أُحبُّ والله الك غضَبَهُ فأنصفنا من ابني زياد. وتكلم اخوهُ امية بنحو ممَّا تكلم أخوه وقال: والله يا امير المؤمنين لا أَحطُّ رَحْلي ولا أخلَعُ ثياب سفري او تُنصفنا من ابني زياد او تعلم العرب انك قد قطعتَ أرحامنا ووصلتَ ابني زياد بقطيعتنا وحكمتَ لهم بغير الحق علينا. وقال ابن معمر: يا امير المؤمنين ان ابن مفرّغ طالما ناضل عن عرضك وعرض ابيك واعراض قومك ورمى عن جَمْرة (١ اهالك وقد اتى بنو زياد فيهِ ما لو كان معاوية حيًّا لم يرضَ بهِ. وهذا رجل لهُ شرف في قومهِ وقد نفروا لهُ نفرةً لها ما بعدها. فأعتِبهم (٢ وأنصف الرجلَ ولا تُؤثِر مَرضاةَ ابني زياد على مرضاة الله عزَّ وجلّ. فقال يزيد: مرحباً بكم واهلًا والله لو أصابهُ خالدٌ ابني بما ذكرتم لانصفتهُ منهُ ولو رحلتم في جميع ما تحيط بهِ العراق لوهبتهُ لكم وما عندي الَّا انصاف المظلوم. ولكن صاحبكم أسرف على القوم. وكتب يزيد ببناءِ دارهِ وردِّ ماله وتخليةِ سبيله ولا إمرةَ لأحدٍ من بني زياد عليهِ. وقال: لولا أنَّ في القَوَد بعد ما جرى فسادًا في الملك لاقدتهُ من عبَّاد. وسرَّح يزيد رجلًا من حمير يقال لهُ خمخام وكتب معهُ الى عباد بن زياد: نفسَك نفسَك وأن تسقطَ من ابن مفرّغ شعرةٌ فأُقيدكَ والله بهِ. ولا سلطانَ لك ولا لاخيك ولا لأحدٍ غيري

---

١) الجمرة كلّ قوم انضمّوا فصاروا يدًا واحدة

٢) اعتبهم أرضِهم وأزِل عَتَبهم وسخطهم

عليهِ . فجاء خمخام حتى انتزعهُ جهارًا من الحبس بمحضر الناس واخرجهُ . (قالوا) فلما دخل على يزيد قال لهُ : يا امير المؤمنين اختر مني خصلة من ثلاث خِصالٍ في كلّها لي فرج . إمّا أن تُقيدَني من ابن زياد واما ان تخلّي بيني وبينهُ واما ان تُقدِمَني فتضرب عنقي . فقال لهُ يزيد : قبح الله ما اخترتهُ وخيّرتنيه . أما القَوَد من ابن زياد فما كنتُ لأُقيدك من عامل كان عليك ظلمتهُ وشتمت عرضهُ وعرضي معهُ . وأما التخلية بينك وبينهُ فلا ولا كرامةً ما كنت لاخلّي بينك وبين اهلي تقطع اعراضهم . وأما ضرب عنقك فما كنت لأضرب عنق مسلم من غير ان يستحقّ ذلك . ولكني افعل ما هو خير لك مما اخترتهُ لنفسك أُعطيك دِيتك فانهم كانوا قد عرّضوك للقتل . واكفُفْ عن ولد زياد فلا يبلُغني انك ذكرتهم . وانزل أيّ البلاد شئت . وأمر لهُ بعشرة آلاف درهم . فخرج حتى أتى الموصل وأقام بها ما شاء الله . ثم خرج ذات يوم يتصيد فلقي دهقاناً على حمارٍ لهُ فقال : من اين اقبلتَ . قال : من العراق . قال : من اَيها . قال : من البصرة ثم من الايوان . قال : فما فعل المَسْرُقان (١ قال : على حاله . قال : أتعرف أناهيد بنت أعتق . قال : نعم . قال : ما فعلت . قال : على احسن ما عهدت . فضرب برذونهُ وسار حتى أتى الاهواز ولم يعلم اهله ولا غيرهم بمسيره . ثم اتى عبيد الله بن زياد واعتذر اليهِ . وسألهُ الامان فأمّنهُ . ثم سألهُ ان يكتب لهُ الى شريك بن الاعور . فكتب لهُ ووصلهُ . وخرج فأقام بكَرْمان حتى غلب ابن الزبير على العراق وهرب ابن زياد وكان اهل البصرة قد اجمعوا على قتلهِ فخرج

---

١) مسرقان نهر بخوزستان

عن البصرة هارباً . فعاد ابن مفرّغ الى البصرة وعاودَ هجاء بني زياد . فقال يذكر هرب عبيد الله وتركهُ امهُ بقولهِ :

أُعبيدُ هلّا كنت اوّلَ فارسٍ ... يومَ الهياج دعا بجحفك داعِ
أسلمتَ امّك والرماحُ تَنوشُها ... يا ليتني لك ليلةَ الأفزاعِ
اذ تستغيث وما لنفسك مانعٌ ... عبد تردّدهُ بدار ضَياعِ
هلّا عجوزَك اذ تمدُّ بثديها ... وتصيح أن لا تنزعنّ قِناعي
أنقذتَ من أيدي العُلوج كأنها ... ربداء (١ مجفلةٌ ببطن القاعِ
فركبتَ رأسك ثم قلت أرى العدا ... كثروا وأخلفَ موعدي أشياعي
فانجي بنفسكِ وابتغي نفقاً فما ... لي طاقة بكِ والسلامُ وَداعي
ليس الكريم بمن يخلّف امّهُ ... وفتاتَهُ في المنزل الجعجاعِ
حذر المنيةِ والرماحُ تنوشهُ ... لم يَرمِ دونَ نِسائهِ بكُراعِ (٢
متأبطاً سيفاً عليهِ يَلمَقٌ (٣ ... مثل الحمار اثرتهُ بيفاعِ
لا خيرَ في هَذرٍ يهُزُّ لسانهُ ... بكلامهِ والقلبُ غير شُجاعِ
لَابنُ الزُّبير غداةَ يذمر مبدرًا ... أولى بغايةِ كلّ يوم وقاعِ
وأحقُّ بالصبر الجميل من امرئٍ ... كَذِبٍ أناملُهُ قصيرِ الباعِ
جعدِ اليدين على السماحة والندى ... وعن الضريبة فاحشٍ منّاعِ .
كم يا عُبيدَ الله عندك من دمٍ ... يَسعَى لِيُدرِكهُ بقتلك ساعِ

---

١) نعامة ربداء ورمداء لونها كلون الرماد فيشبّه بها امّ عبيدالله

٢) الكراع مستدقّ الساق من البقر والغنم العاري من اللحم وهو بمنزلة الوظيف من الخيل والابل والحمُر

٣) اليلمق القباء المحشوّ واللفظة فارسية يلمه

ومَعاشرٍ أُنُفٍ أَبحتَ حريمهم فرَّقتهم من بعد طول جماعِ
اذكر حُسَيناً وابنَ عُروةَ هانئاً وبني عقيـل فارس المرباعِ

وقال ايضاً يذكر هربهُ:

أقـرَّ بعيني انَّـهُ عقّ أمَّـهُ دعتهُ فولّاهـا أستَهُ وهو يهربُ
وقال عليكِ الصـبر كوني سبيَّةً كما كنت او موتي فذلك اقربُ
وقد هتفتْ هنـدٌ بإذا امرتني أَبِنْ لي وحدّثني الى أينَ أذهبُ
فقال اقصدي للازد في عرصاتها وبكرٍ فمـا لي عنهم متجنَّبُ
أخافُ تميماً والمسالح دونهـا ونـيران اعدائي عليَّ تلهَّـبُ
وولّى وماء العين يغسِل وجهَهـا كأن لم يكن والدهرُ بالناس قلّبُ
فكم من كريمٍ قد جررتَ جريرةً عليـهِ فمقبـورٌ وعانٍ يعذَّبُ
ومن حُرَّةٍ زهراءَ قامت بسحرةٍ تبكّي قتيـلًا او صَدًى يتأوَّبُ
فصبراً عُبيد بن العبيـدِ فانمـا يقاسي الامورَ المستعـدّ المجرَّبُ
وذُقْ كالذي قد ذاق منك معاشرٌ لعبتَ بهم اذ انت بالناس تلعبُ
بما قدَّمت كفّاكَ لا لك مهرب الى أيّ قوم والدمـاء تصبَّبُ
فلو كنتَ حرًّا او حَفِظت وصيَّةً عطفت على هندٍ وهندٌ تسحَّبُ (١
وقاتلتَ حتى لا ترى لك مطمعاً بسيفك في القـوم الذين تحزَّبوا
وقلتَ لامّ العبـد امّك انني وان كثُرَ الاعداء حامٍ مذبّبُ
ولكن أبى قلبٌ أُطيرت بناتهُ (٢ وعرقٌ لكم في آل ميسانَ يَضرِبُ

وقال يهجو عبيد الله وعباداً وهذا من قصيدة لهُ طويلة يقول فيها:

---

١) كُتب في الاصل « تشحَّب » ٢) بنات القلب طوائفه . وفي الاصل كتب « ثيابه »

وما لاقيت من ايام بؤسٍ ... ولا امر يضيق بهِ ذِراعي
ولم تكُ شيمتي عجزًا ولؤمًا ... ولم اكُ بالمضلّل في المساعي
سوى يوم الهجين ومن يُصاحِبْ ... لئام النـاس يُغضِ على القذاعِ
حلفتُ بربّ مكة لو سلاحي ... بكفّي اذ تُنازعني مَتاعي
لَباشَر امَّ رأسك مشرفيٌّ ... كذاك دواؤنا وجعَ الصُّداعِ
أفي احسابنا تزري علينا ... هُبِلتَ (١ وانت زائدةُ الكُراعِ
فيا اسفي على تركي سعيدًا ... واسحقَ بنَ طاحةَ واتّباعي
ثنايا الوبر عبد بني علاجٍ ... عبيدٌ فقعُ قرقرةٍ بقاعِ
اذا ما رايةٌ رُفعت لمجدٍ ... وودَّع اهلها خيرَ الوَداعِ
فلا بلّت سماؤك من اميرٍ ... فبئس معرّس الركب الجياعِ
ألم ترَ اذ تحالف حلف حربٍ ... عليك غدوتَ من سقَطِ المَتاعِ
وكدت تموت انْ صاح ابنُ آوى ... ومثلُك مات من صوت السِباعِ
ويومَ فتحتَ سيفك (٢ من بعيدٍ ... أضعتَ وكلُّ امرك للضَّياعِ
اذا اودى معاويةُ بنُ حربٍ ... فبشّر شعبَ قلبك بانصِداعِ

وانشد ابو عبيدة لابن مفرّغ يهجو ابن زياد:

ابلغ قريشاً قَضّها وقَضيضَها (٣ ... اهلَ السماحةِ والحلومِ الراجحهْ

---

١) هبلت اي ثكلتك امّك

٢) كان عباد في حروبه ذات ليلة نائمًا في عسكره. فصاحت بنات آوى فثارت الكلاب ونفر بعض الدواب. ففزع عباد وظنّها كبسة من العدوّ فركب فرسهُ ودهش فقال: افتحوا سيفي. فعيّرهُ بذلك ابن مفرّغ

٣) قضّها وقضيضها اي جميعهم فالقضّ الحصى والقضيض ما تكسّر منه ودق

اني ابتُليتُ بحيَّـة ساورتهم بيدٍ لعمري لم تكن لي رائجه
صفقَ المبخّلُ صفقـةً ملعونـةً جرَّت عليـهِ من البلايا فادحهْ
شتَّان مَن بطحاء مكـةَ دارُهُ وبنو المُضافِ الى السِباخ المالحهْ
جُعدت اناملـهُ ولامَ نجـارهُ وبذاك تُخبرُنا الظبـاء السانحهْ
فاذا أُميَّـة صلصلتْ أحسابُهـا فبنو زيادٍ في الكلاب النابحـهْ

وحدَّث شعيب عن سيف قال: لما قُتل عبيد الله بن زياد يومَ الزاب قتلهُ اصحاب المختار بن أبي عبيد. ويقال ان ابراهيم بن الاشتر حمل على كتيبتهِ فانهزموا فلقي عبيدَ الله فقتلهُ وجاء الى اصحابهِ فقال: اني ضربت رجلًا فقددتهُ نصفين فشرَّقت يداهُ وغرَّبت رجلاه وفاح منهُ المِسك واظنُّهُ ابن مرجانة. وأومأ لهم الى موضعه. فجاؤوا اليهِ وفتشوا عليهِ فوجدوه كما ذكر. واذا هو ابن زياد. فقال ابن مفرّغ يهجوه:

ان الذي عاش ختَّـارًا بذمتـهِ وعاش عبـدًا قتيـل الله بالزابِ
العبد بالعبد لا اصـل ولا طرف ألوَتْ بـهِ ذاتُ اظفار وأنيابِ
انَّ المنايا اذا مـا زُرنَ طاغيـةً هتَّكنَ عنـهُ ستورًا بين ابوابِ
هـلَّا جمـوع نِزارٍ اذ لقيتهـمُ كنت امرءًا من نِزارٍ غير مرتابِ
لا أنت زاحمتَ عن ملك فتمنعهُ ولا مددتَ الى قـوم باسبـابِ
ما شُقَّ جيبٌ ولا ناحتك نائحـةٌ ولا بكتك جِيادٌ عند أسلابِ
لا يترك الله أنفـاً تعطِسون بهـا بني العَبيـد شهودًا غـير غيَّابِ
أقولُ بُعدًا وسُحقًا عنـد مَصرعهِ لابنِ الخبيثة وابن الكودن(١ الكابي

حدَّث محمد بن الحكم عن عوانة ان عبيد الله بن أبي بكرة كتب الى

---

١) الكودن البرذون

يريد بن مفرّغ : اني قد توجهت الى سجستان فالحق بي فلعلّك إن قدِمتَ عليَّ أن لا تندم ولا يُذَمّ رأيك . فتجهّز ابن مفرّغ وخرج حتى قدم سجستان ممسيًا فدخل عليهِ . فشغلهُ بالحديث وامر لهُ بمنزل وفرش وخدم وجعل يطاولهُ حتى علم انهُ قد استتم لهُ ما أمر لهُ بهِ . ثم صرفهُ الى المنزل الذي قد هيّ . لهُ . ثم دعا بهِ في اليوم الثاني فقال لهُ : يا ابن مفرّغ انك قد تجشّمت اليَّ شقّة بعيدة وأتسع لك الامل رحلت اليَّ لاقضي عنك دينك ولأُغنيك عن الناس وقلت : ابو حاتم بسجستان فمن لي بالغنى بعدهُ . فقال : والله ما أخطأتَ أيُّها الامير ما كان في نفسي . فقال عبيد الله : أما والله لأفعلنَّ ولأقيمنَّ لبثك عندي ولأحسننَّ صِلتك . وأمر لهُ بمائة الف درهم ومائة وصيفة ومائة نجيبة وأمر لهُ بما ينفق الى بلده سوى المائة الالف وبمن يكفيهِ الخدمة من غلمانهِ واعوانهِ وقال لهُ : ان من خفّة السفر أن لا تهتمّ بخفّ ولا حافر . وكان مقامهُ عنده سبعة ايام . ثم ارتحل وشيّعهُ عبيد الله الى قرية على أربع فراسخ يقال لها زالق ثم قال لهُ : يا ابن مفرّغ انهُ ينبغي للمودّع ان ينصرف وللمتكلّم ان يسكت وأنا مَن قد عرفتَ فأبقَ على الأمل وحُسنِ ظنّك بي ورجائك فيَّ واذا بدا لك ان تعود فعُدْ والسلام . (قال) وسار ابن مفرّغ حتى أتى رامهرمز فنزل بقرية أنجر

ثم اقام بالاهواز ودعا ندماءه كانوا لهُ من فتيان العرب . فلم يبقَ ظريف ولا مغنٍّ الّا أتاه . واستماحهُ جماعةٌ قصدوه من أهل البصرة والكوفة والشأم فأعطاهم . وجعل القوم يسألونهُ عن عبيد الله بن أبي بكرة وكيف هو وأخلاقه وجوده . فقال :

يسألني اهـل العراق عن النَّدى ... فقلت عبيد الله حِلفُ المكارمِ
فتًى حاتميٌّ في سجستانَ رحلـهُ ... وحسبك جودًا ان يكون كحاتمِ
سما لِينالَ المَكرُماتِ فنالهـا ... بشدَّة ضِرغامٍ وبذلِ الدراهمِ
وحلمٍ اذا ما سَورةُ الحقدِ أُطلِقتْ ... حبا القومَ عند الفادحِ المتفاقمِ
وانَّ لـهُ في كل حيٍّ صنيعـةً ... يحدّثها الركبانُ اهلَ المواسمِ
دعاني اليـهِ جودهُ ووفاؤهُ ... ومن دون مسراهُ عُداةُ الاعاجمِ
فلم ابقَ الَّا جمعـةً في جِواره ... ويومين حـلًا من أليَّـة آثمِ
الى ان دعاني زائنهُ اللهُ بالعُـلا ... فأنبتَ ريشي من صميم القَوادمِ
وقال اذا ما شئتَ يا ابن مفرّغٍ ... فعُدْ عودةً ليست كأضغاثِ حالمِ
فقلت لهُ لا يُبعِـدِ اللهُ دارَهُ ... أعودُ اذا ما جئتكم غير حاشمِ
وأحمدتُ وِردي اذ وردتُ حِياضهُ ... وكل كريم نُهزةٌ للاكارمِ
فأصبح لا يرجو العراقُ وأهلُـهُ ... سِواهُ لنفعٍ او لدفع العظائمِ
وانَّ عبيـدَ الله هنَّـأَ رفدهُ ... سراحاً واعطى رفدهُ غير غانمِ

وحدَّث القحذميّ قال: لزم يزيدَ بن مفرّغ غُرماؤهُ بدَين. فقال لهم: انطلقوا نجلس على باب الامير عسى ان يخرج الأشراف من عنده فيروني فيقضوا عنّي. فانطلقوا بهِ. فكان اوّل من خرج إمّا عمر بن عبيد الله بن معمر وإمّا طلحة الطلحات. فلما رآهُ قال: أبا عثمان ما أقعدك ههنا. قال: غرمائي هؤلاء لَزِموني بدَين لهم عليَّ. قال: وكم هو. قال: سبعون الفاً. قال: عليَّ منها عشرة آلاف درهم. ثم خرج الآخر على الاثر. فسألهُ كما سأل صاحبهُ. فقال: هل خرج احد قبلي. قالوا: نعم فلان. قال: فما صنع. قالوا: ضَمِن عشرة آلاف درهم. قال: فعليَّ مثلها. (قال) ثم جعل

الناس يخرجون فمنهم من يضمَن الالف الى أكثر من ذلك حتى ضمنوا اربعين الفاً . وكان يأمل عبيدَ الله ابن أبي بكرة . فلم يخرج حتى غربت الشمس . فخرج مُبادرًا . فلم يرَهُ يخرج حتى كاد يبلُغ بيتهُ . فقيل لهُ : انك مررت بابن مفرّغ ملزوماً وقد مرَّ بهِ الاشراف فضمنوا عنهُ . فقال : واسوأتاه اني لخائف ان يظنّ اني تغافلت عنهُ . فكرَّ راجعاً فوجدهُ قاعدًا فقال لهُ : أبا عثمان ما يُجلسك ههنا . قال : غرمائي هؤلاء يلزمونني . قال : كم عليك . قال : سبعون الفاً . قال : وكم ضُمن عنك . قال : اربعون الفاً . قال : فاستمتعْ بها وعليَّ دينُك أجمع . فقال فيهِ :

لو شئتَ لم تُعنَ ولم تَنصَبْ ... عشتَ بأسباب أبي حاتمِ
عشتَ باسباب الجواد الذي ... لا يختمُ الاموالَ بالخاتمِ
مِن كفّ بُهلولٍ لهُ غُرَّة (١ ... ما إن لمن عاداهُ من عاصمِ
المُطعِم الناسَ اذا حاردت ... نكباؤُها في الزمن العارمِ (٢
والفاصل الخطّة يوم اللجـا ... للامر عند الكربة اللازمِ
جاورتُهُ حيناً فأحمدتـهُ ... أثني وما الحامدُ كاللائمِ
كم من عدوٍّ شامتٍ كاشحٍ ... اخزيتهُ يومـاً ومن ظالمِ
أذقتـهُ الموتَ عـلى غِرَّةٍ ... بأبيضَ ذي رَونقٍ صارمِ

---

١) البهلول السيّد العزيز الجامع لكل خير . والغرّة بياض الوجه

٢) النكباء الريح تنكب عن مهب الرياح فتهبّ بين ريحين بين الصبا مثلًا والشمال . ومعنى حاردت انقطعت البانها يقال عن الابل . ولا يقال عن الرياح . ما لم نتأوّل تأوّلًا بعيدًا ان الارض امحلت مع النكباء ومن ثم انقطعت البان الابل . والعارم الشديد

ومات ابن مفرّغ في الطاعون في ايام مُصعَب بن الزُّبير

مقتل جرجير

كان أَبو ذؤَيب الهُذَليّ خرج في جند عبدالله بن سعد بن أَبي سرح احد بني عامر بن لؤيّ الى افريقية سنة ستّ وعشرين غازياً افرنجة في زمن عثمان . فلما فتح عبدالله بن سعد افريقية وما والاها بعث عبدالله بن الزبير وكان في جنده بشيراً الى عثمان بن عفّان وبعث معهُ نفرًا فيهم أَبو ذؤَيب . فلما قدموا مصر مات ابو ذؤَيب بها (١) . وقدم ابن الزبير على عثمان وهو يومئذٍ في قول ابن الزبير ابن ستّ وعشرين سنة وفي قول

---

١) حدَّث عبدالله بن الحرث الهذليّ قال : خرج ابو ذؤَيب فغزا ارض الروم مع المسلمين . فلمَّا قفلوا أَخذهُ الموت . فاراد ابنهُ وابن اخيهِ ان يتخلَّفا عليهِ جميعاً . فمنعهما صاحب الساقة وقال : ليتخلّف عليهِ احدكما وليعلم انه مقتول . فقال لهما ابو ذؤَيب : اقترعا . فطارت القرعة لابي عبيد . فتخلّف عليهِ . ومضى ابنه مع الناس . فكان ابو عبيد يحدّث قال : قال لي ابو ذؤَيب : يا ابا عبيد احفر ذلك الجرف برمحك ثم اعمد من الشجر بسيفك ثم اجررني الى هذا النهر فانك لا تفرغ حتى افرغ فاغسلي وكفّني ثم اجعلني في حفيري وانثُلْ عليَّ الجرف برمحك والقِ عليَّ العصون والشجر ثم اتبع الناس فان لهم رهجة تراها في الافق اذا مشيت كانها جهامة . (قال) فما أَخطأَ مما قال شيئًا ولولا نعتهُ لم اهتدِ لاثر الجيش . وقال وهو يجود بنفسهِ :

ابا عبيدٍ رُفع الكتابُ واقترب الموعد والحسابُ
وعند رحلي جمل نجابُ أَحمر في حاركهِ انصبابُ

ثم مضيت حتى لحقت الناس . فكان يقال ان اهل الاسلام اعدوا الاثر في بلد الروم فما كان وراء قبر ابي ذؤَيب قبر يُعرف لاحد من المسلمين

الواقدي ابن اربع وعشرين سنة . قال مصعب : فسمعت ابي يقول : قال عبد الله بن الزبير : احاط بنا جرجير صاحب افريقية وهو ملك افرنجة في عشرين الفاً ومائة الف ونحن في عشرين الفاً . فضاق بالمسلمين امرهم واختلفوا في الرأي . فدخل عبدالله بن سعد فسطاطه يخلو ويفكر . قال عبدالله بن الزبير : فرأيت عورةً من جرجير والناس على مصافهم رأيتهُ على برذون أشهب خلف أصحابهِ منقطعاً منهم معه جاريتان لهُ تُظلّانهِ من الشمس بريش الطواويس . فجئت فسطاط عبدالله فطلبت الاذن عليهِ من حاجبه . فقال : انهُ في شأنكم وانهُ قد أمرني ان امسك الناس عنهُ . (قال) فدُرت فأتيت مؤخر فُسطاطه فرفعتهُ ودخلت عليهِ . فاذا هو مستلقٍ على فراشهِ . ففزع وقال : ما الذي أدخلك عليَّ يا ابن الزبير . فقلت : ايه وايه كل أَرَبّ نفورٌ اني رأيت عَورةً من عدوّنا فرجوت الفرصة فيهِ وخشيت فَوتها . فاخرُجْ فأندب الناس اليَّ . قال : وما هي . فاخبرتهُ . فقال : عَورةٌ لَعمري . ثم خرج فرأى ما رأيت . فقال : أيُّها الناس انتدِبوا مع ابن الزبير الى عدوّكم . فاخترت ثلاثين فارساً وقلت : اني حاملٌ فاضربوا عن ظهري فاني سأكفيكم مَن ألقى ان شاء الله تعالى . فحملت في الوجه الذي هو فيهِ وحملوا فذبُّوا عني حتى خرَّقتهم (١ الى ارض خالية وتبيَّنتهُ . فصمدتُ صمدَهُ (٢ فوالله ما حسِب الَّا اني رسول ولا ظنَّ اكثرُ اصحابهِ الَّا ذاك حتى رأى ما بي من اثر السلاح فثنى برذونهُ هارباً . فادركتهُ فطعنتهُ فسقط ورميت بنفسي عليهِ . واتَّقت جاريتاه عنهُ السيف فقطعتُ يدَ احداهما وأجهزتُ عليهِ . ثم رفعت رأسهُ

١) في الاصل كُتب « حتى حزقتهم » ٢) صمدَ صمدَه قصده

في رمحي . وجال اصحابه . وحمل المسلمون في ناحيتي وكبَّروا فقتلوهم كيف شاؤوا وكانت الهزيمة . فقال لي عبدالله بن سعد : ما احد أحق بالبشارة منك فبعثني الى عثمان

خبر مقتل ابني عبيد الله بن العباس

أخبر بالسبب في ذلك محمد بن احمد الطلاس قال : حدثنا احمد بن الحرث الخراز قال : ان معاوية بن ابي سفيان بعث الى بُسر بن أرطاة احد بني عامر بن لؤيّ بعد تحكيم الحَكَمينِ . وعليٌّ بن ابي طالب رضي الله عنه يومئذٍ حيّ وبعث معهُ جيشاً آخر . وتوجَّه برجل من عامر ضمَّ اليهِ جيشاً آخر . ووجه الضحَّاك بن قيس الفِهريّ في جيش آخر . وامَرهم ان يسيروا في البلاد فيقتلوا كل من وجدوه من شيعة عليّ بن ابي طالب عليهِ السلام وأصحابه وان يُغيروا على سائر اعماله ويقتلوا اصحابه ولا يكفُّوا ايديهم عن النساء والصبيان . فمرَّ بُسر لذلك على وجههِ حتى انتهى الى المدينة فقتل بها ناساً من اصحاب عليّ عليهِ السلام وأهل هواهُ وهدم بها دورًا ومضى الى مكة فقتل نفرًا من آل أبي لهب ثم اتى السراة فقتل مَن بها من اصحابه . واتى نجران فقتل عبدالله بن عبد المَدان الحارثي وابنهُ وكانا من اصهار بني العباس عامل عليّ عليهِ السلام . ثم اتى اليمن وعليها عُبيد الله بن العباس عامل عليّ بن ابي طالب وكان غائباً . وقيل بل هرب لما بلغهُ خبر بُسر فلم يصادفهُ بسر . ووجد ابنين لهُ صبيَّين فاخذهما بسر لعنهُ الله وذبحهما بيده بمدية كانت معهُ . ثم انكفأ راجعاً الى معاوية . وفعل مثل ذلك سائر من

بعث به . فقصد العامريّ الى الانبار فقتل ابن حسّان البكري وقتل رجالًا ونساء من الشيعة

ثم ان بسر بن ارطاة كرّ راجعاً وانتهى خبرهُ الى عليّ عليهِ السلام انه قتل عبد الرحمن وقُثَم ابني عُبيد الله بن العباس فسرّح جارية بن قُدامة السعديّ في طلبهِ وامرهُ ان يجدَّ السير . فخرج مُسرعاً . فلما وصل الى المدينة وانتهى اليهِ قتلُ علي بن أَبي طالب عليهِ السلام ومعهُ الحسن رضي الله تعالى عنهُ ركب في السلاح ودعا أَهل المدينة الى البيعة للحسن . فامتنعوا . فقال : والله لتبايعُنَّ . فلما رأى اهلَ المدينة بايعوا الحسن عليهِ السلام كرَّ راجعًا الى الكوفة فاصاب امَّ حكيم بنتَ قارظ ولهُ على ابنيها فكانت لا تَعقِل ولا تُصغي الَّا الى قول مَن اعلمها أَنهما قد قُتلا ولا تزال تطوف في المواسم تنشد الناس ابنيها بهذه الابيات :

يا من أَحسَّ بابنيَّ اللذين همـا ... كالدرَّتين تشظَّى عنهما الصدفُ
يا من أَحسَّ بابنيَّ اللذين همـا ... سمعي وقلبي فقلبي اليوم مُزدَهفُ (١
يا من أَحسَّ بابنيَّ اللذين همـا ... مخُّ العظام فمخي اليوم مختَطفُ
نُبِّئتُ بسرًا وما صدَّقت ما زعموا ... من قولهم ومن الإفك الذي اقترفوا
أَنحى على ودجَيْ (٢ ابنيّ مُرهَفةً ... مشحوذةً وكذاك الإفكُ يُقترَفُ
حتى لقيت رجالًا من ارومتـهِ ... شمّ الانوف لهم في قومهم شرفُ
فالآن أَلعنُ بسرًا حقَّ لعنتـهِ ... هذا لعمرُ ابي بُسرٍ هو السَّرَفُ
من دلَّ والهـةً حرَّى مُولَّهـةً ... على صبيَّين ضلًّا اذ غدا السَّلَفُ

---

١) الازدهاف استطارة القلب من جزع او حزن ٢) الودجانِ عرقانِ في العنق

(قالوا) ولما بلغ عليّ بن أبي طالب عليهِ السلام قتلُ بسر الصبيَّين جَزع لذلك جزَعاً شديداً ودعا على بسر لعنهُ الله فقال : اللهمَّ اسلُبه دينهُ ولا تخرجهُ من الدنيا حتى تسلبهُ عقلهُ . فاصابهُ ذلك وفقد عقله . وكان يهذي بالسيف ويطلبهُ فيؤتى بسيف من خشب ويُجعل بين يديهِ زقّ منفوخ فلا يزال يضربهُ حتى يسأم . ثم مات لعنهُ الله . ولما كانت الجماعة واستقرّ الامر على معاوية دخل عليهِ عبيد الله بن العباس وعنده بسر بن ارطاة . فقال لهُ عبيدالله : أأنت قاتل الصبيَّين ايها الشيخ . قال بسر : نعم انا قاتلهما . فقال عبيد الله : أما والله لوددتُ ان الارض كانت أنبتتني عندك . فقال بسر : فقد أنبتتك الآن عندي . فقال عبيد الله : ألا سيف . فقال لهُ بسر : هاك سيفي . فلما أهوى عبيد الله الى السيف ليتناولهُ اخذهُ معاوية ثم قال لبسر : أخزاك الله شيخاً قد كبرت وذهب عقلك وذاك رجل من بني هاشم قد وترتَهُ وقتلت ابنيهِ تدفع اليهِ سيفك . انك لغافل عن قلوب بني هاشم . والله لو تمكن منهُ لبدأ بي قبلك . فقال عبيد الله : أجل والله وكنتُ أثني بهِ

قال الاصمعي : وسمع رجل من اهل اليمن وقد قدم مكة امرأة عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب تندب ابنيها اللذين قتلهما بسر بن ارطاة بقولها :

يا من احسَّ بابنيَّ اللذين همـا كالدرَّتين تشظَّى عنهما الصدفُ

فرقَّ لها واتَّصل ببسر حتى وثق بهِ . ثم احتال لقتل ابنيهِ فخرج بهما الى وادي اوطاس (١ فقتلهما وهرب وقال :

---

١) اوطاس وادٍ في ديار هوازن

يا بُسرُ بُسرَ بني ارطاة ما طلعت ... شمسُ النهار ولا غابت على الناسِ
خير من الهاشميّين الذينَ همُ ... عينُ الهدى وسمام الاسوق القاسي
ماذا اردتَ الى طفلَي مولّهةٍ ... تبكي وتنشد من انكلتَ في الناسِ
إمّا قتلتَهما ظلماً فقد شرقت ... من صاحبيك قناتي يوم اوطاسِ
فاشرَب بكأسهما ثُكلاً كما شربت ... امُ الصبيَّين او ذاقَ ابنُ عبّاسِ

مقتل توبة بن الحُمَيِّر

أخبر بالسبب في مقتل توبةَ محمدُ بن الحسن بن دريد إجازةً عن أبي حاتم السجستانيّ عن ابي عبيدة . قال ابو عبيدة : كان الذي هاج مقتل توبة ابن الحمير بن حزم بن كعب بن خفاجة انهُ كان بينهُ وبين بني عامر بن عوف بن عُقَيل لحاء . ثم ان توبة شهد بني خفاجة وبني عوف وهم يختصمون عند همّام بن مُطرِّفٍ العقيلي في بعض امورهم . (قال) وكان مروان بن الحكم يومئذٍ اميراً على المدينة في خلافة معاوية بن ابي سفيان فاستعمله على صدقات بني عامر . (قال) فوثب ثور بن ابي سمعان بن كعب بن عامر بن عوف بن عقيل على توبة بن الحمير فضربهُ بجُرْز (١ وعلى توبة الدرع والبيضة . فجرح انفُ البيضةِ وجهَ توبة . فامر همام بثور بن ابي سمعان فأقعد بين يدي توبة فقال : خذ بحقك يا توبة . فقال لهُ توبة : ما كان هذا الّا عن امرك وما كان ليجترئ عليّ عند غيرك . وأمّ همام صوبانة

---

١) الحُرْز والجُرْز عمود من حديد

بنت جون بن عامر بن عوف بن عقيل . فاتهمهُ توبة لذلك . فانصرف ولم يقتصّ منهُ . فمكثوا غير كثير

وان توبة بلغهُ ان ثور بن ابي سمعان خرج في نفر من رهطهِ الى ماء من مياه قومهِ يقال لهُ قوباء يريدون ماء لهم بموضع يقال لهُ جرير بتثليث . (قال) وبينهما فلاة . فاتبعهُ توبة في ناس من اصحابهِ . فسأل عنهُ وبحث حتى ذُكر لهُ انهُ عند رجل من بني عامر بن عقيل يقال لهُ سارية بن عمير بن ابي عدي وكان صديقاً لتوبة . فقال توبة : والله لانظرنّهم عند سارية الليلة حتى يخرجوا عنهُ . فارادوا ان يخرجوا حين يصبحون فقال لهم سارية : ادّرعوا الليلة فاني لا آمن توبة عليكم الليلة فانهُ لا ينام عن طلبكم . (قال) فلما تعشّوا ادّرَعوا الليلَ (١ في الفلاة . وأقعد لهُ توبة رجلين . فغفَل صاحبا توبة . فلما ذهب الليل فزع توبة وقال : لقد اغتررت الى رجلين ما صنعا شيئاً وانبي لأعلم انهم لم يُصبحوا بهذه البلاد . فاقتصّ آثارهم فاذا هو بأثر القوم قد خرجوا . فبعث الى صاحبيهِ فأتياه . فقال : دونكما هذا الجمل فأوقِراهُ من الماء مزادتيهِ ثم اتبعا اثري فان خفي عليكما ان تُدركاني فاني سأنوّر لكما ان امسيتما دوني . وخرج توبة في اثر القوم مسرعاً حتى اذا انتصف النهار جاوز علماً يقال لهُ أفيح في الغائط فقال لاصحابهِ : هل ترون سَمُرات الى جنب قُرون بقر (٢ فانّ ذلك مقيل القوم لم يتجاوزوه فليس وراءهُ ظِلّ . فنظروا فقال قائل : نرى رجلاً يقود بعيراً لهُ كأنهُ يقودهُ لصَيدِه (٣ . قال توبة : ذلك ابن الحبترية وذلك من

---

١) اي استتروا بظلمة الليل كاستتار الفارس بالدرع ٢) قرون بقر مكان هنالك ٣) الصيَد رفعُ البعير راسهُ لداء بهِ ويستعار للرجل يرفع رأسه كِبراً

ارمي مَن رمى . فمن لهُ يختلجهُ (١ دون القوم فلا يَنذَرون بنا . (قال) فقال عبدالله اخو توبة : أنا لهُ . قال : فاحذر لا يضربنَّك وان استطعت ان تحول بينهُ وبين اصحابه فافعل . فخلّى طريق فرسه في غَمْض من الارض . ثم دنا منهُ فحمل عليهِ فرماه ابنُ الحبترية . (قال) وبنو الحبترية ناس من مذحج في بني عقيل . فعقروا فرس عبدالله اخي توبة واختلَّ السهمُ ساقَ عبد الله . فانحاز الرجل حتى اتى اصحابه فأنذرهم . فجمعوا ركابهم وكانت مُتفرّقة . (قال) وغشيهم توبة ومن معهُ . فلما رأوا ذلك صفّوا رحالهم وجعلوا السمرات (٢ في نحورهم واخذوا سلاحهم ودَرَقهم (٣ وزحف اليهم توبة . فارتمى القوم لا يغني احد منهم شيئاً في احد . ثم ان توبة وكان يترس لهُ اخوهُ عبد الله قال : يا اخي لا تترس لي فاني رأيت ثورًا كثيرًا ما يرفع الترس عسى ان اوافق منهُ عند رميهِ مرمًى فأرميه . (قال) ففعل فرماه توبة على حلَمة ثديهِ فصرعهُ . وجاء القوم فغشيهم توبة واصحابه فوضعوا فيهم السلاح حتى تركوهم صرعى . وهم سبعة نفر . ثم ان ثورًا قال : انتزعوا هذا السهم عني . قال توبة : ما وضعناه لنتزعه . فقال اصحاب توبة : انجُ بنا فقد أخذنا ثأرنا ونلقى راويتَنا فقد متنا عطشاً . قال توبة : كيف بهؤلاء القوم الذين لا يُمنَعون ولا يمتنعون . فقالوا : ابعدَهم الله . قال توبة : ما انا بفاعلٍ وما هم الّا عشيرتكم ولكن تجيء الراوية فأضع لهم ماءً وأغسِل عنهم دِماءهم وأُخيّل عليهم من السّباع والطير لا تأكلهم حتى أُوذِنَ قومَهم بهم

---

١) اختلجهُ انتزعهُ ٢) السَّمُرة من شجر الطلح

٣) الدرق جمع الدرقة وهي الترس من جلد

بعَنق . فاقام توبة حتى اتتهُ الراوية قبل الليل فسقاهم من الماء وغسل عنهم الدماء وجعل في أَساقيهم (١ ماءً ثم خيَّل لهم بالثياب على الشجر . ثم مضى حتى طرق من الليل ساريةَ بن عويمر بن ابي عديّ العقيلي فقال : انّا قد تركنا رهطاً من قومكم بسمرات من قرون بقر فأدركوهم فمن كان حيًّا فداووه ومن كان ميتاً فادفنوه . ثم انصرف فلحق بقومهِ . وصبَّح ساريةُ القومَ فاحتملهم وقد مات ثور بن ابي سمعان ولم يمت غيره . فلم يزل توبة خائفاً

وكان السليل بن ثور المقتول رامياً كثير البغي والشرّ . وأُخبر بغِرَّة من توبة وهم بقُنَّة (٢ من قِنان الشَّرَف يقال لها قُنَّة بني الحميّر فركب في نحو ثلاثين فارساً حتى طرقه . فترقّى توبة ورحل من اخوتهِ في الجبل . فاحاطوا بالبيوت . فناداهم وهو في الجبل : هذا مَن تبغون فأجيبوا . فقالوا : انكم لن تستطيعوه وهو في الجبل ولكن خُذوا ما استدنى لكم من ماله . فأَخذوا افراساً لهُ ولاخوتهِ وانصرفوا . ثم ان توبة غزاهم فرَّ على قلب بن حزن بن معاوية بن خفاجة يُبطن نفسهُ (٣ . فقال : يا توبة اين تريد . قال : اريد الصبيان من بني عوف بن عقيل . قال : لا تفعل فان القوم قاتلوك فهلّا . قال : لا أَقلَعُ عنهم ما عِشتُ . ثم ضرب بطن فرسهِ فاستمرَّ بهِ يَخطِر ويرتجز ويقول :

ينجو اذا قيل لهم معاطِ (٤ ينجو بهم من خلل الامشاطِ

---

١) أَساقٍ واسقية واسقيات جمع سقاء ٢) القنّة الجبل الصغير . وايضاً قُلّة الجبل اي اعلاه وقِمَّتهُ ٣) يبطن نفسهُ اي متخفياً

٤) المعط ان يمدّ قوائمه ويتمطى في جريه

حتى انتهى الى مكان يقال لهُ حجر الراشدة ظليل اسفلهُ كالعمود واعلاه منتشر. فاستظلَّ فيهِ واصحابه حتى اذا كان بالهاجرة مرَّت عليهِ ابل هبيرة بن السمين اخي بني عوف بن عقيل واردة ماء لهم يقال لهُ طلوب فاخذها وخلّى طريق راعيها وقال لهُ: اذا اتيت صُدْغَ البقرةِ مولاك فأخبرهُ ان توبة اخذ الابل. ثم انصرف توبة. (قال) فلما ورد العبد على مولاه فاخبرهُ نادى في بني عوف وقال: حتَّامَ هذا. فتعاقدوا بينهم نحوًا من ثلاثين فارساً ثم اتبعوه. ونهضت امرأة من بني خثعم من بني الهرَّة كانت في بني عوف وكانت تُؤخَذ (١ لهم فقالت: أروني اثره. فخرجوا بها فأروها اثره. فأخذت من ترابه فقاسته فقالت: اطلبوه فانهُ عليكم. فطلبوه فسبقهم. فتلاوموا وقالوا: ما نرى لهُ اثرًا وما نراه الَّا وقد سبقكم

(قال) وخرج توبة حتى اذا كان بالمضجع من ارض بني كلاب جعل نذَّارتهُ (٢ وحبس اصحابه حتى اذا كان بشِعبٍ من هَضبة يقال لها هند من كبد المضجع جعل ابن عمة لهُ يقال لهُ قابض بن عبد الله ربيئةً على رأس الهضبة فقال: انظر فان شخص لك شيء فأعلمنا. فقال عبدالله ابن جسوسا بن الحميّر: يا توبة انك حائر اذكّرك الله فوالله ما رأيتُ يوماً اشبه بسمُرات بني عوف يوم ادركناهم في ساعتهم التي اتيناهم فيها منهُ. فانجُ ان كان بك نجاة. قال: دَعْني فقد جعلتُ ربيئةً ينظر لنا. (قال) ويرجع بنو عوف بن عقيل حين لم يجدوا اثر توبة فيلقَون رجلًا من غني. فقالوا لهُ: هل أحسست في مجيئك اثر خيل او اثر ابل. قال:

---

١) توْخذ تسحر وترقي ٢) النذّارة المُعلم والمحذّر

لا والله . قالوا : كذَبت . وضربوه . فقال : يا قوم لا تضربوني فاني لم اجد اثرًا ولقد رأيت زُهاء كذا وكذا ابلًا شخوصاً في هاتيك الهضبة وما ادري ما هو . فبعثوا رجلًا منهم يقال لهُ يزيد بن رويبة لينظر ما في الهضبة . فاشرف على القوم فلما رآهم ألوى بثوبهِ لأَصحابهِ حتى جاءوا

وقد كان توبة اسرى يومَه وليلتَه فاستظلَّ ببُردَيهِ وألقى عنهُ دِرعهُ وخلّى عن فرسه الخوصاء تتردَّد قريباً منهُ وجعل قابضاً ربيئةً لهُ ونام . فاقبلت بنو عوف بن عامر متقاطرين(١ لئلّا يفطن لهم احد . فنظر قابض فأبصر رجلًا منهم فأقبل الى توبة فأَنبههُ . فقال توبة : ما رأيت . قال : رأيت شخصَ رجلٍ واحد . فنام ولم يكترث لهُ . وعاد قابض الى مكانهِ فغلبتهُ عيناه فنام . (قال) فاقبل القوم على تلك الحال فلم يشعُر بهم قابض حتى غشوه . فلما رآهم طار على فرسه . واقبل القوم الى توبة . وكان اوّل من تقدَّم غلام امرد على فرس عربي وهو يزيد بن رويبة ثم تلاه ابن عمهِ عبدالله بن سالم . ثم تتابعوا . فلما سمع توبة وقع الخيل نهض وهو وَسْنان . وكان لا يضع السيف . فصبَّ الدرع على السيف متقلّده وَهلًا . ثم صوَّت بفرسهِ الخوصاء فأَتتهُ . فلما اراد ان يركبها اهوت ترمحهُ ثلاث مرات . فلما رأى ذلك لطم وجهها فأَدبرت . وحال القوم بينهُ وبينها . فطلب قائم السيف فلم يقدر عليهِ تحت الدرع فلم يستطع سلّهُ . فطار الى الرمح فأَخذهُ فاهوى بهِ طعناً الى يزيد بن رويبة وقد كان يزيد عاهد الله ليقتلنَّهُ او ليأخذنَّهُ . فأَنفذ فخذ يزيد . واعتنقهُ يزيد فعضَّ بوجنتيهِ . واستدبرهُ عبد الله بالسيف ففلق رأس توبة . وهيَّب (٢ توبةُ

١) متقاطرين متتابعين ٢) هيّب بهِ واهاب به دعاه

حين اعتوره الرجلان بقابض : يا قابض . فلم يلوِ عليهِ وفرَّ قابض الكلابي . وذبَّ عبدالله بن حميّر عن اخيهِ . فأهوى لهُ معاوية بن عبد الله بالسيف فاصاب ركبتهُ فاختلعت (١ . فلما وقع بالارض اشرع سيفهُ وحدّه ثم جثا على ركبتيهِ وجعل يقول : هلمُّوا . ولم يشعُر القومُ بما اصابه وانصرف بنو عوف بن عقيل . وولّى قابض منهزماً حتى لحق بعبد العزيز ابن زرارة الكلابي فقال : قُتل توبة . فنادى في قومهِ فجاءهُ ابوه زرارة فقال : اين تريد . فقال : قُتل توبة . فقال ابوه طوط : سحقاً لك أتطلبُ بدمِ توبة ان قتلتهُ بنو عقيل ظالماً لها باغياً عادياً عليها . قال : لكني أجُنُّهُ اذاً . قال ابوه : اما هذه فنعم . فألقى السلاح وانطلق حتى اجنَّهُ وحمل اخاه عبدالله بن حميّر . فلما رجع عبد الله بعد ذلك الى قومهِ لاموه وقالوا لهُ : فررتَ عن اخيك . فقال عبدالله بن الحميّر في ذلك :

تُأوّبني بغَازيـةَ الهمـومُ ... كما يعتاد ذا الدَين الغَريمُ
كأنَّ الهمَّ ليس يريد غيري ... ولو امسى لهُ نَبَطٌ ورُومُ
علامَ تقوم عاذلتي تـلومُ ... توَنّبني وما انجاب الصرومُ
فقلتُ لها رويداً كي تجلّى ... غَواشي النومِ والليلُ البهيمُ
ألمـا تعلمي اني قديمـاً ... اذا ما شئت أعصي من يَلومُ
وانَ المرء لا يدري اذا ما ... يَهُمُّ علامَ تحمِلـهُ الهمومُ
وقد تُعدي على الحاجات حَرفٌ ... كركب الرعن دِعبلةٌ عقيمُ (٢
مداحلةُ الفقارِ وذاتُ لَوثٍ (٣ ... على الحرَاتِ مُقحمةٌ غَشومُ

---

١) اختلعت سقطت ٢) تُعدي تنصُر والحرف الناقة الصلبة شُبّهت بحرف الجبل . والرعن انف الجبل . ودِعبل ودعبلة ناقه شديدة ٣) ذات لوث اي

كانَّ الرحلَ منها فوقَ جأبٍ(١ بذات الحاد مَعقِلهُ الصَّريمُ
طباهُ برجلةِ البَقَّارِ (٢ برقٌ فباتَ الليلَ منتصباً يشيمُ
فبينا ذاك اذ هبطت عليهِ دَلوحُ المزن واهية هزيمُ(٣
تهبُّ لها الشمال فتمتريها ويعقبها بنافحةٍ نسيمُ
يُلِثُّ اذا الرَّباب جرى عليهِ(٤ كما يُصغي الى الآسي الاميمُ
اذا ما قال اقشع جانباهُ نشت(٥ من كل ناحية غيومُ
فأَشعرَ ليلَهُ قلقاً وقُرًّا يُسهّرهُ كما ارق السَّليمُ
ألا مَن يشتري رِجلًا برِجل تخوَّنها السِلاح فما تسومُ
تلومُكَ في القتال بنو عقيلٍ وكيفَ قتالُ اعرجَ لا يقومُ
ولو كنتُ القتيلَ وكان حيًّا لقاتل لا ألفُّ ولا سؤُومُ
ولا جثَّامةٌ ورَعٌ هيوبٌ ولا ضَرَعٌ(٦ اذا يمشي جثومُ

(قال) ثم ان خفاجة رهط توبة جمعوا لبني عوف بن عامر بن عقيل الذين قتلوا توبة . فلما بلغهم الخبر لحقوا ببني الحرث بن كعب . ثم افترقت بنو خفاجة . فلما بلغ ذلك بني عوف رجعوا . فجمعت لهم بنو خفاجة ايضاً قبائل عقيل . فلما رأت ذلك بنو عوف بن عامر بن عقيل لحقوا بالجزيرة فنزلوها . ثم ان بني عامر بن صعصعة صاروا الى مروان بن الحكم وهو والي المدينة لمعاوية بن ابي سفيان فقالوا : ننشدك الله ان

ذات قوّة ١) الجأب الغليظ من حُمُر الوحش ٢) طباه دعاه ورجلة مَسيل الماء والبقار موضع ٣) سحابة دلوح مُثقَلة بالماء . هزيم سحاب متشقق بالمطر
٤) ألثَّ المطر دام اياماً لا يُقلع وكذلك السحابة والرباب السحاب
٥) نشت لغة في نشأت ٦) ورعٌ جبان . والضرع الصغير السنّ الغُمر الضعيف

تفرّق جماعتنا . فعقلَ توبة وعقل الآخرين مَعاقلَ العربِ مائة من الابل . فأدّتها بنو عامر . (قال) فخرجت بنو عوف بن عامر قتلةُ توبة فلحقوا بالجزيرة فلم يبقَ بالعالية منهم أحد . واقامت بنو ربيعة بن عقيل وعروة ابن عقيل وعبادة بن معقل بمكانهم بالبادية

وقالت ليلى تعير قابضاً :

جزى الله شرًّا قابضاً بصنيعهِ ... وكلُّ امرئٍ يُجزى بما كان ساعيا
دعا قابضاً والمرهفاتُ يُرِدْنهُ ... فثُبّحتَ مَدعوًّا ولبّيك داعيا

وقالت لقابض وتعذر عبد الله اخا توبة :

دعا قابضاً والموتُ مخفق ظلّهِ ... وما قابضٌ اذ لم يُجِبْ بنجيبِ
وآسى عبيدُ الله ثم ابنُ امّهِ ... ولو شاءَ نجّى يومَ ذاك حبيبي

وقالت ايضاً ترثي توبة عن امّ حمير . وامها ابنة اخي توبة من امها :

أيا عينِ بكّي توبةَ ابنَ حُمَيّرٍ ... بسحٍّ كفيضِ الجدولِ المتفجر
لتبكِ عليهِ من خفاجةَ نسوةٌ ... بماءِ شؤونٍ (١ العَبرة المتحدّر
سمعنَ بهيجا ارهقت فذكرنهُ ... ولا يبعثُ الاحزانَ مثل التذكرِ
كأنّ فتى الفتيانِ توبةَ لم يَسِر ... بنجدٍ ولم يطلع من المتغوّرِ
ولم يَرِدِ الماءَ السِدامَ (٢ اذا بدا ... سنا الصُبحِ في بادي الحواشي منوّرِ
ولم يغلب الخصمَ الضِجاجَ ويملإ ... م الجفان سَديفاً يومَ نكباءَ صَرصرِ (٣
ولم يعلُ بالجردِ الجيادِ يقودها ... بِسُرّةَ بين الاشمسات فأبسُرِ (٤

---

١) الشؤون عروق مجاري الدموع . وخفاجة بن عُقيل ٢) سدام مندفق
٣) الضجاج المُشاغب وُصف بالمصدر . والسديف شقق السنام . والنكباء الريح بين هبّ ريحين وهي عبارة عن المحل . والصرصر الشديدة الصوت ٤) اشمسات

وصحراء مَوماةٍ يحارُ بها القَطا ... قطعتَ على هَولِ الجَنان بمِنسرِ
يقودون قُبا كالسراحينِ لاحها ... سُراهم وسيرُ الراكبِ المتهجرِ
فلما بدت ارضُ العدوِّ سقيتُها ... مجاجَ بقيـاتِ المَزادِ المُغبَّرِ
ولما أهابوا بالنهابِ حويتها ... بمُخاظي البضيع كرُّهُ غير اعسرِ
بمرٍّ كَكرِّ الاندريِّ مُثابرٍ ... اذا ما ونينَ مُلهبِ الشدِّ مُحضرِ
فألوت بأعناقٍ طِوالٍ وراعَها ... صَلاصلُ بَيضٍ سابغٍ وسنورِ
ألم ترَ انَّ العبـدَ يقتلُ ربَّـهُ ... فيظهر جدّ العبدِ من غير مظهرِ
قتلتم فتًى لا يُسقِطُ الرَّوعُ رمحَهُ ... اذا الخيلُ جالتْ في قنًا مُتكسِّرِ
فيا توبَ للهيْجا ويا توبَ للنَّدى ... ويا توبَ للمستنبِح المتنـوِّرِ
ألا رُبَّ مكروبٍ أجبتَ ونائلٍ ... بذلتَ ومعروفٍ لديك ومُنكَرِ

اخذ الثأر من هلال

هو فيما ذكر خالد بن كلثوم هلال بن الاسعر شاعر اسلاميّ من شعراء الدولة الامويّة وأظنهُ قد ادرك الدولة العبّاسية

كان هلال بن الاسعر ضربهُ رجل من بني عنزة ثم من بني جلّان يقال لهُ عبيد بن جُرَيّ في شيء كان بينهما فشجّهُ وخمشهُ خماشة. فأتى

جمع اشمَس بفتح الميم وضمّها جبل في شقّ بلاد بني عُقَيل. يراد الجبل وما يليهِ من البقاع. كُتب في الاصل « فياسر » وهو تصحيف مخالف لقواعد العروض. وروى البكري (٦٣) « فأَبْسُرِ » وقال انَّهُ « موضع محـدَّد مذكور في رسم أَشمُس » . وفي رسم اشمُس روى « فأَيْصُرِ » وفي رسم ايصر (١٢٤) قال «وقد تقدَّم ذكرهُ في رسم أَشمُس» . ومن ثم نختار ولا نعلم ماذا نختار. وكُتب ايضًا في الاصل « بسبرة » وفي البكري « بِسُرَّةَ »

هلال بني جلان فقال : ان صاحبكم قد فعل بي ما ترون فخذوا لي بحقي . فأوعدوه وزبروه (١ . فخرج من عندهم وهو يقول : عسى ان يكون لهذا جزاء . حتى أتى بلاد قومه . فمضى لذلك زمن طويل حتى دَرَس ذكرُه . ثم ان عبيد بن جُرَيّ قدم الوَقَبي وهو موضع من بلاد بني مالك . فلما قدمها ذكر هلالًا وما كان بينهُ وبينه فتخوَّفهُ . فسأل عن اعزّ اهل الماء . فقيل لهُ : معاذ بن جعدة . فأتاه فوجدهُ غائباً عن الماء . فعقد عبيد بن جُرَيّ طرف ثيابه الى جانب طُنب بيت معاذ (٢ . وكان يوم فعل ذلك غائباً عن الماء . فقيل : رجل استجار بآل معاذ بن جعدة . ثم خرج عبيد بن جُرَيّ ليستقي فوافق قدوم هلال بابلهِ يوم وروده وكان انما يقدّمها في الايام . فلما نظر هلال الى ابن جُرَيّ ذكر ما كان بينهُ وبينه ولم يعلم باستجارتهِ بمعاذ بن جعدة فطاب شيئاً يضربهُ بهِ فلم يجدهُ فانتزع المحور من السانية فعلاه بهِ ضربة على رأسه فصُرع وَقيذًا (٣ وقيل : قتلَ هلالُ بن الاسعر جار معاذ بن جعدة

فلما سمع ذلك هلال تخوَّف بني جعدة الزراميّين وهم بنو عمهِ فأتى راحلتهُ ليركبها . فقال هلال : فأتتني خولة بنت يزيد بن ثابت اخي بني جعدة بن ثابت وهي جدَّة ابي السفاح زهير بن عبدالله بن مالك امّ ابيهِ . فتعلّقت بثوب هلال ثم قالت : ايْ عدوّ الله قتلت جارنا والله لا تفارقني حتى يأتيك رجالنا . قال هلال : والمحور في يدي لم اضعهُ . (قال) فهممت ان أعاو بهِ رأس خولة . ثم قلت في نفسي : عجوز لها سِنٌّ وقرابة .

---

١) زبره انتهره ٢) كانت العرب اذا فعلت ذلك وجب على المعقود بطنب بيتهِ للمستجير بهِ ان يجيره وان يطلب لهُ بظلامتهِ ٣) الوقيذ المشرف على الموت

(قال) فضربتها برجلي ضربة رميت بها من بعيد . ثم اتيت ناقتي فأركبها ثم اضربها هارباً . وجاء معاذ بن جعدة واخوتهُ وهم يومئذٍ تسعة اخوة وعبدالله بن مالك . فجاؤوا من آخر النهار فسمعوا الواعية (١ على الجلاني وهو دَنِف لم يمت . فسألوا عن تلك الواعية فأُخبروا بما كان من استجارة الجلاني بمعاذ بن جعدة وضرب هلال لهُ من بعد ذلك . فركب الاخوة التسعة وعبد الله بن مالك عاشرهم . وكانوا مثال الجبال في شدَّة خَلقهم مع نجدتهم وركبوا معهم بعشرة غِلمة لهم اشدّ منهم خَلقاً لا يقع لأحدٍ منهم سَهمٌ في غير موضع يريده من رِمايتهِ حتى تبعوا هلالاً وقد نسَلَ(٢ هلال من الهرب يومَه ذلك كلَّهُ وليلتهُ . فلما اصبح أَمِنَهم وظنَّ ان قد ابعد في الارض ونجا منهم . وتبعوه . فلما اصبحوا من تلك الليلة قفّوا اثره وكان لا يخفى اثرهُ على احد لعظم قدمه . فلحقوه من بعد الغد فلما ادركوه وهم عِشرون ومعهم النَّبل والقِسيّ والسُّيوف والتِّرَسة ناداهم : يا بني جعدة اني انشدكم الله ان اكون قتلتُ رجلًا غريباً طلبتهُ بترةٍ تقتلوني وانا ابن عمكم . وظنّ ان الجلاني قد مات ولم يكن مات الى أن تبعوه واخذوه . فقال معاذ : والله لو أيقنَّا انهُ قد مات ما ناظرنا بك القتل من ساعتنا ولكنَّا تركناه ولم يمُت ولسنا نُحبُّ قتلك الَّا ان تمتنع منَّا ولا نُقدِم عليك حتى نعلمَ ما يصنع جارنا . فقاتلهم وامتنع منهم . فجعل معاذ يقول لاصحابهِ وغلمانهِ : لا ترموه بالنبل ولا تضربوه بالسيوف ولكن ارموه بالحجارة واضربوه بالعصيّ حتى تأخذوه . ففعلوا ذلك فما قدروا على اخذه حتى كسروا من احدى يديه ثلاث اصابع

---

١) الواعية الصراخ على الميت ٢) نسل اسرع

ومن الاخرى اصبعين ودقُّوا ضِلعين من اضلاعهِ واكثروا الشّجاجَ في رأسه ثم اخذوه وما كادوا يقدِرون على اخذه فوضعوا في رجلهِ أدهم(١ ثم جاؤُوا بهِ وهو معروض على بعير حتى انتهوا به الى الوقبى فدفعوه الى الجلاني ولم يمت بعد. فقالوا: انطلقوا به معكم الى بلادكم ولا تُحدِثوا في امرهِ شيئاً حتى تنظروا ما يصنع بصاحبكم فان مات فاقتلوه وان حيي فأعلمونا حتى نحمل لكم. فقال الجلانيون. وَفَتْ ذمتكم يا بني جعدة وجزاكم الله أفضلَ ما يُجزى به خِيار الجيرانِ. انا نتخوَّفُ أن ينتزِعهُ منَّا قومكم ان خلّيتم عنا وعنهم وهو في ايدينا. فقال لهم معاذ: فاني احملهُ معكم وأُشيّعكم حتى تَردوا بلادكم. ففعلوا ذلك. فحُمل معروضاً على بعير. وركبت اختهُ جماءَ بنت الاسعر معهُ. وجعل يقول: قتلتني بنو جعدة. وتأتيه اختهُ بالمَغرة (٢ فيشربها. فيقال يمشي بالدم لانَّ بني جعدة فرَثوا كبدَه (٣ في جوفهِ. فلما بلغوا ادنى بلاد بني بكر بن وائل قال الجلانيون لمعاذ واصحابه: ادام اللهُ عزَّكم قد وفيتم فانصرِفوا. وجعل هلال يريهم انهُ يمشي في الليلة عشرين مرَّة. فلما ثقل الجلاني وتخوَّف هلال ان يموت من ليلته او يُصبحَ ميتاً تبرَّز (٤ هلال كما كان يصنع وفي رجليهِ الادهم كأنهُ يقضي حاجةً ووضع كساءَهُ على عصاه في ليلة ظلماء ثم اعتمد على الادهم فحطمهُ ثم طار تحت ليلتهِ على رجليهِ وكان ادلّ الناس فتنكَّب(٥ الطريق التي تُعرف ويُطلَب فيها وجعل يسلُك المَسالك

---

١) الادم القيد لسواده ٢) المغرة بسكون الغين وفتحها المدَر الاحمر الذي يصبغ بهِ ٣) فرث كبده ضربها فانتثرت
٤) تبرّز خرج الى الفضاء ٥) تنكّب تجنّب

التي لا يُطمَع فيها حتى انتهى الى رجل من بني اثاثة بن مازن يقال لهُ السعر بن يزيد . فحملهُ السعر على ناقة لهُ يقال لها ملوة . فركبها ثم تجنَّب بها الطريقَ فأخذ نحو بلاد قيس بن عيلان تخوُّفاً من بني مازن ان يتبعوه ايضاً فيأخذوه . فسار ثلاثَ ليالٍ واياماً حتى نزل اليوم الرابع فنحر الناقة فأكل لحمها كلَّهُ الَّا فضلة فضَلت منها فاحتملها ثم اتى بلاد اليمن فوقع بها فلبث زماناً . وذلك عند مقام الحَجاج بالعراق

فبلغ إفلاتُهُ مَن بالبصرة من بكر بن وائل فانطلقوا الى الحجَّاج فاستعدَوهُ وأخبروه بقتلهِ صاحبَهم . فبعث الحجاج الى عبدالله بن شعبة ابن العلقم وهو يومئذٍ عريف بني مازن حاضرتهم وباديتهم فقال لهُ : لتأتيني بهلال او لافعلنَّ بك ولافعلنَّ . فقال لهُ عبد الله بن شعبة : ان اصحاب هلال وبني عمهِ قد صنعوا كذا وكذا . فاقتصّ عليه ما صنعوا في طلبهِ واخذهِ ودفعهِ الى الجلانيين وتشييعهم اياه حتى وردوا بلاد بكر بن وائل . (قال) فقال لهُ الحجاج : ويلك ما تقول . (قال) فقال بعض البكريين : صدق أَصلح الله الامير . (قال) فقال الحجاج : فلا يرغم الله الَّا أُنوفَكم اشهدوا اني قد أَمَّنتُ كلَّ قريب لهلال وحميم وعريف ومنعتُ مِن اخذ احدٍ بهِ ومِن طلبه حتى يظفَرَ بهِ البكريون او يموتَ قبل ذلك . فلما وقع هلال الى بلاد اليمن بعث الى بني رزام ابن مالك بشعر يعاتبهم فيهِ ويُعظّم عليهم حقَّهُ ويذكر قرابتهُ . وذلك انَّ سائر بني مازن قاموا ليحملوا ذلك الدم . فقال معاذ : لا ارضى ان يُحمَل لجاري دمٌ واحدٌ حتى يُحمَل لهُ دمٌ ولجواري دم آخر . وان اراد هلال الامان وسطنا حُمل لهُ دمٌ ثالث . فقال هلال في ذلك :

بني مازنٍ لا تطردوني فانني ... اخوكم وان جرّت جرائرها يدي
ولا تُثلِجوا اكبادَ بكر بن وائلٍ ... بترك اخيكم كالخليع المطرَّدِ
ولا تجعلوا حِفظي بظهرٍ وتحفظوا ... بعيدًا ببغضاء تروح وتغتدي
فانَّ القريبَ حيثُ كان قريبكم ... وكيف بقطع الكفّ من سائر اليدِ
وانَّ البعيد ان دنا فهو جاركم ... وان شطَّ عنكم فهو أبعدُ أبعَدِ
واني وان أوحدتموني لحافظٌ ... لكم حِفظَ راضٍ عنكم غير موجدِ
سيحمي حماكم بي وان كنت غائباً ... اغرُّ اذا ما ريع لم يتبلَّدِ
وتعلم بكرٌ انكم حيث كنتمُ ... وكنت من الارض الغريبة مَحتِدي(١
واني ثقيل حيث كنت على العدا ... واني وان أُوحدت لست باوحدِ
وانهمُ لمَّا ارادوا هضيمتي ... مُنوا بجميع القلب عضب مُهنَّدِ(٢
حُسام متى يعزمْ على الامر يأتهِ ... ولم يتوقف للعواقب في غدِ
وهم بدأوا بالبغي حتى اذا جزوا ... بافعالهم قالوا لجارهم قدِ
فلم يكُ منهم في البديهة مُنصفٌ ... ولم يكُ فيهم في العواقب مُهتدِ
ولم يفعلوا فعل الحليم فيحلموا ... ولم يفعلوا فعل العزيز المؤيَّدِ
فان يسّرِ لي ابعاد بكر فربما ... منعت الكرى بالغيظ من متوعدِ
وربَّ حِمى قومٍ مَنعتُ ومورِدٍ ... وردت بفتيان الصباح ومورِدِ
وسِجف دجوجيّ من الليل حالكٍ ... رفعت بعَجْلى الرجلِ موّارةِ اليدِ
سفينةِ خوّاضٍ بحورَ همومهِ ... قليلٍ ثباتُ العزم عند التردّدِ
جسورٍ على الامر المهيب اذا ونا ... أخو الفتك ركّاب قرًى(٣ المتهدِّدِ

---

١) المحتد الاصل ٢) العضب القاطع . والمهنّد السيف من عمل الهند
٣) القرى الظهر

وقال وهو بارض اليمن :

اقول وقد جاوزت نعمى وناقتي ... تحنُّ الى جنبي فُلَيج(١ مع الفجرِ
سقى الله يا ناقَ البلادَ التي بها ... هواكِ وان عنّا نأت سبُل القطرِ
فما عن قِلًى منّا لها خفّت النّوى ... بنا عن مراعيها وكُثبانها العُفرِ
ولكنَّ صَرْفَ الدهر فرّق بيننا ... وبين الاداني والفتى غرَضُ الدهرِ
فسَقْياً لصحراء الإهالةِ مَرْبعاً ... وللوقبى من منزلٍ دِمثٍ مُثرِ
وسقياً ورَعْياً حيثُ حلّت لمازنٍ ... وأيامِها الغُرِّ المحجّلةِ الزُّهرِ

قال خالد بن كلثوم : ولما دُفع هلال الى اولياء الجلاني ليقتلوه بصاحبهم جاء رجل يقال لهُ جُعَيد كان هلال قد وترهُ فقال : والله لآتينَّهُ ولأُصغرَنَّ اليهِ نفسهُ وهو في القيود مصفود للقتل . فاتاه فلم يدع لهُ شيئاً مما يكره الّا عدَّهُ عليهِ . (قال) والى جنب هلال حجر يملأُ الكفّ فاخذهُ هلال فأهوى بهِ للرجل فأصاب جبينهُ فاجتلف جُلفة من وجهه ورأسه ثم رمى بها وقال : خذ القصاص مني الآن . وانشأ يقول :

انا ضربت كرباً وزيدا ... وثابتاً مشيتهم رويدا
كما أفأت حينهُ عبيدا ... وقد ضربت بعده جعيدا

(قال) وهؤلاء كلهم من بني رزام بن مازن وكلّهم كان هلال قد نكأ فيهم . قال خالد بن كلثوم : ولما طال مقام هلال باليمن نهضت بنو مازن باجمعهم الى بني رزام بن مازن رهط هلال ورهط معاذ بن جعدة جار الجلاني المقتول فقالوا : انكم قد أسأتم بابن عمكم وجُزتم الحدّ في الطلب بدم جاركم فنحن نحمل لكم ما أردتم . فحمل ديسم بن

١) في الاصل « فليح » بالحاء . اما ناقوت والبكري فروايا فليج بالجيم

المنهال الذي طلب معاذ بن جعدة ان يُحمل لجاره لفضل عزّه وموضعه في عشيرته . وكان الذي طلب ثلثمائة بعير . فقال هلال في ذلك :

انَّ ابن كابية المرزَّأ ديسماً ... واري الزناد بعيدُ ضوء النارِ
من كان يحمل ما تحمَّل ديسمٌ ... من حائل فُنُقٍ (١ وامِّ حُوارِ
عُنيت بنو عمرو بحمل هنائدٍ ... فيها العِشار مَلابنٌ (٢ الابكارِ
حتى تلافاها كريم سابق ... بالخير حلَّ منازل الاخيارِ
حتى اذا وردت جميعاً ارزمت (٣ ... جلانُ بعد تشمُّسٍ ونِفارِ
ترعى بصحراء الإهالة روبة ... والعُنظُوان منابت الجَرجارِ (٤

حرب قيس وكلب وحرب قيس وتغلب

حدَّث المدائني قال : كان بدء حرب قيس وكلب في فتنة ابن الزُّبَير ما كان من وقعة مَرْج راهط . وكان من قصة المرج ان مروان بن الحكم ابن ابي العاص قدم بعد هلاك يزيد بن معاوية والناس يموجون . وكان سعيد بن بجدل الكلبي على قِنَّسرين . فوثب عليهِ زُفَر بن الحرث فأخرجهُ منها وبايع لابن الزبير . فلما قعد زفر على المنبر قال : الحمد لله الذي اقعدني مقعد الغادر الفاجر . وحُصر . فضحك الناس من قوله . وكان النعمان بن بَشير على حمص فبايع لابن الزبير . وكان حسَّان بن بَجدل على فلسطين والاردنّ فاستعمل على فلسطين رَوْح بن زِنباع الجذاميّ ونزل

---

١) فنق جسيمة حسنة فتيَّة منعَّمة ٢) هنائد جمع هُنيدة وهي اسم لكلّ مائة من الابل والعشار الملابنُ هي التي دنا نتاجها لانّ اللِبأ وهو اول الحليب وقع في ضرعها ٣) ارزمت حنّت ٤) العنظوان شجر يشبه الرمث . والجرجار عشبة لها زهرة صفراء

هو الاردنّ . فوثب ناتل بن قيس الجذامي على رَوْح بن زِنباع فاخرجهُ من فلسطين وبايع لابن الزبير . وكان الضحّاك بن قيس الفِهري عاملًا ليزيد بن معاوية على دمشق حتى هلك . فجعل يقدّم رجلًا ويؤخر اخرى . اذا جاءَتهُ اليمانية وشيعة بني امية اخبرهم انهُ امويّ واذا جاءَتهُ القيسيَّة اخبرهم انهُ يدعو الى ابن الزبير . فلما قدم مروان قال لهُ الضحاك : هل لك ان تَقدَم على ابن الزبير ببيعة اهل الشام . قال : نعم . وخرج من عنده فلقيه عمرو بن سعيد بن العاص ومالك بن هُبَيرة وحُصَين بن نُمَير الكِنديَّان وعُبَيد الله بن زياد فسألوه عمَّا اخبرهُ بهِ الضحَّاك . فاخبرهم . فقالوا لهُ : أَنت شيخ بني اميّة وانت عمّ الخليفة هلمَّ نبايعك . فلما فشا ذلك ارسل الضحاك الى بني اميَّة يعتذر اليهم ويذكر حُسنَ بلائهم عنده وانهُ لم يُرِد شيئاً يكرهونهُ . فاجتمع مروان بن الحكم وعمرو ابن سعيد بن العاص وخالد وعبدالله ابنا يزيد بن معاوية وقال لهم : اكتبوا الى حسان بن بحدل فليسِرْ من الاردنّ حتى ينزل الجابيةَ ونسير من ههنا حتى نلقاه فيستخلف رجلًا ترضونهُ . فكتبوا الى حسان . فأقبل في اهل الاردنّ . وسار الضحاك بن قيس وبنو امية في اهل دمشق . فلما استقلّت الرايات من جهة دمشق قالت القيسية للضحاك : دعوتنا لبيعة ابن الزبير وهو رجلُ هذه الأمّة فلما تابعناك خرجتَ تابعاً لهذا الاعرابي من كلب تُبايع لابن اختهِ تابعاً لهُ . قال : فتقولون ماذا . قالوا : نقول ان تنصرف وتُظهِر بيعة ابن الزبير ونُظهرها معك . فاجابهم الى ذلك وسار حتى نزل مرج راهط . واقبل حسان حتى لقي مروان بن الحكم فسار حتى دخل دمشق فأتتهُ اليمانية تشكر بلاء بني امية . فساروا مع

مروان حتى نزلوا المَرْج على الضحاك وهم نحو سبعة آلاف والضحاك في نحو من ثلاثين الفاً . فلقوا الضحاك فقُتل الضحاك وقُتل معهُ اشراف من قيس . فاقبل زُفَرُ هارباً من وجههِ ذاك حتى دخل قرقيسياء واقام عُمير بن الحُباب شيئاً على طاعة بني مروان ثم اقبل حتى دخل قرقيسياء على زفر فاقام معهُ وذلك بعد يوم خازر حين قُتل عبيد الله بن زياد . وأقبل زفر يبكي قتلى المرج ويقول :

لعمري لقد ابقت وقيعةُ راهطٍ ... بمروان صدعاً بيننا متنائيا
أتذهبُ كابٌ لم تَنلها رِماحنا ... ويُترَكُ قتلى راهطٍ هي ما هيا
فقد ينبتُ المرعى على دِمَن الثرى ... وتبقى حَزازاتُ النفوسِ كما هيا
أبعْدَ ابنِ صقرٍ وابن عمروٍ تتابعا ... ومَصرعِ همّامٍ أُمنّى الامانيا

فقال ابن المخلاة الكلبي يجيبهُ :

لعمري لقد ابقت وقيعة راهطٍ ... على زُفَرٍ داءً من الداء باقيا
تبكّي على قتلى سُلَيمٍ وعامرٍ ... وذبيانَ مغرورًا وتُبكي البواكيا

أخبر ابن عطية الكلبي قال : أغار زفر بن الحرث على اهل المصبح وبه جماعة من الحاج وغيرهم وقد اصاب اوّل النهار اهل ماء يقال لهُ خصيف وفيهِ سيّد بني الجلاح مصاد بن المغيرة بن ابي جبلة . فأسرهُ فأتى به قرقيسياء ثم منّ عليهِ . وقتل عفيف حسان بن حصين من بني الجلّاح . ثم مضى زفر الى المصبح فاجتمع من بها الى عُمير بن حسان بن عمر بن جبلة فامتنعوا . فقال لهم زفر : اني لا اريد دماءكم فأعطُوا بايديكم . فأبوا وقاموا . فقُتلت منهم جماعة كثيرة وقُتل معهم رجلان من تغلب يقال لاحدهما جساس والآخر غني وهو ابو جساس وقد قالت لهُ امرأتهُ :

يا ابا جساس هؤلاء قومك فائتهم حين اجتمعوا وامتنعوا . فقال : اليوم نِزاريّ وامس كَلْبيّ ما انا بمفارقهم . فقاتل حتى قُتل . فكانت القتلى يوم المصبح من كلب ثمانية عشر رجلًا والتغلبيّين . وبقي الماء ليس فيهِ الّا النساء . فلما انصرف عنهم زُفر اراد النساء ان يجرُرنَ القتلى الى بئر يقال لها كوكب . فلما اردنَ ان يجررنَ رجلًا قالت وليّتهُ من النساء : لا يكون فلان تحت رِجالكنّ كلهم . فأتت أُمُّ عمير بن حسان وهي كيسة بنت أُبيّ فأعلقت في رجله رداءها ثم قالت : اجسُرْ عُمير انّ اباك كان جسورًا . ثم القت عليهِ التراب والحطب ليكون بينهُ وبين اصحابه شيء . ثم جعلنَ كلما ألقينَ رِجلًا ألقينَ عليهِ التراب والحطب حتى وارتهم القَليب . ولما بلغ حُميد بن حُرَيث بن بجدل ما لقي قومهُ اقبل حتى اتى تدمُر ليجمع اصحابه وليُغير على قيس . فلما وقعت الدماء نهض بنو نمير وهم يومئذٍ ببطن الهيل وهو على مياه تميم الى حميد بن حريث بن بجدل حتى قدم ورآهُ يتهيأ للغارة واجتمعت اليه كلب وقالوا لهُ : ان كنت تبرّئنا ببراءتنا وتعرف جِوارنا اقمنا وان كنت تتخوّف علينا من قومك شيئاً لحقنا بقومك . فقال : أتريدون ان تكونوا ادلّاءهم حتى تنجلي هذه الفِتنة . فاحتبسهم فيها . وخليفتهُ في تدمر رجل من كلب يقال لهُ مطر من بني عوص وكان فاتكاً فأراد حُميدًا على قتلهم فأبى وكره الدماء . فلما سار حميد وقد عاد زفر ايضاً مُغيرًا ليردّه عمّا يريده فنزل قرية لهُ وبلغهُ مسير زفر فاغتاظ واخذ في التعبية . فأتاه مطر وكان خرج معهُ مشيّعاً لهُ انتهارًا (١ لدماء الذين في يده من النمير يين فقال : ما اصنع

١) نهرَ الماء جرى وأنهر دمَه أسالهُ وهرقهُ

بهؤلاء الاسارى الذين في يدي وقد قُتل اهل مصبح . فقال وهو لا يعقِل من الوجد : اذهب فاقتلهم . فخرج مطر يركض الى تدمر تخوّفاً لا يبدو لهُ . فلما اتى تدمر قتلهم . وانتبه حميد بعد ذلك بساعة فقال : اين مطر حتى أُوصيه . قالوا . انصرف . قال : ادركوا عدوّ الله فاني اخاف على من بيده من النميريّين . وبعث فارساً يركض يمنع مطرًا عن قتلهم . فأتاه وقد قتل كلّ من كان في يده من الاسرى الّا رجلين وكانوا ستين رجلًا . فلما بلّغهُ الرسول رسالة حميد قال لهُ النميريّان الباقيان : خلّ عنا فقد أُمرت بتخلية سبيلنا . فقال : أبعد اهل المصبح لا والله لا تُخبران عنهم ثم قتلهما . فلما بلغ زفر قتل النميريّين بسط على كل من ادرك من كلب واستحلّ الدماء واخذ في وادٍ يقال لهُ وادي الجيوش وقد انتشر بهِ كلب للصيد فلم يُدرِك بهِ احدًا الّا قتلهُ . فقتل اكثر من خمسمائة ولم يلقهُ حميد ثم انصرف الى قرقيسا (١

واقبل عمير يَخطِر فخرج من قرقيسا يتطرّف بوادي كلب فيغير عليها وعلى من اصاب من قضاعة واهل اليمن ويخصّ (٢ كلباً ومعهُ تغلب قبل ان تقع الحرب بين قيس وتغلب . فجعل اهل البادية ينتصفون من اهل القُرى كلهم

ثم انصرفت قيس في بعض ما كانت تنصرف من غزو كلب وهم مع عمير فنزلوا ببثني من اثناء الفُرات بين منازل بني تغلب وفي تغلب امرأة من تميم يقال لها امُّ دوبل ناكحة في بني مالك بن جشم بن بكر

---

١) يقال قرقيسياء بالمدّ وقرقيسا بياء واحدة

٢) في الاصل «يحضّ» بحاء مهملة وضاد معجمة

وكان دوبل من فرسان بني تغلب . وكانت لها أعنز بجنبة . فاخذوا من اعنزها اخذها غلام من بني الحَريش . فشكَوا ذلك الى عمير فلم يُشكِهم (١ وقال : مَعرَّة الجُند . فلما رأى اصحابهُ انهُ لم يُقرّعهم وثبوا على بقية اعنزها فأخذوها وأكلوها . فلما اتاها دوبل اخبرتهُ بما لقيت . فجمع جمعاً ثم سار فأغار على بني الحريش فلقي جماعة منهم فقاتلوه . فخرج رجل من بني الحريش زعمت تغلب انهُ مات بعد ذلك وأخذ ذود المرأة من بني الحريش يقال لها امُّ الهيثم . فبلغ الاخطل الوقعة فلم يدرِ ما هي وقال وهو براذان :

أتاني ودوني الزابيانِ (٢ كِلاهما ... ودجلةُ أنبـاءٌ امرٌ من الصبرِ
أتاني بانَّ ابني نزارٍ تهـاديا ... وتغلب أولى بالوفـاء وبالغدرِ

فلما تبيَّن الخبر قال :

وجاؤُوا بجمعٍ ناصري امّ هيثمٍ ... فمـا رجعوا من ذَوْدها ببعـيرِ

فلما بلغ ذلك قيساً أغارت على بني تغلب بازاء الخابور (٣ فقتلوا منهم ثلاثة نفر واستاقوا خمسة وثلاثين بعيراً . فخرجت جماعة من تغلب فأتوا زفر بن الحرث وذكروا لهُ القرابة والجوار وهو بقرقيسا وقالوا : ائتِنا برجالنا وردّ علينا نَعَمنا . فقال : اما النَّعم فنردُّها عليكم او ما قدرنا لكم عليهِ ونكمّل لكم نعمكم من نعمنا ان لم نصبها كلّها ونَدي لكم القتلى . قالوا لهُ : فدع لنا قُربات الخابور ورحِّل قيساً عنها فان هذه الحروب

---

١) لم يشكهم لم يقبل شكواهم
٢) الزابيانِ نهران بالعراق الزاب الاعلى والزاب الاسفل
٣) الخابور نهر بالجزيرة بين راس عين والفرات

لن تطفأ ما داموا مجاورينا . فأبى ذلك زفر . وأبوا هم ان يرضوا الّا بذلك . فناشدهم الله وألحّ عليهم . فقال لهم رجل من النَّمِر كان معهم : والله ما يسرّني انهُ وقاني حربَ قيسٍ كلبٌ أبقع تركتهُ في غنمي اليوم . وألحّ عليهم زفر يطلب اليهم ويناشدهم . فأبوا . فقال عمير : لا عليك لا تكثِر فوالله اني لأرى عيونَ قومٍ ما يريدون الّا محاربتك . فانصرفوا من عنده . ثم جمعوا جمعاً واغاروا على ما قرُب من قرقيسا من قرى القيسيَّة . فلقيهم عمير بن الحباب فكان النَّمَريّ الذي تكلم عند زفر اوّل قتيل . وهَزمَ التَغلبيين . فأعظم ذلك الحيَّان جميعاً قيس وتغلب وكرهوا الحرب وشماتة العدوّ . فذكر سليمان بن عبدالله بن الاصمّ ان إياس بن الخرّاز احد بني عتيبة بن سعد بن زهير وكان شريفاً من عيون تغلب دخل قرقيسا لينظر ويناظر زفر فيما كان بينهم . فشدَّ عليهِ يزيد ابن بجزن القرشيّ فقتلهُ . فتذمّم زفر من ذلك وكان كريماً مِجْمَعاً لا يحبُّ الفُرقة فأرسل الى الامير ابن قرشة فقال لهُ : هل لك ان تسود ابني نِزار فتقبل مني الدية عن ابن عمك . فاجابهُ الى ذلك . وكان قرشة من اشراف بني تغلب . فتلافى زفر ما بين الحيَّين وأصلح بينهم وفي الصدور ما فيها . فوفد عمير على المُصعَب بن الزبير فأعلمهُ انهُ قد اولج قضاعة بدائن الشأم وانهُ لم يبقَ الّا حيّ من ربيعة اكثرهم نصارى فسألهُ ان يولّيه عليهم . فقال : أكتبُ الى زفر فان هو اراد ذلك والّا ولّاك

فلما قدم على زفر ذكر لهُ ذلك . فشقَّ عليهِ ذلك وكره ان يليهم عمير فيحيف بهم ويكون ذلك داعية الى منافرتهِ فوجّه اليهم قوماً وامرهم ان يرفقوا بهم . فأتوا اخلاطاً من بني تغلب في مشارق الخابور فأعلموهم

الذي وُجّهوا به . فأبوا عليهم . فانصرفوا الى زفر . فردّهم واعلمهم ان المصعب كتب اليه بذلك ولا يجد بدًّا من اخذ ذلك منهم او محاربتهم فقتلوا بعض الرسل . وذكر ابن الاصمّ انّ زفر لما اتاه ذلك اشتدّ عليهِ وكره استفساد بني تغلب . فصار اليهم عمير بن الحباب فلقيهم قريباً من ماكسين (١ على شاطئ الخابور بينهُ وبين قرقيسا مسيرة يوم فأعظم فيها القتل . وذكر زيادة بن يزيد بن عمير بن الحباب ان القتل استحرّ ببني عتّاب بن سعد والنَّمِر وفيهم اخلاط تغلب ولكن هؤلاء معظم الناس فقتلوهم بها قتلًا شديدًا . وكان زفر بن يزيد اخو الحرث بن جشم لهُ عشرون ذكرًا لصلبهِ وأُصيب يومئذٍ اكثرهم وأُسر القطامي الشاعر وأُخذت ابلهُ (٢ . فاصاب عمير واصحابُه شيئاً كثيرًا من النعم . ورئيس تغلب يومئذٍ عبدالله بن شريح فقُتل وقُتل اخوه وقُتل مُجاشع بن الاجلح وعمرو بن معاوية من بني خالد وعبد الحرث بن عبد المسيح الاوسي وسعدان بن عبد يسوع بن حرب وسعدود بن اوس من بني جشم ابن زهير . وجعل عمير يصيح بهم : ويلكم لا تستبقوا احدًا . ونادى رجل من بني قُشَير يقال لهُ الندار : انا جار لكل حامل اتتني فهي آمنة . فأتتهُ الحبالى . فبلغني ان المرأة كانت تشُدّ على بطنها الجفنة من تحت ثوبها تشبيهاً بالحُبلى بما جعل لهنّ . فلما اجتمعنَ لهُ بقرَ بطونهنّ . فافظع ذلك زفرَ واصحابه ولامَ زفرُ عميرًا فيمن بقر من النساء . فقال : ما

---

١) في الاصل «ماكس» . وماكسين قرية لبني تغلب على شاطئ الفرات

٢) لما أُسر القطامي التغلبيّ اتى زُفرَ بقرقيسياء فخلّى سبيله وردَّ عليهِ مائة ناقة . فهذا ما جعل القطامي يمدح في شعره زفر وان كان من الدّ اعداء تغلب

فعلتهُ ولا أمرتُ بهِ . فقال زفر بن الحرث يعاتب عميرًا بما كان منهُ في الخابور :

ألا من مُبلغٌ عنّي عميرًا ... رِسالةَ عاتبٍ وعليك زارِ
أتتركُ حيَّ ذي كلعٍ وكلبٍ ... وتجعل حدَّ نابك في نِزارِ
كمعتمدٍ على احدى يديه ... فخانتهُ بوهيٍ وانكسارِ

فجمع لهم حميد بن الحريث بن بحدل ثم خرج يُريد الغارة على بوادي قيس . فانتهى الى ماء لبني تغلب فاذا النساء والصبيان يبكون . فقالت لهم النساء وهنَّ يحسِبنَهم قيساً : ويحكم ما ردَّكم الينا فقد فعلتم بنا بالامس ما فعلتم . فقالت لهم كلب : وما لكم . قالوا : أغار علينا بالامس عمير بن الحباب فقتل رجالنا واستاق اموالنا . ولم يشكُكنَ ان الخيل خيل قيس وان عميرًا عاد اليهنَّ . فقال بعضُ كلبٍ لحميد : ما تريد من نسوة قد أُغير عليهنَّ وحرِبنَ وصبيةٍ يتامى وتدَع عُميرًا . فاتبعوه . فبينا هم يسيرون اذ اخذوا ربيئة للقوم فسألوه . فقال لهم : هذا الجيش ههنا والاموال وقد خرج عمير في فوارس يريد الغارة على اهل بيت من بني زهير بن جناب اخبر عنهم مُخبر . فاقام حميد حتى جنَّ عليهِ الليلُ ثم بيَّت القوم بياتاً . وقال حميد لاصحابهِ : شعاركم نحن عباد الله حقًّا . فأصابوا عامَّة ذلك العسكر . ونجا فيمن نجا رجل عُريان قذف ثوبهُ وجلس على فرسٍ عُريٍ . فلما انتهى الى عمير قال عمير : قد كنتُ اسمع بالمدينة بَلاءً نذيرُهُ العريان فلم أرَه فهو هذا . ويلك ما لك . قال : لا ادري غير انهُ لقيَنا قومٌ فقتلوا من قتلوا واخذوا العسكر . فقال : أفتعرفهم . قال : لا . فقصد عمير القوم وقال لاصحابه : ان كانت الاعاريب فسيُسارعون

الينا اذا رأونا وان كانت خيول اهل الشام فستقف . واقبل عمير فقال حميد لاصحابه : لا يتحرّكنّ منكم احد وأنصبوا القنا . فحمل عمير حملة لم تحرّكهم . ثم حمل . فلم يتحرّكوا . فنادى مرارًا : ويحكم من انتم . فلم يتكلموا . فنادى عميرٌ اصحابه : ويلكم خيل بني بجدل والامانة وانصرف على حاميتهِ . فحمل عليهِ فوارس من كلب يطلبونهُ ولحقهُ مولًى لكلب يقال لهُ شقرون فاطّعنا فجُرح عمير وهرب حتى دخل قرقيسا الى زفر . ورجع حميد الى من ظفر بهِ من الاسرى والقتلى فقطع سِبالهم وآنُفَهم فجعلها في خيط ثم ذهب بها الى الشام . وقال قائل : بل بعث بها الى عمير وقال : كيف ترى أوَقعي ام وَقْعك . فقال في ذلك سنان بن جابر الجُهَني :

لقد طار في الآفاق انَّ ابن بجدلٍ ... حُمَيدًا شفى كلباً فقرَّت عيونُها
وعيَّرَ قيساً بالقوافي ولم تكن ... لِتنزعَ الّا عند امرٍ يُهينها
فقلت لهُ قيس بن عيلان انهُ ... سريع اذا ما عضَّت الحربُ لينُها
سما بالعتاقِ الجُردِ من مرجِ راهطٍ ... وتَدمُرَ تُنزَى بُزْلها (١ لا يصونُها
فكان لها عرض السماوةِ ليلةً ... سواء عليها سَهلُها وحُزُونُها
فمن يحتمل في شأن كلبٍ ضغينةً ... علينا اذا ما حان في الحرب حينها
فانَّا وكلباً كاليدين متى تضعْ ... شِمالك في شيءٍ تُعِنها يمينها
لقد تُركت قتلى حميدِ بن بجدلٍ ... كثيرًا ضواحيها (٢ قليلًا دفينها
وقيسيةٍ قد طلَّقتها رماحُنا ... تَلفَّتُ كالصَيداء (٣ أودى جنينها

---

١) بُزل جمع بازل وهو الذي فطر نابُهُ وهذا دليل على استكمال قوّته
٢) الضواحي القتلى البارزة للشمس لانها لم تُدفن ٣) الصيداء

وقال سنان ايضاً في هذا الامر بعد ما اوقع ببني فزارة:

يا اختَ قيسٍ سَلي عنّا علانيةً ... كي تخبَري من بَيانِ العلم تبيانا
انّا ذوو حسبٍ مالٍ ومكرمةٍ ... يوم الفخار وخيرُ الناس فُرسانا
منّا ابن مُرَّةَ عمرٌو قد سمعتِ بهِ ... غيثُ الارامل لا يردينَ ما كانا
والبحدليُّ الذي اردتْ فوارسُهُ ... قيساً غداةَ اللوا من رمل عدنانا
فغادرت حلبساً منها بمعتركٍ ... والجعدَ(١ مُنعفِرًا لم يُكسَ اكفانا
كانْ(٢ تركنا غداةَ الفاهِ من جَزَرٍ ... للطير منهم ومن ثكلَى وثكلانا
ومن غوانٍ تُبكّي لا حميمَ لها ... بالفاهِ تبكي بني عمٍّ وإخوانا

فلما انتهى الخبر الى عبد الملك بن مروان وعبدالله ومصعب يومئذٍ حيّان وعند عبد الملك حسان بن مالك بن بحدل وعبدالله بن مَسعدة بن حكم الفزاري وجيء بالطعام فقال عبد الملك لابن مسعدة: ادنُ. فقال ابن مسعدة: لا والله لقد اوقع حُمَيدٌ بسُلَيمٍ وعامرٍ وقمةً لا ينفعني بعدها طعام حتى يكون لها غِيَر. فقال لهُ حسان: أجزِعتَ ان كان بيني وبينكم في الحاضرة على الطاعة والمعصية فأصبنا منكم يومَ المرج وأغار اهل قرقيسا بالحاضرة على البادية بغير ذنب. فلما رأى حميد ذلك طلب بثأر قومهِ فاصاب بعض ما اصابهم فجزعت من ذلك. وبلغ

مؤنث الاصيد. والصيَد داء يصيب الابل في رؤوسها فترفع رؤوسها ولا تقدر معهُ ان تلوي اعناقها

١ الجعد ابن عمران بن عيينة وقُتل يومئذٍ ٢) كانْ لغة في كأيّن واصل كأيّن اي وكاف التشبيه ومعناها ربَّ تقول كأيّن من قرية. وقالوا كأيّن رجلًا قد رأيت وكأيّن قد اتاني رجلًا. الّا ان اكثر العرب انما يستعملونها مع مِن

حميدًا قول ابن مسعدة فقال: والله لأشغلنّهُ بمن هو اقرب اليهِ من سليم وعامر. فخرج حميد في نحو من مائتي فارس ومعهُ رجلان من كلب دليلانِ حتى انتهى الى بني فزارة اهل العمود لخمس عشرة مضت من شهر رمضان فقال: بعثني عبد الملك بن مروان مصدّقاً. فابعثوا اليّ كل من يطيق ان يلقانا. ففعلوا فقتلهم او من استطاع منهم واخذ اموالهم. فبلغ قتلاهم نحوًا من مائة ونَيّف. فقال عويف القوافي:

منى الله أن القى حميدَ بن جدلٍ ... بمنزلةٍ فيها الى النصف مُعلما
لكيما نعاطيه ونبلوَ بيننا ... سُرَيجيةً(١ يعجُمنَ في الهام معجما
ألا ليت أني صادفتني منيتي ... ولم أرَ قتلى العام يا امّ اسلما
ولم أرَ قتلى لم تدَعْ ليَ بعدها ... يدَينِ فما ارجو من العيش اجذما(٢
وأقسِمُ ما ليثٌ بخفّان (٣ خادرٌ ... بأشجعَ من جعدٍ جنانًا ومُقدما

فلما رجع عبد الملك من الكوفة وقتل مصعب لحقهُ اسماء بن خارجة بالنُخَيلة (٤ فكلمهُ فيما اتى حميد بهِ الى اهل العمود من فزارة وقال: حدّثنا انهُ مصدَقك وعاملك فأجبناك وبك عُذنا. فعليك وفي ذمّتك ما على الحُرّ في ذمتهِ فأقِدنا من قضاعيّ سِكّير. فأبى عبد الملك وقال: أنظر في ذلك واستشير. وحميد يجحد وليست لهم بيّنة. فوداهم الف الف ومائتي الف وقال: اني حاسبها في أعطيات قضاعة. فقال في ذلك عمرو ابن مخلاة الكلبيّ:

---

١) سُريجية سيوف منسوبة الى قين اسمهُ سُريج
٢) اجذم مقطوع اليد ٣) خفّان موضع قرب الكوفة وهو مأسدة ٤) نخيلة موضع قرب الكوفة

خذوها يا بني ذُبيانَ عَقلًا (١ على الاجياد واعتقِدوا الخِذاما
دراهمَ من بني مروانَ بيضاً ينجّمها لكم عاماً فعاما
وأيقن انهُ يوم طويل على قيس يُذيقهم السِماما
ومختبرٍ امام القوم يسعى كسِرحان التنوفة حين ساما
رأى شخصاً على بلدٍ بعيدٍ فكبّر حين ابصرهُ وقاما
وأقبل يسأل البشرى الينا فقال رأيتُ إنساً او نَعاما
وقال لخيلهِ سيري حُميدٌ فانَّ لكل ذي أجلٍ حِماما
فما لاقيتِ من سَجْح وبدرٍ ومُرَّةَ فاتركي حَطباً حُطاما
بكلّ مُقلّصٍ عَبلٍ شَواهُ يدقُّ بوقع نابَيهِ اللجاما
وكلّ طِمِرَّةٍ مَرَطى (٢ سَبُوحٍ اذا ما شدَّ فارسُها الحزاما
وقائلةٍ على دهَشٍ وحزنٍ وقد بلّت مدامعُها اللثاما
كانَّ بني فزارةَ لم يكونوا ولم يرعَوا بأرضهم الثُّماما
ولم أرَ حاضرًا منهم بشاء ولا من يملك النعَمَ الرُكاما (٣

(قال) فلما اخذوا الدية انطلقت فَزارةُ فاشترت خيلًا وسلاحاً . ثم استتبعت سائر قبائل قيس ثم اغارت على ماء يدعى بنات قين (٤ يجمع بطوناً من بطون كلب كثيرة واكثر مَن عليهِ بنو عبدودّ وبنو عُلَيم ابن جناب وعلى قيس يومئذٍ سعيد بن عُيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر وطلحة بن قيس بن الاشيم بن يسار احد بني العسراء . فلما اغاروا

---

١) العقل الدية ٢) فرس مرطى سريعة
٣) الركام الضخم كانهُ ركم بعضه على بعض ٤) بنات قين موضع في الشام في بادية كلب بالسماوة وهي عيون عدّة

نادوا بني عليم : انّا لا نطلبكم بشيء . وانما نطلب بني عبدودّ بما صنع الدليلانِ اللذان حملا حُميدًا وهما المأمور ورجل آخر اسمهُ ابو ايوب . فقتل من العبديّين تسعة عشر رجلًا . ثم مالوا على العُليميّين فقتلوا منهم خمسين رجلًا وساقوا اموالًا . فبلغ الخبر عبد الملك فأمهل حتى اذا ولي الحجاج العراق كتب اليهِ يبعث اليهِ سعيد بن عيينة وحلحلة بن قيس معهما نفر من الحرَس . فلما قدم بهما عليهِ قذفهما في السجن وقال لكلب : والله لئن قتلتم رجلًا لأُهريقنَّ دماءكم . فقدم عليهِ من بني عبدودّ عياض ومعاوية ابنا ورد ونعمان بن سويد وكان سويد ابوه ابن مالك يومئذٍ أشرَفَ مَن قُتل يومَ بنات قين وكان شيخ بني عبدودّ . فقال لهُ النعمان : دماءنا يا امير المؤمنين . فقال لهُ عبد الملك : انما قُتل منكم الصبي الصغير والشيخ الفاني . فقال النعمان : قتل منا والله من لو كان اخاً لابيك لاختير عليك في الخلافة . فغضب عبد الملك غضباً شديدًا . فقال لهُ معاوية وعياض : يا امير المؤمنين شيخ كبير موتور . فأعرض عنهُ عبد الملك وعرض الدية . وجعل خالد بن يزيد بن معاوية ومن ولدتهُ كلب يقولون : القتل . ومن كانت اُمهُ قيسيّة من بني اميّة يقولون : لا بل الدية كما فعل بالقوم . حتى ارتفع الكلام بينهم بالمقصورة . فاخرجهم عبد الملك ودفع حلحلة الى بعض بني عبدودّ ودفع سعيد بن عيينة الى بعض بني عليم . واقبل عليهما عبد الملك فقال : ألم تأتياني تستعدياني فأعديتكما وأعطيتكما الدية ثم انطلقتما فأخفرتما ذمّتي وصنعتما ما صنعتما . فكلمهُ سعيد بكلام يستعطفهُ بهِ ويرقّقهُ . فضرب حلحلة صدره وقال : أترى خضوعك لابن الزرقاء نافعك عنده . فغضب عبد الملك وقال : اصبِرْ حلحلة .

فقال لهُ : أَصبرُ مِن عَوْدٍ بجنبَيْهِ جُلَب (١ . فقُتلا وشقَّ ذلك على قيس وأَعظمهُ اهل البادية منهم والحاضرة . فقال في ذلك عليّ بن الغدير الغنويّ :

لحلحلةَ القتيلِ ولابن بدرٍ ... واهل دمشقَ انجبة تبينُ
فبعدَ اليومِ ايامٌ طوالٌ ... وبعد خُمودِ فِتنتكم فتونُ
وكلّ صنيعة رَصَدٌ ليومٍ ... تحلّ بهِ لصاحبها الزُّبونُ
خليفةُ امَّةٍ قَسرت عليهِ ... تخمَّطَ واستخفَّ بمن يدينُ
فقد اتيا حميد ابن المنايا ... وكل فتًى ستشعَبُهُ المَنونُ

وقالت عميرة بنت حسّان الكلبية تفخر بفعل حميد بقيس :

سمت كلبٌ الى قيس بجمعٍ ... يهُدّ مناكبَ الاكمِ الصِعابِ
بذي لجَبٍ يدُقُّ الارضَ حتى ... تضايقَ مَن دعا بهلا وهابِ
نفينَ الى الجزيرة فَلَّ قيسٍ ... الى بقّ بها والى ذُبابِ
وألفينا هجينَ بني سُليمٍ ... يفدّي المهرَ مِن حُبّ الايابِ
فلولا عَدْوةُ المهرِ المفدَّى ... لأُبتَ وانت منخرقُ الإهابِ
ونجّاه حثيثُ الركضِ منّا ... أُصيلاناً ولونُ الوجهِ كابِ
وآضَ كأنهُ يُطلَى بوَرسٍ ... ودقّ هويّ كاسرةٍ عُقابِ
حمدتُ الله اذ لقي سُليماً ... على دهمان صقرُ بني جنابِ
تركن الرَّوق(٢من فتيات قيس ... أيامَى قد ينسنَ من الخضابِ
فهنَّ اذا ذكرنَ حُميدَ كلبٍ ... نعقنَ برنّةٍ بعدَ انتحابِ

---

١) جُلب جمع جُلبة وهي القشرة تعلو الجرح عند البرء اي انهُ اصبر من جملٍ مُسنٍّ في جنبيهِ قروح ٢) الروق الجماعة

متى تذكُرْ فتى كلبٍ حُميـدًا ترَ (١القيسيَّ يَشرَقُ بالشرابِ

الحرب بين عبد الملك ومُصعَب بن الزُّبير

اخبر المدائني قال: لما كان سنة اثنتين وسبعين استشار عبد الملك ابن مروان عبد الرحمن بن الحكم في المسير الى العراق ومناجزة مصعب . فقال : يا امير المؤمنين قد واليت بين عامين تغزو فيهما وقد خسرت خيلك ورجالك . وعامُك هذا عامٌ حارد (٢ فأَرِحْ نفسك ورَجلك ثم ترى رأيك. فقال: اني أُبادر ثلاثة اشياء. الشام ارض المال بها قليل فاخاف ان ينفد ما عندي. واشراف اهل العراق قد كاتبوني فدعوني الى انفسهم . وثلاثة من اصحاب رسول الله (صلعم) قد كبروا ونفدت أعمارهم وأنا أُبادر بهم الموت أُحبُّ ان يحضروا معي. ثم دعا يحيى بن الحَكَم . وكان يقول: من أراد امرًا فليشاور يحيى بن الحكم فاذا اشار عليهِ بامر فليعمل بخلافهِ . فقال: ما ترى في المسير الى العراق. قال: أرى ان ترضى بالشأم وتقيم بها وتدع مصعباً بالعراق فلعن الله العراق. فضحك عبد الملك . ودعا عبد الله بن خالد بن أَسيد فشاورهُ . فقال: يا امير المؤمنين قد غزوت مرَّة فنصرك الله ثم غزوت ثانية فزادك الله بها عزًّا . فأَقِم عامَك هذا. فقال لمحمد بن مروان: ما ترى. قال: ارجو ان ينصرك الله أقمتَ ام غزوتَ فشِمَر فانَّ الله ناصرك. فأمر الناس فاستعدّوا للمسير . فلما أجمع عليه قالت عاتكة بنت يزيد بن معاوية

---

١) في الاصل «ترى» ٢) حاردت السنة قلّ ماؤها ومطرها

زوجته : يا امير المؤمنين وجّه الجنود وأقم فليس الرأي ان يباشر الخليفة الحربَ بنفسهِ . فقال : لو وجّهت أهل الشام كلّهم فعلم مصعب اني لست معهم لهلك الجيش كلُّه . ثم تمثل :

ومستخبرٌ عنّا يُريد بنا الرَّدى ومستخبراتٌ والعيونُ سواكبُ

ثم قدم محمد بن مروان ومعهُ عبدالله بن خالد بن أَسيد وبِشر بن مروان . ونادى مناديه : ان امير المؤمنين قد استعمل عليكم سيّد الناس محمد ابن مروان . وبلغ مصعبَ بن الزبير مَسيرُ عبد الملك فاراد الخروج . فأبى عليه أهل البصرة وقالوا : عدوّنا مطلّ علينا . يعنون الخوارج . فارسل اليهم المهلّب وهو بالمَوصل وكان عاملهُ عليها فولّاه قتال الخوارج . وخرج مصعب . فقال بعض الشعراء :

أَكلَ عام لك با جُمَيرا تغزو بنا ولا تقيدُ خيرا

(قال) وكان مصعب كثيراً ما يخرج الى باب جميرا يريد الشأم ثم يرجع . فاقبل عبد الملك حتى نزل الاحوفية . ونزل مصعب بَمسكِن الى جنب أُوانا وخندقَ . ثم تحوّل ونزل دير الجاثليق وهو بمسكن وبين العسكرين ثلاثة فراسخ ويقال فرسخان . فقدّم عبد الملك محمداً وبشراً اخويه كل واحد منهما على جيش والاميرُ محمدٌ . وقدّم مصعب ابراهيم ابن الاشتر . ثم كتب عبد الملك الى اشراف اهل الكوفة والبصرة يدعوهم الى نفسهِ ويمنّيهم . فاجابوه وشرطوا عليهِ شروطاً وسألوه ولايات . وسألهُ ولاية اصبهان اربعون رجلًا منهم . فقال عبد الملك لمن حضره : ويلكم ما اصبهان هذه . تعجباً ممن يطلبها . وكتب الى ابراهيم بن الاشتر : لك ولاية ما سقى الفرات ان تبعتَني . فجاء ابراهيم بالكتاب

الى مصعب فقال : هذا كتاب عبد الملك ولم يخصّني بهذا دون غيري من نظرائي فأطعني فيهم . قال : أصنعُ ماذا . قال : تدعوهم فتضرب اعناقهم . قال : أقتلهم على ظنّ ظننتهُ . قال : فأوقِرهم حديداً وابعث بهم الى ارض المدائن حتى ينقضي الحرب . قال : اذاً تفسد قلوبُ عشائرهم ويقول النّاس عبثَ مُصعَب باصحابه . قال : فان لم تفعل فلا تمدّني بهم فانهم كالمُومَسة تريد كلّ يوم خليلًا وهم يريدون كل يوم اميرًا . فارسل عبد الملك الى مصعب رجلًا يدعوه الى ان يجعل الامرَ شورى في الخِلافة . فأبى مصعب . فقدّم عبد الملك اخاهُ محمدًا ثم قال : اللهمّ انصُر محمدًا اللهمّ انصر اصلحَنا وخيرَنا لهذه الأمّة . (قال) وقدّم مصعب ابراهيم بن الاشتر . فالتقت المُقدّمتانِ وبين عسكر مصعب وعسكر ابن الاشتر فرسخ . ودنا عبد الملك حتى قرُب من عسكر محمد . فتناوشوا فقُتل رجل على مقدّمة محمد يقال لهُ فراس وقُتل صاحبُ لواء بشر يقال لهُ اسيد . فارسل محمد الى عبد الملك : انّ بِشرًا قد ضيّع لواءه . فصرف عبد الملك الامر كلّه الى محمد . وكفّ النّاس وتواقفوا . وجعل اصحاب ابن الاشتر يَهُمّون بالحرب ومحمد بن مروان يكفّ أصحابه . فأرسل عبد الملك الى محمد : ناجزهم . فأبى . فأوفد اليه رسولًا آخر وشتمهُ . فأمر محمد رجلًا فقال : قِفْ خلفي في ناس من اصحابك فلا تَدعنّ احدًا يأتيني من قِبل عبد الملك . وكان قد دبّر تدبيرًا سديدًا في تأخير المناجزة الى وقتٍ رآهُ . فكره ان يُفسِد عبدُالملك تدبيرهُ عليه . فوجّه اليهِ عبد الملك عبدَالله بن خالد بن أسيد . فلما رأوهُ ارسلوا الى محمد بن مروان : هذا عبد الله بن خالد بن أسيد .

فقال: ردّوه باشدّ ما رددتم من جاء قبله. فلما قرب المساء أمر محمد بن مروان اصحابه بالحرب وقال: حرّكوهم قليلًا. فتهايج الناس. ووجّه مصعب ابنَ ابراهيم بن عتاب بن ورقاء الرياحي بعجز ابراهيم. فقال: قد قلتُ لهُ لا تمدَّني بأحد من اهل العراق فلم يقبل. واقتتلوا. وارسل ابراهيمُ ابن الاشتر الى اصحابه بحضرة الرسول ايرى خلافَ اهل العراق عليه في رأيه ان: لا تنصرفوا عن الحرب حتى ينصرف اهل الشأم عنكم. فقالوا: فلمَ لا ننصرف. فانصرفوا وانهزم الناس حتى اتوا مصعباً. وصبر ابراهيم بن الاشتر فقاتل حتى قُتل. فلما اصبحوا أمر محمد بن مروان رجلًا فقال: انطلق الى عسكر مصعب فانظر كيف تراهم بعد قتل ابن الاشتر. قال: لا اعرف موضع عسكرهم. فقال لهُ ابراهيم بن عديّ الكناني: انطلق فاذا أنت رأيت النخل فاجعلهُ منك موضعَ سيفك. [يعني يسارهُ وانطلقْ حتى تطلعَ على العسكر. فمضى الرجل حتى اتى عسكر مصعب] (١ ثم رجع الى محمد فقال: رأيتهم منكسرين. واصبح مصعب فدنا ودنا منهُ محمد بن مَروان حتى التقوا. فترك قوم من اصحاب مصعب مصعباً وأتوا محمد بن مروان. فدنا الى مصعب ثم ناداه: فداكَ أبي وامّي انَّ القوم خاذلوك ولك الامان. فأبى قبول ذلك. فدعا محمدُ بن مروان ابنهُ عيسى ابن مصعب. فقال لهُ ابوه: انظر ما يريد محمد. فدنا. فقال لهُ: اني لكم ناصح ان القوم خاذلوكم ولك ولابيك الامان. وناشدهُ. فرجع الى ابيهِ فأخبرهُ. فقال: اني اظنّ القوم سبقونا فان أحببت ان تأتيهم. فقال: والله

---

١) ان ما احطناه بمعكفين لا وجود لهُ في الاصل فروياه عن النسخة الخطّية البيروتية الاميركانية

لا تتحدَّث نساء قريش اني خذلتك ورغبت بنفسي عنك . قال : فتقدّم حتى أحتسبكَ . فتقدَّم وتقدَّم ناس معهُ . فقُتل وقُتلوا . وترك اهل العراق مصعباً حتى بقي في سبعة . وجاء رجل من اهل الشأم ليحتزّ رأس عيسى فشدّ عليهِ مصعب فقتلهُ . ثم شدَّ على الناس فانفرجوا ثم رجع فقعد على مِرفقة ديباج . ثم جعل يقوم عنها ويحمِل على اهل الشام فيُفرجون عنهُ ثم يرجع ويقعد على المرفقة . حتى فعل ذلك مرارًا . وأتاه عبيد الله بن زياد ابن ظبيان فدعاه الى المبارزة . فقال لهُ : اعزِبْ يا كلب . وشدَّ عليهِ مصعب فضربهُ على البَيضة فهشمها وجرحهُ . فرجع عبيد الله فعصَّب رأسه . وجاء ابن ابي فروة كاتب مصعب فقال : جُعلتُ فِداك قد تركك القوم وعندي خيل فاركبها وانجُ بنفسك . فدفع في صدره وقال : ليس اخوك بالعبد . ورجع ابن ظبيان الى مصعب فحمل عليهِ وزرَق (١ زائدةُ بن قدامة مصعباً ونادى : يا لثارات المختار فصرعهُ . وقال عبيدالله لغلام لهُ [ديلميّ] : احتزّ رأسهُ : فنزل فاحتزّ راسهُ . فحملهُ الى عبد الملك ابن مروان . فيُقال وليس ذلك في الخبر] (٢ انهُ لما وضعهُ بين يديه سجد . قال ابن ظبيان : فهممت والله ان اقتلهُ فأكون افتك العرب فقتلتُ ملكين من قريش في يوم واحد . ثم وجدتُ نفسي تنازعني الى الحياة فأمسكت . وقال عبيد الله بن قيس الرُقيَّات يرثي مصعباً :

---

١) زرقه رماه ٢) ان ما اثبتناهُ بين معكّفين هو ناقص في الاصل فروياه عن النسخة الامبركانية البيروتية . ويروى ايضاً في تاريخ الكامل لابن الاثير (٤ : ١٢٧) : «واخذ عبيدالله بن زياد رأسهُ وحملهُ الى عبد الملك وألقاه بين يديه . . . فلما رأى عبد الملك الراس سجد . قال ابن ظبيان : فهممت الخ »

انَّ الرزيَّةَ يومَ مسكن م والمصيبةَ والفجيعهْ
بابْنِ الحواريّ الذي لم يعدُهُ يوم الوقيعهْ
عذرت بهِ مضر العرا ق وامكنت منهُ ربيعهْ
تاللهِ لو كانت لهُ بالدين يومَ الدير شيعهْ
لوجدتموهُ حين يدلج م لا يعرّس بالمضيعهْ

وقال ابن قيس يرثي مصعباً :

لقد أورث المِصرَينِ خزياً وذلَّةً قتيلٌ بدير الجاثليق مقيمُ
فما قاتلت في الله بكر بن وائل ولا صبرت عند اللقاء تميمُ
ولكنهُ رام القيام ولم يكن لها مُضَريٌّ يوم ذاك كريمُ

وحدَّث المدائني عن عوانة والشرقي بن القطامي عن ابي جناب قال : حدَّثني شيخ من اهل مكة قال : فلما أتى عبد الله بن الزبير قتلُ مصعب أَضربَ عن ذكره اياماً حتى تحدَّثت بهِ إماء مكة في الطُّرُق . ثم صعد المنبر فجلس عليهِ مليًّا لا يتكلَّم . فنظرتُ اليهِ والكآبة على وجههِ وجبينهُ يرشح عرقاً فقلت لآخر الى جنبي : ما لهُ لا يتكلم أتراه يهاب المَنطِق فوالله انهُ لخطيب فما تراهُ يهاب . قال : أراه يريد ان يذكر قتل المصعب سيّد العرب وهو بفظيع تذكّرهِ غير مَلومٍ . فقال : الحمد لله الذي لهُ الخلق والامر وملك الدنيا والآخرة يُعِزُّ من يشاء ويُذِلُّ من يشاء ألا انهُ لم يَذِلّ والله من كان الحقُّ معهُ وان كان مُفرَدًا ضعيفًا . ولم يَعِزّ من كان الباطل معهُ وان كان في العُدَّة والعُدَد والكثرة . ثم قال : انهُ قد اتانا خبر من العراق . بلد الغدر والشِقاق . فساءنا وسرّنا . أتانا انَّ مصعباً قُتل رحمة الله عليهِ ومغفرته . فامَّا الذي احزننا من ذلك

فانَّ لفراقِ الحميم لذعةً يجدُها حميمه عند المصيبة . ثم يرعوي من بعد ذو الرأي والدين الى جميل الصبر . واما الذي سرَّنا منهُ فانَّا قد علمنا ان قتلهُ شهادةٌ لهُ وأنَّهُ عزَّ وجلَّ جاعلٌ ذلك لنا ولهُ خيرة ان شاء الله تعالى . ان اهل العراق اسلموه وباعوه باقلّ ثمن . لقد قُتِل ابوه وعمهُ وأخوه وكانوا خيار الصالحين . انَّا والله ماغوت حتف انوفنا ما نموت الَّا قتلًا قَعْصاً بالرماح وتحت ظِلال السيوف وليس كما يموت بنو مروان والله ما قُتل منهم رجل في جاهلية ولا اسلام قط . وانما الدنيا عارية (١ من الملك القهَّار الذي لا يزال سُلطانهُ ولا يبيد مُلكهُ . فان تُقبِل الدنيا عليَّ لا آخذها اخذَ الأَشِر البطِر . وان تُدبِر عنّي لا ابكي بكاء الخرِف المُهتَر (٢ . ثم نزل . وقال رجل من بني اسد بن عبد العزّى يرثي مصعباً :

لعمرك انَّ الموت منا لموَلَّعٌ ... بكل فتًى رَحْبِ الذراع اريبِ
فان يكُ امسى مصعبٌ نالَ حتفه ... لقد كان صُلبَ العودِ غيرَ هَيوبِ
جميل المحيّا يُوهِنُ القرنَ غربهُ ... وان عضَّهُ دهرٌ فغير رَهوبِ
اتاه حِمام الموت وسطَ جنودهِ ... فطاروا شلالًا (٣واستقى بذَنوبِ
ولو صبروا نالوا حِباً وكرامةً ... ولكنَّهم ولَّوا بغير قُلوبِ

(قال) وقال عبد الملك يوماً لجلسائهِ : من اشجع الناس . فاكثروا في هذا المعنى . فقال : أشجع الناس مصعب بن الزبير جمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين وابنة الحميد بنت عبدالله بن عاصم وولي العراقَين ثم زحف الى الحرب فبذلتُ لهُ الامان والحِباء والولاية والعفو

---

١) العارية المنيحة ٢) المهتَر الذي فقد عقلهُ من الكبر او المرض او الحزن . كتب في الاصل « المهتمر » ٣) شلالًا متفرقين . في الاصل « سلالًا »

عما خلص في يده فأبى قبول ذلك واطّرح كل ما كان مشغوفاً بهِ من مالهِ وأهله وراء ظهره . واقبل بسيفهِ قُدماً يقاتل وما بقي معهُ الّا سبعة نفر حتى قُتل كريماً

وقعة دَوْلاب (*)

اخبر بخبر هذه الحرب احمد بن العزيز الجوهري انَّ نافع بن الازرق لما تفرَّقت آراء الخوارج ومذاهبهم في اصول مقالتهم اقام بسوق الاهواز واعمالها لا يعترض الناس وقد كان متشككاً في ذلك . فقالت لهُ امرأتهُ : ان كنتَ قد كفرتَ بعد ايمانك وشككت فيه فدع نِحلتك ودعوتك . وان كنتَ قد خرجت من الكفر الى الايمان فاقتل الكفار حيث لقيتهم وأثخن في النساء والصبيان كما قال نوح : لا تذَرْ على الارض من الكافرين ديَّارًا . فقبل قولها واستعرض الناس وبسط سيفهُ فقتل الرجال والنساء والولدان وجعل يقول : ان هؤلاء اذا كبروا كانوا مثل آبائهم . واذا وطئَ بلدًا فعل مثل هذا بهِ الى ان يجيبهُ اهلهُ جميعاً ويدخلوا في ملَّتهِ فيرفع السيف ويضع الجباية فيجبي الخراج . فعظُم امرهُ واشتدَّت شوكتهُ وفشا عمَّالهُ في السواد . فارتاع لذلك اهل البصرة ومشوا الى الاحنف بن قيس فشكَوا اليهِ امرهم وقالوا : ليس بيننا وبين القوم الّا ليلتان وسيرتهم كما

(*) دَوْلاب ويروى دُولاب بضم الدال قرية من عمل الاهواز بينها وبين الاهواز نحو من اربعة فراسخ وكانت بها حرب بين الازارقة وبين مسلم بن عُبيس ابن كُرَيز خليفة عبدالله بن الحرث بن نوفل بن عبد المطلب وذلك في ايام ابن الزبير

ترى . فقال لهم الاحنف : ان سيرتهم في مصركم ان ظَفِروا بهِ مثل سيرتهم في سوادكم فخذوا في جهاد عدوّكم . وحرّضهم الاحنف فاجتمع اليهِ عشرة آلاف رجل في السلاح . فأتاه عبد الله بن الحرث بن نوفل وسأَلهُ ان يؤمّر عليهم اميرًا . فاختار لهم مُسلِم بن عُبَيس بن كُرَيز بن ربيعة وكان فارساً شجاعاً دَيّناً . فامّرهُ عليهم وشيّعهُ . فلما نفذ من جسر البصرة اقبل على الناس وقال : اني ما خرجت لامتيار ذهبٍ ولا فِضة . واني لأُحارب قوماً ان ظفِرتُ بهم فما وراءهم الّا سيوفهم ورماحهم فمن كان من شأنهِ الجهاد فلينهض ومن احبَّ الحياة فليرجع . فرجع نفر يسير ومضى الباقون معهُ . فلما صاروا بدَولاب خرج اليهم نافع بن الازرق فاقتتلوا قتالًا شديدًا حتى تكسرت الرماح وعُقرت الخيل وكثرت الجراح والقتلى وتضاربوا بالسيوف والعُمُد . فقُتل في المعركة ابن عبيس وهو على اهل البصرة وذلك في جمادى الآخرة سنة خمس وستين . وقُتل نافع بن الازرق يومئذٍ ايضاً . فعجب الناس من ذلك . وان الفريقين تصابروا حتى قُتل منهم خلق كثير وقُتل رئيسا العسكرين والشُّراة (١ يومئذٍ ستمائة رجل . فكانت الحدَّة يومئذٍ وبأس الشراة واقعاً بين تميم وبين سدوس وأُتي بابن عبيس وهو يجود بنفسهِ فاستخلف على الناس الربيع بن عمرو الغُدانيّ وكان يقال لهُ الاجذم كانت يدهُ أُصيبت بكابُل مع عبد الرحمن بن سمرة . واستخلف نافع بن الازرق عبيدَ الله بن بشير بن الماحوز احد بني سليط بن يربوع . فكان رئيسا المسلمين والخوارج جميعاً من بني يربوع رئيس المسلمين من بني غدانة بن يربوع ورئيس الشراة من بني سليط

١) الشراة الخوارج سمّوا انفسهم شراة لانهم قالوا انهم باعوا انفسهم لله

ابن يربوع . فاتصلت الحرب بينهم عشرين يوماً . قال المدائني في خبرهِ : وادَّعى قتلَ نافع بن الازرق رجلٌ من باهلة يقال لهُ سلامة وتحدَّث بعد ذلك قال : كنت لما قتلتهُ على برذونٍ وَرْد فاذا انا برجل ينادي وانا واقف في خميس بني تميم . فاذا بهِ يعرض عليَّ المبارزة . فتغافلت عنهُ . وجعل يطلبني وانا انتقل من خميس الى خميس وليس يزايلني . فصرت الى رحلي ثم رجعت فدعاني الى المبارزة . فلما اكثر خرجت اليهِ . فاختلفنا ضربتين فضربتهُ فصرعتهُ ونزلت فأخذت رأسهُ وسلبتهُ . فاذا هي امرأتهُ قد رأتني حين قتلتُ نافعاً فخرجَتْ لتثأر بهِ . قالوا : فلما قُتل نافع وابن عُبيس وولّي الجيشُ الى ربيع بن عمرو لم يزل يقاتل الشراة نيّفاً وعشرين يوماً . ثم اصبح ذات يوم فقال لأصحابهِ : اني مقتول لا محالة . قالوا : وكيف ذلك . قال : اني رأيت البارحة كأنَّ يدي التي أُصيبت بكابل انحطت من السماء فاستشلتني (١ . فلما كان الغد قاتل الى الليل ثم عاد فقُتل يومئذٍ . (قال) فلما قُتل الربيع تدافعَ اهلُ البصرة الراية حتى خافوا العَطَب اذ لم يكن لهم رئيس . ثم اجمعوا على الحجاج بن باب الحِميريّ وقد اقتتل الناس يومئذٍ وقبلهُ بيومين قتالاً شديداً لم يقتتلوا مثلهُ تطاعنوا بالرماح حتى تقصَّفت ثم تضاربوا بالسيوف والعُمُد حتى لم يبقَ لأحد منهم قوة وحتى كان الرجل منهم يضرب الرجلَ فلا يُغني شيئاً من الإعياء وحتى كانوا يترامون بالحجارة ويتكادمون بالأفواه . فلما تدافع القوم الرايةَ وأَبوها واتفقوا على الحجاج بن باب امتنع مِن اخذها . فقال لهُ كريب بن عبد الرحمن : خذها فانها مَكرُمة . فقال : انها لرايةٌ

١) استشلاه اخذه اليهِ . يقال استشلاه واشتلاه

مشؤومة ما اخذها احد الّا قُتل . فقال لهُ كريب : يا اعور تقارعتِ العرب على امرها ثم صيّروها اليك فتأبى خوفَ القتلِ . خذ اللواء ويحك فان حضر اجلك قُتلت ان كانت معك او لم تكن . فاخذ اللواء وناهضهم فاقتتلوا حتى انتقضت الصفوف وصاروا كراديس (١ والخوارج اقوى عُدَّةً بالدروع والجواشن (٢ . وجعل الحجاج يُغمِض عينيه ويحمل حتى يغيبَ في الشراة ويطعَن فيهم ويقتل حتى يُظنّ انهُ قد قُتل . ثم يرفع رأسهُ وسيفُهُ يقطُر دماً ويفتح عينيهِ فيرى الناس كراديس يقاتل كل قوم في ناحية . ثم التقى الحجاج بن باب وعمران بن الحرث الراسي فاختلفا ضربتين كل واحد منهما قتلَ صاحبَه . وجال الناس بينهما جولة . ثم تحاجزوا واصبح اهل البصرة وقد هرب عامَّتهم وولّوا حارثة بن بدر الغُداني أمرهم وليس لهم طَرَف (٣ الّا بالخوارج . فقالت امرأة من الشراة وهي امّ عمران قاتلِ الحجاج بن باب وقتيلهُ ترثي ابنها عمران :

الله ايَّـد عمرانـاً وطهَّـرهُ ... وكان عمران يدعو الله في السحَرِ
يدعوهُ سرًّا وإعلاناً ليرزقَـهُ ... شهادةً بيـدَي مِلحادة غُدَرِ (٤
ولّى صحابتُـهُ عن حرّ ملحمـةٍ ... وشدَّ عمران كالضرغامة الذكَرِ

(قال) فلما عقدوا لحارثة بن بَدْر الرئاسة وسلّموا اليهِ الراية نادى فيهم بان يثبتوا . فاذا فتح الله عليهم فللعربِ زيادةُ فريضتين وللموالي زيادة

---

١) كراديس جماعات ٢) الجوشن الدرع وزرد يُلبَسهُ الصدر والحيزوم ٣) الطرف ههنا الغاية والجانب ٤) الملحادة الكثير الالحاد وهو العدول عن الحقّ . وغُدَر معدول عن غادر للمبالغة واكثر ما يستعمل في الداء في الشتم يقال يا غُدَر

فريضة . فندب الناس فالتقوا وليس بأحد منهم طرَف وقد فشت فيهم الجراحات فلهم أنين وما تطأ الخيل الّا على القتلى . فبينا هم كذلك اذ اقبل من اليمامة جمعٌ من الشراة يقول المُكثِر انهم مائتان والمقلّل انّهم اربعون . فاجتمعوا وهم مُريحون مع أصحابهم واجتمعوا كبكبةً واحدة فحملوا على المسلمين . فلما رآهم حارثة بن بدر نكص برايتهِ وانهزم وقال :

كَرْنِبوا ودَوْلِبوا (١ وحيث شئتم فاذهبوا

وتتابع الناس على اثره منهزمين . وتبعتهم الخوارج فألقَوا انفسهم في دُجَيل فغرق منهم خلقٌ كثير وسلمت بقيتهم . ولحقت قطعة من الشراة خيلَ عبد القيس فاكبُّوا عليهم . فعطفت عليهم خيل من بني تميم فعاونوهم وقاتلوا الشراة حتى كشفوهم وانصرفوا الى اصحابهم . وعبرت بقية الناس فصار حارثة ومن معهُ بنهر تِيرا والشراة بالاهواز . فاقاموا ثلاثة ايام وكان على الازد يومئذٍ قَبيصة بن ابي صُفرة اخو المُهلَّب وهو جدّ هزارمرد . (قال) وغرق يومئذٍ من الازد عدد كثير . فقال شاعر الازارقة :

يرى مَن جاءَ ينظر من دُجَيلٍ شيوخَ الازد طافيةً لحاها

قال شاعر آخر منهم :

سَمِتَ ابنُ بدرٍ والحوادثُ جَمَّةٌ والظالمونَ بنافعِ بن الازرقِ
والموتُ حتمٌ لا محالةَ واقعٌ مَن لا يُصبّحهُ نهارًا يَطرُقِ
فلئن امـيرَ المؤمنـين اصابـهُ ريبُ المَنونِ فمن تُصِبهُ يَغلَقِ (٢

---

١) اي توجهوا الى كرنبا وهي موضع قريب من الاهواز والى دولاب
٢) يغلق اي لزمَهُ الموت من قولك غلق الرهنُ اي وجب

قال قَطَريّ بن الفجاءة فيما ذكر المبرّد :

لَعمرُك اني في الحيـاة لزاهـدٌ ... وفي العيش ما لم أَلقَ امَّ حكيمِ
لَعمرُك اني يومَ أَلطِم وجهَهـا ... على نائباتِ الدهرِ غير حَليمِ (١
ولو شهدتني يومَ دولاب ابصرت ... طعانَ فتًى في الحرب غـير لئيمِ
غداةَ طفَتْ غلمان بكر بن وائل ... وأَلفُهـا من حِميرٍ وسليمِ
ومال الحجازيون نحو بلادهـم ... وعُجنا صدورَ الخيل نحـو تميمِ
وكان لعبد القيس اوَّلُ جَدّهـا ... وولَّت شيوخُ الأَزدِ فهي تعومُ
فلم أَرَ يوماً كان اكثرَ مُقعَصـاً ... يجُ دمـاً من فائظٍ وكليمِ
وضاربـةٍ مخدًّا كريماً على فتًى ... أَغرَّ نجيبِ الأمهـاتِ كريمِ
أُصيبَ بدولابٍ ولم يك مَوطنـاً ... لـهُ ارضُ دولاب ودير حميمِ
فلو شهدتنـا يوم ذاك وخيلُنـا ... تُبيـحُ من الكفَّار كل حريمِ
رأَت فتيةً باعوا الالهَ نفوسَهـم ... بجنَّـات عَدْنٍ عنـدهُ ونعيمِ

الوليد بن يزيد

كان الوليد بن يزيد من فتيان بني أُميَّة وظرفائهم وشعرائهم وأَجوادهم واشدّائهم . وكان فاسقاً خَليعاً متَّهماً في دينهِ مَرميًّا بالزندقة . وشاع ذلك من أَمرهِ وظهر حتى انكرهُ الناس فقُتل . ولهُ اشعار كثيرة تدلّ على خبثهِ وكفره . ومن الناس من ينفي ذلك عنهُ وينكره ويقول انهُ نُحِلَهُ وأُلصِق اليهِ . والاغلب الاشهر غير ذلك

---

١) جِدُّ لئيم (الكامل للمبرّد ٦١٨)

اخبر احمد بن الحرث الخرّاز انّ يزيد بن عبد الملك لما وجّه الجيوش الى يزيد بن المهلّب وعقد لِمَسْلَمة بن عبد الملك على الجيش وبعث العباس ابن الوليد بن عبد الملك وعقد لهُ على اهل دمشق قال لهُ العباس: يا امير المؤمنين ان اهل العراق اهل غدر وإرجاف وقد وجهتنا محاربين والأَحداث تحدُث ولا آمَنُ ان يُرجِف أَهلُ العراق ويقولوا مات أَمير المؤمنين ولم يَعهد فيفتّ ذلك في أَعضاد (١ أَهل الشأم فلو عهدتَ عهدًا لعبد العزيز بن الوليد. قال: غدًا. وبلغ ذلك مسلمة بن عبد الملك فأَتى يزيد فقال: يا امير المؤمنين ايّما أَحبّ اليك ولد عبد الملك أَو ولد الوليد. فقال: بل ولد عبد الملك. قال: أَفأَخوك احقُّ بالخلافة أَم ابن اخيك. قال: اذا لم تكن في ولدي فأَخي أَحق بها من ابن اخي. قال: فأَبنك لم يبلغ فبايع لهشام ثم لابنك بعد هِشام. (قال) والوليد يومئذٍ ابن احدى عشرة سنة. قال: غدًا ابايع لهُ. فلما أَصبح فعل ذلك وبايع لهشام واخذ العهد عليهِ ان لا يخلع الوليد بعده ولا يُغيّر عهدَه ولا يحتال عليهِ. فلما أَدرك الوليد ندم أَبوه فكان ينظر اليهِ ويقول: الله بيني وبين من جعل هشاماً بيني وبينك. وتوفي يزيد سنة خمس ومائة وابنهُ الوليد ابن خمس عشرة سنة. (قال) فلم يزل الوليد مكرَّماً عند هشام رفيع المَنزِلة مدَّة. ثم طمِع في خلعهِ وعقدِ العهد بعدهُ لابنهِ مَسلَمة بن هشام فجعل يذكر الوليد بن يزيد وتهتكهُ وإدمانهُ على الشراب ويذكر ذلك في مجلسهِ ويقوم ويقعد بهِ. وولّاهُ الحجّ ليظهر ذلك منهُ بالحرَمين فيسقط [فحجّ وظهر منهُ فعل كثير مذموم وتشاغلَ بالمغنّين والشراب وأَمرَ

١) فتّ في عضده اوهنهُ وكسر قوّته

مولًى لهُ فحجَّ بالناس] (١ . فلما حجَّ طالبهُ هشام بان يخلع نفسهُ . فأبى ذلك فحرمهُ العطاء وحرم سائر مواليهِ وأنسباءَهُ وجفاهُ جَفاء شديدًا . فخرج متبدّياً (٢ وخرج معهُ عبد الصَّمَد بن عبد الاعلى مؤدّبهُ وكان يُرمى بالزندقة . ودعا هشامٌ الناسَ الى خلعه والبيعة لمسلمة بن هشام . وكان مسلمة يكنى أبا شاكر كني بذلك لمولىً كان لمروان يكنى أبا شاكر كان ذا رأي وفضل وكانوا يعظمونهُ ويتبركون بهِ . فأجابهُ الى خلع الوليد والبيعة لمسلمة بن هشام قوم من خاصة هشام . وكتب الى الوليد: ما تدع شيئاً من المُنكَر الّا أتيتهُ وارتكبتهُ غير متحاشٍ ولا مستتر فليت شعري ما دينك أعلى الاسلام أنت أم لا . فكتب اليهِ الوليد بن يزيد (ويقال بل قال لهُ ذلك عبد الصمد بن عبد الاعلى ونحله اياه) :

يا أيها السائلُ عن دِيننـا نحن على دين أبي شاكرِ
نشربها صِرفاً وممزوجـةً بالسُّخن احياناً وبالفاترِ

فغضب هشام على ابنه مسلمة وقال : يعيّرني بك الوليد وانا أُرشّحك للخلافة . فالزم الادب واحضر الصلوات . وولّاهُ الموسم سنة سبع عشرة ومائة . فاظهر النُّسك وقسم بمكة والمدينة اموالًا . فقال رجل من موالي أهل المدينة :

يا أيها السائلُ عن ديننا نحن على دين أبي شاكرِ
الواهب البُزلَ بأرسانهـا ليس بزنديقٍ ولا كافرِ

---

١) ان ما وضعناه بين معكّفين هو ناقص في الاصل فرويناه عن النسخة الامبركانية البيروتية

٢) خرج متبدّياً اي خرج الى البادية . امّا في الاصل فروى « منتدباً »

قال المدائني : وبلغ خالداً القسريّ ما عزم عليهِ هشام فقال : انا بري. من خليفة يُكنى أبا شاكر . فبلغت هشاماً عنهُ فكان ذلك سبب ايقاعه بهِ

أخبر سيّار قال : رأيت هشام بن عبد الملك وأنا في عسكره يوم توفي مسلمة بن عبد الملك وهشام في شرطتهِ اذ طلع الوليد بن يزيد على الناس وهو نشوان يجرُّ مُطرَف خزٍّ عليهِ . فوقف على هشام فقال : يا امير المؤمنين ان عقبي مَن بقي لَحُوق مَن مضى . وقد اقفر بعد مسلمة الصيد لمن يرى . واختلَّ الثغر فوهى . وعلى اثر مَن سلف يمضي مَن خلف فتزوّدوا فانَّ خير الزاد التقوى . فأعرضَ عنهُ هشام ولم يُحِر جواباً . ورجم الناس فما همسَ احد بشيء . (قال) فمضى الوليد وهو يقول :

أَهَيْنَمَةٌ حديث القوم أَم هم ... سُكوتٌ بعد ما متَع النهارُ (١
عُزَيْرٌ كان بينهمُ نبيّاً ... فقولُ القومِ وحيٌ لا يحارُ
كأَنَّا بعد مَسلَمَةَ المُرجّى ... شُروب طوَّحت بهمِ عُقارُ
أو ألَافٌ هجان في قيودٍ ... تلفَّتُ كلما حنَّت ظؤَارُ (٢
فليتك لم تمُت وفداك قومٌ ... تُريح غبيَّهم عنها الديارُ
سقيم الصدر أو شَكِس نكيد ... وآخر لا يزور ولا يزارُ (٣

قال الزبير : وحدَّثني محمد بن الضحَّاك عن ابيهِ قال : اراد هشام ان يخلع

---

١) الهينمة الكلام الخفيّ الذي لا يُفهم . متع النهار ارتفع وبلغ غاية ارتفاعهِ
٢) ظؤار جمع ظئر وهي العاطفة على غير ولدها من الناس والابل
٣) يعني بالسقيم الصدر يزيد بن الوليد . ويعني بالشكس هشاماً . والذي لا يزور ولا يزار مروان بن محمد

الوليد ويجعل العهد لولده . فقال الوليد :

كفرتَ يداً من مُنعمٍ لو شكرتَها ... جزاك بها الرحمن ذو الفضل والمَنِّ
رأيتك تبني جاهداً في قطيعتي ... ولو كنتَ ذا حزم لهدَّمتَ ما تبني
أراك على الباقين تجني ضغينةً ... فيا ويحَهُم ان متّ من شرّ ما تجني
كأني بهم يوماً واكثرُ قولهم ... أيا ليتَ أنّا حينَ يا ليتَ لا تُغني

وأخبر المدائني قال : عتب هشام على الوليد وخاصته . فخرج الوليد ومعهُ قوم من خاصتهِ ومواليه فنزل بالابرق بين أرض بَلْقَين وفَزارة على ماء يقال لهُ الاغدف . وخلّف بالرُّصافة كاتبَه عِياض بن مُسلِم مولى عبد الملك ليكاتبهُ بما يحدث . واخرج معهُ عبد الصمد بن عبد الاعلى . فشربوا يوماً فقال لهُ الوليد : يا أبا وهب قلْ أبياتاً نغنّي فيها . فقال ابياتاً وأمر عُمَر الوادي فغنى فيها وهي :

ألم ترَ للنجمِ اذ سَبَّعا ... يُبادِر في بُرجهِ المَرْجِعا
تحيَّرَ عن قصد مجراتهِ ... أتى الغور والتمس المَطلِعا
فقلتُ وأعجبني شأنهُ ... وقد لاح اذ لاح لي مُطمِعا
لعلّ الوليدَ دنا ملكهُ ... فأمسى اليهِ قد استجمعا
وكنّا نؤمّل في ملكهِ ... كتأميل ذي الجَدْب أن يُمرِعا
عقدنا لهُ محكماتِ الامو ... رِ طوعاً وكان لها مَوضِعا

فروي هذا الشعر وبلغ هشاماً فقطع عن الوليد ما كان يجري عليهِ وعلى أصحابه وحرمهم وكتب الى الوليد : قد بلغني انك اتخذتَ عبدَ الصمد خِدْناً ومحدّثاً ونديماً وقد حقق ذلك ما بلغني عنك . ولن أُبرّئك من سوء . فأخرجْ عبد الصمد مذموماً . (قال) فأخرجهُ وقال :

لقد قذفوا أبا وهبٍ بأمرٍ كبيرٍ بل يزيدُ على الكبيرِ
وأشهدُ انهم كذَبوا عليهِ شهادة عالمٍ بهمِ خبيرِ

فكتب الوليد الى هشام بانهُ قد اخرج عبد الصمد . واعتذر اليهِ من منادمتهِ وسألهُ ان يأذن لابن سُهَيل في الخروج اليهِ وكان من خاصَّة الوليد . فضرب هشام ابنَ سهيل ونفاه وسيّره . وكان ابن سهيل من اهل النباهة وقد ولي الولايات وولي دمشق مرارًا وولي غيرها . واخذ عياضَ بن مسلم كاتِبَ الوليد فضربهُ ضرباً مُبرِّحًا (١ وألبسهُ المسوح وقيَّدهُ وحبسهُ . فغمَّ ذلك الوليد فقال : من يثق بالناس ومن يصنع المعروف . هذا الاحول المشؤوم قدَّمهُ أبي على ولده وأهل بيته وولَّاه وهو يصنع بي ما ترون ولا يعلم ان لي في احد هوًى الَّا أضرَّ بهِ كتب اليَّ بان أخرج عبد الصمد فأخرجتهُ وكتبت اليهِ في ان يأذن لابن سهيل في الخروج اليَّ فضربَه وطرده . وقد علم رأيي فيهِ وعرف مكان عياض مني وانقطاعهُ اليَّ فضربهُ وحبسهُ يُضارُّني بذلك . اللهمَّ أجرني منهُ . ثم قال الوليد :

انا النذير لمُسدي نعمة ابدًا الى المَقاريفِ لما يَخبُرِ الدَّخلا
إن أنت اكرمتَهم ألفيتَهم بَطِروا وان اهنتهمُ ألفيتَهم ذُلُلا
اتشمُخونَ ومنَّا رأسُ نِعمتكم ستعلمون اذا ابصرتمُ الدُّوَلا
أنظر فان انت لم تقدر على مَثَلٍ لهم سوى الكلبِ فاضربهُ لهم مَثلا
بينا يُسمِّنهُ للصيدِ صاحبُهُ حتى اذا ما استوى من بعد ما هَزُلا
عدا عليه فلم تَضرُرهُ عَدوتهُ ولو أطاق لهُ أكلًا لقد أكلا

وقال الوليد ايضاً يفتخر على هشام :

---

١) مبرِّحًا اي شديدًا شاقًا . ولا تقل مُبرَّحًا بفتح الراء

انا الوليد ابو العباس قد علمتْ عُليا مَعدٍّ مدَى كرّي وإقدامي
اني لفي الذُّروةِ العُليا اذا انتسبوا مقابلٌ بين اخوالي واعمامي
بُنيَ لي المجدَ بانٍ لم يكن وَكَلًا(١ على مَنارٍ مُضيئاتٍ وأعلام
حللت من جوهر الأعياص قد علموا في باذخٍ مُشمخرّ العِزّ قمقامِ
صعب المَرام يسامي النجمَ مَطلعهُ يسمو الى فرعٍ طودٍ شامخٍ سامي

(قال) وبعث الوليد بن يزيد الى هشام بن عبد الملك راويته فأنشده قولهُ :

انا الوليد ابو العباس قد علمت عليا معدٍّ مدى كرّي واقدامي

فقال هشام : والله ما علمَتْ معدّ لهُ كَرًّا ولا إقداماً الّا انهُ شرب مرّة مع عمّهِ بكار بن عبد الملك فعربد عليهِ وعلى جواريه . فان كان يعني ذلك بكرّهِ واقدامه فعسى

حدّث المنهال بن عبد الملك قال : كتب الوليد الى هشام قال : قد بلغني ما أحدث امير المؤمنين من قطع ما قطع عني ومحو مَن محا من اصحابي وانهُ حرمني وأهلي ولم اكن اخاف ان يبتلي الله امير المؤمنين بذلك فيَّ ولا ينالني مثلهُ منهُ . ولم يبلُغ استصحابي لابن سُهيل ومسئلتي في امره ان يجري عليَّ ما جرى وان كان ابن سهيل على ما ذكرهُ امير المؤمنين فبحسب العَير ان يقرب من الذئب . وعلى ذلك فقد عقدَ اللهُ لي من العهد وكتب لي من العُمر وسبَّب لي من الرزق ما لا يقدِر احد دونهُ تبارك وتعالى على قطعهِ عني دون مُدّته ولا صَرفه عن مواقعهِ المحتومة لهُ . فقدَرُ الله يجري على ما قدّرهُ فيما أحبّ الناسُ وكَرِهوا لا تعجيلَ

١) الوكل الجبان العاجز

لآجلهِ ولا تأخير لعاجلهِ . والناس بعد ذلك يحتسبون الاوزارَ ويقترفون الآثامَ على انفسهم من الله بما يستوجبون العقوبةَ عليهِ . وأمير المؤمنين احقّ بالنظر في ذلك والحفظ لهُ . والله يوفّق امير المؤمنين لطاعتهِ ويحسن القضاء لهُ في الامور بقُدرته . وكتب اليهِ الوليد في آخر كتابه :

أليس عظيماً ان أرى كل واردٍ ... حياضَك يوماً صادِرًا بالنوافلِ
فأرجعُ محمودَ الرَّجاء مُصرَّدًا ... بتحلئةٍ عن وِردِ تلك المناهلِ
فأصبحتُ مما كنتُ آملُ منكمُ ... وليس بلاقٍ ما رجا كلُّ آمِلِ
كمقتبضٍ يوماً على عرض هَبوةٍ ... يشُدّ عليها كفَّهُ بالانامِلِ

فكتب اليهِ هشام : قد فهم امير المؤمنين ما كتبتَ بهِ من قُطع ما قطعَ وغير ذلك . وامير المؤمنين يستغفر الله من اجرائهِ ما كان يُجري عليك ولا يتخوَّف على نفسهِ اقتراف المآثم في الذي احدث من قطع ما قطع ومحو مَن محا من صحابتك لأمرين . امَّا احدُهما فان امير المؤمنين يعلم مَواضعك التي كنت تصرف اليها ما يُجريه عليك . واما الآخر فاثبات صحابتك وارزاقهم دارَّة عليهم لا ينالهم ما ينال المسلمين عند قطع البُعوث عليهم وهم معك تجول بهم في سفهك . وامير المؤمنين يرجو ان يكفّرَ الله عنهُ ما سلَفَ من إعطائهِ اياك باستئنافهِ قَطعَهُ عنك . وأما ابنُ سُهيل فلَعمري لئن كان نزل منك بحيث يسوءُك ما جرى عليهِ لما جعلهُ الله لذلك اهلاً . وهل زاد ابن سهيل لله ابوك على ان كان زفَّاناً (١ مغنّياً قد بلغ في السفه غايتَه . وليس مع ذلك ابن سهيل بشرٍ ممَّن كنتَ تستصحبهُ في الامور التي يُنزّه اميرُ المؤمنين نفسَهُ عنها مما كنتَ لَعمري

١) الرفّان الرقّاص . وفي الاصل كُتب « زفافاً »

أهلاً للتوبيخ فيهِ. وأما ما ذكرتهُ ممَّا سببهُ الله لك فانَّ الله قد ابتدأ امير المؤمنين بذلك واصطفاهُ لهُ والله بالغ أمره ولقد أصبح امير المؤمنين وهو على يقين من رأيه الَّا انهُ لا يملك لنفسهِ مما أعطاه الله من كرامتهِ ضرًّا ولا نفعاً وان الله وليُّ ذلك منهُ وانهُ لا بدَّ لهُ من مفارقته وان الله أرأفُ بعبادهِ وأرحمُ من أن يولّي امرهم غيرَ من يرتضيه لهم منهم . وان امير المؤمنين مع حُسنِ ظنّهِ بربّهِ لعلى احسنِ الرجاء بان يوليه بسبب ذلك لمن هو اهله في الرضا به لهم فان بلاء الله عند امير المؤمنين اعظم من أن يبلُغَهُ ذكرُه أو يوازيه شكرُه الَّا بعونٍ منهُ. ولئن كان قد قدَّر الله لامير المؤمنين وفاةَ تعجيلٍ فانَّ في الذي هو مُفضٍ وصائرٌ اليهِ من كرامة الله خَلفاً من الدنيا. ولعمري انَّ كتابك الى امير المؤمنين بما كتبت به لَغيرُ مستنكَر من سَفَهك وحُمقك فأبقِ على نفسك وقصّر من غُلوائها واربَعْ على ظَلْعك (١ فانَّ لله سَطواتٍ وغِيَرًا يُصيب بها من يشاء من عباده. واميرُ المؤمنين يسأل الله العِصمة والتوفيق لأحبّ الامور اليهِ وارضاها لهُ. وكتب في اسفل الكتاب :

اذا انتَ سامحت الهوى قادكَ الهوى الى بعض ما فيهِ عليك مقالُ

والسلام

أخبر أبو الزُّبير المنذر بن عمرو وكان كاتباً للوليد بن يزيد قال: أرسل اليَّ الوليد صبيحةَ اليومِ الذي أتتهُ فيهِ الخلافة فأتيتهُ. فقال لي: يا ابا الزبير ما أتت عليَّ ليلة اطول من هذه الليلة عرضتني امورٌ وحدَّثتُ نفسي فيها بأمورٍ. وهذا الرجل قد أُولِع بي فاركب بنا نتنفَّس. فركب

١) الظلع العرج فالمعنى ارفق على نفسك

وسرتُ معهُ . فسار ميلين ووقف على تلّ فجعل يشكو هِشاماً اذ نظر الى رهج (١ قد اقبل . قال عمر بن شبة في حديثهِ : وسمع قعقعة البريد فتعوّذ بالله من شرّ هشام وقال : انَّ هذا البريد قد اقبل بموتٍ وَحِيٍّ (٢ أَو بملكٍ عاجل . فقلت : لا يسوءك الله ايّها الامير بل يسرُّك ويبقيك . اذ بدا رجلان على البريد يُقبِلان احدهما مولى لآل ابي سُفيان بن حرب . فلما قربا رأيا الوليد فنزلا يَعدوانِ حتى دنوَا فسلّما عليهِ بالخلافة . فوجم (٣ وجعلا يكرّران عليهِ التسليم بالخلافة . فقال : ويحكم ما الخبر أمات هشام . قالا : نعم . قال : فمرحباً بكما . ما معكما . قالا : كتاب مولاك سالم بن عبد الرحمن . فقرأ الكتاب . وانصرفنا . وسأل عن عِياض بن مُسلِم كاتبه الذي كان هشام ضربهُ وحبسهُ . فقالا : يا امير المؤمنين لم يزل محبوساً حتى نزل بهشام امرُ الله . فلما صار الى حالٍ لا تُرجى الحياة لمثلهِ معَها ارسل عياض الى الخُزّان : احتفظوا بما في ايديكم فلا يصلَنَّ احد الى شيء . وأفاق هشام افاقة فطلب شيئاً فمُنِعَهُ . فقال : أرانا كنَّا خُزّاناً للوليد . وقضى من ساعتهِ . فخرج عياض من السجن ساعةَ قضى هشام فختم الابواب والخزائن وأمر بهشام فأُنزل عن فراشهِ ومنعَهم ان يكفّنوه من الخزائن فكفّنهُ غالب مولى هشام ولم يجدوا مُقمَماً حتى استعاروه . وأمر الوليد بأَخذ ابنَي هشام بن اسمعيل المخزومي . فأُخذا بعد ان عاذ ابرهيم بن هشام بقبر يزيد بن عبد الملك . فقال الوليد : ما أراه الّا قد نجا . فقال لهُ يحيى بن عروة بن الزبير وأخوه عبدالله : ان الله لم

---

١) الرَّهَج والرَّهَج ما اثير من الغبار ٢) موتٌ وَحِيٌّ اي سريعٌ عَجِلٌ ٣) وجم سكت لغيظ او حزن او امرٍ مُهِمّ

يجعل قبرَ ابيكَ معاذًا للظالمين فخذْهُ بردّ ما في يده من مال الله . فقال : صدقتَ . وأخذهما فبعث بهما الى يوسف بن عمر وكتب اليهِ ان يبسط عليهما العذاب حتى يَتلَفا . ففُعِل ذلك بهما وماتا جميعاً في العذاب بعد ان أقيم ابراهيم بن هشام للناس حتى اقتضَوْا منهُ المَظالمَ . وقال عمر بن شبة في خبره : انهُ لما نعي لهُ هشام قال : والله لأَتلقَّينَّ هذه النعمة بسَكرةٍ قبل الظهر . ثم أنشأ يقول :

طاب يومي ولذَّ شربُ السُّلافهْ ... اذ اتاني نعيُ مَن بالرُّصافـهْ
واتانا البريدُ يَنعَى هِشامـاً ... وأَتانا بخـاتمٍ للخِلافـهْ
فاصطبحنا من خمر عانةَ صِرفاً ... ولهونا بقينـةٍ عزَّافـهْ

ثم حلف ان لا يبرح موضعه حتى يُغنَّى في هذا الشعر ويشرب عليهِ فغُنّي لهُ فيهِ وشرِب وسَكِر . ثم دخل فبويع لهُ بالخلافة . (قال) وسمع صُياحاً فسأَل عنهُ . فقيل لهُ : هذا من دار هشام يبكيه بناتهُ . فقال :

اني سمعت بليلٍ ... ورا المصلَّى برنَّهْ
اذا بناتُ هشامٍ ... يندبنَ والدَهُنَّـهْ
يندُبنَ قَرماً جليلاً ... قد كان يعضُدهُنَّهْ

وللوليد اشعار جياد . فمنها وهو ما برَّز فيهِ وجوَّدهُ وتبعهُ الناس جميعاً فيهِ وأَخذوه منهُ قولهُ في صفة الخمر أَنشدَنيه الحسن بن عليّ . (قال) وكان ابو غسان يكاد يرقص اذا انشدها :

إصدَعْ نجيَّ الهمـومِ بالطرَبِ ... وانعَمْ على الدهر بأبنـةِ العِنَبِ
واستقبلِ العيشَ في غضارتـهِ ... لا تقفُ منـهُ آثارَ مُعتقبِ
من قهوة زانهـا تقادُمهـا ... فهي عجوزٌ تعـلو على الحِقَبِ

فقد تجلّت ورقّ جوهرُها حتى تبدّت في منظرٍ عجبِ
فهي بغير المزاج من شررٍ وهي لدى المزجِ سائلُ الذهبِ
كأنّها في زُجاجها قبسٌ تذكو ضِياء في عينِ مُرتقبِ
في فتيةٍ من بني أُميّة أهل م المجدِ والمأثرات والحسَبِ
ما في الورى مثلهم ولا فيهم مثلي ولا منتمٍ لمثل أبي

قال المدائني في خبره: وقال الوليد حين اتاه نعي هشام:

طالَ ليلي فبتُّ أسقَى المُداما اذ اتاني البريدُ يَنعَى هِشاما
وأتاني بحُلّةٍ وقضيبٍ واتاني بخاتمٍ ثمّ قاما
فجعلت الوليّ من بعدِ فَقدي يفضُلُ الناسَ ناشئاً وغُلاما
ذلك ابني وذاك قَرْمُ قريشٍ خيرُ قرمٍ وخيرهم أعماما

ومن نادر شعره قولهُ لهشام:

فان تكُ قد مللتَ القربَ مني فسوف ترى عجانبتي وبُعدي
وسوف تلوم نفسك ان بقينا وتبلو الناسَ والاحوالَ بَعدي
فتندم في الذي فرّطت فيهِ اذا قايست في ذمّي وحَمدي

وحدّث ابن عياش قال: دخل ابن الاقرع على الوليد بن يزيد. فقال لهُ: انشدني قولك في الخمر. فأنشده قوله:

كميت اذا شُجّت وفي الكأس وردةٌ لها في عظام الشاربين دَبيبُ
تُريكَ القَذَى من دونها وهي دونهُ لوجهِ اخيها في الاناء قطوبُ

فقال الوليد: شربتَها يا ابنَ الاقرعِ وربِّ الكعبة. فقال: يا امير المؤمنين لئن كان نعتي لها رابك لقد رابني معرفتك بها

وأخبر العتبيّ . قال : لما ظهرت المسوّدة (١ بخراسان كتب نصر بن سيّار الى الوليد يستمدّهُ . فتشاغل عنهُ . فكتب اليهِ كتاباً وكتب في أسفله يقول :

أرى خللَ الرَّمادِ وميضَ جمرٍ ... وأحرِ بأن يكونَ لها ضِرامُ
فانَّ النارَ بالعودَين تُذكى ... وانَّ الحربَ مبدؤُها الكلامُ
فقلتُ من التعجبِ ليتَ شِعري ... أأيقاظٌ أُميةُ أَم نِيامُ

فكتب اليهِ الوليد : قد اقطعتك خراسان فاعمل لنفسك او دَع فاني مشغول عنك بابن سُريج ومَعْبَد والغَريض

حدَّث العلاء البندار قال : كان الوليد زنديقاً . وكان رجل من كلب يقول بمقالتهِ مقالة الثنويَّة . فدخلت على الوليد يوماً وذلك الكلبي عنده . واذا بينهما سفَط قد رفع رأسه عنهُ فاذا ما يبدو لي منهُ حرير اخضر . فقال : ادنُ يا علاء . فدنوت . فرفع الحريرة فاذا في السفط صورة انسان واذا الزئبق والنُّوشادِر قد جُعلا في جَفنهِ فجفنُه يطرِف كأنهُ يتحرَّك . فقال : يا علاء هذا مانيّ لم يبتعث الله نبيًّا قبلهُ ولا يبتعث نبيا بعده . فقلت : يا امير المؤمنين اتَّقِ الله ولا يغرَّنك هذا الذي ترى عن دينك . فقال لهُ الكلبيّ : يا امير المؤمنين ألم اقل لك ان العلاء لا يحتمل هذا الحديث . (قال العلاء) ومكثت اياماً . ثم جلست مع الوليد على بناء كان بناه في عسكره يُشرف بهِ والكلبي عنده اذ نزل من عنده وقد كان الوليد حملهُ على برذون هملاج اشقر من أفرَه (٢ ما سخّر .

---

١) المُسوّدة اصحاب الدولة العبّاسيّة سُمُّوا هكذا للبسهم السواد

٢) هملاج حسن السير في سرعة . والأفره النشيط الحادّ القويّ يقال للبغل

فخرج علي برذونه ذلك فمضى بهِ في الصحراء حتى غاب عن العسكر. فما شعر الّا واعراب قد جاؤوا بهِ يحملونهُ منفسخة عنقهُ ميتاً وبرذونهُ يقاد حتى اسلموه . فبلغني ذلك فخرجت متعمدًا حتى أتيتُ اولئك الاعراب وقد كانت لهم ابيات بالقرب منهُ في ارض البخراء (١ لا حجر فيها ولا مَدَر . فقلت لهم : كيف كانت قِصَّة هذا الرجل . قالوا : اقبل علينا على برذون فوالله لكأنهُ دُهنٌ يسيلُ على صَفاة من فراهتهِ فعجبنا لذلك . اذ انقضَّ رجل من السماء عليهِ ثياب بيض فأخذ بضَبعَيهِ فاحتمله ثم نكسهُ وضرب برأسهِ الارض فدقَّ عُنقهُ ثم غاب عن عيوننا . فاحتملناه فجئنا بهِ

أخبر يحيى بن سليم قال : دعا الوليد بن يزيد ذات ليلة بمُصحف . فلما فتحهُ وافق ورقة فيها : واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد من ورائهِ جهنم ويسقى من ماءٍ صديد (٢ . فقال : أَسجعاً سجعاً . علَقوهُ . ثم اخذ القوس والنبل فرماه حتى مزَّقهُ . ثم قال :

أتوعدُ كلَّ جبَّار عنيدٍ فها انا ذاك جبَّار عنيدُ
اذا لاقيتَ ربَّك يوم حشرٍ فقلْ للهِ مزَّقني الوليدُ

(قال) فما لبث بعد ذلك الّا يسيرًا حتى قُتل

اخبر المدائني قال : لما اكثر الوليد بن يزيد التهتُّك وانهمك في اللذات وشرب الخمر وبسط المكروه على ولد هشام والوليد وافرط في امره وغيّه ملّ الناس ايامهُ وكرهوه . وكان عقد لابنيهِ بعده ولم يكونا بلغا .

---

١) البخراء موضع وفي الاصل روى البحراء والحمار ولا يقال للفرس بل يقال له جواد

٢) الصديد ما يسيل من اهل النار من الدم والقيح

فمشى الناس بعضهم الى بعض في خلعهِ . وكان اقواهم في ذلك يزيد الناقص بن الوليد بن عبد الملك بن مروان فمشى الى اخيهِ العباس وكان امرءَ صدقٍ ولم يكن في بني اميَّة مثلهُ كان يتشبَّه بعمر بن عبد العزيز . فشكا اليهِ ما يجري على الناس من الوليد . فقال لهُ : يا أخي ان الناس قد ملّوا بني مروان وان مشى بعضكم في اثرِ بعضٍ أُكلتم . ولله اجلٌ لا بدَّ ان يبلغهُ فانتظرهُ . فخرج من عنده ومشى الى غيره . فبايعهُ جماعة من اليمانية الوجوه . فعاد الى اخيهِ ومعهُ مولىً لهُ واعاد عليهِ القول وعرض لهُ بانهُ قد دُعي الى الخلافة . فقال لهُ : والله لولا اني لا آمنهُ عليك من تحامله لوجَّهت بك اليهِ مشدودًا . فنشدتك الله ان لا تسعى في شيء من هذا

وأخبر جويرية بن اسماء [بن بشر] قال : دخل ابي بشر بن الوليد على عمّي العباس بن الوليد وأنا معهُ . فجعل يكلّم عمي في ان يخلع الوليد ابن يزيد ومعهُ عمّي يزيد بن الوليد . فكان العباس ينهاه وأبي يردّ عليهِ . فكنت افرح وأقول في نفسي : أرى أبي يجترئ ان يكلّم عمّي ويردّ عليهِ . فقال العباس : يا بني مروان اظنّ ان الله قد أذِن في هلاككم . ثم قال العباس :

اني أُعيذكمُ بالله من فِتَنٍ ... مثلِ الجبال تسامَى ثم تندفعُ
ان البَرِيَّة قد ملَّتْ سياستكم ... فاستمسكوا بعَمودِ الدين وارتدِعوا
لا تُلحِمُنَّ (١ ذئابَ الناسِ أنفسكم ... ان الذئابَ اذا ما أُلحِمَتْ رَتعوا
لا تبقَرُنَّ بايديكم بُطونكمُ ... فثَمَّ لا فِدية تُغني ولا جَزَعُ (٢

١) اي لا تُطعِموا لحومكم ذئابَ الناس ٢) في الاصل « جذع » وروى الطبري : لا حسرةٌ تُغني ولا جَزَع

فانصرف من عنده وجعل يدعو الناس الى نفسهِ . وبلغ الوليد ذلك فقال يذكر قومه ومشي بعضهم الى بعض في خلعهِ :

سلِ هم النفس عنها بعَلنداتٍ عَـلاتِ (١
تتقي الارضَ وتهوي بخفافٍ مُدمَجاتِ (٢
ذاك امْ مـا بالُ قومي كسروا سِنَّ قنـاتي
واستخفُّوا بي وصاروا كقُرودٍ خاسئاتِ

وفي هذه القصيدة يقول الوليد بن يزيد :

اصبحَ اليومَ وليد هائماً بالفتيـاتِ
عندهُ راحٌ وابريق م وكأس بالفلاةِ
ابعثوا خيلاً لخيلٍ ورُماةً لرمـاةِ

قال المدائني عن رجاله : فلما استجمع ليزيد امره وهو متبدٍّ (٣ أقبل الى دمشق وبين مكانه الذي كان متبدّياً فيهِ وبين دمشق اربع ليالٍ . فأقبل الى دمشق متنكّراً في سبعة انفس على حُمُر وقد بايع لهُ اكثر اهل دمشق وبايع لهُ اكثر اهل المِزَّة . فقال مولًى لعباد بن زياد : اني لَبجرود (وبين جرود ودمشق مرحلة) اذ طلع علينا سبعة معتمّين على حمر فنزلوا وفيهم رجل طويل جسيم . فرمى بنفسهِ ونام . فألقَوا عليهِ ثوباً وقالوا لي : هل عندك شيء نشتريه من طعام . فقلت : أمَّا بيعٌ فلا وعندي من قراكم ما يُشبعكم . فقالوا : فعجّلهُ . فذبحت لهم دجاجاً وفراخاً وأتيتهم بما حضر

---

١) العلنداة انثى العلندى وهو البعير الضخم الطويل . وعَلات جمع علاة اي صُلبة تشبيهاً بالعلاة اي السِّندان ٢) خفاف جمع خُفّ . ومُدمج مجتمع
٣) متبدٍّ مقيم في البادية

من عسل وسمن وشوانيز وقلت : أيقِظوا صاحبكم للغداء فقالوا : هو محموم لا يأكل . فسفَروا للغداء . فعرفت بعضهم . وسفَرَ النائم فاذا هو يزيد بن الوليد فعرفتهُ . فلم يكلّمني . ومضوا ليدخلوا دمشق ليلًا في نفر من اصحابه مُشاة الى معاوية بن معاذ وهو بالمزَّة وبينها وبين دمشق ميل فأصابهم مطر شديد . فأتوا منزل معاوية فضربوا بابه وقالوا : يزيد بن الوليد . فقال لهُ معاوية الفراش : ادخل أصلحك الله . قال : في رجلي طين واكرهُ أن أُفسِد عليك بِساطك . فقال : ما تريد بي أفسِدْ عليهِ . فمشى على البساط وجلس على الفراش . ثم كلّم معاوية فبايعهُ . وخرج الى دمشق فنزلى دار ثابت بن سليمان الحسني مستخفياً وعلى دمشق عبدالملك ابن محمد بن الحجاج بن يوسف . فخاف عبد الملك الوباء فخرج فنزل قَطَنَا (١ واستخلف ابنهُ على دمشق وعلى شرطتهِ أبو العاج كثير بن عبد الله السُّلمي . وتمَّ ليزيد أمره فأجمع على الظهور . وقيل لعامل دمشق : انَّ يزيد خارج . فلم يصدّق . وأرسل يزيد الى اصحابه بين المَغرب والعِشاء في ليلة الجمعة من جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ومائة . فكمنوا في مِيضأة (٢ عند باب الفراديس حتى اذا اذَّنوا العتَمة دخلوا المسجد مع الناس فصلّوا . وللمسجد حرَسٌ قد وُكلوا باخراج الناس من المسجد بالليل فاذا خرج الناس خرج الحرس وأغلق صاحب المسجد الابواب ودخل من باب المقصورة فيدفع المفاتيح الى من يحفظها ويخرج . فلما صلّى الناسُ العَتَمة صاح الحرس بالناس فخرجوا . وتباطأ أصحاب يزيد الناقص . فجعلوا يُخرجونهم من باب ويدخلون من باب حتى لم يبقَ في المسجد الّا الحرس

---

١) قطنا من قرى دمشق ٢) موضع الوضوء

واصحاب يزيد فأخذوا الحرس . ومضى عنبسة الى يزيد فأخبره وأخذ بيده وقال : قم يا امير المؤمنين وأبشر بعون الله ونصره . فأقبل واقبلنا ونحن اثنا عشر رجلاً . فلما كنّا عند سوق القمح لقيهم فيها مائتا رجل من اصحابهم . فمضوا حتى دخلوا المسجد وأتوا باب المقصورة وقالوا : نحن رسل الوليد . ففتح لهم خادم الباب ودخلوا فأخذوا الخادم واذا ابو العاج سكران . فأخذوه وأخذوا خزّانَ البيت وصاحبَ البريد . وأرسل الى كل من كان يحذره فأخذه . وارسل من ليلته الى محمد بن عبيدة مولى سعيد بن العاص وهو على بعلبكّ والى عبد الملك بن محمد بن الحجاج فأخذهما . وبعث اصحابهُ الى الخشبية فأتوه . وقال للبوّابين : لا تفتحوا الابواب غُدوةً الّا لمن أخبركم بشِعار كذا وكذا . (قال) فتركوا الابواب في السلاسل . وكان في المسجد سِلاح كثير قدِم بهِ سليمان بن هشام من الجزيرة فلم يكن الخزّان قبضوه . فأصابوا سلاحاً كثيراً فأخذوه واصبحوا . وجاءَ اهل المزّة مع حُريث بن ابي الجهم . فما انتصف النهار حتى بايع الناس يزيد وهو يتمثل قول النابغة :

اذا استُنزلوا عنهنَّ للطعن أرقلُوا الى الموت إرقالَ الجمال المَصاعبِ

فجعل اصحابه يتعجبون ويقولون : انظروا الى هذا كان قُبيل [الصبح] يسبّح وهو الآن ينشد الشعر . (قال) وأمر يزيد عبد العزيز بن الحجاج ابن عبد الملك بن مروان فوقف بباب الجابية فنادى : ألا كلُّ مَن كان لهُ عطاء فلهُ اربعون ديناراً في العطاء ومعونة الف درهم . فبايع لهُ الناس وامر بالعطاء . (قال) وندب يزيد بن الوليد الناسَ الى قتال الوليد بن يزيد مع عبد العزيز وقال : من انتدب معهُ فلهُ ألفانِ . فانتدب الفا رجل .

فاعطاهم وقال : موعدكم دنية . فوافى دنية الف ومائتا رجل . فقال موعدكم مصنعة بالبرية وهي لبني عبد العزيز بن الوليد . فوافاه ثمانمائة رجل فسار فوافاهم ثقلُ الوليد فأخذوه ومع عبد العزيز فُرسان . فاقبلوا فنزلوا قريباً من الوليد . فقال الوليد : أخرجوا اليَّ سريرًا . فاخرجوه فصعد عليهِ . واتاه خبر العباس بن الوليد : اني اجيئك . واتى الوليد بفَرَسين الزابد (١ والسِّنْدي وقال : أعليّ يتواثب الرجال وأنا أَثِب على الاسد وأَعَضُّ الافاعي . وهم ينتظرون العباس ان يأتيهم ولم يكن بينهم كبير قتال . فقُتل يزيد بن عثمان الخشبيّ وكان من اولاد الخشبيَّة الذين كانوا مع المختار . وبلغ عبد العزيز بن الحجاج ان العباس بن الوليد يأتي الوليد فأرسل منصور بن جمهور في جريدة خيل وقال : انكم تلقون العباس بن الوليد ومعهُ بنوه في الشِعب فخذوه . وخرج منصور في تلك الخيل وتقدموا الى الشِعب واذا العباس ومعهُ بنوه قد تقدموا اصحابه . فقال لهُ : اعدل الى عبد العزيز . فشتمهم . فقال لهُ منصور : والله لئن تقدَّمتَ لأُنفِذَنَّ فخذيك بالرمح . فقال : انَّا لله . فاقبلوا بهِ يسوقونهُ الى عبد العزيز فقال لهُ عبد العزيز : بايع ليزيد . فبايع ووقف ونصب راية . وقالوا : هذا العباس قد بايع . ونادى منادي عبد العزيز : من لحق بالعباس بن الوليد فهو آمن . فقال العباس : انَّا لله . خُدْعة من خُدَع الشيطان . هلك والله بنو مروان . فتفرَّق الناس عن الوليد وأتوا العباس . وظاهَرَ الوليد في دِرعين (٢ وقاتلهم . وقال الوليد : من جاء برأس فلهُ خمسمائة درهم . فجاء جماعة

---

١) ويروى « الزائد » ٢) اي لبس درعين الواحدة فوق الاخرى فكانهُ من التظاهر اي التعاون والتساعد

بعدّة رؤوس . فقال : اكتبوا اسماءهم . فقال لهُ رجل من مواليه : ليس هذا يا امير المؤمنين يوماً يعامَلُ فيهِ بالنسيئة (١ . وناداهم رجال : اقتلوا اللوطيَّ قِتلةَ قومِ لُوط . فرموه بالحجارة . فلما سمع ذلك دخل القصر وأغلق الباب وقال :

دَعوا لي سليمى والطلاء وفتيـةً ... وكأسـاً ألا حَسْبي بذلك مالا
خذوا ملككم لا ثبَّت الله ملككم ... ثباتاً يساوي ما حييتُ عِقـالا
وخلُّوا عِناني قبلَ عيري وما جرى ... ولا تحسدوني ان اموت هُزالا

ثم قال لعمَر الوادي : يا جامع لذَّتي غنّني بهذا الشعر . وقد أحاط الجندُ بالقصر . فقال لهم الوليد من وراء الباب : أما فيكم رجلٌ شريف لهُ حسب وحَياء أكلّمهُ . فقال لهُ يزيد بن عَنبسة السَّكسكيّ : كلّمني . فقال لهُ الوليد : يا أخا السَّكاسك ما تَنقَمون منّي . ألم أَزِد في أعطياتكم وأعطية فقرائكم وأخدمتُ زَمْناكم ودفعت عنكم المُؤَن . فقال : ما نَنقَم عليك في انفسنا شيئاً ولكن ننقم عليك انتهاك ما حرَّم الله وشُربَ الخمور واستخفافك بأمر الله . قال : حَسبُك يا اخا السكاسك فلَعَمري لقد اغرقتَ فاكثرتَ وانَّ فيما أحلَّ اللهُ لَسَعةً فيما ذكرت . ورجع الى الدار فجلس واخذ المُصحف وقال : يوم كيوم عثمان . ونشر المصحف يقرأ . فعلَوا الحائط . فكان اول من علا الحائط يزيد بن عنبسة فنزل وسيف الوليد الى جنبهِ . فقال لهُ يزيد : نحّ سيفك . فقال الوليد : لو أَردتُ السيف لكانت لي ولك حالة غير هذه . فأخذ بيده وهو يريد ان يُدخِلهُ بيننا ويؤامر فيهِ . فنزل من الحائط عشرة فيهم منصور بن جمهور وعبد الرحمن

١) النسيئة التأخير

وقيس مولى يزيد بن عبد الملك والسَّريّ بن زياد بن أَبي كَبْشة . فضربهُ عبد الرحمن السُّلميّ على رأسه ضربة وضربهُ السريّ على وجهه وجرّوه بين خمسة ليخرجوه . فصاحت امرأة كانت معهُ في الدار فكفُّوا عنهُ فلم يخرجوه . واحتزّ رأسه ابو عِلاقة القُضاعيّ وخاط الضربة التي في وجههِ بالعَقَب . وقدم بالرأس على يزيد قدم بهِ رَوْح بن مُقبِل وقال : أَبشِر يا امير المؤمنين بقتل الفاسق . فاستتمّ الامر لهُ

قال عمر الوادي : كنت اغنّي الوليدَ اقول :

كذبتكَ نفسُك أم رأَيتَ بواسطٍ غلَسَ الظلامِ مِن الرباب خيالا

قال : فما اتممتُ الصوت حتى رأَيت رأسهُ قد فارق بدنهُ ورأَيتهُ يشحط (١ في دمهِ . (قالوا) وكان عثمان والحكم ابنا الوليد قد بايعهما بالعهد بعده فتغيَّبا . فأَخذهما يزيد بعد ذلك فحبسهما في الخضراء . ودخل عليهما يزيد الافقم بن هشام فجعل يَشتم اباهما الوليد وكان قد ضربهُ وخلعهُ . فبكى الحكم . فقال عثمان اخوه : اسكتْ يا اخي . وأَقبل على يزيد فقال : اتشتم ابي . قال : نعم . قال : لكني لا اشتم عمّي هِشاماً . ووالله لو كنتَ من بني مروان ما شتمتَ احداً منهم فانظُر الى وجهك فان كنتَ رأَيتَ حَكَميا يُشبهُك او لهُ مثلُ وجهِك فأَنتَ منهم . لا والله ما في الارض حكميّ يشبهك

ثم كان من خلع يزيد بعد ذلك ما ليس هذا موضع ذكرهِ

---

١) الشحط الاضطراب والتمرغ في الدم

خروج عبدالله بن يحيى وابي حمزة المختار ومقتلهما

اخبر بذلك الحسن بن عليّ الخفّاف قال: حدّثنا احمد بن الحرث الخرّاز عن المدائني ان عبدالله بن يحيى الكِندي احد بني عمر بن معاوية كان من حضرموت وكان مجتهداً عابداً وكان يقول قبل ان يخرج: لقيني رجل فاطال النظرَ اليَّ وقال: ممن انت. فقلت: من كندة. فقال: من ايهم. فقلت: من بني شيطان. قال: والله لتملكنّ ولتبلغنّ خيلُك وادي القُرى وذلك بعد ان تذهب احدى عينيك. فذهبتُ اتخوّف ما قال وأستخير الله. فرأيت باليمن جَوراً ظاهراً وعَسفاً شديداً وسِيرةً في الناس قبيحة. فقال لاصحابه: ما يَحِلّ لنا المقام على ما نرى ولا يسعنا الصبر عليهِ. وكتب الى ابي عبيدة ومَسلمة بن ابي كريمة الذي يقال لهُ كودين مولى بني تميم وكان ينزل في الازد والى غيره من الإباضيّة (١ بالبصرة يشاورهم في الخروج. فكتبوا اليهِ: ان استطعت ان لا تقيم يوماً واحداً فافعل. فانّ المبادرة بالعمل الصالح افضل. ولستَ تدري متى يأتي عليك اَجلك. ولله خِيرَة من عبادهِ يبعثهم اذا شاء لنُصرة دينهِ ويخُصّ بالشهادة منهم من يشاء.

وشخص اليهِ ابو حمزة المُختار بن عوف الازدي احد بني سليمة وبَلج بن عقبة السقوري في رجال من الاباضيّة فقدموا عليهِ حضرموت فحثّوه على الخروج وأتوه بكتب اصحابه: اذا خرجتم فلا تغلُوا (٢ ولا

---

١) الاباضية فِرقة من الخوارج اصحاب عبدالله بن إباض التميميّ

٢) غلّ حاد عن الصواب. ويروى في النسخة الامبركانية: لا تضلّوا

تغدِروا واقتدوا بسَلَفكم الصالحين وسيروا سيرتهم فقد علمتم ان الذي اخرجهم على السلطان العَيْث لأعمالهم . فدعا اصحَابه فبايعوه فقصدوا دار الامارة . وعلى حضرموت ابراهيم بن جبلة بن مخرمة الكنديّ . فاخذوه فحبسوه يوماً ثم اطلقوه . فأتى صنعاء وأقام عبد الله بن يحيي بحضرموت وكثر جمعهُ وسمّوه طالبَ الحقّ . فكتب الى من كان من اصحابهِ بصنعاء : اني قادم عليكم . ثم استخلف على حضرموت عبدالله بن سعيد الحضرمي وتوجه الى صنعاء سنة تسع وعشرين ومائة في ألفين . وبلغ القاسم بن عمر أخا يوسف بن عمر وهو عامل مروان بن محمد على صنعاء مسير عبد الله بن يحيي فاستخلف على صنعاء الضحاك ابن زُمَل وخرج يريد الاباضيَّة في سلاح ظاهر وعدَّة وجمع كثير . فعسكر على مسيرة يوم من أَبْيَنَ (١ وخلَّف فيها الاثقال وتقدَّمت المقاتلة . فلقيه عبد الله بن يحيي بلَحْج قرية من ابين قريباً من الليل . فقال الناس للقاسم : ايها الامير لا تقاتل الخوارج ليلًا . فأبى وقاتلهم . فقتلوا من اصحابه بَشرًا كثيرًا وانهزموا ليلًا . فمرّ بعسكره فأمرهم بالرحيل ومضى الى صنعاء فأقام يوماً . ثم خرج فعسكر قريباً من صنعاء وخندق وخلَّف بصنعاء الضحاك بن زمل

فاقبل عبد الله بن يحيي فنزل جُوَيْن على ميلَين من عسكر القاسم . فوجه القاسم يزيد بن الفيض في ثلاثة آلاف من اهل الشام واهل اليمن فكانت بينهم مناوشة ثم تحاجزوا . فرجع يزيد الى القاسم فاستأذنهُ في بياتهم فأبى ان يأذن له . فقال لهُ يزيد : والله لئن لم تبيّتهم ليغمَّنَّك .

---

١) أبين بفتح الاول ويروى بكسره مخلاف باليمن عند عدَن

فأبى ان يأذن لهُ واقاموا يومين لا يلتقون . فلما كان في الليلة الثالثة اقبل عبدالله بن يحيي فوافاه مع طلوع الفجر فقاتلهم الناس على الخندق . فغلبتهم الخوارج عليه ودخلوا عسكرهم والقاسم يصلّي . فركب وقاتلهم الصلت بن يوسف فقُتل في المعركة . وقام بأمر الناس يزيد بن الفيض فقاتلهم حتى ارتفع النهار ثم انهزم اهل صنعاء . فاراد ابرهة بن الصباح اتباعهم فمنعهُ عبد الله بن يحيي واتبع يزيد بن الفيض القاسم بن عمر فأخبرهُ الخبر فقال القاسم :

ألا ايت شعري هل اذودنَّ بالقنى وبالهندوانيات قبل مماتي
وهل اصبحنَّ الحارثين كليهما بطعنٍ وضرب يقطع اللهواتِ

(قال) ودخل عبد الله بن يحيي صنعاء فاخذ الضحاك بن زمل وابراهيم ابن جبلة بن مخرمة فحبسهما وجمع الخزائن والاموال فاحرزها ثم ارسل الى الضحاك وابراهيم فأرسلهما وقال لهما : حبستكما خوفاً عليكما من العامّة وليس عليكما مكروه فأقيما ان شئتما او اشخصا . فخرجا

(قالوا) واقام عبد الله بن يحيي بصنعاء اشهراً يُحسِن السيرةَ فيهم ويلين جانبه لهم ويكفّ عن الناس . فكثر جمعهُ وأتتهُ الشراة من كل جانب . فلما كان وقت الحجّ وجه ابا حمزة المختار بن عوف وبلج بن عقبة وابرهة بن الصباح الى مكة في تسعمائة (وقيل بل في الف ومائة) وأمرهُ ان يقيم بمكة اذا صدر الناس ويوجّه بلجاً الى الشام . واقبل المختار الى مكة فقدمها يوم التروية وعليها عبد الواحد بن سليمان بن عبدالملك وامّهُ بنت عبد الله بن خالد بن أسيد . فكره قتالهم

وحدّث بخبر أبي حمزة محمد بن جرير الطبريّ عن العباس بن عيسى

العقيلي قال : كان اوّل امر ابي حمزة وهو المختار بن عوف الازديّ ثم السُّلَمي من اهل البصرة انهُ كان يوافي في كل سنة يدعو الى خِلاف مَروان بن محمد وآل مروان . فلم يزل يختلف كل سنة حتى وافى عبدالله ابن يحيى في آخر سنة وذلك في سنة ثمان وعشرين ومائة فقال لهُ : يا رجل اني اسمع كلاماً حسناً وأَراك تدعو الى حق فانطلقْ معي فاني رجل مطاع في قومي . فخرج بهِ حتى ورد حضرموت . فبايعهُ ابو حمزة على الخلافة . (قال) وقد كان مرّ ابو حمزة بمعدن بني سليم وكثير بن عبدالله عامل على المعدن فسمع بعضَ كلامهِ فأَمر بهِ فجُلِد اربعين سوطاً . فلما ظهر ابو حمزة بمكة تغيَّب كثير حتى كان من امره ما كان ثم رجع الى موضعه

(قال) فلما كان في العام المقبل تمام سنة تسع وعشرين لم يعلَم الناس بعرَفة الّا وقد طلعت اعلام عمائم سود حرمية في رؤُوس الرماح وهم سبعمائة . ففزع الناس حين رأَوهم وقالوا لهم : ما لكم وما حالكم . فاخبروهم بخلافهم مروان وآل مروان والتبرُّؤ منهم . فراسلهم عبد الواحد بن سليمان وهو يومئذٍ على المدينة ومكة والموسم ودعاهم الى الهُدنة . فقالوا : نحن بحجّنا اضنُّ وعليهِ اشحّ . فصالحهم على انهم جميعهم آمنون بعضهم من بعض حتى ينفُر الناس النَّفر الاخير . واصبحوا من غد فوقفوا على حِدة بعرَفة ودفع عبد الواحد بالناس . فلما كانوا بمِنًى قالوا لعبد الواحد : انك قد اخطأْت فيهم ولو حملت عليهم الحاجّ ما كانوا الّا اكلة رأس . فنزل ابو حمزة بقرن الثعالب من مِنًى . ونزل عبد الواحد منزل السلطان . فبعث عبد الواحد الى ابي حمزة عبد الله بن حسن بن عليّ عليهم

السلام ومحمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن ابي بكر وعبيد الله بن عمرو بن حفص العمريّ وربيعة بن عبد الرحمن في رجال من امثالهم. فلما دنوا من قرن الثعالب لقيتهم مسالح ابي حمزة فاخذوهم. فدخل بهم على ابي حمزة فوجدوه جالساً وعليهِ ازار قَطَوانيّ (١ قد ربطهُ الحورةَ في قفاه. فلما دنوا تقدَّم اليهِ عبد الله بن حسن ومحمد بن عبد الله بن عمرو فنسبهما. فلما انتسبا لهُ عبَّس في وجوههما وبسر (٢ واظهر الكراهة لهما. ثم تقدَّم اليهِ بعدهما البكري والعمري فنسبهما. فلما انتسبا لهُ هشَّ اليهما وتبسَّم في وجوههما وقال: والله ما خرجنا الّا لنسير بسيرة ابويكما. فقال لهُ عبد الله بن حسن: والله ما جئناك لتُفاضِلَ بين آبائنا ولكن بعثنا اليك الامير برسالة. وهذا ربيعة يُخبركها. فلما ذكر ربيعةُ نقضَ العهد قال بلج وابراهيم وكانا قائدين لهُ: الساعةَ. فأقبل عليهما ابو حمزة وقال: معاذ الله ان ننقضَ العهد او نخيس بهِ والله لا افعل ولو قُطعت رقبتي هذه ولكن تنقضي هذه الهدنة بيننا وبينكم. فلما أبى عليهم خرجوا فأبلغوا عبد الواحد. فلما كان النَفر الاوَّل نفَرَ عبد الواحد وخلّى مكة لابي حمزة. فدخلها بغير قتال

ثم مضى عبد الواحد حتى دخل المدينة فدعا بالديوان وضرب على الناس البعث وزادهم في العطاء عشرة عشرة. واستعمل عبد العزيز بن عبدالله بن عمرو بن عثمان على الناس فخرجوا. فلما كان بالحَرَّة لقيتهم جُزُر

---

١) القطواني ازار ابيض قصير الحَمْل ٢) بسر نظر بكراهة شديدة وكلح وجهه وقطّب

مَنحورة فمضوا . فلما كانوا بالعَقيق تعلّق لواؤهم بسَمُرة (١ فانكسر الرمح وتشاءم الناس بالخروج . ثم ساروا حتى نزلوا قُدَيدًا فنزلوها ليلًا وكانت قرية قديد من ناحية القصر والمنبر اليوم (٢ وكانت الحياض هناك . فنزل قوم مغترّون ليسوا باصحاب حرب فلم يرُعهم الّا القوم قد خرجوا عليهم من الفصل (٣ . فزعم بعض الناس ان خُزاعة دلّت ابا حمزة على عورتهم وأدخلوهم عليهم فقتلوهم وكانت المَقتَلة على قريش وهم كانوا اكثر الناس وبهم كانت الشوكة فأُصيب منهم عدد كثير . قال هرون : فأخبرني بعض اصحابنا ان رجلًا من قريش نظر الى رجل من اهل اليمن يقول : الحمد لله الذي اقرّ عيني بمقتل قريش . فقال لهُ ابنهُ : الحمد لله الذي اذلّهم بأيدينا . فما كانت قريش تظنّ ان من نزل على عمان من الازد عربيّ . (قال) وكان هذان الرجلان مع اهل المدينة . فقال القُرَشيّ لابنه : هلمّ نبدأ بهذين الرجلين . قال : نعم يا أبتِ . فحملا عليهما فقتلاهما . ثم قال لابنه : أي بُنيّ تقدّم . فقاتلا حتى قُتلا . (قال) ثم ورد فُلّال الجيش المدينةَ وبكى الناسُ قتلاهم . فكانت المرأة تقيم على حميمها النواح فلا تزال المرأة يأتيها الخبر بمقتل حميمها فتنصرف حتى ما يبقى عندها امرأة . فأنشدني ابو حمزة هذه الابيات في قتلى قديد الذين أُصيبوا من قومهِ لبعض اصحابهم :

يا لهفَ نفسي ولهفٌ غيرُ نافعةٍ ... على فوارسَ بالبطحاءِ أنجادِ
عمرٌو وعمرٌو وعبدُ الله بينهما ... وابناهما خامسٌ والحارثُ السادِ (٤

---

١) السمرة من اشجار الطلح ٢) ويروى « القصر المبني اليوم » (طبري ٢ : ٢٠٠٦) ٣) « الفصل » (طبري ٢ : ٢٠٠٧) ٤) السادِ اي السادس

قال المدائني في خبره: كتب عبد الواحد بن سليمان الى مروان يعتذر من إخراجهِ عن مكة. فكتب مروان الى عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وهو عاملهُ على المدينة يأمرهُ بتوجيه الجيش الى مكة. فوجه ثمانية آلاف رجل من قريش والانصار والتجار اغماراً لا عِلمَ لهم بالحرب. فخرجوا في المصبَّغات والثياب الناعمة واللهو لا يظنّون ان الخوارج شوكة ولا يشكّون انهم في ايديهم. وقال رجل من قريش: لو شاء اهلُ الطائفِ لكفَونا امرَ هؤلاء. ولكنهم داهنوا في امر الله تعالى. واللهِ لئن ظَفِرنا لَنسيرَنَّ الى اهل الطائف فلَنسبيَنَّهم. ثم قال: من يشتري مني سبي اهل الطائف. فلما انهزم الناس رجع ذلك الرجل القائل من يشتري مني سبي اهل الطائف في اوَّل المنهزمين فدخل منزله وأراد ان يقول لجاريتهِ: أغلِقي الباب. فقال لها: غاق باق. دَهَشاً. ولم تفهم الجارية قولهُ حتى اومأ اليها بيده فأغلقت الباب. فلقَّبهُ اهل المدينة بعد ذلك غاق باق. (قال) وكان عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز يعرض الجيش بذي الحُلَيفة(١). فمرّ بهِ أُميَّة بن عَنبَسة بن سعيد بن العاصي فرحَّب بهِ وضحك اليهِ. ومرّ بهِ حمزة بن مُصعَب بن الزُّبَير فلم يكلّمهُ ولم يلتفت اليهِ. فقال لهُ عمر ابن عبدالله بن مطيع وكان ابن خالته: سبحان الله مرّ بك شيخ من شيوخ قريش فلم تنظر اليهِ ولم تُكلّمهُ ومرّ بك غلام من بني امية فضحكت اليهِ ولاطفتهُ. أما والله لو قد التقى الجمعان لعلمتَ ايهما أصبرُ. (قال) فكان أُميَّة بن عنبسة اوَّل من انهزم ونكّب فرسهُ ومضى وقال لغلامهِ: يا مجيب أما والله لئن أجزرتُ نفسي هذه

(١) ذو الحليفة على ستة او سبعة اميال من المدينة

الاكلبَ (١ من الشراة اني لعاجز . وقاتلَ يومئذٍ حمزة بن مصعب حتى قُتل وتمثل :

واني اذا ضنَّ الامـيرُ بإذنـهِ على الإذن من نفسي اذا شئتُ قادرُ

ولما بلغ حمزة إقبال اهل المدينة اليهِ استخلف على مكة ابراهيم بن الصباح وشخص اليهم وعلى مقدمتهِ بَلْج بن عقبة . فلما كان في الليلة التي وافاهم في صبيحتها واهل المدينة نزول بقُدَيد قال لاصحابه : انكم لاقُو قومكم غدًا واميرهم فيما بلغني ابن عثمان اوَّل من خالف سيرة الخُلفاء وبدَّل سُنَّة رسول الله (صلعم) وقد وضحَ الصبحُ لذي عينين فأكثِروا ذكرَ الله تعالى وتلاوة القرآن ووطِّنوا انفسكم على الصبر . وصبَّحهم غداةَ الخميس لتسعٍ او لسبعٍ خلونَ من صفر سنة ثلاثين ومائة . فقال عبد العزيز لغلامه : أبغِنا علَفًا . قال : هو غالٍ . قال : ويحك البواكي علينا غدًا أغلى . وارسل اليهم ابو حمزة بَلْج بن عقبة ليدعوهم . فأتاهم في ثلاثين راكبًا فذكرهم الله وسألهم ان يكفُّوا عنهم وقالوا لهم : خلُّوا سبيلَنا لنسير الى من ظلمكم وجار في الحكم عليكم ولا تجعلوا حدًا بكم فانَّا لا نريد قتالكم . فشتمهم اهل المدينة وقالوا : يا اعـداء الله أنحنُ نخلّيكم وندَعُكم تُفسِدون في الارض . فقالت الخوارج : يا اعداء الله أنحن نُفسِد في الارض انما خرجنا لنكفَّ اهل الفساد ونقاتل من قاتلنا واستأسرَ بالفيءِ . فانظروا لانفسكم واخلعوا من لم يجعل الله لهُ طاعة فانهُ لا طاعة لمن عصى الله وادخُلوا في السِلْم وعاونوا اهل الحقّ . فقال لهُ عبد العزيز : ما تقول في عثمان . قال : قد

---

١) اجزرت نفسي اي لئن سلَّمتُ ذاتي الى هؤلاء الكلاب وتركتهم يذبحوني

برئ المسلمون منهُ قبلي وأنا متّبع آثارهم ومقتدٍ بهم . قال : فارجع الى اصحابك فليس بيننا وبينهم الّا السيف

فرجع الى ابي حمزة فاخبرهُ . فقال : كفُّوا عنهم ولا تقاتلوهم حتى يبدأُوكم بالقتال . فواقفوهم ولم يقاتلوهم . فرمى رجلٌ من اهل المدينة في عسكر ابي حمزة بسهم فجرح رجلًا . فقال ابو حمزة : شأنكم الآن فقد حلّ قتالُهم . فحملوا عليهم وثبت بعضهم لبعض وراية قريش مع ابراهيم بن عبد الله بن مُطيع . ثم انكشف أهلُ المدينة فلم يتبعوهم وكان على مَجنبتهم صُخير بن صخر بن أبي الجهم بن حذيفة فكرّ وكرّ الناس معهُ فقاتلوا قليلًا ثم انهزموا فلم يبعدوا حتى كرّوا ثالثة . وقاتلهم أبو حمزة فهزمهم هزيمة لم تُبقِ منهم باقية . فقال لهُ عليّ بن الحصين : اتبع القومَ أو دَعْني اتبعهم فأقتلُ المُدبِر وأُذفف (١ على الجريح فان هؤلاء شرّ علينا من أهل الشأم فلو قد جاؤُوك غدًا لرأيت من هؤلاء ما تكرَهُ . فقال : لا أفعلُ ولا أُخالف سيرة اسلافنا . وأُخذ جماعة منهم أُسراء فأراد إطلاقهم . فمنعهُ عليّ بن الحصين وقال لهُ : ان لأهل كل زمان سيرةً وهؤلاء لم يؤسَروا وهم هُرّاب وانما أُسروا وهم يقاتلون ولو قتلوا في ذلك الوقت لم يُحرَّم قتلهم وكذلك الآن قتلهم حلال . فدعا بهم فكان اذا رأى رجلًا من الانصار أطلقهُ . فأُتي بمحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان فنسبهُ . فقال : أنا رجل من الانصار . فسأل الانصار عنهُ فشهدوا لهُ فأطلقهُ فلمّا ولّى قال : والله اني لأعلم انهُ قرشي وما حُذاوة هذا حذاوة أنصاريّ ولكن قد أطلقتهُ . (قال) وبلغت قتلى

١) ذفّف على الجريح أجهز عليهِ وأماتهُ

قُديد ألفين ومائتين وثلاثين رجلًا منهم من قريش اربعمائة وخمسون رجلًا ومن الانصار ثمانون ومن القبائل والموالي الف وسبعمائة . (قال) وكان في قتلى قريش من بني أسد بن عبد العزّى اربعون رجلًا . وقُتل يومئذٍ أُميّة بن عبد الله بن عمرو بن عثمان خرج يومئذٍ مُقنَّعاً (١ فما كلّم احدًا وقاتل حتى قُتل . وقُتل يومئذٍ سمي مولى ابي بكر الذي يروي عنهُ مالك بن انس . ودخل بلج المدينة بغير حرب فدخلوا في طاعته وكفّ عنهم . ورجع ابو حمزة الى مكة وكان على شرطته ابو بكر بن عبدالله بن عمرو من آل سراقة من بني عديّ . فكان اهل المدينة يقولون : لعن الله السراقي ولعن بلجاً العراقي . وقالت نائحة اهل المدينة تبكيهم :

ما للزمانِ وما لِيَـــهْ أفنتْ قُدَيدُ رِجاليهْ
فلأَبكينَّ سريرةً ولابكينَّ عَلانيهْ
ولابكينَّ اذا خلوتُ م مع الكِلاب العاويهْ
ولاثنينَّ على قـديد م بسوءِ مـا أبلانـيهْ

وقال عمرو بن الحصين الكرمي مولى بني تميم يذكر وقعة قديد وأَمر مكة ودخولهم اياها وأَنشدنيها الاخفش عن السكّري والاحول وثعلب لعمرو هذا وكان يستجيدها ويفضّلها :

ما بالُ همّك ليس عنك بعازبِ يري سوابقَ دمعك المُتساكبِ
وتبيتُ تَكتلئُ النجومَ بمقـلةٍ عَبرى تُسَرُّ بكلّ نجمٍ دائبِ
حذر المنية ان تجيءَ بداهـةً لم اقضِ من تبَع الشراة مآربي
فأقودُ فيهم للعِدا شِنِجَ(٢ النَسا عَبْلَ الشَوَى أَسْوانَ ضَمْرَ الحالبِ

---

١) مقنّع مغطّى بالسلاح ٢) في الاصل « شبح » وهو تصحيف .

متحدِّرًا كالسَّيلِ أخلصَ لونَهُ ... ماءُ الحسيكِ مع الجلالِ اللَّاتبِ(١
أرمي بهِ من جمعِ قومي مَعشرًا ... بورًا الى جَبريَّةٍ (٢ ومعايبِ
في فتيةٍ صُبرٍ أَلفُّهمُ بهِ ... لفَّ القداحِ يدَ المُفيضِ الضاربِ
فندور نحن وهم وفيما بيننا ... كأسُ المَنونِ تقول هل من شاربِ
فنظلّ نسقيهم ونشرب من قنىً ... سُمرٍ ومُرهَفةِ النُّصولِ قواضبِ
بينا كذلك نحنُ جالت طعنةٌ ... نجلاءُ بين لهاً (٣ وبين ترائبِ
جوفاءُ مُنهَرةٌ ترى تامورَها ... ظبتا (٤ سنانٍ كالشِّهابِ الثاقبِ
أهوي لها شقَّ الشمالِ كأنني ... حَفَضٌ لقًى تحت العجاجِ العاصبِ(٥
يا ربِّ أوجبها ولا تتعلّقن ... نفسي المنون لدى اكفِّ قرائبِ
كم من أُولي تيهٍ صحبتهمُ شُرُوا(٦ ... فخذلتهم ولَبئسَ فعلُ الصاحبِ
متأوّهين كأن في اجوافهم ... نارًا تُسعّرها اكفٌّ حواطبِ
تلقاهمُ فتراهمُ من راكعٍ ... أو ساجدٍ متضرّعٍ أو ناحبِ
يتلو قوارعَ تقتري عبراتِهِ ... فيجودُها مَريَ المريِّ الحالبِ
سُبْرٌ لجائفةِ الامورِ أطبَّةٌ ... لِلصَّدعِ ذي النبإِ الجليلِ مدائبِ
ومبرّئين من المَعايبِ أحرزوا ... خصلَ المكارمِ اتقياءُ أطايبِ

شنج النسا متقبّضه وهو مدحٌ لانَّهُ اذا تقبّض عرقُ النسا لم تسترخِ رِجلاهُ
١) اللاتب المشدود على الفرس ٢) بور هلكى . والجبرية قيل لهم ذلك لانهم نُسبوا الى القول بالجبر
٣) لهاً جمع لهاة وهي اللحمة المشرفة على الحلق في اقصى سقف الفم . كتب في الاصل « رها » ٤) اظر الطعنة وسعها . والتامور الدم . وظبة السنان حدُّه ٥) الحفض الشيء المطروح . العجاج الغبار . والعاصب المتجمّع . عصب الغبار بالجبل وغيره اطاف ٦ شريَ به سخر

عمّدوا صوارمَ للجلاد وباشروا حدَّ الظُّباةِ بآنُفٍ وحواجبِ
ناطوا امورهمُ بأمرِ أخٍ لهم فرمى بهم قُحَمَ الطريق اللّاحبِ(١
متسربلي حلَقَ الحديدِ كأنّهم أُسدٌ على لحق البطون سلاهبِ
قيدت مِنَ اعلى حضرموتَ فلم تزل تنفي عداها جانباً عن جانبِ
تحمي أعنَّتَها وتحوي نَهبَها لله أكرمُ فِتيةٍ وأشايبِ
حتى وردنَ حِياضَ مكةَ قُطَّناً يحكينَ واردةَ اليمامِ القاربِ(٢
ما ان أتينَ على أخي جبريةٍ الّا تركنهمُ كأمسِ الذاهبِ
في كل مُعترَكٍ لها من هامهم فِلَقٌ (٣ وأيدٍ عُلّقتْ بمناكبِ
سائلْ بيومِ قُديدَ عن وقعاتها تُخبرْكَ عن وقعاتها بعجائبِ

ثم دخل أبو حمزة المدينة سنة ثلاثين ومائة ومضى عبد الواحد بن سليمان الى الشأم. وأحسن أبو حمزة السيرة في اهل المدينة حتى استمال الناس. قال هرون: وحدّثني داود بن عبدالله بن أبي الكرام ان ابا حمزة بلغهُ انّ اهل المدينة يَعيبون اصحابهُ لحداثة اسنانهم وخفّة أحلامهم فبلغهُ ذلك عنهم فصعد المنبر وعليهِ كساء غليظ وهو مُتنكّب قوساً عربية فحمد الله وأثنى عليهِ وصلى على نبيّه (صلعم) وآلهِ ثم قال : يا أهل المدينة قد بلغتني مقالتكم في اصحابي ولولا معرفتي بضعف رأيكم وقلّة عقولكم لأحسنتُ آدابكم. ويحكم وهل كان أصحاب رسول الله المذكورون في الخير الّا احداثاً شباباً. والله مكتهلون في شبابهم.

---

١) طريق لَحِب ولاحب واضح. وقحمُ الطريق ما صعب منها
٢ القارب الطالب الماء ٣) فِلَق جمع فِلقة وهي نصف الشيء المفلوق

غضيضة عن الشرّ أعينُهم . ثقيلة عن الباطل أرجلُهم . أنضاء (١ عِبادةٍ قد نظر الله اليهم في جوف الليل مُنحنية أصلابهم على أجزاء القرآن كلما مرَّ احدهم بآية من ذكر الله بكى شوقاً . وكلما مرّ بآية من ذكر الله شهق خوفاً كأنَّ زفير جهنم بين أُذنيهِ . قد أكلت الارض جباههم وركبهم . ووصلوا كَلَالَ الليل بكَلالِ النهار . مصفرَّة ألوانهم . ناحلة أجسامهم من طول القيام وكثرة الصيام . انضاء عبادة مُوفون بعهد الله . مُتنجّزون لوعد الله . قد شرَوا (٢ انفسهم حتى اذا التقت الكتيبتان وأبرقت سيوفها وفُوّقت سهامُها وأُشرِعت رماحُهـا لقُوا شبا الاسنَّة وشائك السهام وخُلبا السيوف بنحورهم ووجوههم وصدورهم . فمضى الشاب منهم حتى اختلفت رِجلاه على عُنق فرسه واختضبت محاسن وجهه بالدّماء وعُفّر جبينهُ بالثرى وانحطّت عليهِ الطير من السماء وتزقتهُ سِباع الارض . فكم من عين في مِنقار طائر طالما بكى بها صاحبها في جوف الليل من خوف الله . وكم من وجه رقيق وجبين عتيق قد فُلق بعُمد الحديد . ثم بكى وقال : آه آه على فراق الاخوان . رحمة الله على تلك الابدان . وأدخل الله ارواحهم الجنان . ثم خرج وخلّف بالمدينة بعض اصحابه . فسار حتى نزل الوادي . ثم انَّ مروان انتخب من عسكره أربعة آلاف استعمل عليهم ابن عطية فأمر بالجدّ في السير وأعطى كل رجل من اصحابه مائة دينار وفرساً عربيًّا وبغلًا لثقله وأمرهُ ان يمضي فيقاتلهم وكان فيهم الف من اهل الجزيرة فشرطوا على مروان انهم اذا قتلوا عبد الله بن يحيي واصحابه رجعوا الى الجزيرة ولم يقيموا بالحجاز .

---

١) انضاء جمع نِضو وهو المهزول ٢) شروا باعوا

فاجابهم الى ذلك . (قالوا) فخرج حتى اذا نزل بالمعلى فكان رجل من اهل المدينة يقال لهُ العلاء بن افلح مولى ابي الغَيْث يقول : لقيني وأنا غلام في ذلك اليوم رجل من اصحاب ابن عطية فسألني : ما اسمك يا غلام . فقلت : العَلاء . فقال : ابن مَن . قلت : ابن افلح . قال : أعربيّ أم مولًى . قلت : بل مولًى . قال : مولى مَن . قلت : مولى ابي الغيث . قال : فأين نحن . قلت : بالمعلى . قال : فأين نحن غدًا . قلت : بغالب . (قال) فما كلّمني حتى اردفني خلفهُ ثم مضى بي حتى ادخلني على ابن عطية فقال : سل هذا الغلام ما اسمه . فسألني فرددت عليهِ القول الذي قلت . فسرَّ بذلك ووهب لي دراهم . وقال ابو صخر الهذلي حين بلغهُ قدوم ابن عطية :

قل للذين استُضعفوا لا تعجلوا ... اتاكمُ النصرُ وجيش جحفلُ
عشرون الفاً كلهم مُسربَلُ ... يقدمهم جَلْد القُوى مُستبسِلُ (١
دونكمُ هذا يمين فاقبلوا ... وواجهوا القومَ ولا تستخجلوا
عبد المليك القُلَّبيّ الحوَّلُ (٢ ... أقسمَ لا يُفلَى ولا يرَّجلُ
حتى يَبيدَ الاعورُ المضلّلُ (٣ ... ويُقتَلَ الصبَّاحُ والمفضّلُ

قال المدائني : وبعث ابو حمزة بلجَ بن عقبة في ستمائة رجل ليقاتل عبد الملك بن عطية . فلقيه بوادي القُرَى لايام خلَت من جمادى الاولى سنة ثلاثين ومائة فتواقفوا . ودعاهم بلج الى الكتاب والسُنَّة وذكر

---

١) مستبسل مستقتل وهو الذي يطرح نفسهُ في مخاطر الحرب يريد ان يَقتل او يُقتل لا محالة ٢) اي هو محتال في اموره حسنُ التقلُّب
٣) الاعور عبدالله بن يحيى رئيس الخوارج

بني أُمية وظلمَهم . فشتمهم أهل الشأم وقالوا : انتم يا اعداءَ الله احقُّ بهذا ممن ذكرتم وقلتم . فحمل عليهم بلج واصحابه فانكشف طائفة من اهل الشأم وثبت ابن عطية في الحِفاظ وقال : ناضِلوا عن دينكم وأميركم . فكرّوا واصبُروا صبرًا حسناً وقاتلوا قتالًا شديدًا . فقُتل بلج واكثر اصحابه وانحازت قِطعة من اصحابه نحو المائة الى جبل اعتصموا بهِ . فقاتلهم ابن عَطيَّة ثلاثة ايام فقتل منهم سبعين رجلًا . ونجا ثلاثون فرجَعوا الى ابي حمزة . ونصب ابن عطية رأس بلج على رمح . (قال) واغتمَّ الذين رجعوا الى ابي حمزة من وادي القرى وهم الثلاثون ورجعوا وجزِعوا من انهزامهم وقالوا : فررنا من الزحفْ . فقال لهم ابو حمزة : لا تجزَعوا فانا لكم فيئة والىَّ انصرفتم . قال المدائني : وخرج ابو حمزة من المدينة الى مكة واستخلف رجلًا يقال لهُ المفضل عليَها . فدعا عمر بن عبد الرحمن الناس الى قتاله . فلم يجد كبير احدٍ لانَّ القتل قد كان شاع في الناس . وخرج وجوه اهل البلد عنهُ . فاجتمع الى عمر البربرُ والزنجُ وأَهل السوقِ والعبيدُ فقاتل بهم الشُّراة فقُتل المفضلُ وعامَّة اصحابه وهرب الباقون فلم يبقَ بالمدينة منهم احد . فقال في ذلك سهيل ابو البيضاء مولى زينب بنت الحكم بن العاصي :

ليت مروان رآنا يوم الاثنين عشيَّهْ
اذ غسلنا العارَ عنا وانتضينا المشرفيَّهْ

(قال) فلما قدم ابن عطية المدينة أَتاهُ عمر بن عبد الرحمن بن أسيد فقال لهُ : اصلحك الله اني جمعت قضِّي وقضيضي فقاتلت هؤلاء فقتلت مَن امتنع من الخروج عن المدينة واخرجنا الباقي فلقيه اهل المدينة

بقَضِّهم وقضيضهم . (قال) وأقام ابن عطية بالمدينة شهرًا وابو حمزة مقيم بمكة ثم توجّه اليه . فقال لهُ عليّ بن حصين العنبري : اني قد كنت اشرت عليك يوم قديد وقبله ان تقتل هؤلاء الأسرى كلهم فلم تفعل وعرَّفتك انهم سيغدرون فلم تقبل حتى قتلوا المفضلَ واصحابنا المقيمين بالمدينة . وأنا أُشير عليك اليوم ان تضع السيف في هؤلاء فانهم كفرة فجرة ولو قدم عليك ابن عطية لكانوا اشدَّ عليك منهُ . فقال : لا أرى ذلك لانهم قد دخلوا في الطاعة وأقرّوا بالحكم ووجب لهم حقّ الولاية . قال : انهم سيغدُرون . فقال : ابعدَهم الله . مَن نكث فانما ينكُث على نفسهِ . (قال) وقدِم عبد الملك بن عطية مكة فصيَّر اصحابهُ فِرقتين والقي الخوارج من وجهين فصيَّر طائفة بالابطح وصار هو في الطائفة الاخرى بازاء ابي حمزة . فصار ابو حمزة اسفل مكة وصيَّر ابرهة بن الصباح بالابطح في ثمانين فارساً . فقاتلهم أبرهة فانهزم اهل الشام الى عَقَبةِ مِنىً فوقفوا عليها ثم كرُّوا وقاتلوهم . فقُتل ابرهة كمن لهُ ابن هبار القرشي وهو على خيل دمشق عند بئر ميمون فقتلهُ . وتفرّق الخوارج وتبعهم اهل الشام يقتلونهم حتى دخلوا المسجد . والتقى ابو حمزة وابن عطية بأسفل مكة . فخرج اهل مكة مع ابن عطية . فقُتل ابو حمزة على فم الشِعب وقُتلت معهُ امرأتهُ وهي ترتجز وتقول :

أنا الجعيـداء وبنتُ الاعلَمْ من سَالَ عن إسمي فاسمي مريمْ
بِعتُ سِواريَّ بسيفٍ مِخذَمْ

(قال) وتفرّقت الخوارج فأسر اهل الشام منهم اربعمائة فدعا بهم ابن عطية فقال : ويلكم ما دعاكم الى الخروج مع هذا . قالوا : ضمن لنا

الكنّة يريدون الجنّة وهي لغتهم . فقتلهم وصلب ابا حمزة وأبرهة بن الصباح ورجلين من اصحابهم على فم الشِّعب شِعْب الخَيْف (١ . ودخل عليُّ بن الحصين دارًا من دور قريش . فأحدق اهل الشام بالدار فأحرقوها . فلما رأى ذلك رمى بنفسهِ من الدار فقاتلهم وأُسر فقُتل وصُلب مع ابي حمزة . ولم يزالوا مصلّبين حتى أفضى الامر الى بني العباس . وحجّ مهلهل الجهيمي في خلافة ابي العباس فأنزل أبا حمزة ليلًا فدفنهُ ودفن خشبتهُ

وأتى فَلّ ابي حمزة الى عبدالله بن يحيي بصنعاء . فأقبل معهُ اصحابه وقد لقّبوه طالبَ الحقّ يريد قتال ابن عطية . وبلغ ابنَ عطية خبرُه فشخص اليهِ فالتقوا بِكستةَ . فأكثر اهل الشام القتل فيهم وأخذوا أثقالهم واموالهم وتشاغلوا بالنهب . فركب عبد الله بن يحيي فكشفهم فقتل منهم نحو مائة رجل وقتل قائدًا من قوادهم يقال لهُ يزيد بن حمل القشيري من اهل قنّسرين . فذَمرهم (٢ ابن عطية فكرّوا وانضمّ بعضهم الى بعض وقاتلوا حتى امسوا . فكفّ بعضهم عن بعض . ثم التقوا من غد في موضع كثير الشجر والكرم والحيطان فطال القتال بينهم واستحرّ القتل في الشُّراة . فترجّل عبدالله بن يحيي في الف فارس فقاتلوا حتى قُتلوا جميعاً عن آخرهم . وانهزم الباقون فتفرّقوا في كل وجه ولحق من نجا منهم بصنعاء وولّوا عليهم حمامة . فقال ابو صخر الهذليّ :

قتلنا دعيساً والذي يكتني الكُنى ... ابا حمزة الغاوي المُضلّ اليمانيا
وابرهة الكنديّ خاضت (٣ رماحنا ... وبَلْجاً صَبَحناهُ الحتوفَ القواضيا

---

١) الخيف خيف مِنًى . والخيف ما انحدر عن الجبل وارتفع عن مسيل الماء يميناً وشمالًا ٢) ذمرهم حضّهم ٣) يروى في الاصل «حاضت» بحاء مهملة

وما تركتْ أسيافُنا منذ جُرّدت لمروان جبّـارًا على الارض عاديا

قال المدائني : وبعث عبد الملك بن عطية رأس عبد الله بن يحيى مع ابنه يزيد بن عبد الملك الى مروان. وقال عمرو بن الحصين (ويقال الحسن العنبري مولى لهم) يرثي عبد الله بن يحيى وأبا حمزة:

هبّت قُبيـلَ تبلُّجِ الفجرِ هِندٌ تقول ودمعهـا يجري
اذ ابصرت عيني وادمعهـا يَنهلُّ واكِفُها على النحرِ
أنّى اعتراكَ وكنتَ عهديَ لا سَربَ الدموع وكنتَ ذا صبرِ
أقذًى بعينكَ لا يفارقهـا ام عايرٌ ام ما لهـا تُذري (١
ام ذكرُ اخوانٍ فُجعتَ بهم سلكوا سبيلَهـمُ على خبرِ
فأجبتها بل ذكرُ مَصرَعِهم لا غيرهُ عبراتهـا يَجري
يا ربِّ أسلِكني سبيلَهمُ ذا العرش واشدد بالتقى أزري
في فتيـة صبروا نفوسهمُ للمشرفية والقنـا السُّمرِ
تاللهِ ألقى الدهرَ مِثلَهـمُ حتى اكونَ رهينةَ القبرِ
أوفى بذمّتهم اذا عقدوا واعفّ عند العُسر واليسرِ
متأهّلين لكل صالحـة ناهونَ مَن لاقوا عن النكرِ
صُمت اذا احتضروا مجالسَهم رُزْن لقولِ خطيبهم وُقرِ
إلّا تُحييهم فانّهـمُ رجفُ القلوب بحضرة الذكرِ
متأوّهون كانّ جمرَ غضاً للخوف بين ضلوعهم يسري
تلقاهـمُ الّا كأنهمُ لخشوعهم صدروا عن الحَشرِ
فهم كانّ بهم جوى(٢ مرضٍ أو مسّهم طرَفٌ من السحرِ

١) العائر كلّ ما اعلّ العينَ . وأذرت العينُ الدمعَ صبّتهُ ٢) جوًى داء باطن

لا ليلُهم ليـلٌ فيلبسهم فيهِ غواشي النوم بالسكرِ
الّا كذا خُلَساً (١ وآونةً حذر العقابِ وهم على ذُعرِ
كم من اخٍ لك قد فُجعتَ بهِ قوّام ليلتهِ الى الفجرِ
متأوّه يتلو قوارعَ من آيِ القُرانِ مفزّع الصدرِ
نَصِبٌ تجيشُ بناتُ مهجتهِ مِلْ خوف جَيْشَ مُشاشةِ (٢ القِدْرِ
ظمآن وقدةَ كلّ هاجرةٍ ترّاك لذّتهِ على قدرِ
ترّاك ما تَهوى النفوسُ اذا رُغبُ النفوسِ دعتْ الى النذرِ
والمصطلي بالحرب يَسعرُها بغبارها وبفتيةٍ سُعرِ
يجتاحها بأفلّ ذي شُطَبٍ عَضْبِ المَضاربِ قاطعِ البترِ (٣
لا شيء يلقاهُ أسرّ لهُ من طعنةٍ في ثُغرةِ النحرِ
منهرة منهُ تجيش بما كانت عواصي (٤ جوفه تجري
كخليلك المختار أذكِ بهِ من مُعتدٍ في الله او مُسرِ
خوّاض غمرة كل متلفةٍ في الله تحت العنبر (٥ الكدرِ
ترّاك ذي النخوات مختضباً بنجيعهِ بالطعنةِ الشزرِ
وابن الحُصَين وهل لهُ شَبَهٌ في العرف انّى كان والنُكرِ
بشهامة لم تحنِ أضلعُهُ لذوي اخوّتهِ على غمرِ
طلق اللسان بكل محكمة رأّاب صدع العظم ذي الوقرِ

---

١ اي لا ينامون الا اختلاساً
٢) المشاشة راس العظم اللين
٣ كلّ قطعٍ بترٌ
٤) منهرة واسعة . والعواصي عروق لا ينقطع دمُها كانها تعصي في الانقطاع
٥) العنبر ترس يُتّخذ من جلد سمكة بحريّة يقال لها العنبر

لم ينفكك في جوفه حزن تغلي حرارتهُ وتستشري (١
ترقى وآونةً يُخفّضها بتنفُّسِ الصعداء والزفرِ
ومخالطي بَلْج وخالصتي (٢ سمّ العدوّ وجابر الكسرِ
نِكْل (٣ الخصومِ اذا هم شغبوا وسِداد ثلمة عورة الثغرِ
والخائض الغمرات يخطر في وسط الاعادي ايما خطرِ
بمشطّب أو غير ذي شُطَبٍ هام العدا بذبابهِ يفري
وأخيك أبرهة الهجان أخي م الحربِ العوانِ ملقح الجمرِ
بمُرشّةٍ فرغ تثُجُّ (٤ دماً ثجّ الغويّ سُلافةَ الخمرِ
والضارب الاخدود (٥ ليس لها أحد ينهنهها عن السمرِ
ووليّ حكمهمِ فجعتُ بهِ عمرو فوا كبدي على عمرِو
قوّال محكمة وذي فهمٍ عفّ الهوى متثبّت الامرِ
ومسيّب فاذكر وصيتهُ لا تنسَ إمّا كنت ذا ذكرِ
فكلاهما قد كان محتبساً لله ذا تقوى وذا بِرّ
في مُخبتين (٦ ولم استمهمِ كانوا يدي وهم أُولو نَصري
وهمُ مَساعِرُ في الوغى رُجحٌ وخِيار مَن يمشي على العَفرِ (٧
حتى وفوا لله حيث لقوا بعهودِ لا كذِبٍ ولا غدرِ

---

١) تستشري تلجّ ٢) المخالط الخليط اي الصاحب. وهو خالصتي وخلصاني اذا خلصت مودّته وصفت. وبلج بن عُقبة
٣) رجل نِكْل ونَكَل تُنكَل به اعداؤه
٤) ارتُّت الطعنة اجرَت الدم ٥) الاخدود ضربة تخدّ في الجلد اي تشقّ ٦) مخبتين متواضعين متخشعين ٧) الرجح هم الجنود الجرّارة الثقيلة. العَفْر والعَفَر التراب

فتخالسوا مُهجاتِ انفسهم وعُداتِهم بقواضبٍ بُترِ
واسنَّةٍ يُثنَيْن في لُدُنٍ خطّيَّةٍ بأكفّهم زُهرِ
تحت العَجاجِ وفوقهم خِرَقٌ يخفقنَ من سُودٍ ومن حُمرِ
فتفرَّجتْ عنهم كأنهمُ لم يغمِضوا عيناً على وترِ
فشِعارهم نيرانُ حربهمِ ما بين أعلى الشّحْرِ فالحَجْرِ (١
صرعى فحاجلة (٢ تنوبُهمُ وخوامعٌ لحمانَهم تفري

قال الدائني: وكتب مروان الى ابن عطية يامره بالمسير الى صنعاء ليقاتل من بها من الخوارج. فاستخلف ابنَهُ محمد بن عبد الملك على مكة وعلى المدينة الوليدَ بن عُروة بن عطية وتوجه الى صنعاء. ورجع اهل الجزيرة جميعاً الى بلدهم وكذلك كان مروان شرط لهم. فلما قرُب من صنعاء هرب عامل عبد الله بن يحيي عنها. فأخذ أثقالهُ وحملين من مال كان معهُ اهلُ صنعاء فسلّموا ذلك الى ابن عطية. وتتبع اصحابَ عبد الله بن يحيي في كل موضع يقتلهم وأقام بصنعاء أشهُرًا. ثم خرج عليهِ رجل من اصحاب عبد الله بن يحيي في آل ذي الكلاع يقال لهُ يحيي بن عبدالله بن عمر بن السباق في جمع كثير بالجند. فبعث اليهِ ابن عطية ابن اخيهِ عبد الرحمن بن يزيد بن عطية فلقيهُ بالحرب فهزمهُ وقتل عامّةَ اصحابه وهرب منهُ فنجا. وخرج عليهِ يحيي بن كرب الحميري

---

١) الشحر صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن بين عَدَن وعُمان. والحجر مدينة اليمامة وام قراها

٢) الحاجلة الطير التي تحجل اي تنزو كالغراب والخوامع الضباع . وفي الاصل كتب « فخاجلة . . . وجوامع لحماتهم »

بساحل البحر وانضمّت اليهِ شُذّاذ الإباضيّة (١ . فبعث اليهِ ابا اميّة الكندي في الوضاحية فالتقوا بالساحل فقتل من الإباضية نحو مائة رجل وتحاجزوا عند المساء فهربت الاباضية الى حضرموت وبها عامل لعبد الله ابن يحيى يقال لهُ عبد الله بن معبد الجرمي فصار في جيش كثير واستفحلَ امرُه . وبلغ ابن عطية الخبر فاستخلف ابن اخيهِ عبد الرحمن بن يزيد بن عطية على صنعاء وشخص الى حضرموت . وبلغ عبد الله بن معبد مسير عبد الملك اليهم فجمعوا الطعام وكل ما يحتاجون اليهِ في مدينة سنام وهي حُصَين حضرموت مخافةَ الحِصار ثم عزموا على لقاء ابن عطية في الفلاة فخرجوا حتى نزلوا على اربع مَراحِل من حضرموت في عدد في فلاة . وأتاهم ابن عطية فقاتلهم يومهُ كلّهُ . فلما امسى وقد بلغهُ ما جمعوا في سنام حدّر عسكره في بطن حضرموت الى السنام ليلًا ثم اصبح فقاتلهم حتى انتصف النهار . ثم تحاجزوا . فلما امسَوا تبع عسكره وأصبح الخوارجُ فلم يرَوا للقوم اثرًا فاتبعوهم وقد سبقوهم الى الحُصَين فأخذوا جميع ما فيهِ وملكوه . ونصب ابن عطية عليهم المسالح وقطع عنهم المادّة والميرة وجعل يقتل من يقدر عليهِ ويسبي ويأخذ الاموال . ثم ورد عليهِ كتاب مروان بن محمد يأمره بالتعجُّل الى مكة ليحجّ بالناس . فصالح اهلَ حضرموت على ان يردّ عليهم ما عرفوا من اموالهم ويولّي عليهم من يختارون وسالموه . فرضي بذلك وسالمهم وشخص الى مكة متعجلًا مُخِفًا (٢ . ولما نفذ كتاب مروان ندم بعد ذلك بأيّام وقال :

---

١) راجع في الاباضية الحاشية ١ الصفحة ٤٤٠

٢) المخفّ القليل الثّقل في سفرهِ

انّا لله قتلتُ والله ابنَ عطية هو الآن يخرج مخفًا متعجلًا ليلحق الحج فيقتلهُ الخوارج . فكان كما قال تعجّل في بضع عشرة رجلًا فلما كان بأرض مُراد تلفّفت (١ عليه جماعة فمن كان من تلك الجماعة اباضيًا عرفهُ . فقال : ما ننتظر بهذا ان نُدرك ثأر اخواننا فيهِ . ومن لم يكن اباضيًا ظنّهُ من الاباضية وانهُ مُنهزم . فلما علم انهم يريدونهُ قال لهم : ويحكم انا عامل امير المؤمنين على الحجّ . فلم يلتفتوا الى ذلك وقتلوه ونصبت الاباضية رأسهُ . فلما فتشوا متاعه وجدوا فيهِ الكتاب بولايتهِ على الحج فأخذوا من الاباضية رأسهُ ودفنوه مع جسده

وبلغ ابن اخيهِ وهو بصنعاء خبره فأرسل شُعَيباً البارقيّ في الخيل فقتل الرجال والصبيان وبقرَ بطونَ النساء وأخذ الاموال وأخرب القُرى وجعل يتتبّع البريَّ والنَّطِفَ (٢ حتى لم يبقَ احد من قتَلة ابن عطية ولا من الاباضيَّة الّا قتلهُ ولم يزل مقيماً باليمن الى ان أفضى الامرُ الى بني هاشم وقام بالامر ابو العباس السفّاح

تمّ الجزء الثاني بحولهِ تعالى

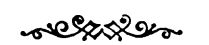

---

١) تلفّف عليهِ تجمّع
٢) النطف المُريب

فهرس

	صفحة
نزول اليهود ثم الاوس والخزرج بيثرب	٧
مكر ابي جبيلة باليهود ومقتلهم	١١
محاربة الاوس والخزرج	١٤
قيس بن الخطيم يأخذ بثار ابيهِ وجدّه	٢٠
السموأل	٢٥
الاعشى وشريح بن السموأل	٢٧
معاوية وشعبة بن غريض	٢٨
احيحة بن الجلاح وعاصم بن عمرو	٣٠
الحرب بين مضاض بن عمرو والسميدع	٣٣
بغي جرهم وطردهم من مكة	٣٥
يوم بعاث	٣٩
حسّان بن تبّع	٤٩
خبر طسم وجديس	٥٢
خبر زرقاء اليمامة	٥٥
مقتل الاسود بن غفار	٥٦
مقتل نصارى نجران وقدوم الحبشة الى اليمن	٥٧
خبر جذيمة الابرش	٦٧
غزو كسرى اياداً	٧٤
مقتل كليب	٧٨
حرب البسوس	٨٢
القتلى في حرب البسوس	٩٠
مقتل جساس	٩١
يوم اوارة	٩٣
لقيط بن زرارة	١٠٠
تحاكم تغلب وبكر عند عمرو بن هند	١٠٣
مقتل عمرو بن هند	١٠٥
اسر عمرو بن كلثوم	١٠٨
مقتل شاس بن زهير	١٠٩
مقتل زهير بن جذيمة العبسي	١١٣
مقتل خالد بن جعفر	١٢٠
يوم رحرحان	١٣٢
هرب الحرث بن ظالم ومقتلهُ	١٣٥
خبر الحرث بن ظالم وعمرو بن الاطنابة	١٤١
يوم شِعب جبلة	١٤٤
لبيد والنعمان والربيع بن زياد	١٦٢
يوم الصفقة	١٦٦
يوم كُلاب الثاني	١٧٠
عديُّ بن زيد	١٧٦
وقعة ذي قار	١٩٥
حرب داحس	٢٠٨
حروب الفجار وحروب عكاظ	٢٢١

	صفحة
مقتل ربيعة بن مكدم في يوم الكديد	٢٣٥
ربيعة بن مكدم ودريد بن الصمة	٢٣٧
شجاعة ربيعة بن مكدم	٢٤١
دريد بن الصمة	٢٤٧
مقتل عبد الله بن الصمة	٢٥٠
يوم الغدير	٢٥٣
مقتل قيس بن الصمة	٢٥٥
مقتل خالد بن الصمة	٢٥٦
مفاخرة بين حاتم وسعد بن حارثة	٢٥٧
زيد الخيل	٢٦١
السليك بن السلكة	٢٧٤
تأبط شرًّا	٢٨٢
مقتل عمرو ذي الكلب	٢٩٠
الخنساء وهند بنت عتبة	٢٩٣
حسان بن ثابت وعمرو بن الحرث	٢٩٥
حسان بن ثابت والنابغة عند النعمان	٢٩٧
حسان بن ثابت وقيس بن الخطيم	٣٠٠
حجر آكل المرار وزياد بن الهبولة	٣٠١
المنذر بن ماء السماء وعبيد بن الابرص	٣٠٥
جبلة وعمر بن الخطاب	٣٠٧
الحطيئة	٣١٢
الحطيئة والزبرقان	٣١٦
شريح بن ضبيعة الحطم في حرب الردَّة	٣٢٣
مقتل حجر بن عدي	٣٢٧
اهل الكوفة وسعيد بن العاص	٣٤٤
حبس ابن مفرّغ	٣٤٧
مقتل جرجير	٣٧١
خبر مقتل ابني عبيدالله بن العباس	٣٧٣
مقتل توبة بن الحميّر	٣٧٦
اخذ الثأر من هلال	٣٨٥
خرب قيس وكلب وحرب قيس وتغلب	٣٩٢
الحرب بين عبد الملك ومصعب بن الزبير	٤٠٧
وقعة دولاب	٤١٤
الوليد بن يزيد	٤١٩
خروج عبد الله بن يحيى وأبي حمزة المختار ومقتلهما	٤٤٠

ولهُ ايضاً

مختصر التعليم المسيحي مصوَّر
تأملات وجيزة لشهر قلب يسوع
الكنز الروحي او مُقتطف صلوات
رتبة درب الصليب وزياح الصليب
فرض الحبل بلا دنس
إعداد الأحداث للمناولة الاولى
اخوة واخوات يسوع او بتولية مار يوسف
رئاسة القديس بطرس
الطلاق عند المسيحيين
مختصر تاريخ الدول لابن العبري
ديوان الاخطل عن نسخة بطرسبرج . خمسة اجزاء
ديوان الاخطل عن نسخة بغداد . بالتصوير الشمسي والطبع الحجري
نقائض جرير والاخطل
الف ليلة وليلة . خمسة اجزاء
طرائف فكاهات في اربع حكايات
ثلاثة كتب في الاضداد للاصمعي وللسجستاني ولابن السكيت
(بالاشتراك مع العلّامة اوغست هفنر)